محمد حسين ترحيني

العلامة المرجع

السيد محمد حسين فضل الله قدس سره

مشروع نهضة الأمة

دار المحجة البيضاء

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ISBN:978-9953-567-62-4

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com

العلامة المرجع

السيد محمد حسين فضل الله قدس سره

مشروع نهضة الأمة

محمد حسين ترحيني

دار المحجة البيضاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

باسمه تعالى

إلى عملاقِ الفكرِ والفقهِ، المرجعِ المجاهدِ

السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه)

إلى كلِّ أحرارِ الفكرِ في العالم...

إلى كلِّ المخلصين العاملين في سبيلِ الله لتكونَ كلمةُ الله هي العُليا...؟

إلى كلِّ من يريدُ الحقيقةَ دونَ تحيّز أو تعصّب...

إلى صاحبِ العقلِ المنفتحِ والنيِّرِ، إلى المنارةِ الساطعةِ في سماءِ الظلماتِ...

إليكَ... يا قدوةَ الأحرارِ والمجاهدين...

أقدِّمُ هذا المجهودَ المتواضعَ، أمام عطائِك الذي لا ينضبُ

لعلي أكونُ قد وفّيْتُ ولو القليلَ من حقِكَ علينا...

يا أبا الأيتامِ... يا سيدَنا ويا حبيبَنا...

أسألُ الله أن يتقبّلَ أعمالِنا في يومٍ لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم...

محمد حسين ترحيني

باسمه تعالى

المقدّمة

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾[1]

لمثلكَ سيدي فليبكِ الباكون، ولمثلِ جهادك وعطائك فلتذرفْ دموعُ العيونِ...

ماذا عساي أن أكتبَ والحبرُ يعجزُ عن كتابةِ مفرداتِ عطائكِ وجهادك...

هل أقول إنك عنوانُ الجهادِ والمجاهدين.. عنوانٌ للفقه والدين...؟

هل أقولُ إنك الأبُ الحنونُ للأيتامِ والفقراءِ والمساكينِ... ماذا أكتبُ وأنتَ عَطاءُ العطاءِ وكلُ الوفاءِ...

لم أشعرْ سيدي بغيابِك، لأنّ روحَكَ وعقلكَ تسكنُ بينَ الحنايا والضلوعِ...

لم أشعرْ سيدي بغيابك، لأنَّ كلماتِك المملوءةَ بأمواج الحب والحنان، تَعبرُ بحارَ القلب...

الحبُ الذي لم يفهمْهُ البعضُ والذي ملأَ قلبَكَ وروحَكَ، يا صاحبَ القلبِ الكبيرِ الذي لم يحمل الحقدَ والضغينةَ حتى للذين اختلفْتَ معَهُم...

---

(١) سورة يس: ٢٦، ٢٧.

لم أشعرْ سيدي بغيابِكَ، لأنك إنسانُ الإنسانِ وكلُ الإنسانِ، إنسانٌ في إنسانيتِك.. حنونٌ في أبوّتك...!

فإنْ كان للعلمِ معنًى فأنتَ معناه

وإن كانَ للحبِ قلبٌ فأنت محتواه..!!

هذه المرةُ الأولى التي أكتبُ فيها عن عملاقٍ من هذا المستوى، فأرى نفسي مقصّراً خجلاً مهما كنتُ موفّقاً في الكتابةِ والتعبير.

كيف لا وسماحةُ العلّامةِ السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) على مدى الأعوام الأربعين الماضيةِ، كان من المؤسسين الكبار للعمل الإسلامي والوجود الإسلام الحركي في لبنان ثم داعماً أساسياً للمقاومةِ الإسلاميةِ المجاهدةِ وسنداً قوياً لها في أحلكِ الظروفِ، وأباً حنوناً لكلِ المجاهدين ولكلِ الجيلِ المؤمنِ الذي تربّى على يديه.

كانَ (قُدِّس سرّه) اليدَ الحنونَه العطوفَه التي امتدَتْ للأيتام والفقراءِ والمساكين فعاشَ بينهم، بل إنه سخّرَ حياتَهُ لهم، يحاكيهم ويخفّفُ عنهم ويواسيهم.

لقد شقّت الحالةُ الإسلاميةُ في لبنانَ طريقاً صعباً لم يكنْ ليُعبَّدَ لولا دفقٌ من الإراداتِ القويةِ والشجاعةِ المؤمنةِ، وصنفٌ خاصٌ من الرجالات في مقدّمِهم العلّامةُ المجاهدُ السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه).

فعلى مدى تجربتهِ الزاخرةِ بالعطاءاتِ، شكّلَ سماحتهُ غطاءً للكثيرِ من الحركاتِ والأحزابِ والتياراتِ الإسلامية.

إن الحديث عن قامةٍ بحجمِ سماحتهِ (قُدِّس سرّه) وعلوِّهِ ومكانتهِ، يثيرُ في النفسِ الآهاتِ والشجونَ، لما لهَ من إسهاماتٍ وإنجازاتٍ وتأثيرٍ بشكلٍ فعّالٍ في رسمِ الإستراتيجياتِ السياسيةِ للحركاتِ الإسلاميةِ العالميةِ ولما له من تأثيرٍ في نفوسِ مَن استمعُوا له وعَرفوه.

[كان (قُدِّس سرّه) من أوائلِ الدعاةِ للتعاطفِ مع شعاراتِ الثورةِ الإسلاميةِ في إيران، وعملَ على تأمين التفاعلِ مع قيادتِها وعلى رأسِهم السيد الإمام الخميني (قُدِّس سرّه).

مع بداية الاجتياح الإسرائيلي للبنانَ لجأتِ الكوادرُ الشابةُ التي انطلَقت من مسجد الرضا عليه السلام في بئرِ العبدِ لتتلقى منه التوجيهاتِ والنصحَ والإرشادَ، فكان المرشدَ الروحي للمقاومةِ الإسلاميةِ وكان العقلَ الذي أطلقَ المقاومةَ وكانَت أكبرَ ثمارِ أفكاره السياسية الجهادية، فاستمدت من فكرهِ روحَ المواجهةِ والتصدي والممانعةِ وسارَت في خط الإنجازات والانتصارات حتى اندحار العدو الصهيوني عن جنوبِ لبنانَ عام ٢٠٠٠م وانهزامِه في حرب تموز ٢٠٠٦م][1].

كان واضحاً أمام سماحته (قُدِّس سرّه) من اللحظة الأُولى لمجيئه إلى لبنان أنه لا بد من العمل للإسلام في إطار مشروع متكامل، وأن العدة التي لا بد من مباشرة العمل بها هي الإخلاص والإصرار والمزيد من الصبر على المكاره، حين حضر سماحة السيد موسى الصدر (أعاده الله) إلى لبنان، وأراد أن يباشر حركته السياسية، كان السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) قد أهّل نخبة كبيرة من الشباب كانوا نواة العمل السياسي الإسلامي الذي انطلق في تلك المرحلة ومع ذلك فإن السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) أراد أن يبقي على المشروع الفكري الإسلامي حاكما للمشاريع الأخرى، باعتبار أن العمل الفكري الإسلامي العام يمكن أن يشكّل قيمة كبيرة لكل المشاريع الأخرى، وأيضاً الرافد الأساسي لكل المشاريع المتصلة بالإسلام على صعده السياسية والاجتماعية المتنوعة.

[فلم يحدّد سماحته (قُدِّس سرّه) أو يقنّنَ حركتَهُ في إطارٍ محلي أو مناطقيّ أو حزبيّ، بل انفتحَ على كل مكوّناتِ المجتمعِ اللبنانيّ فكانَ رجُلاً بحجم الوطنِ والأمة من خلالِ اعتمادهِ أسلوبَ العملِ الفكري الذي لا تحدُّهُ جغرافياً أو أطر زمنيةٍ محدّدة.

اهتمَ سماحته (قُدِّس سرّه) بالعمل الاجتماعي التربويّ فأسسَ الحوزاتِ العلميةَ في لبنانَ والشامَ، وأسسَ «جمعية المبرات الخيرية» لرعايةِ الأيتام، ومكتبِ الخدماتِ الاجتماعيةِ لمساعدةِ الفقراءِ والمحتاجين، والطبيةِ مثل مستشفى «بهمن» والعمل الإنساني مثل «مركز الهادي للصمّ والبكم وغيرها...».

---

(١) نقلًا عن تقرير لتلفزيون المنار بمناسبة رحيل سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قده) بتاريخ ٤/٧/٢٠١٠م وهو مؤرشف لدينا صوتًا وصورة.

مما يعدُّ من المؤسساتِ الأولى والرائدة ليس في لبنانَ والشرقِ الأوسطِ فحسب، بل في العالمِ العربيِّ والإسلامي برمّتِه][1].

كان الراحلُ الكبيرُ (قُدِّس سرّه) علامةً فارقةً في الفكرِ والثقافةِ والشعرِ حيثُ تحوّلَ منهلاً ورافداً للعلمِ والحكمةِ والاعتدالِ والوحدةِ.

والأهمُ أنه كانَ العالمَ العاملَ المخلصَ الذي نراه صورةً ونسمعهُ صوتاً، في وقتٍ كانَ البعضُ إما صورةً بلا صوتٍ أو صوتاً بلا صورة.

فهو لم يأتِ بالإسقاطِ السياسي أو الحشدِ الإعلامي أو الوراثةِ السياسيةِ...

بل جاءَ بجهدِهِ وجهادِهِ ومواقفِهِ وفكرِهِ وثقافتِهِ وعلمِهِ ووسطيتِهِ وزخمِ عطائهِ وانفتاحِهِ على الجميع.

إن المرجعَ الكبيرَ الراحلَ مدرسةً في العطاءِ وبذلِ الجُهْدِ والسعي الحثيثِ لتنويرِ الأمّةِ وإخراجها من غياهب الجهلِ والضلالِ والغلوِّ.

لقد جسّدَ سماحته (قُدِّس سرّه) الرسالة بمعناها، ولأن الرساليين لا يعيشون لذواتهم بل ليعطوا الأمةَ والزمنَ فكراً وعملاً ومنهجاً وقدوةً للأجيال القادمة كان في طليعة الرساليين في هذا العصر.

لقد ملأتَ الدنيا علماً وفقهاً وحركةً ووعياً وتقوى، واستطاعَ المؤمنون أن يجدوا من خلالِك جواباً لكلِ مسألةٍ في كلِ ما يجبُ أن يسألوا عنه، ووجدوا عندَك لكلِ مشكلةٍ حلاً في كلِ ما يواجهونه من مشكلات في الفكرِ والعقيدةِ والشريعةِ والسياسةِ والحياةِ.

لقد علمتنا يا سيدي ألا نكون أتباعًا وكنت تقول:

«أنا لا أسمي الذين يتفقون معي في الرأي أتباعًا». وكُنتَ تحذّرنا من التبعية العمياء والصنمية بتقديس القائد أو الزعيم أو الحزب أو التنظيم، وألا نسير خلفهم معصبي الأعين والأيدي والألسن...

(١) نفس المصدر السابق.

كنا معك، مع نهجك لأننا رأينا فيك الصدق والإخلاص متجسّدًا فكرًا وكلمةً وموقفًا وجهادًا، ولأنك كذلك أحببناك لا حب الجاهل بل حُبَ العارف إن السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) شخصية استثنائية في حياتنا المعاصرة وهو مثال أعلى وقدوة، وملهم للأحرار، سيمضي وقت طويل لنعرف له مثيلا . . . !

مثل هذه الشخصية بإيمانها وربّانيتها كنا نقرأ عنها في الكتب وجاء سماحته (قُدِّس سرّه) ليجسّد كل القيم الإنسانية الإسلامية ويحقق النموذج الإيماني على أرض الواقع.

هذه الإستثنائية العظيمة التي يدل عليها صدقهُ وحبهُ والتزامهُ وحركيتهُ وربّانيتهُ ومواقفهُ المُشرّفةُ ومبدئيتهُ وإخلاصهُ لله (عزّ وجلّ).

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1]

عندما تخسرُ الأمةُ الإسلاميةُ رجلاً في حجم العلّامةِ المرجعِ الكبيرِ (قده) فإن الحزنَ والأسى يكونُ أعمقَ، والمصيبَة أكبرُ وأجَلُّ، وعندماَ تفقدُ البشرَيةُ رمزاً ومثلاً وداعيةً ومخلصاً من دعاةِ التقريبِ والوحدةِ والاعتدالِ والأصالة فإن الخسارةَ تكونُ كبيرةً، ولا تُعوّض.

أما العزاءُ فيكونُ باتّباعِ منهجِكَ وفكرِكَ الذي أرسْيتَ دعائِمَه في نفوسنا وعقولِنا، ونعاهدُك على أن نَسيرَ على دربِكَ وهديك، وأننا سوفَ نورّثُه وننقلُهُ ونغرسُهُ في عقولِ ونفوسِ أجيالِنا القادمةِ بعون الله ومشيئتِه.

والله ولي التوفيق

٢٠١٠/٧/٤م

الذكرى الأولى لمرور عام

على رحيل سماحته (قُدِّس سرّه)

---

(١) سورة القصص: ٨٣.

الفصل الأول

١ ـ (نشأته) بطاقة هوية:

- ❖ النسب
- ❖ الولادة والنشأة
  - ١ ـ زوجته.
  - ٢ ـ أولاده.
  - ٣ ـ والده.

٢ ـ سيرته في العراق:

- ❖ نبذة من طفولته
- ❖ من أهم أساتذته
- ❖ بروزه في الحوزة
- ❖ تلامذته
- ❖ نظرته المتقدمة للأمور
- ❖ نشأة حزب الدعوة
- ❖ اهتمامه بالنشاطات الثقافية والفكرية

الفصل الأول

(نشأته ـ سيرته في العراق)

١ ـ بطاقة هوية:

★ النسب:

السيد محمد حسين ابن السيد عبد الرؤوف ابن نجيب الدين ابن السيد محيي الدين ابن السيد نصر الله ابن محمد بن فضل الله (وإليه تُنسب العائلة) ابن محمد بن محمد بن يوسف بن بدر الدين بن علي بن محمد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن الحسن بن عيسى بن فاضل بن يحيى بن حوبان بن الحسن بن ذياب بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن داود بن إدريس بن داود بن أحمد بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[١].

★ الولادة والنشأة:

(ولد سماحته «قُدِّس سرّه» في النجف الأشرف في العراق في ١٩ شعبان ١٣٥٣هـ الموافق ١٩٣٥م وقيل ١٩٣٦م حيث كان والده آية الله السيد عبد الرؤوف فضل الله (قُدِّس سرّه) قد هاجر إليها لتلقي العلوم الدينية، وهو من بلدة عيناثا (جنوب لبنان) قضاء بنت جبيل، والدته رؤفة حسن بزي من بنت جبيل وهي من بيت علم وسياسة، أخوها المرحوم النائب علي بزي[٢])[٣].

---

(١) نقلًا عن جريدة بيّنات العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١هـ، ٩تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص١٢.

(٢) من أقطاب الحركة السياسية في مرحلة الستينات والسبعينات ـ مشهور بالحنكة السياسية المرتكزة على الدبلوماسية العالية والإنفتاح على التيارات السياسية.

(٣) مقتبسة من كتاب (العقلانية والحوار من أجل التغيير ـ محمد حسين فضل الله) مركز الحضارة لتنمية الفكر ص٢٥، نقلاً عن: جمال سنكري، مسيرة قائد شيعي، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٨م.

«عند الحديث عن ظروف ولادته، لا بد من الإشارة إلى أنه سبقت ولادته بعض المعاناة في حياة العائلة، إذ أسقطت المرحومة والدته مرتين قبل ولادة الأخت الكبرى المرحومة السيدة خديجة، زوجة العلّامة السيد عبد المحسن فضل الله والتي توفيت متأثرة بالإصابة التي لحقت بها جراء قصف الجيش الإسرائيلي وعملائه لمنزلهم.

ثم تمت ولادة الأخت الثانية المرحومة الحاجة زهرة التي توفيت هي وولدها الوحيد بانقلاب حافلتهم في تركيا أثناء زيارتها للإمام الرضا عليه السلام، بعد ولادة البنت الثانية رزقت العائلة بولد اسمه «عبد الهادي» وكما يقال، كان جميل الصورة ولديه حركات طفولية تثير العاطفة ما جعل والدته تتعلق به تعلقاً عاطفياً غريباً، ولكن شاءت الأقدار أن يمرض هذا الطفل ويفارق الحياة وهو دون سن الثانية ما ترك جرحاً عميقاً في حنايا والدته (والدة سماحة السيد محمد).

في هذا الجو، كانت الوالدة تتطلع إلى ولد ذكر، وشاءت الرعاية الإلهية أن يتم الحمل، ودعت والدته إلى الله أن تتم مرحلة الحمل بسلام على أن تطلق عليه إسماً مركباً فكان (محمد حسين).

استجاب الله الدعاء وولد (محمد حسين) في جو من الترقب واللهفة، ومن الطبيعي أن يحاط بعناية فائقة، وكما كان حيّوياً حركّياً نشطاً في كل حياته برزت هذه الصفات منذ طفولته الأولى، وبفعل جمال صورته وخفة حركته كان الخوف شديداً عليه، فقُيّدت حركته، ومُنع من اللعب في أزقة النجف، واقتصر ميدانه على البيت في اللهو مع أخواته»[1].

«وعندما بلغ سن الخامسة تقريباً، أُدخل الكتّاب الذي كان يديره شيخ مُسِن، ليتعلم القراءة والكتابة وتلاوة القرآن، وقد عبّر سماحته (قُدّس سرّه) في أكثر من مناسبة عن ذكرياته المؤلمة بفعل الأساليب التربوية القاسية التي كان يمارسها هؤلاء في حق الطفولة البريئة من كيل الأكف على الوجه وشد الآذان وغيرها من العقوبات التي كانت تمارَس بسبب أخطاء بسيطة أحياناً.

---

(١) مقتبسة من كتاب (السيد الحبيب)، للدكتور محمد رضا فضل الله، إصدار المركز الإسلامي الثقافي، مجمع الإمامين الحسنين عليهما السلام حارة حريك (ذو القعدة ١٤٣١هـ/ تشرين الأول ٢٠١٠م).

لم يمكث السيد محمد حسين طويلاً في الكتّاب، إذ انتقل إلى مدرسة دينية عصرية اسمها «منتدى النشر» وقُبِلَ في الصف الثالث الابتدائي ثم تابع دراسته في الصف الرابع ومنه انخرط في الحوزه العلمية»[1].

زوجته: السيدة نجاة نور الدين، من بلدة جويا الجنوبية إبنة المقدّس آية الله السيد نور الدين نور الدين، الذي تربطه صداقة وزمالة أيام الدراسة في النجف الأشرف للمقدّس السيد عبد الرؤوف فضل الله (قُدِّس سرّه) والد سماحة السيد محمد حسين.

أولاده: (وعددهم إثنا عشر) هم: السيدة فاطمة، السيد علي، السيدة نهى، السيد محمد حسن (متوفي)، المهندس السيد أحمد، السيد إبراهيم، السيدة إيمان، السيد نجيب، السيد جعفر، السيدة رنا، السيد عباس، السيد بلال آل فضل الله.

والده: «المقدّس آية الله السيد عبد الرؤوف فضل الله (قده) وهو عالم فقيه، مجتهد، رباني، منفتح تلقائي على الآخر، ففي بنت جبيل في سبعينات القرن الماضي وعلى الرغم من عدم انشغاله بالسياسة وقف السيد عبد الرؤوف فضل الله (قده) بقوة ضد الطائفية والتعرض للمسيحيين في جنوب لبنان ووقف مع المقاومة وضد التعامل مع إسرائيل رغم معارضته لسلوكيات بعض المقاومين الفلسطينين الخاطئة في عدم المحافظة على أرواح الناس وممتلكاتهم وحقوقهم آنذاك، لكنه كان يفتح قلبه لهم، يستمع إليهم، يجيب عن أسئلتهم، ويستجيب لسد حاجاتهم.

عاش السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) في كنف والده، فتعلم منه العقل المنفتح والمشاكسة الفكرية ضمن الحوار الهادىء مع احترام الآخر ورأيه.

وكان السيد عبد الرؤوف (قُدِّس سرّه) يطلب من ابنه السيد محمد حسين إعطاء وجهة نظر معارضة في كل نقطة وموضوع، فتعلم سماحة السيد محمد حسين (قُدِّس سرّه) من والده أن العلم والفقه يتطور بالاختلاف والاعتراض والتساؤل»[2].

---

(١) مقتبسة من كتاب (العلامة فضل الله وتحدي الممنوع) تأليف الكاتب الصحفي علي حسن سرور، دار الملاك، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ص٢٥ ـ ٢٦.

(٢) مقتبسة من مقال للدكتور شفيق ناظم الغبرا، (بيّنات) العدد٣٧٢، الجمعة ٢٥ شعبان، ١٤٣١هـ ـ ٦آب (أغسطس) ٢٠١٠م ص٦.

(يقول سماحة السيد محمد حسين (قُدِّس سرّه) أن والده الشخص الوحيد الذي كان يعيش معه حريته في النقاش حتى في المحرّمات، وكان السيد محمد حسين فضل الله يتحدث مع والده ذات مرة بطريقة النكتة ويقول له: يا سيدنا تعال لنتحدث في الكُفريات، كدلالة على الأشياء التي لا يمكن للإنسان أن يناقشها مع الناس لأنهم يعتبرونها من الثوابت، ومَن يتداولها أو يناقشها يتهمونه بالضلال والكفر والمروق.

فيقول سماحة السيد محمد حسين فضل الله: كان والدي يستمع إليّ في كل ما يدور في ذهني من أفكار وأوهام وخيالات، ويناقشني كما لو كنتُ إنساناً أملك فكراً ناضجاً تلك الأيام (أيام الصبا) لأنه كان يعتبر أن الشك هو الخطوة الأولى نحو اليقين.

وكانت المناقشات تمتد طويلاً بيني وبينه وبالأخص على مائدة الغداء، حتى إن ذلك كان يُثقل على والدتي التي كانت تقول بانفعال حنون: «اتركه يتناول غداءه».

ومن الذكريات في إطار هذه الجلسات يقول الدكتور السيد محمد رضا فضل الله[1] أنه في أحد الأيام كان جالساً مع أخيه السيد محمد علي في حضرة والده السيد عبد الرؤوف فضل الله (قُدِّس سرّه) وفي هذه الأثناء دخل السيد محمد حسين (قُدِّس سرّه) وبدأ النقاش في مسألة علمية فقهية، حتى علت الأصوات بعض الشيء حين احتدم الحوار وبعدها خرج سماحة السيد محمد حسين (قده) وبقي إخوته مع والدهم السيد عبد الرؤوف فضل الله (قده)، فبادر والدهم وقال لهم بعفويه: «لا أتوقع أن يبلغ أحد في لبنان مستواه العلمي»، رغم أن الساحة اللبنانية كان فيها آنذاك من العلماء الكبار الذين يُحترم علمهم وفقاهتهم.

ومن الأساليب التربوية التي تعلمها من والده أيضاً: الكثير من القضايا التي يواجهها الإنسان والتي تقوده إلى معارك شخصية فيها فعل وردة فعل، تُحل بإهمالها، فعندما يشتمك الآخرون ويحاولون إثارة انفعالك فإن السكوت والإهمال وعدم التحدث فيها هو الذي يُتعب الآخر ويشعره بالخزي والعار.

(١) شقيق سماحة السيد (قُدِّس سرّه).

وتعلّم أيضاً انفتاحه على الصغير والكبير وهي سمة ملازمة لسلوك سماحته (قُدِّس سرّه) الإنساني السامي)[1].

وتعلّم أيضاً الانفتاح على الله، بالصفاء الروحي الصادق، وهذا هو ما ميّز شخصيته (قُدِّس سرّه) فكل مَن كان يلتقي سماحته (قُدِّس سرّه) كان يُدهش بروحانيته التي تُشعرك بعمق ارتباطه بالله (عزّ وجلّ).

كان سماحته شاعراً فذاً لا يُستهان به، وقد اكتشف ذلك في بدايات حياته، وعندما توفي والده السيد عبد الرؤوف فضل الله رثاه بأبيات قال فيها:

كُنتَ روحاً يذوب في اللطف والخـ ـيرِ ويهفو وينتشي ويعاني
وأنا يا أبي هنا في الرياح الـ ـهوج والموج هادرٌ في كياني
أستعيد الروح الذي زرع النو رَ بعيني والحق في وجداني
وصفاء الروح الإلهي حتى يطرد الحق موكب الشيطان[2]

ويجدر الذكر أنه أيضاً تعلّم الكثير من عمه، سماحة السيد محمد سعيد فضل الله (رضوان الله عليه) وهو من المجتهدين الكبار في النجف الأشرف[3] فيقول سماحة السيد محمد حسين: كنتُ أجلس وأنا طفل، أتحدث مع عمي أحاديث أكبر من سني، وكان ينفتح عليّ في كل ذلك الجو، وكنت أجلس بين يديه فأحس بأنه يأمل بي خيراً في مستقبل أيامي، ومما قاله لي: إن الاجتهاد يحتاج إلى ذوق صافٍ سليم في فهم اللغة، وإن الأدب يعين على صفاء الفهم الواعي، والذوق السليم في هذا الاتجاه...

وإلى هذا الأمر يشير سماحة السيد محمد حسين (قُدِّس سرّه) في رثاء عمه سماحة السيد محمد سعيد فضل الله (قُدِّس سرّه) فيقول:

ألهمتني وحي الحياة فمن دنياك يملأ روحي الأدبُ[4]

---

(١) مقتبسة من كتاب (السيد الحبيب) للدكتور محمد رضا فضل الله، إصدار المركز الإسلامي الثقافي مجمع الإمامين الحسنين عليهما السلام حارة حريك ص٢٣، ٢٤، ٢٥.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٢٦.

(٣) كان مرشحًا للمرجعية في النجف الأشرف لكنه رفض ذلك لزهده في الدنيا.

(٤) العلامة (فضل الله وتحدي الممنوع)، تأليف الكاتب والصحفي علي حسن سرور، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ص٣٤.

٢ ـ سيرته في العراق:

ترعرع السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) في حضن الحوزة العلمية الكبرى في النجف الأشرف منذُ عام ١٣٦٣هـ، واستغرقت دراسته الحوزوية اثنتين وعشرين سنة.

تتلمذ على يد والده السيد عبد الرؤوف فضل الله (قُدِّس سرّه) في سن مبكرة حوالي التاسعة من عمره، ثم انخرط في دروس الخارج في سن السادسة عشرة تقريباً[١].

★ نبذة من طفولته:

في سن مبكرة لم يكن قد بلغ العاشرة، كان يذهب في الظهيرة إلى مقام الإمام علي عليه السلام ليقرأ الأدعية لمَن يجلسون في المقام وبينهم كبار السن والعجزة، وكان أهله يخشون عليه بسبب حرارة الشمس الشديدة عند الظهيرة.

وكان يذهب للتبليغ في المناطق النائية وهي مناطق كان يغلب عليها الفقر، وكان السيد (قُدِّس سرّه) يقول: «كانت الحالة مزرية جداً وكنا نجلس وقربنا البقر والجواميس وكنا نأخذ معنا الرسالة العملية ومساعدات مادية، ومعنا قارىء عزاء حسيني ونقوم بما يلزم لإضفاء نوع من الجو الروحي والفكري والعبادي لدى هؤلاء الناس الذين ربما لم يكونوا يملكون أي من المفاهيم الدينية أو لديهم الاستطاعة للذهاب إلى الأماكن التي فيها الوعظ والإرشاد»[٢].

ويروي سماحته (قُدِّس سرّه) أن سكان المدينة إبان طفولته كانوا يلجأون عندما تهب الرياح الموسمية الخانقة إلى السراديب التي كانوا يحفرونها وإلى الأقبية الرطبة، ويتذكر أيضاً الظروف الاقتصادية الصعبة التي واجهتها أسرته، ومعاناة طلاب الحوزة في مدينة النجف، ويتذكر كيف اتسمت طفولته بكونها غارقة في جو ديني طابعه الزهد والتبحُّر العلمي في بيئة يسودها شَظَف العيش

---

(١) نقلاً عن جريدة بيّنات العدد ٣٧٨، الجمعة ٢٧رجب، ١٤٣١هـ، ٩تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص١٢.

(٢) حوار أجرته قناة «آفاق الفضائية مع السيد جعفر فضل الله نجل سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قده) تحت عنوان: «ملامح شخصية المرجع السيد فضل الله ومحطات من حياته»، بتاريخ ١٧شعبان ١٤٣١هـ الموافق ٢٩/ ٧/ ٢٠١٠م.

وقسوة المناخ الطبيعي، ويصف كيف أن الفقر كاد يودي بأهله إلى حافة الجوع، ويذكر هنا أن أنفة والده منعته من التماس العون من الأغنياء لفك ضيقته لئلا يكون ذلك على حساب عزته وكرامة أسرته.

هذه المحنة ترسّخت في نفس السيد فضل الله (قده) وكوّنت لديه اتجاهين:

الأول: نفور من الثراء وعدم رغبة في عيش الأثرياء المترف.

الثاني: الاهتمام بالفقراء والمحرومين والارتباط بواقعهم وبمعاناتهم[1].

★ من أهم أساتذته:

المرجع السيد أبو القاسم الخوئي (قُدِّس سرّه)، والمرجع السيد محسن الحكيم (قُدِّس سرّه)، والسيد محمود الشاهرودي (قُدِّس سرّه)، والشيخ حسين الحلي (رض)، وحضر درس الأسفار عند الملاّ صدرا البادكوبي (رض)، وتتلمذ على يد الميرزا فتّاح الشهيدي (رض) والسيد أبو الحسن الأصفهاني (رض)، والميرزا محمد حسين النائيني (رض) والسيد عبد الهادي الشيرازي (رض)[2].

★ بروزه في الحوزة:

قد أُثر عن سماحته أنه كان من الأوائل البارزين في جلسات المذاكرة حتى برز من بين أقرانه ممن حضروا معه، ويذكر في هذا المجال أن الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قُدِّس سرّه) قد أخذ تقريرات بحث السيد فضل الله (وهما كانا صديقين حميمين) إلى السيد الخوئي (قُدِّس سرّه) ليُطلعه على مدى الفضل الذي كان يتمتع به سماحة السيد فضل الله، فانعكس فيما بعد ثقة كبيرة من السيد الخوئي (قُدِّس سرّه) تجاه السيد فضل الله، فأعطاه وكالة مطلقة بالأمور التي تناط بالمجتهد العالم.

بدأ دراسته (قُدِّس سرّه) في الكتاتيب وانتقل بعد ذلك إلى مدرسة (جمعية

---

(١) الأميني، «آل فضل الله» مجلة المرشد، العدد ٣، ٤ سنة ١٩٩٥م ص٢١١.

(٢) تفسير من وحي القرآن: دراسة في ضوء علم اللغة النصي، ص٦، ٧.

منتدى النشر) التي تجاوزَ فيها الصفين الأول والثاني إلى الثالث، بناءً على تقدير أصحاب هذه المدرسة لذكائه وتقدُّمه العلمي استمر بدراسته حتى برز سماحته (قُدِّس سرّه) كأستاذٍ للفقه والأصول[1].

★ **تلامذته:**

حضر عند سماحته طلاب علم من عدة بلدان لتلقي ما يسمى بالمقدمات وحتى السطوح، وقد درّس عدة دورات في كتابي «المكاسب» و«الرسائل» للشيخ مرتضى الأنصاري، وكتاب «كفاية الأصول» للآخوند الخراساني.

ومن أشهر مَن حضر درسه من العلماء اللبنانيين والسوريين وغيرهم في النجف:

١ ـ سماحة السيد حسن نصر الله.
٢ ـ العلّامة الشيخ نعيم قاسم.
٣ ـ الشيخ صبحي الطفيلي.
٤ ـ الشيخ عبد المنعم مهنا.
٥ ـ الشيخ يوسف دعموش.
٦ ـ القاضي الدكتور الشيخ يوسف عمرو.
٧ ـ الشيخ يوسف كنج.
٨ ـ الشيخ زهير كنج.
٩ ـ السيد عباس علي الموسوي.
١٠ ـ السيد كاظم فضل الله.
١١ ـ العلّامة السيد عبد المحسن عبد الله السراوي (مؤسس معهد الأشراف العلمي ـ سوريا).
١٢ ـ الشيخ حسن شاهين.
١٣ ـ الشيخ أسعد فنيش (متوفٍ).

---

(١) مقتبسة من سيرة الراحل الكبير في سطور من جريدة بيّنات العدد ٣٧٨، الجمعة ٢٧رجب، ١٤٣١هـ، ٩تموز (يوليو) ٢٠١٠م، وكتاب السيد الحبيب للدكتور محمد رضا فضل الله، ص١٨، إصدار المركز الإسلامي الثقافي.

١٤ ـ الشيخ حسن بشير (متوفٍ).
١٥ ـ الشيخ مصطفى عساف (متوفٍ)[١].

★ نظرته المتقدمة للأمور:

إن نشأة السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) في النجف ورؤيته مجالس العزاء بالإمام الحسين عليه السلام والحزن الجماعي الذي يتخذ مظهر اللطم والضرب والتطبير في يوم عاشوراء، أطلق داخله مواقف الاعتراض لما رآه من تصرفات غير لائقة وطقوساً غير معبِّرة فعلاً عن الحزن، لأن ضرب الرأس بالسيف، والجلد بالسلاسل الذي كثيراً ما يُسبب جروحاً بالغة وأحياناً مميتة ليس هو الأسلوب الأنجع والحضاري في التعبير عن الحزن والمواساة حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٢] فإذا احتُمل أن التطبير أو الضرب بالسلاسل وغيرها قد يؤدي إلى التهلكة فهو لا يجوز[٣].

يقول سماحة السيد جعفر فضل الله[٤]: «عندما نتكلم عن حالة سماحته الفريدة من النبوغ والاستشراف في النظر إلى القضايا المستقبلية وخصوصاً عندما تحدّث عن الصراع الكبير مع الكيان الصهيوني والعمل لطرد الأجنبي من القدس ومن فلسطين، أو عندما يغلب فيها المذهب الواحد وإن كانت منفتحة بشكل أو بآخر بحسب طبيعة الجو العراقي عموماً لا نستطيع أن نستبعد أولاً اللطف الإلهي الذي اختار أن يهيىء شخصاً ما بطريقة ما وأن يضفي عليه بعض الألطاف التي تدفعه في هذا الاتجاه، ولكن في الوقت نفسه فإن سماحته كانت له قراءات متعددة وكان له احتكاك معرفي متنوّع وهذا ما أمّن له أُفقاً أبعد من الأفق الذي يعيش فيه في مجتمعه الخاص، الذي ربما أَلِفَ عادات وتقاليد كثيرة تفرض على مَن يحاول الخروج منها أن يعود إليها[٥].

---

(١) نقلاً عن كتاب (السيد محمد حسين فضل الله) شمسٌ لن تغيب، الشيخ مصطفى الحمصي والشيخ مهدي خليل جعفر، دار المحجة البيضاء، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م، ط١، ص١٤، ١٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٥. وتفسير أيديكم هنا تعني أنفسكم.

(٣) مقتبسة من كتاب (العلامة فضل الله وتحدي الممنوع)، الكاتب والصحفي علي سرور، بيروت، دار الملاك، ط الأولى، ١٩٩١م، ص٢٣.

(٤) السيد جعفر: نجل سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه).

(٥) من حوار أجرته قناة «آفاق» الفضائية مع السيد جعفر فضل الله تحت عنوان: (ملامح شخصية المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قده) ومحطات من حياته، بتاريخ ١٧ شعبان ١٤٣١ هـ، ٢٩/ ٧/ ٢٠١٠م.

فمنذُ سنيه الأولى التي قضاها في النجف الأشرف، انشغل السيد الراحل بهموم الأمة الإسلامية، ورصد بنظره الثاقب وفكره الحر عوامل تردي واقع المسلمين وتوصل إلى تحديد الأسباب التي تقف وراءه.

ولأنه نشأ في بيت علم وتنفّس الحرية الفكرية في كنف أب لا يضع خطوطاً حمراء، استطاع أن يضع يده على «العلة» وأن يتعامل معها بشجاعة وجرأة وشفافية، فبدا له أن تمزُّق الأمة وتناحر أبنائها وتفرُّقهم شيعاً وأحزاباً هو علة العلل، فآلى على نفسه أن يعمل ما استطاع لنبذ تلك الفرقة ورأب ذلك الصدع الذي أوهن دور الأمة التاريخي الذي أُنيط بها، وشلّ حركتها الفاعلة التي كان ينبغي أن لا تتوقف.

فبلور مشروعه الإصلاحي التنويري، وشرع يصدح به بعد أن اكتملت أدواته وظرْوفه الموضوعية، فأعجب به جيلٌ كاملٌ من المثقفين والطلبة الأكاديميين الذين أدركوا واقع أمتهم البائس وأعيتهم الحيلة عن تغييره.

★ نشأة حزب الدعوة:

في أوائل شهر تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٥٧م وفي اليوم الموافق لعيد المولد النبوي الشريف، أُنشيء حزب الدعوة الإسلامية، وكان السيد فضل الله أحد العلماء الشباب الناشطين الذين تصدّروا الدعوة إلى الإسلام بين أبناء الطائفة الشيعية، وقد أقام صلة وثيقة بأعضاء (جمعية العلماء) واشترك هؤلاء العلماء الشباب، ومنهم الشيخ محمد مهدي شمس الدين (رحمه الله) والسيد محمد باقر الحكيم(رحمه الله)، فكتبوا سلسلة من الكراريس العقائدية في عدد كبير من القضايا الدينية والاجتماعية والثقافية، ومما له دلالة كبرى في هذا المقام أن جميع المشاركين وعددهم ثلاثة عشر، أو نحو ذلك، كانوا من تلاميذ الصدر أو من زملائه، مع ما لهم من روابط مباشرة أو غير مباشرة مع حزب الدعوة، وترسخت صلات وثيقة بين أعضاء الحزب وجماعة العلماء في النجف[1].

وهذا الاستعراض يُصوّر البيئة التي يمكن فيها دراسة طبيعة التفكير وتطوره

---

(١) مقتبسة من كتاب (محمد حسين فضل الله، العقلانية والحوار من أجل التغيير) مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى - بيروت ٢٠١٠، ص٤٥، ٤٦، ٤٧.

عند السيد فضل الله (قُدِّس سرّه)، مع تقويم أهمية مشاركته في تشكيل الخطاب الإسلامي الشيعي الناشىء في أواخر الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي.

★ اهتمامه بالنشاطات الثقافية والفكرية:

وكما اهتم سماحته (قُدِّس سرّه) بالدراسة الدينية الحوزوية، اهتم أيضاً بالنشاط الثقافي والفكري في النجف، فانتُخب عضواً في المجمع الثقافي لمنتدى النشر، وقد شارك في كثير من الاجتماعات الفكرية والأدبية، وكان يطّلع على الثقافات الأخرى كالمصرية، فكان يقرأ المقالات وهو في سن مبكرة، مجلة «المصوّر» المصرية، ومجلة «الرسالة» من إصدار حسن الزيّات، ومجلة «الكاتب» لـ طه حسين وغيرها[1].

وقد قام بتجارب شعرية وهو لا يزال في التاسعة من العمر وقد عمل مع بعض الأصدقاء على إصدار مجلة خطية تحت اسم «الأدب» وكان عنوان الإصدار الأول «الإمام الحسين عليه السلام» وفي الأربعينيات تطلع سماحته (قده) على كتابات الشعراء التقليديين المعاصرين وأشهرهم أحمد شوقي وحافظ إبراهيم من مصر ومحمد مهدي الجواهري من النجف وإلياس أبو شبكة وخليل مطران من لبنان[2].

لم يتوقف سماحته (قُدِّس سرّه) عند حد كتابة الشعر، بل اكتشف لاحقاً ومن خلال مراسلاته مع بعض أقاربه في جنوب لبنان موهبته في الكتابة المبدعة والنقدية في آنٍ واحد.

فكان سماحته (قُدِّس سرّه) واثقاً بنفسه واستطاع متابعة نشاطه الشعري رغم ما واجهه من نقد بعض علماء النجف بحجة أن ذلك يشغله عن دراسته الدينية فاختار متابعة نشاطه الشعري ومزاولة عمله الشرعي والعلمي معاً.

وهكذا كان سماحته (قُدِّس سرّه) يتحرك في المحافل النجفية لإلقاء الشعر

---

(١) مقتبسة من كتاب (العلامة فضل الله وتحدي الممنوع) الكاتب والصحفي علي حسن سرور، بيروت دار الملاك ط١ ص٢٨.

(٢) مقتبسة من كتاب (محمد حسين فضل الله، العقلانية والحوار من أجل التغيير) مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط١ ـ بيروت، ٢٠١٠، ص٣١، ٣٢.

هنا وهناك؛ ومن أولى كتابته في الانفتاح على المستقبل وعيش الفضائل والسمو في درجات العلا والعيش عزيزاً، وإكمال مسيرة الصالحين هذه الأبيات:

فمَن كان في نَظمِ القريضِ مُفاخراً ... ففخري طُرًّا بالعُلا والفضائلِ
ولستُ بآبائيَ الأُباةِ مُفاخراً ... ولستُ بمَن يبكي لأجلِ المنازلِ
سأنهجُ نهجَ الصالحين وأرتدي ... رداءَ العلا السامي بشتى الوسائلِ
وأُجهدُ نفسي أن أعيشَ مُعزّزاً ... وليس طلاَبُ العزّ سهل التناولِ[1]

وبعد سنوات من العلم والتعلّم افتقدته الساحة الإسلامية العراقية عندما عاد إلى لبنان في العام ١٩٦٦م، وقد عبّر عن ذلك السيد الفقيه المرجع الشهيد محمد باقر الصدر (قُدِّس سرّه) حين قال:

«كل مَن خرج من النجف خسِرَ النجف إلا السيد فضل الله فعندما خرج من النجف خسرهُ النجف»[2].

(١) نقلاً عن كتاب (السيد الحبيب) للدكتور محمد فضل الله إصدار المركز الإسلامي الثقافي مجمع الحسنين عليهما السلام حارة حريك، ص٢٠.

(٢) نقلاً عن الأستاذ في حوزة النجف الأشرف، «السيد كاظم الحسيني»، بحسب ما أفادت وكالة «الكينا» للأنباء نقلاً عن جريدة (بيّنات) العدد ٣٨١، الجمعة ١٨ شعبان ١٤٣١هـ - ٢٠ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٤.

الفصل الثاني

سيرته في لبنان

- أولى زياراته إلى لبنان
- تكرار قدومه إلى لبنان
- عودته إلى لبنان واستقراره في منطقة النبعة
- جولاته في جنوب لبنان
- تأسيس المعهد الشرعي الإسلامي
- نشاطاته الثقافية والاجتماعية
- انتقاله من النبعة ـ حي السلم إلى بئر العبد
- اختطافه من قِبَل الكتائب اللبنانية
- اتفاق ١٧ أيار
- المرشد الروحي
- مقارعة المستكبرين
- متفجرة بئر العبد
- استمرار المسيرة الجهادية
- طرح المرجعية والحملات الظالمة
- مرجعية العصر
- عملية الرضوان وحرب تموز ٢٠٠٦م

الفصل الثاني

سيرته في لبنان

أولى زياراته:

إن أول زيارة له إلى لبنان، كانت سنة ١٩٥٢م، حيث وصل إلى بيروت في أجواء وفاة الشخصية الدينية الشيعية الكبيرة سماحة العلاّمة الفقيه السيد محسن الأمين (قُدِّس سرّه)، وقد شارك في إحياء ذكرى الأربعين له التي أُقيمت في بيروت وتحديداً في منطقة قصقص حيث ألقى قصيدة في هذا الحفل الذي ضم كبار العلماء والكتّاب والشعراء لرثاء العلاّمة السيد الأمين (قُدِّس سرّه)، قالت عنها الصحف اللبنانية آنذاك أنها أثارت مشاعر الجماهير لأنها لم تكن قصيدة رثاء تقليدية بل كانت تعالج كثيراً من القضايا التي كانت مطروحة في الساحة يومذاك، وكانت تشير إلى الاستعمار الفرنسي، كما كانت تشير إلى الوحدة الإسلامية وإلى مشاكل الشباب وخاصة البطالة والهجرة والأزمات النفسية[1]، ومما قال في وصفه لشخصية السيد محسن الأمين (قُدِّس سرّه):

تهوى التحرُّرَ نفسها وتعافُ رائحة القيودِ
تَبني من المجدِ التليدِ حضارةَ المجد الجديد

وخلال هذه الزيارة التي قضى سماحته فيها صيف ١٩٥٢م، حاول اللقاء بمختلف الشخصيات الأدبية والشعرية والسياسية، وكان يخوض حوارات متحركة مع مختلف التيارات السياسية التي كانت تفرض نفسها على الواقع

(١) مقتبسة من كتاب (العلامة فضل الله وتحدي الممنوع)، تأليف الكاتب والصحفي علي حسن سرور، دار الملاك، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ط١ ص٥٣.

آنذاك كالتيار الشيوعي، وتيار القوميين العرب، وتيار «البعث العربي الاشتراكي» الذي كان في بداياته، بالإضافة إلى كثير من اللقاءات الأدبية التي كانت تدور حول كثير من القضايا الأدبية والشعرية.

عاش سماحته (قُدِّس سرّه) في تلك الفترة تجربة حية من خلال التقائه بالواقع اللبناني الذي عرفه بشكل حي لأول مرة، وعاش أيضاً في تلك الفترة التعقيدات اللبنانية والطائفية والمشاكل المذهبية في داخل الطائفة الواحدة.

وعاش سماحته (قُدِّس سرّه) الأوضاع السياسية التي كانت تتحرك في نقطة تجاذب بين السياسة الفرنسية والإنكليزية من جهة، والسياسة الأمريكية التي كانت تعمل على الدخول إلى لبنان، من جهة أخرى.

وهذا ما لاحظه سماحته (قُدِّس سرّه) في الحركة التي بدت كما لو كانت شعبية في التحرك السياسي الذي كان يقوده آنذاك كميل شمعون، وكمال جنبلاط، وحميد فرنجية، ضد بشارة الخوري، من أجل الإطاحة به.

وهكذا أُسقط بشارة الخوري في تلك الفترة ليفسح المجال لتبدل سياسي جذري في السياسة الخارجية اللبنانية، في الوقت الذي كان فيه الناس يفكرون بأن المسألة تتجه للسياسة الداخلية من خلال الإصلاحات التي كان السياسيون الثائرون يطالبون بها[1].

تكرار قدومه إلى لبنان:

تتابعت زياراته إلى لبنان، من وقت إلى آخر، حتى جاء والده إلى لبنان قادماً من النجف الأشرف في سنة ١٩٥٥م حيث قدمَ معه، ومكث في تلك الفترة مدة سنة ونصف في لبنان، كانت مليئة بالنشاط المتحرك في أكثر من موقع وأكثر من أُفق.

---

(١) مقتبسة من كتاب (العلامة فضل الله وتحدي الممنوع)، تأليف الكاتب والصحفي علي حسن سرور، دار الملاك، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ط١، ص٥٣، ٥٤.

عودته إلى لبنان واستقراره في منطقة النبعة:

في سنة ١٩٦٦م تلقى سماحته (قُدِّس سرّه) دعوة عبر مجموعة من المؤمنين في «جمعية أسرة التآخي» المقيمين في منطقة النبعة بضاحية بيروت الشرقية للإقامة عندهم هناك، وكان قد تعرّف عليهم سابقاً، وكانت هناك ظروف معقدة فرضت الهجرة من النجف.

هذه الظروف جعلته يلبي الدعوة، وجاء إلى منطقة النبعة، حيث كان هناك مركز «جمعية أسرة التآخي» وبدأ العمل هناك في منطقة برج حمّود من خلال إدارة الندوات الثقافية والإجتماعية وإلقاء المحاضرات الدينية التي كانت تنفتح على المسائل الاجتماعية بشكل أو بآخر، بما يسمح به الوضع في تلك المرحلة، ولكن ذلك لم يجعله يتحرك سياسياً بشكل واسع، وبقيت حركته في دائرة التوعية الإسلامية السياسية[١].

جولاته في المناطق اللبنانية:

كان إلى جانب عمله في منطقة النبعة آنذاك يتحرك باتجاه جنوب لبنان والبقاع بشكل أسبوعي، حيث كان يقوم بجولات على قرى الجنوب ويشارك في الحفلات الاجتماعية التي كان يغلب عليها الجانب التأبيني الذي اعتاد عليه الناس، بأن تتحول إلى حفلات خطابية يتحدث فيها علماء الدين وغيرهم حول مختلف القضايا التي تتحرك في واقع الناس، بالإضافة إلى مشاركته في الجانب الوعظي الذي يثير الجوانب الروحية والقيم الدينية العامة.

وكان في تلك المرحلة يعمل على أساس إدارة كثير من الجلسات في مختلف قرى الجنوب اللبناني لخلق حوار بينه وبين التيارات المختلفة في تلك القرى وخاصة اليسارية منها، مما جعل الكثيرين ممن كانوا يتحركون في هذه التيارات اليسارية يتعقّدون من هذه الجلسات لأنها اجتذبت كثيراً من الجماهير وفتحت عيونهم على مسألة الإسلام السياسي المنفتح على الحياة[٢].

---

(١) (٢) مقتبسة من كتاب (العلامة فضل الله وتحدي الممنوع)، تأليف الكاتب والصحفي علي حسن سرور، دار الملاك، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ط١، ص٥٤، ٥٥.

تأسيس المعهد الشرعي الإسلامي:

منذ بداية إقامته في منطقة النبعة، استمر سماحته (قده) في الدراسات الفقهية العلمية، ولذلك أسس الحوزة الدينية، لتخريج علماء دين تحت اسم «المعهد الشرعي الإسلامي» الذي يضم مجموعة من الطلاب الذين تحوّلوا بعد ذلك إلى شخصيات فاعلة ومقاومة وذات قيمة ثقافية وفكرية لا يستهان بها، ومن أبرز طلابها الأوائل الشهيد السعيد الشيخ راغب حرب (رحمه الله) كما كان من طلابها العديد من علماء الدين الذين انطلقوا في الحقل الديني من واقع لبنان، وعلى سبيل المثال لا الحصر، الشيخ محسن عطوي وقد استطاع «المعهد الشرعي الإسلامي» أن يثير الحركة العلمية الفقهية بشكل جيّد في تلك المرحلة، وهذا ما ساعد سماحته (قده) على مسألة التقدم الفقهي والاستمرار بالدراسات الفقهية الاجتهادية[1].

نشاطاته الثقافية والاجتماعية:

لقد حاول سماحته (قُدِّس سرّه) التركيز على الجانب الثقافي في تلك المنطقة، فأسس مكتبة عامة، كما عمل على إطلاق النشاط النسائي، فأسس نادياً نسائياً في بناية «أسرة التآخي» كما أسس مستوصفاً صحياً، وعمل على إثارة الواقع الثقافي الديني من خلال الحفلات الموسمية التي كانت تتجدد في كل سنة، بالإضافة إلى الإحياءات التقليدية في عاشوراء.

كان يدعو إليها الخطباء من سائر الطوائف والمذاهب للتدليل على رحابة الأفق الإسلامي في الالتقاء حتى في القضايا الإسلامية مع المسيحيين، وحتى في القضايا الشيعية مع السنّة، لأنهم يؤمنون بـ الحوار منذ البداية، وبضرورة الانفتاح على مختلف المواقع الفكرية سواء أكانت مواقع دينية أو مواقع علمانية.

كان إلى جانب ذلك يقوم بعدة نشاطات في مختلف مناطق الشرقية من بيروت التي يتواجد فيها المسلمون، وكان سماحته (قده) يمارس آنذاك نشاطاً في تل الزعتر قبل قدوم العلّامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله إلى هناك، إضافة إلى

---

(١) مقتبسة من كتاب (العلامة فضل الله وتحدي الممنوع)، تأليف الكاتب والصحفي علي حسن سرور، دار الملاك، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ط١، ص٥٥.

نشاطات سد البوشرية، والفنار، ورويسات الجديدة، وسن الفيل، وغيرها من المناطق، وقاموا بتأسيس المساجد والحسينيات في العديد من هذه المناطق[1].

لقد كانت تلك المرحلة غنيّة بالحركة والنشاط وبالحيوية والانفتاح على كل الناس، وهناك التقى بالمستضعفين وعاش همومهم وآلامهم ومشاكلهم، لأنه من الناس الذين نشأوا على حب الناس المستضعفين والمحرومين.

«فكان سماحته (قُدِّس سرّه) منسجماً مع هذا الجو ومع نفسه حتى أن بعض أصدقائه ومنهم السيد موسى الصدر (أعاده الله) عندما أُخبرَ أن السيد فضل الله سيحضر إلى منطقة النبعة، استغرب ذلك لأنه كان يرى أن موقع سماحته (قُدِّس سرّه) والذي يعرفه جيداً أشمل وأوسع من هذا، ولكن سماحته (قُدِّس سرّه) كان يحس برغبة قوية في العيش مع البؤساء والفقراء، ومع المستضعفين والمحرومين، لأن ذلك يمثّل رغبة نفسية وإيمانًا منه بذلك»[2]. وكان منذ البداية لا يطيق أجواء المترفين والأغنياء.

وهكذا انطلق من النبعة إلى أكثر من موقع في الجنوب والبقاع، عاش مع الناس الطيبين، وتحدّث عن قضاياهم وعن آلامهم وهمومهم ومشاكلهم[3].

فكان نطاق عمله في ذلك الوقت، يتركز على التحرك في المسألة الإسلامية على المستوى السياسي العام، فيقول سماحته (قُدِّس سرّه):

«أعتقد أنني ركّزت الكثير من المواقع الإسلامية، وأتصور أن بلدة جبشيت في جنوبي لبنان، التي يتحدث الناس عنها على أنها قاعدة للحركة الإسلامية الثورية، ومن خلال وجودنا في النبعة، التي كانت تضم الكثيرين من أبناء بلدة جبشيت، استطعنا أن نرّكز هذه المفاهيم والروح الإسلامية في نفوسهم، إضافة إلى الانفتاح على القضايا الكبرى من خلال النشاط والتحرك الذي كنا نقوم به آنذاك.

---

(١) مقتبسة من كتاب (العلامة فضل الله وتحدي الممنوع)، تأليف الكاتب والصحفي علي حسن سرور، دار الملاك، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ط١، ص٥٦.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٥٩، ٦٠.

(٣) نفس المصدر السابق، ص ٦١.

وأذكر أننا في بدايات وجودنا بمنطقة النبعة، قررنا آنذاك أن نقيم حفلة بمناسبة عيد المولد النبوي في بلدة عيترون الكائنة في المنطقة الحدودية بقضاء بنت جبيل، حيث كان يسيطر عليها آنذاك الشيوعيون، وكان هناك في ذلك الوقت تجمُّع يساري يضم أكثر الأحزاب في منطقة بنت جبيل المعروفة بنشاطها السياسي في إطار الحركات الحزبية، وعندما قررنا ذلك ونحن معروفون بالخط الإسلامي المعارض للخطوط الأخرى، لاحظنا أنها ثارت ثائرة اليساريين وفي مقدمتهم الشيوعيون، وبدأوا على طريقتهم التقليدية السابقة بتوزيع الاتهامات على الناس الذين يريدون إقامة هذا الحفل وهم من الناس الطيبين المستضعفين.

وأذكر أنني التقيت آنذاك بمجموعة الأحزاب من بعثيين وقوميين عرب وشيوعيين وغيرهم، وكلهم من مناطق وقرى بنت جبيل، وقلت لهم: إنني مستعد للحوار معكم في كل ما نختلف عليه، وأنا مستعد لأن أتحدث معكم في كل شيء حتى في المقدّسات، لأنه ليس من مقدّسات في الحوار، ويمكن أن نبحث هذه القضية وغيرها، فإذا كنتم مستعدين للحوار والتفاهم فأنا مستعد، وإذا كنتم غير مستعدين للحوار وتعملون على أساس إثارة الدخان في وجهنا على أساس اللعبة السياسية التكتيكية، فإنني أحب أن أقول لكم بأن جلدنا سميك، وكل ما تقومون به لن يؤثر فينا أبداً.

وأذكر أنهم ذهبوا في ذلك الوقت إلى المغفور له العلّامة الشيخ محمد جواد مغنية، الذي كان صديقاً لي، أحترمه كثيراً، وكان يختلف عن العلماء في ابتعاده عن الجو التقليدي، وانفتاحه على قضايا المستضعفين وقضايا الحرية والعدالة في المنطقة بالطريقة التي ابتعد فيها عن الخطوط التقليدية حتى خُيِّلَ للكثير من الناس أنه ينطلق في خط يساري ماركسي، لعلاقته ببعض أقطاب الماركسية مثل الأديب حسين مروة، ووصل بعضهم إلى تسميته بـ«الشيخ الأحمر» لكنني أشهد شهادة للّه أنه كان من خيرة العلماء العاملين المخلصين للإسلام بكل عمق، ولكنه كان يفكر أن الإسلام لا يمكن أن يعيش في الأجواء التقليدية وفي بلاطات الملوك والأمراء، وإنما يعيش مع المستضعفين ومع حركتهم من أجل الحرية والعدالة.

لذلك كان صوته قوياً في مواجهة كل التحديات التي كانت تعيشها الأمة

آنذاك، وكان صريحاً في ذلك، لا يلتزم قائداً مُعيناً أو شخصية سياسية معينة، وإنما يلتزم مواقف أمته، فإذا انحرفت عن مواقفها تحول هو إلى الموقع الآخر. المهم جاؤوا إليه آنذاك وقالوا له أن الحلف الإسلامي يريد أن يقيم حفلة بمناسبة مولد النبي ﷺ في بلدة عيترون الحساسة بموقعها المتاخم للحدود مع فلسطين، وأبلغوه بأنني ربما أكون مُستغلاً من قبل الحلف الإسلامي، وهم لا يتهمونني بالتنسيق معه، فجاء إليَّ آنذاك الشيخ محمد جواد مغنية وتحدث معي، فقلت له:

إنني أفكر أن تكون أنت أحد الخطباء، وأن يكون (المرحوم) هاشم معروف أيضاً من الخطباء، وهو كان صديقاً سوياً، أبلغته أيضاً أنني مستعد للاتفاق معه حول الخطباء، لأننا نريدها حفلة في المولد النبوي الشريف تتجاوز المسائل التقليدية، وتثير كل قضايا الأمة حتى مهاجمة الحلف الإسلامي، فحاول اليساريون أن يمنعوا الحفلة بكل وسائلهم، ولكنّها أقيمت بشكل جيد، وأعطت مفعولها في المنطقة وغيرها...

إنني أتحدّث عن هذا الموضوع لأثير بعض الأجواء التي كان الوسط السياسي ينطلق بها في مواجهة أي تحرك إسلامي، وقد واجهنا بعضها في بلدة جبشيت التي تحرك الكثيرون في منطقة النبطية ليمنعوا إقامة احتفالٍ مماثل بها، ولكن في وقت آخر، لكنهم لم ينجحوا بذلك.

وكنت ألاحظ في تلك الفترة أن بعض الأحزاب اليسارية كانت تمنع محازبيها من حضور المجالس التي أديرها، خوفاً من الطروحات التي أطرحها، لأنني كنت منفتحاً بكل آفاق الانفتاح حول كل قضية، وكان شعار كل الندوات التي كنت أقوم بها في بنت جبيل أو في منطقة النبطية، أو في مناطق أخرى، كان شعارها: ليس هناك سؤال تافه وسؤال محرج فالحقيقة بنت الحوار»[1].

وفي هذا السياق يروي السيد حسين علي ترحيني[2] من بلدة عبّا الجنوبية، وهو كان على علاقة وطيدة مع سماحة السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) منذ مجيئه إلى منطقة النبعة فروى لي:

---

(١) مقتبسة من كتاب (العلامة فضل الله وتحدي الممنوع)، تأليف الكاتب والصحفي علي حسن سرور، ص٦١، ٦٢، ٦٣.

(٢) ناشط إسلامي.

إنه في أسبوع وفاة والده السيد علي يوسف ترحيني سنة ١٩٧٣م حضر الأسبوع الشيخ محمد مهدي شمس الدين ﷺ والسيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه)، وطال الأسبوع حتى الظهر، وبعد انتهائه دعا السيد حسين ترحيني سماحة الشيخ ﷺ والسيد فضل الله (قُدِّس سرّه) لتناول طعام الغداء، فاعتذر الشيخ محمد مهدي ﷺ لارتباطه بأعمال أخرى، ولبّى الدعوة سماحة السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) فذهبوا إلى المنزل[١].

وكان المنزل يعجّ بالمعزّين ما يقارب الخمسين شخصاً، وبعد الغداء دعا السيد حسين ترحيني الأستاذ موسى عيسى شعيب[٢] وهو مسؤول حزب البعث بالمنطقة آنذاك لمحاورة السيد فضل الله (قُدِّس سرّه)، فجاء الأستاذ موسى شعيب لمحاورة السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) نزولاً عند رغبة السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) حيث كان سماحته (قُدِّس سرّه) يصرح دائماً أنه مستعد لحوار كل مَن يريد ذلك.

وقبل دخول الأستاذ موسى شعيب أخذ بعض من معه يستهزىء ويقول: مَن هذا الموجود بالداخل..! رجل معمّم!؟ مثله مثل باقي المعمّمين آنذاك...؟ فدخلوا وجلسوا معه، وابتدأ الحوار بين الأستاذ موسى شعيب والسيد فضل الله (قُدِّس سرّه)، وطال الحوار حوالي الثلاث ساعات (سؤال وجواب ونقاش) حتى انتهى الحوار وخرج الأستاذ موسى شعيب، فسألوه: كيف كان الحوار؟ ولمَن كانت الغلبة؟ فقال:

«نحتاج أن ندرس في الجامعة عشرين سنة أخرى حتى نصل إلى ما يحمله هذا السيد من فكر وفلسفة، وأنا لم أستطع أن أهزمه في أي محور من محاور النقاش، لا بل إنه أفحمني وأدهشني بفكره العميق المتنوّر، وأنا أتوافق مع كثير من آرائه وأفكاره».

ختم السيد حسين ترحيني بالقول: إن سماحة السيد قد هيأ الأرضية لدخول الإسلاميين وبقوة إلى ميدان الصراع الفكري والثقافي والسياسي والجهادي إلى أرض الجنوب آنذاك.

---

(١) منزل المرحوم السيد علي يوسف ترحيني.

(٢) أستاذ أدب عربي، مثقّف، أديب وشاعر.

انتقاله من النبعة ـ حي السلم إلى بئر العبد:

في عام ١٩٨٢م جاء الاجتياح الإسرائيلي للبنان وقد عاش سماحته (قده) طيلة تلك الفترة في النبعة حتى خروجه منها يوم السبت الأسود لتأدية بعض الواجبات الاجتماعية في الجنوب ثم عاد إلى النبعة ولم يستقر في الجنوب لشعوره بالمسؤولية في العودة إلى النبعة، لأنه حتى ذلك الوقت لم يكن مقتنعاً لعدة اعتبارات بأن سقوط النبعة وشيك.

يقول سماحته (قُدِّس سرّه): «لقد أحببت أن أصمد مع الناس، ولذلك عدت إلى النبعة في الوقت الذي كان يتحدث فيه الجميع برعب، عن كيفية عودتي إلى هناك في ذلك الجو، ومع ذلك عدت مع أولادي وعيالي، حتى أننا تجاوزنا القناصين، وعندما وصلت إلى النبعة آنذاك فوجيء الناس بذلك، لكن لم تمضِ مدة قليلة حتى أصبت بعارض صحي هبط خلاله وزني أكثر من ثلاثين كيلو غراماً، نتيجة الجهد الذي كنا نقوم به، وهذا الوضع سبب خطراً على صحتي أجبرني على الخروج من النبعة».

سقطت النبعة، وسقط تل الزعتر والمسلخ والكرنتينا، فخرج سماحته (قده) من منطقة النبعة وتوجه إلى «حي السلم» فأخذت حركته تكبر ويتفاعل معها جمع غفير من الناس التي أسسها سماحته (قُدِّس سرّه) على البر والتقوى، وكانت في تلك المرحلة، الحركات والأحزاب العلمانية تنهار بسبب عدم صدقيتها السياسية وبُعدها عن الواقع السياسي والجماهيري، وقد أزعج هذا التحرك الأحزاب العلمانية والقومية فحاولوا اغتيال سماحته (قُدِّس سرّه) عدة مرات[1].

في هذا المجال يقول سماحته (قُدِّس سرّه):

لقد تعرضت لأكثر من محاولة اغتيال، فقد حاولت بعض الجهات الحزبية العربية أن تغتالني، من خلال كمين مسلّح نصبوه لموكبي في منطقة «روضة الشهيدين» قرب الغبيري، بينما كنت منطلقاً لإلقاء محاضرة في حسينية الشياح، وكانت هذه المحاولة في بداية الثمانينات، حيث أُطلقت يومذاك رشقات غزيرة

---

(١) مقتبسة من كتاب (العلامة فضل الله وتحدي الممنوع)، تأليف الكاتب والصحفي علي حسن سرور، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ط الأولى، ص٦٩، ٧٠، ٧١.

من الرصاص على سيارتي، لكنها لم تصب بحمد الله، بينما أُصيبت السيارتان اللتان أمام وخلف سيارتي، فتابعت طريقي آنذاك بشكل طبيعي لإلقاء المحاضرة، ولم أبلغ الناس بما حدث معي.

وبعد ذلك بفترة معينة، جرت محاولة من قبل بعض المسلحين لإقتحام منزلي، الواقع قرب «الحرش» في منطقة الغبيري حيث خططوا يومذاك للهجوم على منزلي من خلال قتل الحرس ومن ثم الدخول إلى منزلي بشكل آمن، ولكن الله سبحانه وتعالى أفشل محاولاتهم، بعد أن شعر الحرس بأجواء غير طبيعية، عندها حصل صدام بينهم وبين المهاجمين، واستشهد أحد حراس منزلي آنذاك، واسمه حسن عز الدين.

ثم جرت محاولة ثالثة لاغتيالي، بعد فترة معينة من المحاولة الثانية، ولكن هذه المرة بأسلوب مختلف من خلال محاولتهم إطلاق صاروخ على غرفة نومي قبيل الفجر، ولكن الصاروخ أخطأ الغرفة التي تقع في الطابق الخامس، وسقط قريباً من سقف الطابق الرابع، الذي كان خالياً من السكان، وقلت آنذاك «مُتنِّدراً» إن الجماعة يريدون إيقاظنا لصلاة الصبح، وأذكر أنني قلت آنذاك (لأبو الهول) مسؤول المخابرات في حركة فتح الفلسطينية، الذي جاءني زائراً ومعبراً عن رفضه لمحاولة اغتيالي، كُنتُ أتصور أن الذي يجلس إلى جانبكم سوف يكون بمنأى عن محاولات الإغتيال، ولكنني وجدت أن المسألة بالعكس، وهذه الحادثة هي التي كانت سبباً في إنتقالي من منطقة «الغبيري» المتاخمة لمناطق تواجد المنظمات الفلسطينية التي كانت مخترقة من جهات عديدة، إلى منطقة بئر العبد حسب نصيحة الجهات الأمنية الإسلامية»[1].

ومن ثم انتقل سماحته (قُدِّس سرّه) إلى منطقة بئر العبد كونها كانت أكثر أمناً، ومنطقة خصبة للحركات الإسلامية من حركة أمل والاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين آنذاك.

(وهناك أكمل مشواره الفكري والديني والجهادي، ومقارعة المستكبرين،

---

(١) من كتاب (العلامة فضل الله وتحدي الممنوع)، تأليف الكاتب والصحفي علي حسن سرور، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ط الأولى، ص٨٧ ـ ٨٨.

فتحدث سماحته (قُدِّس سرّه) في تلك الفترة الحساسة عن المقاومة وعن الإسلام الحضاري والتجديد والعقلانية، وقد التف حوله عدد من الشبان ممن آمنوا بفكره وأطروحاته، ووجدوا فيه داعية للمقاومة والإصلاح، وللملاءمة بين الدين والحياة والحرية والعدالة.

إن التغيرات الجديدة في المنطقة وانتصار الثورة الإسلامية وعلاقة كل هذا بالمقاومة، وهذا التاريخ الشخصي والأسري والعلمي، جعل سماحته (قُدِّس سرّه) في مقدمة الذين صنعوا بيئة المقاومة)[1].

اختطافه من قِبَل الكتائب اللبنانية:

عندما حدث الإجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان عام ١٩٨٢م، كان سماحته (قده) يشارك في مؤتمر في الجمهورية الإسلامية في إيران، فعاد إلى لبنان، وكانت الطرق كلها مقفلة، فعاد عن طريق الشمال فاختُطف حوالي الأربع ساعات من قِبَل (الكتائب اللبنانية) حيث يقول سماحته (قُدِّس سرّه):

«إنهم أجلسونا في مكتب الكتائب في منطقة الحازمية، وكان معي ولدي «علي» وبعض المرافقين وإخواننا، وعشنا لأول مرة معنى الاختطاف، فحاولنا التحدث مع خاطفينا بطريقة عقلانية وإنسانية، لكنهم بدوا لنا غير مستعدين لسماعنا ومناقشتنا لأنهم كانوا يتلقون التعليمات وينتظرونها، ومن حسن حظنا أن بعض أقربائنا شاهد عملية الخطف فجاء إلى بيروت الغربية والضاحية الجنوبية وأخبر الناس بما حدث، وكانت في تلك الوقت تجري اجتماعات في القصر الجمهوري بإشراف الموفد الأمريكي (فيليب حبيب) لجمع الطوائف اللبنانية حول بعض المشاريع، وعلمت بعد ذلك أن خبر اختطافنا قد أحدث هزة، بحيث جعل الوضع يتحرك باتجاه تعقيد كل الجو السياسي آنذاك.

وهنا فوجئنا بأن الذين خطفونا جاؤوا يعتذرون إلينا، وينقلوننا عبر منطقة المتحف إلى الضاحية الجنوبية. هذه الحادثة قد لا يعرفها الكثير من الناس».

---

(١) مقتبسة من تقرير لتلفزيون المنار بتاريخ ٥/٧/٢٠١٠م، عن سماحة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قده).

هذه العملية أشعرت سماحته (قُدِّس سرّه) معنى أن يعيش الإنسان البريء إنسانيته المخطوفة بين أناس لا يعرفون معنى الإنسانية والإنسان[1].

اتفاق ١٧ أيار:

هو أوّل مَن أعلن رفضه لاتفاق ١٧ أيار المعقود بين إسرائيل ولبنان تحت وطأة الحرب الإسرائيلية، وكان لخطابه في مسجد الرضا عليه السلام في بئر العبد صدى في نفوس الجماهير.

فبعد أن دعا «تجمع العلماء المسلمين» الذي كان فيه سماحته (قُدِّس سرّه) ولا يزال بتنسيق دائم معه، إلى اعتصام في يوم توقيع هذا الاتفاق، فجاء سماحته (قُدِّس سرّه) إلى المسجد وصلّى صلاة الظهر مع المعتصمين، واعتصم معهم، ولاحظ سماحته (قُدِّس سرّه) آنذاك أن الحكومة اللبنانية أرسلت جيشها ليطوّق المسجد ولينشر الرعب في المنطقة كلها[2].

وبعد قليل قُصف المسجد ما أدى إلى مواجهات مع المعتصمين والمعتصمات آنذاك، أدت إلى استشهاد المجاهد محمد نجدي (رحمه الله) ما أدى إلى ثورة شعبية عارمة أسقطت اتفاق ١٧ أيار.

المرشد الروحي:

هو أول مَن طرح فكراً متماسكاً للمقاومة الإسلامية، وأصدر كتابه «المقاومة الإسلامية: آفاق الروح وتطلعات».

تأثر بسماحته (قُدِّس سرّه) آنذاك شباب جنوب لبنان والبقاع وبيروت، وشباب «حزب الله» حيث كان حزب الله في بداياته، ولم يكن للحزب في أواسط الثمانينات قائد محدد، لهذا نظر شبّان الحزب إلى سماحته (قُدِّس سرّه) على أنه مُرشد ورمز فكري لمقاومتهم ضد الاحتلال الإسرائيلي، فأطلقوا عليه اسم المرشد الروحي، لما كان له من تأثير روحي ونفسي عليهم، فكان الملهم لهم لطريق لم يكونوا ليمضوا به لولا بصمات سماحته (قُدِّس سرّه) وإرشاداته واحتضانه لهم.

---

(١) مقتبسة من كتاب (العلامة فضل الله وتحدي الممنوع)، تأليف الكاتب والصحفي علي حسن سرور، ص٧٥، ٧٦.

(٢) نفس المصدر، ص٨٢، ٨٣.

مقارعة المستكبرين:

كان سماحته (قُدِّس سرّه) من أكبر المعادين للمشروع الصهيوني الأميركي، وأما «براغماتيته» التي تميز بها تجاه الآخرين من مسلمين ومسيحيين في شتى أنحاء العالم، فقد قابلها بحزم وصرامة ووضوح تجاه المشروع الصهيوأمريكي في المنطقة العربية، ولطالما حذّر ونبّه شعوب وحكام المشرق العربي إلى خطورة السياسات الأمريكية على حاضر هذه المنطقة ومستقبلها، داعياً إلى الالتفاف حول خيار المقاومة ودعمها وتأييدها في فلسطين ولبنان وغيرها... دون مواربة أو تردد، وكشفَ حقيقة ما يسمى عملية السلام التي لم تتمكن من الإفراج عن أسير عربي واحد من سجون الاحتلال، أو عودة شبر واحد من الأرض المحتلة في فلسطين، أو عودة الحقوق العربية إلى أصحابها خلال عقدين من الزمن، كما عمل على فضح مخططات الأمبريالية الجديدة التي تعمل على الاستثمار في مجال الفتنة الطائفية والتحريض المذهبي بين شعوب المنطقة ومذاهبها وأديانها وقومياتها المتعددة، كما يحدث في العراق وأفغانستان وباكستان وغيرها...

متفجرة بئر العبد:

بسبب تلك المواقف، تعرّض سماحته (قُدِّس سرّه) لأكثر من محاولة اغتيال أشهرها قيام المخابرات الأمريكية (سي آي إيه) بمحاولة اغتيال سماحته (قُدِّس سرّه) بعد أن تسلمت شيكاً بقيمة ثلاثة ملايين دولار من قبل الأمير بندر بن سلطان، لأن مثل هذه العمليات قد لا يسمح الكونغرس الأمريكي بصرف تكاليفها من ميزانية المخابرات حسبما ذكرت مذكرات مدير المخابرات المركزية الأمريكية (وليم كايسي) وأن المسألة أصبحت أبعد من الاتهام بالإيحاء في تفجير مقر المارينز، بل إن سماحته (قُدِّس سرّه) أصبح عنصراً متعباً للسياسة الأمريكية في لبنان.

يقول سماحته (قُدِّس سرّه) في هذا المجال:

«إن العنوان الكبير لهذا الإنفجار هو الرد على عملية مقري المارينز والمظليين الفرنسيين في بيروت، وذلك من خلال بعض ما أثارته المخابرات المحلية الموجودة في المنطقة الشرقية من بيروت، من أنني باركت الشابين الإستشهاديين اللذين نفذا عمليتي التفجير، ووعدتهما بالجنة إذا انطلقا في هذه

العملية وبأنني ذهبت قبل الحادث لتفقُّد المواقع من أجل إكمال الخطة. وبذلك انطلق الإعلام العالمي، ليتلقّف هذه المعلومة اللبنانية ويضع اسمي في عناوينه، وإنني أتصور أن هذه هي بداية التخطيط في المسالة ومن خلال إطلاعنا على كتاب «الحجاب» الذي تضمن مذكرات مدير المخابرات المركزية الأميركية (وليم كايسي) الذي تحدث فيه عن عقد اجتماع بينه وبين الأمير بندر بن سلطان بن عبد العزيز، سفير السعودية في واشنطن، وذلك في أحد المقاهي بواشنطن، وهكذا بدأت المخابرات الأميركية تنفيذ الخطة، من خلال توظيفها لرجل مخابرات بريطاني أرسلته إلى لبنان، حيث عمل على توظيف بعض العملاء في مخابرات الجيش اللبناني، التي كان يشرف عليها آنذاك العقيد سيمون قسيس، كما تم توظيف بعض الأشخاص من الرجال والنساء، أكثريتهم من منطقة «مشغرة» في البقاع الغربي وبدأت نشاطات هذه الشبكة في الرصد والتحضير لعملية اغتيالي مدة سنة كاملة، حتى استكملوا كل عناصر خطتهم»[1].

فقاموا في مطلع الثمانينات في ٨ آذار (مارس) العام ١٩٨٥م بوضع سيارة مفخخة بجوار منزله في بئر العبد حيث كان يهم بمغادرة مسجد الرضا عليه السلام في بئر العبد، فأتته امرأة مؤمنة اسمها «زينب الشامي» بعد فراغه من صلاة الجماعة في يوم الجمعة وكان متعباً، خطر لهذه المرأة بعد أن استخارت الله تعالى أن تصعد إلى الجامع بعد أن كانت قد نزلت منه كي تشاوره في بعض المسائل الشرعية وتكلمه في بعض مشاكلها الخاصة، رفض في البداية أن يستمع إليها لأنه كان مرهقاً بعد نشاط استمر أكثر من خمس ساعات، وطلب منها أن تأتي في وقت آخر، لكنها أصرّت إصراراً فوق العادة على أن يجيب على أسئلتها، فلبّى الطلب؛ وبينما كان يجيب عن أسئلة المرأة، دوى انفجار كبير هزّ منطقة بئر العبد، ذهب ضحيته ثمانون شهيداً ومئتان وستون جريحاً معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ.

وقد أدلى بذلك «وليم كايسي» رئيس جهاز الاستخبارات الأمريكية آنذاك، ونُشرت في جريدة الواشنطن بوست.

وعُرفَ بعد ذلك أن سيارات تشبه السيارات التي كان يستخدمها سماحته (قُدِّس سرّه) كانت مارّة بالقرب من المسجد تمّ تفجيرها باعتقاد هؤلاء

---

(١) من كتاب (العلامة فضل الله وتحدي الممنوع)، تأليف الكاتب والصحفي علي حسن سرور، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ط الأولى، ص٨٨، ٨٩.

الحاقدون الذين يشرفون على عملية التفجير، أن عملية رصدهم قد أعطت مفعولها بدقة، وأن سيارته هي التي وصلت في الوقت المحدد، وبذلك أطلقوا إشارة التفجير، وكان (قُدِّس سرّه) لحظتها لا يزال يستمع إلى المرأة في المسجد، ولو لم تأتِ هذه المرأة الطاهرة ويلبي نداءها لكان سماحته (قُدِّس سرّه) في وسط الانفجار، وقد أعلنت بعض الإذاعات اللبنانية المحلية بعد خمس دقائق من عملية الإنفجار، أنه أصبح تحت الأنقاض، مما يدل على أن العملية كانت من العمليات التي خُطِّطَ لها إعلامياً، كما خُطط لها أمنياً[1].

لقد تعرض سماحته (قُدِّس سرّه) لأجل موضوع المقاومة والممانعة ومواجهة الاستعمار بجميع أشكاله ومظاهره لمحاولات اغتيال، لكنه لم يغيّر رأيه ومواقفه المعادية للاستكبار العالمي وفي أن علماء الدين يجب أن يتصدّروا الجهاد والمقاومة وأن يكونوا في الصفوف الأمامية في النضال السياسي ضد الاستعمار والصهيونية.

ويجدر الذكر هنا أن الحاج عماد مغنية (الحاج رضوان) الذي أرهب العدو الصهيوني واحتارت أمريكا بأمره وشكّل لغزاً كبيراً للعالم. هذا المقاوم الصامت، البعيد عن الأضواء، تتلمذ وتعلم على يدَيْ سماحته (قده) وكان من مرافقيه وهو الذي أُعطيَ لقب قائد التحريرين: تحرير الجنوب عام ٢٠٠٠م، وقائد هزيمة العدو في حرب تموز ٢٠٠٦م.

استمرار المسيرة الجهادية:

واستمرت المسيرة الجهادية والنضالية بعون الله ومشيئته فكان سماحته (قُدِّس سرّه) حريصاً جداً على المسجد حتى عشية القصف الصهيوني على لبنان في العام ١٩٩٣م ولم يتركه وذهب للصلاة فيه، وقد أذاع راديو لبنان صوت السيد وهو يصلي ويخطب في المسجد، وكان ذلك مساء يوم الخميس ليلة الجمعة، فالمسجد والدروس الحوزوية كانا أمرين مهمين بالنسبة له، ولم يكن ليتركهما حتى وإن كان مريضاً أو متعباً.

---

(١) مقتبسة من كتاب (العلامة فضل الله وتحدي الممنوع)، تأليف الكاتب والصحفي علي حسن سرور، ص٨٨، ٨٩.

إن سماحته (قُدِّس سرّه) كان من أوائل الذين دعوا بدعاء الوحدة الإسلامية، وكان يدعو هذا الدعاء بصوته الحنون بنفسه، ونلفت أن سماحته (قُدِّس سرّه) هو من المراجع القليلين الذين كانوا يقرؤون الدعاء بأصواتهم أمام المصلين، فقد تعودنا أن تكون قراءة الدعاء لأحد غير العالم، لأنه ربما هذا سيقلل من شأنه، ولكن سماحته كان يُبدع في دعائه، لأنه كان يعيش مع الله (عزَّ وجلّ).. يعيش كل كلمة يقولها، ولذلك كان كثيراً ما يؤثّر في قلوب الناس وعقولهم... لأنها مخلصة لا نفاق فيها ولا بروز.

تقول إحدى الأخوات وهنَّ كثر، أنهن كن يأخذن أدعية سماحة السيد (قُدِّس سرّه) إلى المنطقة المحتلة أيام الإحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان بالخفاء ليسمعن دعاءه لأنهن كنّ يعشن الروحانية والوجدان والصفاء بسماع صوته الحنون العذب والذي كان يرنّ في أوتار القلب دون استئذان.

وتذكر إحدى الأخوات[1] أنها كانت تُخفي هذه الأشرطة عن العملاء بطرق كثيرة كي توصلها إلى الداخل المحتل حيث كانت تجد الصبر والعزاء والمحبة والإيمان في حنان وروحانية صوت سماحته (قُدِّس سرّه).

طرح المرجعية والحملات الظالمة:

في عام ١٩٩٤م طرح سماحة السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) مرجعيته بعد غياب الصف الأول من مراجع التقليد كالشهيد السيد محمد باقر الصدر، والسيد الخوئي، والسيد الإمام الخميني، والسيد الكلبيكاني وغيرهم (قَدَّسَ الله سرّهم).

وبعد أن أخذ المؤمنون يستفتون سماحت (قُدِّس سرّه) في المسائل الفقهية وإلحاحهم عليه لطرح مرجعيته ليستفيدوا من آرائه الفقهية الميسّرة على قاعدة أن (الدين يُسر لا عُسر) ويجب الإشارة هنا أن سماحته (قُدِّس سرّه) لم ينقطع أبداً من وقت مجيئه من النجف إلى لبنان عن مواصلة التدريس على مستوى بحث الخارج وتطوير الفهم المعمق للفقه والشريعة الذي أسهم في مناقشاته ومباحثاته وحواراته العلمية مع الفقهاء والمجتهدين في مؤتمراته في إيران وسوريا ولبنان وغيرها...

(١) في إحدى المقابلات على إذاعة النور بمناسبة رحيل سماحته (قده) بتاريخ ٥/ ٧/ ٢٠١٠م.

ويعتبر سماحته (قده) أن تصديه للمرجعية تكليف وليس تشريفاً[1]، وقد يسأل البعض: هل أن سماحة السيد (قده) عندما خرج من النجف كان مجتهداً أم لا؟

إن لسماحة السيد (قده) إجازة في الاجتهاد من السيد الخوئي (قده)، وكلمة الشهيد الصدر فيه «دليلٌ على تفوقه في مجالات عديدة» ووصوله إلى أعلى الدرجات التي يعطي من خلالها علماً واسعاً كباقي الفقهاء والمجتهدين.

وكان السيد الخوئي (قُدِّس سرّه) قد أعطى وكالة مطلقة لسماحة السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) والتي لا تُعطى إلا للعالم المجتهد عادة.

في الثمانينات عندما بدأ ببناء مبرة السيد الخوئي (قُدِّس سرّه) في الدوحة جنوبي بيروت، أرسل البعض إلى السيد الخوئي (قُدِّس سرّه) اعتراضهم على السيد فضل الله (قده) بسبب ارتفاع ميزانية بناء المبرّة، فردّ السيد الخوئي (قُدِّس سرّه):

«إن وكيلنا المطلق السيد فضل الله هو مجتهدٌ وله رأيه، ويده يدي ولسانُه لساني»[2].

يروى عادل القاضي[3] أن سماحته (قده) في موسم الحج كان يلتقي وفود الحجاج القادمين من شتى بقاع المعمورة، ويخصص مجالس للرجال وأخرى للنساء يلقي عليهم مواعظه وتوصياته وإرشاداته، ويتلقى أسئلتهم بمحبة ويجيب عليها بلطف.

وفي إحدى الرحلات التي كانت الأولى بعد إعلان مرجعيته، حاول بعض المقرّبين أن يهمس في أُذن سماحته (قُدِّس سرّه) بأن يحذو حذو المراجع الآخرين في تقديم هدايا نقدية لبعض المعمّمين، ظناً من ذلك المقرّب أن سماحته (قُدِّس سرّه) سيطرب لفكرة تحشيد المعممين حوله، أو اجتذابهم إلى

---

(١) نقلاً عن كتاب (السيد محمد حسين فضل الله شمسٌ لن تغيب) الشيخ مصطفى الحمصي والشيخ مهدي خليل جعفر، دار المحجة البيضاء، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، ط١، ص٤٧.

(٢) نقلاً عن شبكة (الفجر الثقافية) الألكترونية تحت عنوان: (الإمام الخوئي: السيد فضل الله هو مجتهد وله رأيه ويده يدي).

(٣) كاتب ومفكّر وأديب.

ديوان بعثته، فما كان من سماحة السيد (قُدِّس سرّه) إلا أن ردّ عليه بلهجة حازمة: هل ترانا في سباق مع الآخرين[1]...!؟؟

إن عملية الانتقال من **المرشد والعلاّمة إلى المرجع والفقيه** وطرح المرجعية أدى إلى جفاء بينه وبين حزب الله، وهذا الجفاء كان في جانبه الديني واختلاف النظرة إلى نظرية (ولاية الفقهية) فهو لم يؤيدها لأنها غير متضمنة بالفقه الإسلامي كما يقول معظم المراجع، ولكنّه تفهّم هذه الولاية في إيران ضمن حدود حماية النظام الإسلامي، ولم يرَ سماحته (قُدِّس سرّه) أن ذلك النموذج (ولاية الفقيه) يمكن تعميمه في لبنان أو العراق وبقية مناطق التواجد الشيعي والإسلامي بسبب التنوع الديني والمذهبي في تلك البلدان، وربما كانت هذه الخصومة (بل الأكيد) الأشد قسوة عليه من الصعوبات الماضية التي واجهها كونه كان الأب الروحي والمرشد لكل هذا الجيل، وقد كان يقول سماحته (قُدِّس سرّه):

«إن في كل بيت قد يختلف الأبناء مع آبائهم والعكس، ولكن يبقى الأبُ أباً، ويجب أن يستوعب أبناءه، وعلى الأبناء أن يبرُّوا آباءهم»[2].

ولكن بعض هؤلاء الأبناء انجرفوا مع التيار ضد سماحته (قده) بعد إعلان مرجعيته، وإن هؤلاء على أقسام كما يصنّفهم سماحته (قُدِّس سرّه):

القسم الأول:

الذين انطلقوا من أجل طموحاتهم أو مطامعهم الشخصية التي رأوها لدى الفريق الآخر مالياً أو جاهياً أو سياسياً أو تعصُّبياً، فانجرفوا في هذا التيار، لأنه أُريد لهم أن يبتعدوا أو يهاجموا أو يتّهموا (وهم القسم الأكبر).

القسم الثاني:

الذين تحدّث الله عنهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[3].

---

(١) نقلاً عن شبكة (الفجر الثقافية) الألكترونية تحت عنوان: (من جعبة الذكريات) بتاريخ: ٢٢/١٠/٢٠١٠م.

(٢) من جواب لسماحته (قُدِّس سرّه) كُنتُ قد سألته له شخصياً عن الذين كانوا تحت منبره وانقلبوا عليه لعدم فهمهم له؟ وقد كان السؤال والجواب في بيته في سوريا سنة ١٩٩٨م.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥٨.

القسم الثالث:

وهناك الأشخاص البسطاء الطيبون الذين لم يستطيعوا الثبات أمام هذه الهجمة، ولم يملكوا الثقافة التي يستطيعون بها على أن يواجهوا الأمور من موقع دراسة عميقة، أو من الذين سقطوا تحت تأثير الإرهاب الفكري والتهديد في أرزاقهم وفي مواقعهم[1].

وانطلقت مسابقة محمومة لاستقطاب الجمهور الشيعي العام واستدرار تأييده، إلا أن سماحته (قده) لم يكن يكترث، ومضى بعيداً عن ذلك الصراع... وقدّم سماحته (قده) الصورة الإسلامية المثالية مستنداً لجرأته في الحق وشجاعته.

إن هذه الحملة وبشكل مباشر أو غير مباشر ساهمت بالتجرؤ على العلماء فأصبح الصغير والكبير يطال سماحته (قده) وبعض العلماء بعد أن شُرّعت الأبواب لذلك... !! بالإهانة والسُباب والشتيمة والتشهير، والهدف الأساس تحجيم مرجعية السيد فضل الله (قده) وإضعافها وعدم انتشارها والتقليل من تأثيرها.

إلا أن سماحته (قُدّس سرّه) استمر رغم كل المؤامرات التي حيكت ضده من تزوير للحقائق والعقائد واستهدفت حتى طهارته ومأكله، ونعته بـ(الضال المُضِل والمارق.. وغيرها) بقي صامداً مثل الجبل، لم تهزه عواصف التخلف ولم تهزُّه الزلازل الداخلية أو الخارجية.

كان يواجه الحملات التشويهية من بعض الجهلاء والمتعصّبين بالصبر والمحبة والحكمة والموعظة الحسنة، وكان دائماً يردد كما كان يردد رسولنا الأكرم ﷺ: **«اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون»**[2] **«اللهم اغفر لقومي إنهم لا يعلمون»**[3].

وواجهها أيضاً بالسكوت والإهمال وعدم التحدث فيها، ولم يكترث لها ولم يرد على أبواقها، وأهمل كل رموزها مردداً الحكمة القائلة: **(إن الصمت إجابة بارعة لا يتقنها الكثيرون)**. ﴿...وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[4].

---

(١) من كتاب (أيها الأحبة) السيد محمد حسين فضل الله (قده) ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ط١، ص٥٢.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٢١ ص١١٩.

(٣) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج٦، ص١١٧.

(٤) سورة الفرقان: آية ٦٣.

والنتيجة؟!

جاء الكثيرون مجموعات وأفراداً وهم يعتذرون ويطلبون المسامحة، والآن هناك الكثير ممن يعيش عقدة تأنيب الضمير، بعد أن ارتحل (قده) من دون أن يُطلب منه المسامحة في حياته.

كما ولم تتمكن الخصومات من استدراجه إلى مربع العصبيات بمختلف أشكالها، وقد مكّنته ذخيرته العلمية والمعرفية العميقة وعقله الفذّ من إدارة هذا الخلاف بحكمة قلّ نظيرها، وكان سماحته (قُدِّس سرّه) دائماً يردد:

«إن كان هذا الفكر للّه فالله يتكفل به، وإن لم يكن للّه فأنا لا شغل لي به فليذهب مع الرياح...»[1].

ولكن يا سماحة السيد الجليل (قُدِّس سرّه) ذهَبتْ الرياح وبقي فكرُكَ حياً في عقول المؤمنين والمجاهدين ومسلكيتهم.

والشيء المفاجيء أن سماحته (قُدِّس سرّه) استطاع أن ينتصر على كل تلك الحملات، وهي حقيقة أثبتتها نتائج نفوذه وفي أعداد مقلديه ومحبيه ومريديه في العالم من المسلمين وغير المسلمين، وكل منّا يرى كثيراً قوة ذلك النفوذ وحضور سماحته (قُدِّس سرّه) المميّز ومكانته الرفيعة في المشهد الفكري والديني والإنساني إقليمياً وعالمياً، إلا الذين لا يريدون أن يروا ذلك...!!

ففي التاريخ المرجعي ظهر ما يشبه ذلك حيث كانت بعض المرجعيات هدفاً لهرطقات العوام وتحريض بعض الخطباء والعلماء، لكن مرجعيات الإصلاح والتجديد بقيت، ونُسيَ الآخرون، وهو ما تكرّر وسيتكرّر بقوة اليوم.

إن تَمترُس بعض المعمّمين وبعض المرجعيات تحت زيف الادعاءات ضده (قُدِّس سرّه) دون التأكد من صحة الأقوال المنسوبة أو زيفها، أفقدها المصداقية وأُسقط شرطٌ أساسيٌ من شروط رجل الدين والمرجعية وهو التقوى والورع والخوف من الله ﷻ حين صدّروا فتاوى وحكموا غيابياً من دون أن

---

(١) نقلاً عن حوار أجرته قناة «آفاق» الفضائية مع السيد جعفر فضل الله تحت عنوان «ملامح شخصية المرجع السيد فضل الله ومحطات من حياته» بتاريخ ١٧ شعبان ١٤٣١ هـ، الموافق ٢٩/ ٧/ ٢٠١٠م.

يقرأوا قراءة واعية أو يسألوا! والحكم من دون سماع ولا قراءة لا دين فيه، لأن الحق أن تقول رأيت، والباطل أن تقول سمعت، وأكثرهم بنوا أحكامهم على السماع، والشيطان يكون موجوداً عندما تحكم على شخص دون أن تسمع منه، وأبسط قواعد القضاء قبل إصدار الحكم أن تسمع من الطرفين. . .!!

وكما يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «**ما بين الحق والباطل أربع أصابع**»[1].

إن محاولة إسقاطه من خلال اتهامات باطلة ترتبط بالسمة الحركية المنفتحة التي تميّزت بها مرجعية السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) والتي خرجت عن المألوف والموروث عند الناس من خلال اجتهاداته التجديدية المعاصرة حيث شكلت عقبة أمام إمتداد للمرجعيات الأخرى من خلال تمايزه عن المرجعيات التقليدية، بانفتاحه على الناس ومعايشتهم وحمل همومهم وحل مشاكلهم، ولقائه بهم في كل المناسبات، وتصديه للكثير من الواجبات اليومية، وعيشه مع الناس، وانفتاحه على كل المسلمين وغيرهم من خلال موقعه في لبنان مرجعية تتحرك في كل الساحات وتتصدى لكل المشكلات وتواكب العصر.

وبعد ذلك شارك في الحملات التشويهية المتخلّفون والحاقدون والمتزمتون وأصحاب العقول الضيقة، والخرافيون والمغالون وأصحاب المصالح المادية وغيرها، وأيضاً الذين لم يفهموا القرآن ولا الإسلام إلا مُعلّباً في أُطر السياسة الحزبية والتبعية العمياء.

لقد أعطى سماحته (قُدِّس سرّه) درساً مهماً في السياسة، فرغم ظهور وجود اختلاف يتعلق بالمرجعية وقضايا فقهية سياسية بينه وبين «حزب الله» إلا أن هذا الاختلاف لم يدفعه إلى تشكيل حالة مضادة رغم الإمكانات المادية والمعنوية. وهذه نقطة جوهرية في تقييم حياته وسيرته.

لذلك لم يكن لديه مشكلة في أن يكون بينه وبين «حزب الله» الرسمي مسافة، دون أن يؤثر ذلك سلباً في مواقفه من المقاومة والتي برزت واضحة

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٦، ص٣٨١.

وجليّة في حرب تموز ٢٠٠٦م. وفي كل المحطات التي كانت تتعرض فيها المقاومة للضغط والتآمر.

لقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) يتحرك بمنطلق العالِم الذي يمكن للجميع الاستفادة منه، على أساس قاعدة أرساها للجميع (**الاختلاف في الرأي لا يُفسدُ في الودِ قضية**)[1].

وهذه هي سمة القائد الحكيم ورجل الدين في بُعده الإنساني والإسلامي.

مرجعية العصر

لم يعد سماحته (قُدِّس سرّه) مرجع تقليد أو مؤلفاً أو مُلهماً فقط وإنما بات يُنظر إليه كمشروع ديني تنموي فكري إصلاحي رائد للأمة.

ومَن يأتِ إلى لبنان يلحظ ذلك جيداً، ومَن يذهب إلى أميركا وأوروبا وأستراليا وكندا وأمريكا اللاتينية ودول الخليج والمغرب العربي ودول آسيا ومعظم الدول تقريباً سيرى ذلك بكل وضوح، وسيرى الأعداد الهائلة لمقلِّديه ومريديه ومحبيه في هذه الدول والتي تقدّر بالملايين.

عندما يتحول سماحته (قُدِّس سرّه) إلى مشروع فإن ذهابه أو غيابه يبقى رمزياً لأن ما تمّ إنجازه أصبح مُستداماً في عطائه ومؤسساً لمشروعات أخرى باتت تتقولب على أفكاره، وسيُدرك الجيل القادم أهمية سماحته (قُدِّس سرّه) يوم فتح كوة في جدار الصمت الفقهي والفكري.

فتحَ البابَ واسعاً للتجديد وإعادة النظر في الكثير من الرؤى والأفكار بعد أن تحدى الموروث من عقد التلفيقات واللفافات التي تخنق الحقيقة، ولأنه كان يدرك أن تغييب حقيقة الدين يؤدي إلى تغييب الدين نفسه ويجعله حبيس الكهوف المظلمة. لذا كانت تتميز فتاواه وأفكاره بمناقشة المسلمات وخصوصاً في الفكر الشيعي.

---

(١) كنتُ قد سمعتها منه مباشرةً من على منبر مسجد الإمام الرضا عليه السلام في بئر العبد ـ محاضرة بتاريخ: ٢/ ٣/ ١٩٩٤م.

يقول الدكتور نجيب نور الدين[1]:

«لقد نزع سماحته (قُدِّس سرّه) القداسة ليس عن المجتهدين فحسب رغم تعظيمه للبعض بل نزع القداسة أيضاً عن أفكارهم وكتاباتهم ونتاجهم التي تجمّد أمامها دارسو العلوم الإسلامية.

كان يرى أنه لا بد من الجرأة في مناقشة هذه الآراء سبيلاً إلى تطويرها وتجاوزها إن أمكن إلى الأفضل»[2].

فكان سماحته (قُدِّس سرّه) يمتلك الجرأة الكافية لطرح نظرياته الفقهية التي توصل إليها عبر الدليل، ويعدُّ سماحته من أكثر علماء الشيعة انفتاحاً على التيارات الأخرى، وبُعده عن الشطط أو ادّعاء المثالية وتقديس الذات أو الهوية الخاصة.

لقد طرح سماحته الإسلام كفكر عام غير حزبي وغير طائفي وغير مذهبي، وسعى إلى أن يكون عامل جذب متنوع لكل مَن أراد الإسلام بلا عقد وحواجز.

عُرفَ سماحته بمواقفه الإيجابية واجتهاداته الصادقة، فهو لم يطرحها للتسويق والتجارة إنما قَرَنَ القول بالعمل بين مختلف التيارات في العالمين العربي والإسلامي.

نجح من خلال موقعه الروحي في تأسيس خطاب إسلامي عقلاني يتلمس سبل التواصل والاجتهاد في علاج مرض الفتنة والتفريق إلى دواء الوحدة والمحبة.

استمر سماحته (قُدِّس سرّه) في نشاطه وسعيه لبناء المؤسسات طوال العقود الثلاثة الماضية، لقناعته بأن الإنسان يفنى ويموت بينما المؤسسات تبقى وتحيا.

سحرَ سماحته الكثير في نشاطاته التوعوية وخطبه المنيرة اليومية في مسجد الحسنين عليهما السلام وصلاة يوم الجمعة التي كان يركّز على أن يكون متواجداً فيها رغم مرضه بعض الأحيان.

---

(١) دكتوراه في علم الاجتماع، مدير مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر للدراسات والبحوث.

(٢) نقلاً عن جريدة (بيّنات) العدد ٣٧٩ الأحد ٤ شعبان ١٤٣١هـ ١٥ تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص٨.

وكان يتابع تدريسه الديني بين لبنان وسوريا حيث كان يذهب إلى سوريا بعد صلاة يوم الجمعة ليدرّس في حوزته التي أقامها للإخوة العرب وغيرهم من كل الجنسيات في سوريا.

هذا غير نشاطاته الفكرية من مؤتمرات ودروس ثقافية واجتماعية، ولقاءاته مع المغتربين لبحث معاناتهم وحلّها، وشخصيات دينية وسياسية ووزارية وبرلمانية داخلية وخارجية.

إن سماحته (قُدِّس سرّه) تحول إلى القطب الأبرز الجاذب لكل المتأثرين بالفكر الشيعي المعاصر، فكان الشمس المضيئة للأحرار في سماء العزة والشرف والحرية.

وعبرَ جهادٍ طويل أُعيدَ التقويم الصحيح للنص الديني ليخدم الإنسان في كل زمانٍ ومكان، فأُسقطت مجموعة من الطقوس والعادات التي أُلبست صفة المحرّمات، فخرج سماحته (قُدِّس سرّه) بتفسيره الصحيح للدين وفروضه، وهذه الخطوة أفزعت الكثير من الذين يريدون إبقاء القديم من التقليد فاعترضوا على مرجعيته، خصوصاً وأنها خارج السيطرة، لا يمكن شراء سكوتها أو إخضاعها سياسياً.

عملية الرضوان وحرب تموز ٢٠٠٦م:

استمر عطاء سماحته (قُدِّس سرّه) حتى تحرير جنوب لبنان من براثن العدو الصهيوني عام ٢٠٠٠م وبعده وقد كان لسماحته (قده) اليد الطولى والفضل الكبير في إنجازه، وبعدها جاءت حرب تموز ٢٠٠٦ يوم الأربعاء في ١٢ تموز.

فيقول سماحة السيد جعفر فضل الله بهذا الخصوص:

«كان لا يزال سماحته (قُدِّس سرّه) يقوم بمثل ما اعتاد أن يقوم به يومياً حتى يوم الخميس حيث قيل له إن الواقع بدأ يُنذر بشيء من الخطر، فحبّذا لو تغادر المنزل، فقال سماحته (قُدِّس سرّه): لن أغادر، وخرج يوم الجمعة إلى المسجد ليصلي، وكان هناك سبعة أشخاص أو ثمانية فقط، وعندما سمع الناس على المذياع صوت سماحته (قُدِّس سرّه) امتلأ المسجد كله، وطائرات الاستطلاع الإسرائيلية في الجو، وكان المتوقع أنه في أي لحظة سيقصف المنبر، وهكذا

انتهت الصلاة على خير وبقي سماحته (قُدِّس سرّه) ولم يخرج، وهذا قد لا يعرفه الكثيرون حيث أقام في الطابق السفلي من مسجد الحسنين عليهما السلام بجوار ضريحه الآن.

وكان هناك غرفة صغيرة جلس فيها السيد (قُدِّس سرّه) ليلة السبت، وقد دُمر الكثير من المباني المحيطة في تلك الليلة، ولم يخرج إلا الأحد صباحاً لأنه بات الجلوس في ذلك المكان مستحيلاً، حيث دمّرت بناية قريبة وتصاعد الغبار المنبعث من القذائف ودخل إلى جوف ذلك المكان، هذه الصلابة والشجاعة سرها ارتباطه القوي بالله سبحانه وتعالى والتوكل عليه، فقد كان لا يعبأ بأي شيء سواه، وكان يردد دائماً ما قاله الإمام علي عليه السلام: «**كفى بالأجلِ حارساً**» وكان لديه ثوابت أساسية من ضمنها البقاء مع الناس في كل الحروب ومساندة المقاومة ولو معنوياً.

خرج إلى الجبل ثم عاد إلى مكان آمن في بيروت وبدأ يُسأل عن الاستفتاءات، وصلّى الجمعة في مكانه وخطب في الناس ووجه نداءاته وتصريحاته.

لأن هناك مؤامرات كثيرة كانت تحاك بشكل متسارع ويراد بها فرض واقع جديد لشرق أوسطٍ جديد كما قالت (كونداليزا رايس) وزيرة الخارجية الأميركية آنذاك»[1].

فكان كعادته الأب الحنون العطوف لكل المجاهدين حيث وَجّهَ برسالة إلى المجاهدين الأبطال ووصفهم بـ(البدريين) والتي لم ترد على لسان أحد من قبله، فقال فيهم:

«**أيها البدريون الذين يستمدون القوة من الله ويستوحون روحية النصر منه، أيها المجاهدون في خيبر الجديدة الذين حملوا الراية فكانوا ممن أحبوا الله ورسولَه وأحبهم اللّهُ ورسولُه...**»[2].

---

(١) حوار أجرته قناة «آفاق» الفضائية مع السيد جعفر فضل الله تحت عنوان: «ملامح شخصية السيد فضل الله ومحطات من حياته»، بتاريخ ١٧ شعبان ١٤٣١هـ، ٢٩/٧/٢٠١٠م.

(٢) مقتبسة من رسالة شفهية وجهها سماحته (قده) إلى المجاهدين في حرب تموز ٢٠٠٦م وقد بثت في معظم القنوات العربية والعالمية.

وهكذا أعطى سماحته (قُدِّس سرّه) الغطاء السياسي والديني لعملية الرضوان في حرب تموز في حين كان العالم كله يُنكرها ويستنكرها ويصفها الكثيرون بالمغامرات الصبيانية الطائشة...

يقول المفتي الجعفري سماحة الشيخ أحمد طالب[1]:

«لعل الحدث الأبرز في حياتي هو مرافقتي للمرجع السيد فضل الله (قده) لحظة بلحظة أثناء حرب تموز ٢٠٠٦م فكانت من المحطات التي أشعرتني بصدق بقوة وصلابة وعنفوان هذا المرجع (قُدِّس سرّه) المميّز.

وأثناء وجودي مع السيد (قُدِّس سرّه) بمجرد أن أُعلن عن وقف العمليات الحربية وبعدها بساعات قليلة، زاره في مكان إقامته المؤقتة السيد حسن نصر الله على رأس وفد من القيادات العسكرية للحزب، وقبّلَ الجميع يده كتعبير عن الأبوة التي شعروها منه خلال المعركة»[2].

إن سماحته (قُدِّس سرّه) قد صنع مظلة حامية للمقاومة وللمجاهدين قبل وأثناء وبعد حرب تموز، وهذه هي صفات القادة العظماء.

لقد كان همُّه وشغله الشاغل رفع الظلم والعدوان عن الأمة الإسلامية وعن الإنسانية جمعاء، لذلك بكاه الأحرار والواعون من كل طائفة ودين...!!

---

(١) أستاذ حوزوي سابق في مدينة قم المقدسة، علاّمة دينية واجتماعية، شخصية وطنية ناشطة في المجال الفكري والثقافي والسياسي، هو محاضر ومدرّس في الحوزات العلمية في لبنان، من مواليد ١٩٦٤م من بلدة جبشيت.

(٢) نقلاً عن لقاء أجرته شبكة الفجر الثقافية بتاريخ ٢٠١١/١/٢٩م، مع سماحة الشيخ أحمد طالب.

الفصل الثالث

الثوابت الفكرية والعقائدية
لسماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه):

١ ـ القرآن هو الأساس في الاجتهاد والاستنباط

٢ ـ خط الإمامة

٣ ـ الوحدة الإسلامية

٤ ـ الوحدة الإنسانية

٥ ـ الحوار

٦ ـ الدفاع عن الإسلام وقضاياه

٧ ـ استمرار الحراك الإسلامي الواعي في الأمة

٨ ـ الاستكبار العالمي والكيان الصهيوني والقضية الفلسطينية

٩ ـ دعم الجمهورية الإسلامية الإيرانية

١٠ ـ حفظ المقاومة الإسلامية

١١ ـ محاربة الغلو والخرافة

الفصل الثالث

الثوابت الفكرية والعقائدية لسماحته (قدّس سرّه)

كان لسماحة السيد (قُدِّس سرّه) ثوابت فكرية وعقائدية أصرّ عليها وشدّد على المحافظة عليها ما أدى إلى تمايزه عن غيرهُ فيها وهي[1]:

١ ـ القرآن هو الأساس في الاجتهاد والاستنباط:

لقد كان للقرآن مكانة خاصة وكبيرة في حياة السيد (قُدِّس سرّه)، وقد اهتم به منذ أوائل مسيرته الفقهية والعلمية، فكان تفسيره الكبير (من وحي القرآن) الذي اتسم بمحاولة ربط القرآن الكريم في كثير من آياته بالمجتمع وكيفية حل مشاكله عن طريق استنطاقه آيات القرآن الكريم، وقد ساعده على ذلك ذوقه الرفيع في اللغة العربية وآدابها والذي يعتبر الركن الأساس في فهم النص.

يقول السيد جعفر فضل الله: أنَّ سماحة السيد (قُدِّس سرّه) كان دائماً يقول: «إن القرآن لا يفهمه إلا الحركيون، لأنه يعتبر أن هذا القرآن هو الذي أرخَ في آياته ومناسبات نزولها وفي توجيهاته للمسلمين في حالات القوة وفي حالات الضعف، وفي حالات الهزيمة وفي حالات الانتصار، في التوجيه العبادي والسلوكي والأخلاقي»[2].

لقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) متمسكاً بالقرآن بوصفه الأساس في التشريع

---

(١) بعض هذه الفقرات مستوحاة من مقال لسماحة العلاّمة السيد عبد الله الغريفي (من كبار علماء البحرين) تحت عنوان (المرجع الراحل فضل الله. . . ثوابته الفكرية والعقائدية). نقلاً عن جريدة بيّنات العدد ٣٨٠.

(٢) حوار أجرته قناة «آفاق» الفضائية مع السيد جعفر فضل الله تحت عنوان «ملامح شخصية المرجع السيد فضل الله ومحطات من حياته»، بتاريخ ١٧ شعبان ١٤٣١هـ، ٢٩/٧/٢٠١٠م.

والدستور الأول في سلّم مصادر التشريع، وكمنطقه الأول وملهمه الأقرب، كان يسعى لأن يكون القرآن الأساس المؤسس للعقيدة والفتوى، فكان يرى أن فيه ما يشفي الصدور، لو عاد الفقهاء والعلماء والمفكرون إليه كمرجع فكري وعقائدي وفقهي.

لقد كان سماحة السيد (قُدِّس سرّه) قرآنياً، لوعيه بأن هذا المصدر الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو المرجعية الأولى حتى في فهم السنّة الشريفة.

وقد انطلق بعيداً في هذا الاعتماد على القرآن الكريم، إلى أن طوّر النظرة الفقهية الأصولية إلى مسألة العلاقة بين القرآن الكريم والسنّة الشريفة، بأن جعل القرآن الكريم هو الضابط في قبول الروايات وضيقها، عندئذ سيُفهم من خلال القرآن الكريم أن الدلالة وإن كانت مطلقة بحسب التعبير الأصولي في الرواية، لكنها لا بد من أن تقيَّد بالمضمون القرآني لأنه مقيّد، ولا نتصرف في المضمون القرآني لمصلحة الدلالة المفترضة في السنّة الشريفة.

فالسيد (قُدِّس سرّه) يرى مرجعية القرآن وحاكميته على السنّة، حيث كان يعتبر القرآن هو الأساس في الاجتهاد، وأن السنّة لا يمكن أن تحكم القرآن بل العناوين القرآنية هي التي تحكم السنّة، من هنا انطلق ليكون فقيهاً قرآنياً بامتياز، لذا تراه قد تبنّى بعض الفتاوى بكل جرأة، ليطلق فكراً إنسانياً خالداً، كما في فتواه بطهارة كل الإنسان، المستنبطة من القرآن الكريم، فالقرآن لا بد من أن يكون الميزان لمعرفة الحق والباطل. وعلى هذا فقد واجه الخرافات والخزعبلات بفكر القرآن الحق، الذي مَن تمسك به هدي إلى الحق والصراط القويم والعز الدائم الذي لا يُضام.

«لقد حرص سماحته (قُدِّس سرّه) دائماً أن يمزج الآيات مع كل خطاب يقوله وضمن كل سطر يخطه قلمه، وركّز على أن القرآن هو الأساس في فهمنا للحياة.

هكذا يجب أن نقرأ القرآن، نقرأه وكأنه خطاب الله (عزّ وجل) لنا شخصياً، فنفكر إذا نشرنا المصحف بين أيدينا اليوم، وبدأنا بقراءة ما تيسّر لنا منه، نفكر ما الذي سيقوله لنا ﷻ هذا اليوم، وما الذي علينا فعله تجاه هذه الكلمات الموجهة إلينا.

فعندما نقرأ آيات فيها مديح للمؤمنين نتساءل (هل يا ترى نحنُ منهم؟) وما

الذي يجب أن نغيّره من سلوكنا اليومي كي نكون كذلك؟ أو عندما نمرّ على آيات فيها ذم للمنافقين أو المشركين، نتساءل: هل يا ترى تشملنا هذه الآية؟ وما الذي يجب أن نحركه في حياتنا كي نبتعد عنهم؟

ما هي جوانب ضعفنا فنقويها، وما هي جوانب قوتنا فنشكر الله عليها.

وكذلك نفكر في آيات السنن الإلهية وآيات الأخلاق وآيات القصص والتاريخ والعلوم، ونحركها في واقعنا، ندرسها ونتفحصها وكأننا ندرس كتاباً لاختبار سنقدمه في المدرسة أو الجامعة إنه إختبار الحياة اليومي، وها هو العليم القدير يرى عملنا ورسوله والمؤمنون»[1].

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2].

لقد كان منهج سماحته (قُدِّس سرّه) المنهج الحركي التطبيقي حيث كان يركّز على ربط الإيمان بالعمل ربطاً لا ينفصل أبداً...

فكانت إطلاقته لتعبير «الإسلام الحركي» ومعناه كما شرحه سماحته (قده):

«هو الإسلام الذي يتطلع إلى الحياة كلّها ليحرّك طاقاتها وليبدع فيها، هو الإسلام الذي يجعل المؤمنين به، طاقات متحركة تتحمل مسؤولياتها في كل القضايا العامة المتصلة بالإنسان وبالحياة في مقابل الفهم الخاطىء للإسلام، هذا الفهم الذي يدفع الإنسان لأن ينعزل عن الحياة ويجمّد طاقاته، ويعيش في حالة نفسية ضيقة ينتظر فيها الموت من دون أن يعمل على إغناء إنسانيته»[3].

ومَن تأمّل فكره، وجده المرجع القرآني العلمي والعملي الذي جسّد القرآن عملاً وقولاً، حيث أنه استفاد من القرآن فكراً واستنبط منه فتاواه، واختلط فيه دمه ولحمه وجسده، فكان سماحته (قُدِّس سرّه) على المستوى العملي فقيهاً قرآنياً بامتياز.

---

(١) مقتبسة من مقال لـ هاشم عبد المطلب الوزان بعنوان: مواقف من حياتي مع سماحة السيد (قُدِّس سرّه) بيّنات العدد ٣٨١، الجمعة ١٨ شعبان ١٤٣١هـ - ٣٠تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٧.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٥.

(٣) بيّنات (حوارات فكرية في شؤون الدين والإنسان والحياة) ج١، ص١١، الطبعة الأولى، إعداد وتنسيق السيد شفيق محمد الموسوي، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الملاك.

لقد عاش سماحته (قُدِّس سرّه) على مائدة القرآن وتكلم بمفرداته، فكان محمدي المسلك ورحمة للعالمين، ولم يكن منكفئاً على الماضي، بل عارك الحاضر وخطط للمستقبل.

٢ ـ خط الإمامة:

كان سماحته (قُدِّس سرّه) حارساً أميناً لهذا الخط والذي يعبّر عن أصالة الانتماء إلى مفاهيم الإسلام والرسالة والقرآن، ويجسّد نهج النبوة في امتدادها الروحي والفكري والقيادي...

لقد كان (قُدِّس سرّه) جريئاً في الجهر بولائه وانتسابه إلى هذا الخط واعتقاده به.

إلا أنه لم يكن يفهم هذا الولاء والانتساب «**نزوعاً مذهبياً ضيّقاً**» يشكّل تنافياً مع (المشروع التوحيدي) في حركة الأمة.

بل كان يفهمه «**وعياً توحيدياً منفتحاً**»[1] يواجه كل الإشكالات التي تعقّد حالات التلاحم الفكري والنفسي والعملي في مسيرة الأمة...

وهكذا زاوج وبوعي وبصيرة بين حركة الانتماء إلى خط الإمامة بكل ما يحمله من مفاهيم وأفكار وأهداف وتوجهات وخصائص ومميزات، وحركة الانفتاح على كل المكونات المذهبية الأخرى، فيما هو نسيج الأمة المتنوّع والمتعدّد.

نحن قلما رأينا أحداً يتحدث عن أهل البيت عليهم السلام والإمام علي عليه السلام خاصةً كما كان سماحته (قُدِّس سرّه)، لقد كان يذوب في شخصية علي بن أبي طالب عليه السلام، كان سماحته (قُدِّس سرّه) يتحدث عنهم وكأنهم أمامه ويعيش معهم ويعرفهم حق المعرفة.

لقد علّمنا سماحته (قُدِّس سرّه) كيف يكون الحب الحقيقي للأئمة عليهم السلام

---

(١) نقلاً عن جريدة (بيّنات) العدد ٣٨٠ الجمعة ١١ شعبان ١٤٣١هـ ـ ٢٣ تموز (يوليو) ٢٠١٠م. مقال لسماحة العلاّمة السيد عبد الله الغريفي تحت عنوان: (المرجع الراحل فضل الله... ثوابته الفكرية والعقائدية).

بتعلم علومهم وترجمتها من لغة القلب والعاطفة إلى لغة العقل وحركة التطبيق في الواقع.

لقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) يستحضر أهل البيت عليهم السلام في حياتنا وتصرفاتنا حتى يكونوا هم القدوة لنا في السراء والضراء، حتى تكون سلوكياتهم وأفعالهم هي سلوكياتنا وأفعالنا.

وانطلاقاً من مسؤوليات الحراسة والحماية لخط الأئمة من أهل البيت عليهم السلام تصدّى لكل أشكال التخلُّف والبدع والخرافات والغلو التي اقتحمت بعض مفاصل الواقع الفكري والعملي لدى بعض المنتسبين إلى هذا الخط الذين أساؤوا إلى أصالة هذا الخط ونقاوته وحقّانيته، وقد كلفه هذا التصدي الجريء ثمناً باهظاً تمثّل بالهجوم عليه وشَن الحملات.

كان يعتبر سماحته (قُدِّس سرّه) أنه كما الإساءة إلى الإسلام وأهل البيت عليهم السلام مشكلة فإن المغالاة والبدع والخرافة مشكلة أيضاً لهذا الدين، لذا كان يدعو سماحته (قُدِّس سرّه) إلى ضرورة تنقية الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام مما دخل إليه، ودعا إلى إعادة النظر في بعض الأمور التي لا تمتّ إلى المذهب بصلة ودخلت على أساسها العادات والتقاليد وأصبحت من المقدسات.

٣ ـ الوحدة الإسلامية:

لقد دعا سماحته (قُدِّس سرّه) إلى الوحدة بين المسلمين ونبذ الطائفية، والمهم أنها لم تكن شعارات فقط أو موضوع لملء الفراغ، إنما تجسّدت بالأفعال، فلم تكن المسألة للانفعال أو الحماس أو للاستهلاك الشعبي بل ظل مكافحاً مدافعاً عن هذا الخيار حتى الرمق الأخير من حياته.

لقد آمن (قُدِّس سرّه) الإيمان الحقيقي العميق بوحدة الأمة الإسلامية ووجوب العمل لأجل جمعها وتوحيد صفوفها، وتأكيد المساحات المشتركة الكثيرة بين فرقها ومذاهبها، فتراه تارةً يدعو لترك ما يختلف عليه والمضي فيما يُتفق عليه، فيقول سماحته (قُدِّس سرّه) في إحدى كلماته:

«إننا وإخواننا السنّة متفقون على ٨٠٪ فلنترك العشرين الباقية سواء أكانت تلك المساحات عقائدية أو فقهية أو سياسية أو اجتماعية»[١].

كان سماحته (قُدِّس سرّه) الداعية الأبرز للَمْ شمل الأمة الإسلامية وللحوار والتسامح والتقريب بين المذاهب والأديان، وكان يشعر أن ما يوحّد المسلمين هو الإيمان بالله وكتابه.

آمن سماحته (قُدِّس سرّه) بضرورة العمل للوحدة الإسلامية لا تكتيكياً أو هامشياً كما هو حال بعض علماء الأمة الإسلامية الذين ينادون بالوحدة من باب تحصيل المكاسب الفئوية أو الحزبية، أو ينادون بالوحدة الإسلامية وهم أبعد ما يكونون عنها، بل غالباً يكونون هم المؤجّجون للفتن المذهبية والطائفية من خلال كتبهم الملأى بالسَب والشتم واللعن لرموز الطرف الآخر.

طالب العلماء أن يستوحوا المرحلة التي عاش فيها الخلفاء الراشدون والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعيداً عن اتهام كل فريق للآخر بالضلال والكفر.

كان إيمانه بالوحدة الإسلامية مساراً استراتيجياً له وعقيدة ثابتة لا تتغير، يشير إلى ذلك بوضوح عمله التاريخي طيلة حياته، فهو منذ ٥٨ سنة يدعو إلى الوحدة الإسلامية[٢].

ابتدأت هذه الدعوة في ذكرى أسبوع وفاة السيد محسن الأمين عام ١٩٥٢م حيث ألقى قصيدة نعي تضمنت أبياتاً تدعو إلى الوحدة الإسلامية.

ـ حرّم وجرّم سماحته (قُدِّس سرّه) كل أساليب الدعوة التي تثير الفتنة والنزاعات بين المسلمين، نظراً إلى كونها خدمة للأيادي الاستعمارية والاستكبارية يقدمها أصحاب هذه التوجهات إليهم مجاناً من حيث لا يشعرون كما شاهدنا ونشاهد اليوم ذلك في العديد من الفضائيات المثيرة للفتن من جميع

---

(١) نقلاً عن صحيفة «عكاظ» تحت إسم «مكاشفات» أجرى الحوار: عبد العزيز محمد قاسم بتاريخ: ٢٨/٢/٢٠٠٨م.

(٢) نقلاً عن كتاب (العلاّمة فضل الله وتحدي الممنوع) تاليف الكاتب والصحفي علي حسن سرور ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ط١، ص٥٣.

الاتجاهات الإسلامية ولا أخص السنّة دون الشيعة أو الشيعة دون السنّة، فالكل واقعٌ في الفتنة التي تضرّ الأمة الإسلامية ولا تنفعها.

فجاء رفض سماحته (قُدِّس سرّه) الشديد لما تُقدِم عليه بعض الفضائيات من إثارة للفتنة، وتشويه للواقع، وإسقاط بعض الآراء الشاذة على الواقع الإسلامي عامةً والشيعي خاصةً والذي انخرطت فيه بعض وسائل الإعلام لحساب مشاريع معادية للأمة من خلال مخطط مرسوم، ولأن ما تثيره أجهزة الإعلام والفضائيات التي تتحرك في هذا السياق يمثل اعتداءً صارخاً على أمن الأمة وسلمها الداخلي ويفسح في المجال لعملية تكفير واسعة النطاق للأطراف السنية والشيعية، من خلال أسلوب التضليل الذي يستدرج رد فعلٍ مضاد، يفضي إلى سقوط الأمة في فخ الفوضى والفتنة القاتلة التي قد لا تُبقي ولا تذر شيئاً على مستوى القضايا الكبرى، فكان أن أفتى سماحته (قده) بالتبرؤ من هؤلاء وعدم جواز مساندتهم ومساعدتهم.

لقد انفتح سماحته (قُدِّس سرّه) مبكراً على قضايا الأمة المصيرية وتوحيدها وعلى رأسها القضية الفلسطينية، فطالب كل الدول الإسلامية والعربية بتوحيد صفوفها ونبذ الخلافات المذهبية في سبيل القضية الأساس وهي عودة أرض فلسطين.

يقول وليد نويهض[1]:

«رؤية سماحة السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) الفقهية، فلسفيةٌ في جوهرها التوحيدي، لأنها تأسست على قاعدة التدرُّج من العام إلى الخاص، ومن ثم العودة منطقياً من الخاص إلى العام، فالرؤية الفلسفية عنده جذورها توحيدية وبعدها تبدأ التفرعات عن الأصل التي تعترف بوجود الاختلافات لكونها رحمة للناس، لا سلاحاً يستخدم للاقتتال والفرقة والفتنة وتحقيق أغراض آنية.

الوحدة عند سماحته (قُدِّس سرّه) لا تعني تجاهلاً للاختلاف، وإنما هي الأساس بوصفها تشكل نقطة البدء المركزية التي منها يمكن الانطلاق لمعالجة

(١) مدير تحرير جريدة الوسط البحرينية، كاتب ومفكّر.

الانقسام، حين تكون الوحدة الكبرى هي الأساس تتحول الوحدات الصغرى إلى أجرامٍ تتحرك في إطار الفلك الكبير وحدوده»[1].

عمل سماحته (قُدِّس سرّه) على تقريب الهوة بين جناحَيْ الأمة الإسلامية عبر سعيه الدائم نحو الوسطية تحت شعار «الحركة الإسلامية» لذلك تحول إلى رمز مؤثر في كثير من الحركات الإسلامية، سواء أكانت سنيّة أم شيعية، فسعى إلى نزع كثير من الألغام المتمثلة بعدد من الروايات التاريخية التي ما زالت تُعتمد حتى الآن كنقاط خلاف بين المسلمين، داعياً إلى النظر في صحة هذه الحوادث والتحقيق في سندها، وتصدى بشجاعة وثبات لتلك الروايات التي كان لها الأثر الكبير في فرقة المسلمين، فاستحق عليها بامتياز صفة رائد التقريب، غير عابئٍ بضغط العوام وإغراء الحكام.

ففي مسألة أهل البيت (عليهم السلام) التي دار خلاف تاريخي كبير بين السنّة والشيعة حول مكانتهم وحقهم في الخلافة، تراه يُخرج أهل البيت (عليهم السلام) من دائرة الخلاف ويؤكد على أنهم يمثّلون القاعدة الوحدوية في المسألة العاطفية للمسلمين جميعاً...

إن الوحدة فعل إيمان واتجاه نحو الإحساس بالمخاطر المحدقة بالأمة لا برفع الشعارات دون المضمون فهو ليس من العلماء الذين يحملون النفاق بين الشعار والتطبيق.

إن الذين يخلصون للإسلام هم الذين يجعلونه فوق أنانيتهم، ولا يثيرون الحساسيات المذهبية والقومية وغيرها...

إن الخلاف المذهبي الذي يراد للساحة الإسلامية أن تغرق في آتونه لهو خطيرٌ جداً ما يستوجب على علماء الإسلام (سنّة وشيعة) أن يتحركوا للخروج من العقد والرواسب التاريخية والمُضي قُدماً لتوحيد الصف.

إن ثقافة التقريب فقدت عَلَماً كبيراً من أعلامها، ثقافة التقريب التي تتعالى على الخلافات الطائفية والمذهبية والقومية والإقليمية.

---

(١) نقلاً عن جريدة الوسط البحرينية ـ العدد ٢٨٥٩ ـ الأثنين ٥ يوليو ٢٠١٠م، الموافق ٢٢ رجب ١٤٣١هـ.

لقد نظَر سماحته (قُدِّس سرّه) إلى الخلافات المذهبية على أنها خلافات عشائرية أكثر منها خلافات عقائدية أو فقهية، فالسبيل الوحيد للقضاء على الصراع المذهبي هو القضاء على التخلّف.

وعلى الرغم من اتفاق كبار علماء المسلمين على حرمة الفتنة وخطورتها، وعلى الرغم من عشرات السنين من جهود التوحيد بين المسلمين، فإن عناصر الفتنة الطائفية تبقى قائمة في واقعنا، فحدثٌ بسيط يمكن أن يحرق العقود الطويلة من التّثقيف الوحدوي.

ظاهرة لافتة للانتباه وهي حقاً تبعث على القلق، فهل الخطاب التوجيهي للقيادات الإسلامية عاجز عن صناعة ثقافة الوحدة والتقارب...!؟

ما يحدث على الساحات الإسلامية اليوم، يعطي جواباً بفشل الجهود السابقة، والسبب يعود لضعف قوة التأثير، فقد بقيت عبارة عن معالجات نخبوية تختص بالعلماء والمفكّرين والمثقفين من السنّة والشيعة.

وهذا ما جعل مشاريع التقارب تفشل فشلاً ذريعاً ولا تعدو كونها استعراضات مهرجانية تنتهي صلاحياتها بعد أيام من انتهاء المؤتمر أو المحاضرة أو صدور كتاب أو بيان مشترك.

إن التأزم الطائفي لا تعالجه فتوى دينية، ولا تقضي عليه المؤتمرات الحوارية، ولا تطفئه البيانات الدينية وإن كانت كلها ضرورية وهامَّة، إنه حال ضاربة للجذور في مجتمعاتنا لأنه من النوع البركاني، يخمد وينفجر من دون إشعار، وهذا ما يستدعي أن يكون منهج المعالجة مختلفاً تماماً عمّا حدث، فما هو المطلوب؟

المطلوب هو وضع منهج كبير يتصدى له مفكرو الأمة، لصناعة ثقافة جماهيرية تستنكر الفتنة الطائفية وترفض دعاتها ومثيريها وتدعو إلى النشأة والتربية منذ الولادة على محبة الآخر وتقبله مهما كان الاختلاف معه، والوحدة الإسلامية هي هدفنا الأسمى لخلق مجتمع تتحول فيه الاستفزازات الطائفية إلى كلمات خرساء غير مسموعة بعد نزع الكراهية والحقد للآخرين، وأن ننطلق من الإسلام كعنوان رئيسي لنرى الآخرين مسلمين...

في ظل غياب سماحته (قُدِّس سرّه) يتزايد البحث عن شخصية إسلامية جامعة تكون ملتقى للمسلمين، إذ بغيابه خسر المسلمون (سنّة وشيعة) ما يجمعهم في زحمة التدافع والتنافر التي تخطط لها بعض الدوائر وتنفذها دوائر أخرى، من شخصيات دينية وقنوات فضائية، بعضها يحسب على أهل السنّة وأخرى تُحسب على الشيعة.

وهم بعلم أو بغير علم يقدّمون أكبر هدية للعدو المتربص بالإسلام من الصهانية والمستكبرين.

كان سماحته (قُدِّس سرّه) موضعاً للاحترام والتقدير من الطائفتين الإسلاميتين الكبيرتين، ومن غيرهم من الديانات الأخرى، وبغيابه تتضاعف مسؤولية المراجع الدينية، في وقت تتمترس فيه المراجع خلف طوائفها دون تفكير جدي بجدوى التفتيش عن القواسم المشتركة، وهو ما أفقدها المصداقية لدى هذا الطرف الإسلامي أو ذاك...

وفي ظل هذا الغياب، تبدو الخسارة كبيرة على المستوى الشيعي الخاص ولا سيما في وقت تصاعدت فيه موجات الغلو والخرافة، وفي ظل صمت المراجع الدينية ورجال الدين وبعض النخب الفكرية.

فنحنُ كطائفة شيعية عندما نعرض التشيُّع للآخر، فإننا نعرض صورة نمطية، ولكن سماحته (قُدِّس سرّه) غيّر هذه الصورة النمطية للتشيُّع.

لقد جعل التشيُّع مدرسة للفكر والثقافة والتعدد، عوضاً عن الصورة النمطية الخاطئة للبعض من تعصُّبٍ أعمى وخرافة وغلو وعزاء دائم وتطبيُّرٌ وعزلة.

لقد نفّرنا سماحته (قُدِّس سرّه) من الخزعبلات والخرافات التي ابتلى بها تراثنا والتي أساءت إلى الرسالة المحمدية الطاهرة، ووضع حداً بيننا وبينها، وقدّم الصورة الإسلامية المثالية لمذهب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

حتى المُنتج الثقافي والفقهي الذي قدّمه كان مختلفاً، ولأن التنوع ضروري لأي مذهب أو طائفة، فقد حرّك سماحته (قُدِّس سرّه) مياهاً راكدة بين

الطائفتين، فهو كان جسر التواصل الأول للآخرين وموضع ثقة الجميع ومظلة يتفيأ تحتها الوحدويون.

لقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) داعية للوحدة، لا من أجل أن يعترف الآخر به، بل كان يؤلمه أن يرى المسلمين متفرقين متناحرين بنار التمذهب، تمزّقهم الفتنة والغلو والتكفير لبعضهم البعض بسبب تشدُّد المذاهب وعسر أساليبها وبُعدها عن الخطاب التوحيدي.

ونتيجة لخطورة إثارة الفتن المذهبية التي تخدم أعداء الأمة، حرّم سماحته (قُدِّس سرّه) سَب أمهات المؤمنين والصحابة.

فمنذُ ما يقارب العشرين عاماً وسماحته (قده) يشدّد على حرمة الإساءة إلى أمهات المؤمنين والصحابة.

وفي إحدى المقابلات مع جريدة «عكاظ» السعودية أجاب سماحته (قده) على بعض الأسئلة بخصوص هذا الأمر[1] نذكر منها:

ما هو موقفكم من سَب الصحابة بمَن فيهم أبو بكر وعمر وعائشة؟

[ـ أنا شخصياً أحرّم سَب أي صحابي لأن الله تعالى تحدّث عن الصحابة بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾[2] وإن كان لنا رأي في مسألة الإمامة والخلافة.

أما في مسألة السَب، فهذا يحرم على أي مسلم، وأنا أنقل كلمة عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عندما كان في طريقه إلى صفين وسمع قوماً من أهل العراق يسبون أهل الشام فقال لهم[3]:

«إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين»، ورواها ابن أكثم الكوفي في كتابه الفتوح بالصيغة التالية: «كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين ولكنكم لو

---

(١) بتاريخ، ٢٨ صفر ١٤٢٩هـ، الموافق ٦/ ٣/ ٢٠٠٨م.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٣) نهج البلاغة ص٣٢٣ من كلام له عليه السلام، رقم ٢٠٦.

وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلِح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق مَن جهله، ويرعوي من الغَي والعدوان منهم مَن لجّ به، لكان أحب إليّ وخيراً لكم، فقالا: يا أمير المؤمنين نقبل عظتك ونتأدب بأدبك»[1].

وفي هذا المجال أحب أن أتحدث عن أسلوب الإمام علي عليه السلام في تعامله مع الخلفاء الذين يعتقد الشيعة أنهم هم الذين نازعوه حقه، ففي كتابه لأهل مصر قال:

«فما راعني إلا انثيال الناس على أبي بكر يبايعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فَوْت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان، كما يزول السراب، أو كما يتقشّع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين»[2].

لذلك نحنُ نتعاطى مع الخلفاء في مسألة الخلافة كما تعاطى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان منفتحاً عليهم وكان يعاونهم ويشير عليهم بكل ما فيه مصلحة لهم كما جاء عند الشيعة والسنّة (لولا عليّ لهلك عُمر) فالمغزى هو أن عُمَر كان دائم الاستعانة والتشاور مع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهناك حديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام يخاطب فيه بعض المسلمين الشيعة: (ما أيسر ما رضي الناس منكم، كفُّوا ألسنتكم عنهم)[3].

وأما أمهات المؤمنين فنحن نحرّم سبّهن ونقول إنه لا بد من إكرامهن إكراماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أنقل بيتاً من قصيدة لأحد علمائنا المتوفى قبل مئة سنة واسمه السيد محمد باقر حجة الإسلام، يقول:

---

(١) كتاب الفتوح، لأحمد بن أعثم الكوفي، ج٢، ص٥٤٣.

(٢) نهج البلاغة: كتاب رقم ٦٢.

(٣) الكافي، ج٨، ص٣٤١، الحديث رقم (٥٣٧) حديث إسلام علي عليه السلام.

فيا حميرا[1] سبُّك محرمٌ لأجلِ عينٍ ألفُ عينٍ تكرمُ][2]

كان سماحته (قُدِّس سرّه) يحث دائماً على نبذ الخلاف وإظهار الاتفاق الذي يجمع الأمة، لأنها تشترك في أصولها العامة والثابتة، وكان يحذّر من الفرقة والسُباب المتبادل الذي لا يزيد الأمة إلا تفرّقاً، وحيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[3].

لا يستطيع أحد أن ينكر أن هؤلاء الصحابة كان لهم دور مهم إلا أنهم أخطئوا هنا وهناك، ولسنا نحن الناس مَن سيقاضيهم، بل مثلما أوكلَ أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ذلك إلى الله تعالى فيجب أن نوكل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى أيضاً.

في كتاب السيد الخوئي (قُدِّس سرّه) (البيان في تفسير القرآن) باب «دعوى وقوع التحريف من الخلفاء»:

يأتي لفقرة إبطال دعوى تحريف القرآن من قِبَل الشيخين[4] فيقول:

«أما دعوى وقوع التحريف من أبي بكر وعمر فيبطلها أنهما في هذا التحريف إما أن يكونا غير عامدين وإنما صدر عنهما من جهة عدم وصول القرآن إليهما بتمامه... إلى أن يقول السيد الخوئي (قُدِّس سرّه):

...وقد اهتموا بحفظ أشعار الجاهلية وخطبها، فكيف لا يهتمون بأمر الكتاب العزيز الذي عرّضوا أنفسهم للقتل في دعوته، وإعلان أحكامه،

---

(١) حميرا: أصلها حميراء، وفي اللغة العربية تعني:
أ ـ المرأة شديدة البياض وذلك لأن بياضها يختلط بحرة خفيفة في وجهها (لسان العرب: ج٤، ص٢١١).
ب ـ البيضاء: (النهاية في غريب الأثر، ج١، ص٤٣٨).
ج ـ موضع من نواحي المدينة، (معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٦).
د ـ تصغير حمراء أي البيضاء (تاج العروس ج١١، ص٧٣).
ويقصد بها عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله.

(٢) نقلاً عن جريدة «عكاظ» السعودية ٢٨ صفر ١٤٢٩هـ الموافق ٦/٣/٢٠٠٨م.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(٤) الشيخين هما: (أبو بكر وعمر).

وهجروا في سبيله أوطانهم، وبذلوا أموالهم، وأعرضوا عن نسائهم وأطفالهم، ووقفوا المواقف التي بيّضوا بها وجه التاريخ وهل يحتمل عاقل مع ذلك كله عدم اعتنائهم بالقرآن؟».

إن كان مراجعنا تقول ذلك فلماذا نحنُ العوام نمضي عكس ذلك...؟!

يقول الشاعر الإمامي الكميت بن زيد الأسدي (من ديوان الهاشميات)[1]:

أَهوى علياً أميرَ المؤمنين ولا ... ألومُ يوماً أبا بكرٍ ولا عمرَ
ولا أقولُ وإن لم يعطيا فدكاً ... بنتَ النبيّ ولا ميراثها كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان به ... يوم القيامة من عذرٍ إذا اعتذرا

يروى أن أحد أبناء السنة جاء إلى العلّامة السيد محسن الأمين (قُدِّس سرّه) طالباً منه أن يبدّل مذهبه من المذهب السني إلى المذهب الشيعي، فقال السيد الأمين (قُدِّس سرّه): قل لا إله إلا الله، فقال الرجل ذلك، فقال السيد الأمين (قُدِّس سرّه): قل محمد رسول الله، فقال الرجل ذلك، فقال له السيد الأمين (قُدِّس سرّه): لقد أصبحت شيعياً[2].

دلالة على أنه لا فرق بين السنّة والشيعة، لأن الأصل في الإسلام قول الشهادتين ليكون الإنسان مسلماً، وأنه لا فرق بين السنة والشيعة في الأساس لأن الأساس هو نطق الشهادتين.

لقد جسّد السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) الآية الكريمة التي تدعو إلى الوحدة وعدم التفرقة ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[3] حينما كان يصدح صوته الحنون الممتلىء إيماناً وتقوى في أرجاء المسجد والمعمورة بدعاء الوحدة برفع الأيادي مع بعضها البعض.

---

(١) الروضة المختارة (شرح القصائد الهاشميات) ص٨١، ٨٢.

(٢) نقلاً عن الدكتور «مصطفى السباعي» عبر شبكة (المجمع الإسلامي العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية) الألكترونية، ونقلاً عن مقال للكاتب عبد الحسين شعبان، تحت عنوان: (السيد فضل الله حضورٌ عند الرحيل) جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٢ الجمعة ٢٥شعبان، ١٤٣١هـ ٦آب (أغسطس) ٢٠١٠م.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

لقد كان سماحته (قده) المصداق الأجلى للوحدة الإسلامية قولاً، والمجسّد الواقعي لها عملاً، حيث كانت الوحدة الإسلامية همَّه المقيم في عقله وقلبه.

يقول سماحته (قُدِّس سرّه) أن من أبرز مشاكل المسلمين في ذهنيتهم الثقافية أن التربية العامة والخاصة تؤكد الشخصية المذهبية في انتماءاتها، قبل تأكيد الشخصية الإسلامية العامة، لذلك أكد سماحته (قُدِّس سرّه) من خلال حياته على عدة أمور في هذا المجال:

١ ـ أن الوحدة لا تعني التنازل كما يحاول البعض تفسيرها، وإنما هي اللقاء على القواعد المشتركة.

٢ ـ أن من حق كل منا أن يلتزم قناعاته طالما أنها مبنية على الحجج والبراهين، لكن المشكلة هي في طريقة تعاطينا مع هذا الاختلاف.

٣ ـ لا ينبغي أن يكون السُباب واللعن هو أسلوب التعبير عن الرفض أو وسيلة المواجهة في الصراع، لأنه لن يؤدي إلا إلى زيادة الأمور تعقيداً ما قد يفسح في المجال للمزيد من الخصومات والحروب.

٤ ـ يركّز سماحته (قُدِّس سرّه) على مرتكز ثابت لإدارة الخلاف، يكون أساسه الحجة والبرهان والقول بالتي هي أحسن، بعيداً عن الجو المشحون بالشك والاتهامات غير المسؤولة...

٥ ـ بعض المواقع المذهبية المتعصبة السنيّة تُلحق الشيعة بالمشركين والكافرين فلا ترى لهم حرمة في دم أو مال أو عرض، وتُفتي بحرمة الزواج منهم أو تزويجهم.

٦ ـ بعض القنوات المذهبية الشيعية المتعصّبة تقوم بلعن وشتم وسَب الصحابة اعتقاداً منهم أنه هكذا تكون محبة أهل البيت عليهم السلام وولاية أمير المؤمنين عليه السلام والدفاع عنهم.

إن مفردات السَب والشتم واللعن لم تكن ثقافة أمير المؤمنين عليه السلام بل ثقافة العاجز المهزوم الذي ليس لديه رصيد علمي أو عملي أو أخلاقي، فالدفاع عن المذهب يكون بالحوار والنقاش العلمي والأدبي والفكري.

٧ ـ علينا أن نجعل من الوحدة الإسلامية بمفهومها الصحيح هدفاً نسعى إليه ومشروعاً نعمل على نجاحه وتحقيقه، يقول الله تعالى في محكم آياته:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[1]

٤ ـ الوحدة الإنسانية:

في غمرة تخندق المذاهب والأديان والطوائف وتموضعها كلٌّ في اتجاه في متاريس الفكر المنغلق والتعصب الأعمى والفئوية الضيقة.

كان يرى سماحته (قُدِّس سرّه) أن الدين سبيل للوحدة الإنسانية وملتقى للمحبة الإلهية، وأن هدف الأديان الأساسي والسامي هو المحبة ونشر العدل بين الناس.

كان سماحته (قُدِّس سرّه) رجل الإنسانية الأول، استطاع أن ينتشل الدين من براثن الطائفية وإظهار الوجه الإنساني للدين بعد أن تحوّل على أيدي تجّار الأديان والآلهة إلى طالبي السلطة والمال والجاه، لقد حمل سماحته (قُدِّس سرّه) قضايا الإنسانية في قلبه ووجدانه، وكان لديه الجرأة الكافية لطرح مواقفه من القضايا الإنسانية.

فكان يعتبر أن الأديان تشترك وتتوحّد وتتكامل مع بعضها البعض في خط سيرها. أدرك منذ البداية أن الأديان هي حركة في حياة الإنسان، فعمل على إظهار البُعد الإنساني للدين وأنه لا بد من تقديم الإسلام كمشروع إنساني حضاري متكامل للعالم أجمع، وتقديم الدين أطروحة عالمية تتجاوز كل الطوائف والمذاهب والعصبيات والفئوية، فكان سماحته (قُدِّس سرّه) أكثر الناس انفتاحاً وعمقاً ورهافة وإنسانية، وترفّع بنضج نادر عن الانتماء الطائفي الضيّق فأصبح رجلاً للأمة كلها، بل إنه بتكوينه المعرفي الواسع تحوّل إلى قيمة إنسانية مطلقة حين استطاع وبنجاح أن يوفّق بين الدين والعصر. نراه مسكوناً بالوحدة، الوحدة التي تجمع الإنسان بما هو إنسان، إذ كان يسعى ليؤسس لعلاقة مشتركة وقوية بين الأديان المختلفة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

ومن عباراته التي انتشرت وأرسى مفاهيمها بين الناس «**دولة الإنسان قبل دولة الإسلام**»[1].

وبذلك حلّ مشكلة كبيرة أمام الإسلاميين، وهذا القول ركّز على أمرين:

١ ـ **أن الإسلام صورة للإنسان.**

٢ ـ **أن الإنسان صورة الإسلام.**

وظهر بشكل واضح أنه (قُدِّس سرّه) كان يمارس على الأمة الصدمة النقدية، ليحفّز فكرها ويجعلها قادرة على النقد من أجل التطوير.

كان سماحته (قُدِّس سرّه) داعية لتوحيد الأديان على مبدأين أساسيين هما: الإيمان والإنسان.

ونستذكر قول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حينما خاطب مالك الأشتر النخعي وهو عامله في مصر، موصياً إياه بالرعية قائلاً:

«**لا تكن عليهم (أي على الناس) سبعاً ضارياً لتأكلهم، فالناس صنفان: إما أخٌ لك في الدين (أي يدين بنفس ديانتك) أو نظيرٌ لك في الخلق (أي بشر مثلك) أيضاً**»[2].

نعم لقد اتسع مفهوم الوحدة عند سماحته (قُدِّس سرّه) لينفتح على غير المسلمين، فالوحدة في منظوره «**ليست وحدة عدوانية منغلقة تتعقّد من وجود غير المسلمين في الساحة التي تتحرك فيها**» بل هي وحدة منفتحة وعالية.

ولذلك لن تكون عملية التعايش أو التعاون أو التفاعل عملية يمكن أن تسقط أمام أي عاصفة سياسية أو أي حالٍ إقليمية أو دولية، لأنها تنطلق في العمق من وعي الرسالات.

لقد أسّس سماحته (قُدِّس سرّه) فكراً لبناء الذات الإنسانية من خلال جيل يؤمن بالقيم الإنسانية التي جاء بها الإسلام الحقيقي، وقد تجسّد ذلك في مقولته المشهورة (قُدِّس سرّه):

---

(١) كتاب الندوة، ج٥، إعداد عادل القاضي دار الملاك، ط٥ ـ لبنان ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، ص٥٥٨.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٥٣ من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لمّا ولاه مصر وأعمالها.

«إذا لم تستطيعوا أن تبنوا دولة إسلامية فاسعوا إلى بناء دولة إنسانية»[1].

أدرك سماحته (قده) أن قوة لبنان في وحدة أبنائه من شتى الطوائف، ووسط أجواء الغلو الطائفي الذي يجتاح المنطقة، كان أوعى وأبعد نظراً من كل أولئك الذين غرقوا في وحل الطائفية والمذهبية الضيقة بوعي منهم أو من دون وعي.

كان مفكراً عميق التحليل، فكان يقول (قُدِّس سرّه):

«تعالوا عقلاً بعقل وقلباً بقلب، تعالوا البلد جميل لنغرسه بالمحبة وأن تكون حركتنا في خط الجمال وصنع الجمال في الإنسان، فلبنان دُمِّر جسدياً وأخشى أن يُدمّر إنسانياً»[2].

يقول سماحته (قُدِّس سرّه): **«أنا إنساني في تفكيري، ألتقي مع الإنسان في كل مكان»[3].**

قاعدة تبدو هي المقدمة في كل مسارات الحب ولقاء الآخر فلِمَ كان ذلك؟ وكيف كان؟

يقول سماحته (قُدِّس سرّه):

(أنا إنساني، لأن الإنسان عقل وقلب وروح وإرادة وحركة، وبالعقل ننتج الفكر، وبالعقل ننتج العاطفة، وبالروح ننتج الإيمان، وبالإرادة والحركة ننتج الحياة.

لذلك فإنني أتصوّر أن هذه الإنسانية التي تتمثل فيها هذه المفردات، هي التي يعبّر عنها بكلمة «الفطرة» لجعل الإنسان ينفتح على الله، وينفتح على الحياة من خلال الله... ولهذا فإنني أعتقد أن الإنسان إذا فكر بإنسانيته، أو بفطرته، فإنه يلتقي بالحقيقة ويلتقي بالإنسان الآخر، ويملك أن يحاور الإنسان الآخر، وأن يتعاون معه.

---

(١) نقلاً عن جريدة المدى، محمد صادق جراد بتاريخ ٢٦/٧/٢٠١٠م، تحت اسم (فضل الله وبناء الدولة الإسلامية).

(٢) نقلاً عن «أخبار البلد» (بنت جبيل) بتاريخ ٢٥حزيران، ٢٠٠٠.

(٣) نقلاً عن جريدة «عكاظ» تحت إسم «مكاشفات رقم (٣). أجرى الحوار: عبد العزيز محمد قاسم بتاريخ ٢٨/٢/٢٠٠٨م.

لذلك فإن المشكلة في كثير من الناس أنهم يعيشون الركام الجاثم فوق الإنسانية، مما يجمعه الإنسان من أطماعه وأحقاده ومن الأمور الضيقة التي يعيش فيها.

مشكلتنا هي هذا الركام المتخلّف في أحجاره، وفي تعقيداته، الذي يطبق على الفكرة فيحجبها عن الانفتاح على الله وعلى الحقيقة.

لذلك، كنتُ أدعو إلى أن يعيش الإنسان إنسانيته، وأن يتخلّص من كل هذا الركام الذي يطبق على عقله ليجعله ضيقاً متخلفاً، ويطبق على قلبه ليجعله حاقداً، يطبق على روحه ليبتعد بها عن عالم السماوات، ويطبق على إرادته ليُضعفها، وعلى حركته ليؤطرها بإطار لا يتسع للإنسان وللحياة»[1].

ومن خطابه لأهل الكتاب (قُدِّس سرّه):

«إننا نلتقي بالله، لأننا لا نختلف معكم في الله الواحد، وإن كنا نختلف معكم في شخصية هذا الإله... وإنّنا نلتقي معكم في أن الإنسان في إنسانيته لا يمكن أن يكون ربًّا، لأنكم تعتبرون أن ربوبيّة عيسى عليه السلام هي من حيث تجسيد الربوبيّة فيه لا من حيث إنسانيته.

تعالوا لنلتقي على الكلمة السواء، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[2].

وإن ما نلتقي عليه في الواقع الحياتي الإنساني، فيما هي القيم الروحية والأخلاقية في الخطوط العامة للقيمة الدينية كثير»[3].

لقد امتلك سماحته (قُدِّس سرّه) إمكانية الالتفات نحو ذلك المخلوق الضعيف والرائع، الذي هو الإنسان، إليه التفت السيد (قُدِّس سرّه) وانتشله من

---

(١) نقلاً عن كتاب (أيها الأحبة ـ السيد محمد حسين فضل الله) ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، ط١، ص١٤، ١٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٢.

(٣) نقلاً عن كتاب (أيها الأحبة ـ السيد محمد حسين فضل الله) ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، ط١ ص٥٣.

تحت عجلات العقائد المغلوطة، ومن بين مسننات الإيديولوجيات الصمّاء، وفي هذا شيء من الفقه المقاصدي[1] الإنساني الذي لا ينفك يذكّرنا بمركزية الإنسان التي لا مساومة عليها، ولا شك في أن فتواه بشأن طهارة الإنسان المطلقة، هي من أبرز تجليات مركزية الجوهر الإنساني في إبداعه الفقهي.

وأعتقد أن هذه الفتوى تؤشر إلى أننا بصدد عالم إسلامي استثنائي استطاع أن يكتشف النفخة الإلهية الشظية التي استقرت في روح الإنسان منذ قرّر الله تعالى أن يكون هناك إنسان، مؤرخاً بالتالي لذهنية فقهية تملك أن تكون الخطوة الأولى نحو الوحدة الإنسانية المطلقة.

لقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) المرجع الإنسان...

صاحب التواصل الدائم مع الجميع، الذي أعطى للإنسانية عمقاً في المعنى وامتداد في الحياة... وحركة في الواقع... ورسائل المعرفة ونبض الوحدة الإنسانية...

٥ ـ الحوار:

عندما نأتي للحوار، نجد أن سماحته (قُدِّس سرّه) كان رائد الحوار في عصره قولاً وفعلاً، وكان رجل الحوار بامتياز، وقد مارس هذا الحوار بكل كفاءة وجدارة حيث ناقش الأسلوب القرآني الراقي في الحوار فأرسى أسساً مهمة للحوار وهي:

أولاً: أن يكون الحوار ذا فائدة وجادّاً ينتهي بالبحث عن الحقيقة أينما

---

(١) الفقه المقاصدي: هو ذلك الفقه الذي يبلور الأهداف والغايات الإنسانية من تشريع الأحكام، وبذلك هو ليس فقهاً مجرداً، بل هو فقه مُفَلْسَف إذا صح التعبير وهو بذلك لا يخرج عن مملكة تعليل الأحكام بصورة من الصور، ولم تكن فكرة التعليل الشرعي غريبة على الفكر الإسلامي المتصل بالفقه وشؤونه، فقد سبق وأن كتب الفقيه الشيعي الصدوق كتاب (علل الشرائع)، فمسألة تعليل الأحكام يخضع في كثير من الأحيان إلى الزمن ومستحقاته وإلى المكان وإفرازاته كما هو معلوم وإن تعليل الأحكام في الفقه المقاصدي ينبني على فكرة عميقة مؤداها أن الشريعة جاءت وأسّست لصالح الإنسان ومنافعه، ولم يكن اجتراحها لأغراض خارج هذه الدائرة الكبرى... (مقال للأستاذ غالب الشاهبندر ـ عبر شبكة «العراق الثقافية» الألكترونية تحت عنوان «الفقه المقاصدي».

كانت، فلطالما ردّد مقولته المشهورة «**الحقيقة بنت الحوار**»[1] فعندما تناول سماحته (قُدِّس سرّه) الحوار بين الأديان والجماعات، رأى أنه من الواجب إزالة العوائق التي تحول دون تحقيق هذا الحوار فعلياً وبالتحديد تلك العوامل الذاتية التي تشكّل المقدسات التي نرسمها في خاطرنا، وتمنع الحوار فيها أو التحدث بشؤونها لأننا في خوف من أن تهتز صورة هذه المقدسات، رغم أن الإنسان ورث في عقيدته الكثير من التفاصيل التي لا تمت إلى واقع الإيمان بصلة، ومن أجل هذا أطلق سماحته (قُدِّس سرّه) قاعدة أساسية وهي «**لا مقدسات في الحوار**»[2] وألا يتحول الحوار إلى حوار مع الذات (المونولوغ) ومن طرف واحد، فالحوار ليس من أجل الحوار أو الاستهلاك أو لتأكيد الذات وإنما لنصل إلى «الحق» وتنتصر «الحقيقة» الحقيقة الدينية حتى لو تلاقت في بعض جوانبها مع السلفية على سبيل المثال، أو الحقيقة الثقافية حتى لو تلاقت في بعض جوانبها مع الوهابية على سبيل المثال، أو الحقيقة الاجتماعية أو السياسية وغيرها، على قاعدة أرساها سماحته (قُدِّس سرّه):

«**رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب**»[3].

إن البعض ينصّب نفسه وكيلاً على الحقيقة ويجعل نفسه معياراً لها، فهو الذي يمتلك الحقيقة وهو معيارها، ومَن يختلف معه فهو ضال مُضِل ومنحرف ومخطىء...!؟

إن هذا النوع من الممارسة يخلق أجواءً متشنّجة بعيدة عن روح الحوار، ويجب علينا ألاّ نحبس أنفسنا في الحق النظري، بل ينبغي أن ننظر إلى نتائجه العملية وأثرها فينا، وهذا هو المنهج القرآني الذي سار عليه الأنبياء والأوصياء والأئمة عليهم السلام.

---

(١) كتاب الندوة، ج١، إعداد عادل القاضي ـ دار الملاك ط٥ ص٧، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م لبنان ونقلاً عن جريدة المدى ـ محمد صادق جارد، بتاريخ ٢٦/٧/ ٢٠١٠ تحت إسم (فضل الله وبناء الدولة الإسلامية).

(٢) كتاب الندوة ج١ ـ إعداد عادل القاضي ـ دار الملاك ط٥، ص٨. ونقلاً عن صحيفة «الزمن» الأسبوعية الكويتية العدد ١٩٩ ـ أجراه سعد محيو بتاريخ ٧ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٢ بيروت.

(٣) من كتاب (في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي) للعلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قده)، دار الملاك ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، ط٢، ص١٩.

ثانياً: لعل من أبرز ما دعا إليه سماحته (قُدِّس سرّه) في إدارة الحوار هو اتخاذ القرآن الكريم منهجاً للتقريب بين المختلفين، والسعي للوصول إلى منطقة «الكلمة السواء» التي تمثّل القواسم بين الفرد والآخر، سواء كان ذلك الآخر من مذهب مختلف في إطار الدين الواحد أو كان من دين مختلف في إطار الإنسانية.

فالحوار الموضوعي الهادىء البعيد عن التشنج، هو السبيل الأمثل للوصول إلى الحقيقة بين أبناء المذهب الواحد، وبينهم وبين أبناء المذاهب الأخرى، وبين المسلمين وغيرهم ممن يدينون بدين غير الدين الإسلامي، بل وبين الدينيين من أي دين كانوا، وبين اللادينيين مهما تعددت مشاربهم الفكرية.

لقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) يدعو إلى مراجعة حقيقية للعلاقة بين المسلمين، وفتح الحوار بين جميع المذاهب، وأن الأمة بحاجة كبيرة إلى تصحيح الأفكار الطارئة على الفكر الإسلامي ومنها مفردة التكفير التي أوجدها البعض في محاولة لضرب الوحدة الإسلامية، وتنفيذ أجندات سياسية تدعو إلى قتل المسلمين بعضهم بعضاً.

هذه الأجندات السياسية لهيئات مسيطرة على المؤسسة الدينية في بعض الدول هي التي تمنع الحوار بين رجال الدين من المذاهب المختلفة وتقف عائقاً أمام محاولات المخلصين في الحوار وتقريب وجهات النظر بين الأطراف المختلفة.

ثالثاً: أن يحكم الحوار روح المحبة والصفاء والإصغاء، فيقول سماحته (قُدِّس سرّه):

«عندما تريد أن تتحدث مع الآخرين، فكّر في الأسلوب الذي يفتح قلب الآخر عليك لا أن تجعله يتشنج منك وتتشنج منه»[1].

---

(١) مقتبسة من نص محاضرة ألقاها سماحته (قده) بعنوان: «هموم وقضايا الوحدة الإسلامية» يوم الإثنين ١٩ كانون أول، ١٩٨٣، الموافق ١٥ ربيع أول ١٤٠٤ هـ في الجامعة اللبنانية كلية الحقوق «الفرع الأول».

ويقول (قُدِّس سرّه) أيضاً:

«إننا نستطيع التحاور في كل شيء، وإذا استقام للمتحاورين أنهما لا يحملان معنًى عدوانياً، الواحد تجاه الآخر، فبإمكانهما أن ينطلقا من أجل الحوار في كل شيء»[1] ويقول (قُدِّس سرّه): **«يجب أن نتحاور بقلوب مفتوحة لا بقلوب مغلقة، الحوار المشحون بالكراهية والحقد والعداء يغلق القلوب والعقول وبهذا نكون قد ظلمنا الحقيقة...»**[2].

إن هذه القضية كانت ولا زالت مشكلة الإنسان منذ بدء الخليقة، حيث رأينا قابيل وهابيل في أزمة نشأت من عدم القدرة على قبول الأخ لأخيه، بسبب الحسد وحب الذات ونوازع الشر.

وعلى هذا النمط عاش الناس وتربّوا على هذه الآفة، لا يستطيعون النظر إلى الآخر إلا من خلال بُعد واحد يتصل بالذات أو (الأنا) ما جعلهم فيما بعد بسبب التنوع والتعدد والاختلاف على كل المستويات يذهبون متباعدين متقاتلين إلى الحروب والصراعات المدمِّرة التي أنتجت الكثير من الآلام والويلات فكان حب الذات وبغض الآخر تدميراً لهذه الذات بنفسها.

لقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) كثيراً ما يردد في هذا المجال:

«أُملكْ قلب الإنسان ينفتح لك عقله»[3].

لقد كنا نلمح ذلك من خلال اللقاءات التي يقوم بها الناس لزيارته، فالصدر الرحب والاستقبال الحنون والابتسامة المشرقة والعاطفة الأبوية... أغلى ما يقدّمه لهم، وهذا خيرُ مثال.

رابعاً: أن لا نلغي الآخر ونحن نحاوره... الآخر الإنساني، الآخر الديني، الآخر المذهبي، الآخر الثقافي، الآخر الاجتماعي، الآخر السياسي.

---

(١) الحوار مع الغرب... منطلقات وآفاق، محاضرة عالية: ١٠جمادي الأولى، ١٤٢٥هـ ـ الموافق في ٢٨ حزيران ـ يونيو، ٢٠٠٤م.

(٢) نقلاً عن جريدة (بيّنات) العدد ٣٨٠ الجمعة ١١ شعبان ١٤٣١هـ ـ ٢٣تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٥.

(٣) نقلاً عن شبكة «نصوص معاصرة، مركز البحوث المعاصرة ببيروت»، هاشم عبد المطلب الوزان ـ ١٤٣١هـ رجب.

إن سماحته (قُدِّس سرّه) يرى أن الحوار في أي عمل لن يكون مجدياً ما لم يعترف كل طرف فيه بقيمة الطرف الآخر، سواء اتفق مع أفكاره أو اختلف معها.

ثم تأكيده أن لكل مشارك في الحوار الحق المطلق في التعبير عن رأيه بحرية، مع مسؤوليته الأخلاقية عمّا يعرضه من رأي.

على أن هذه المسؤولية لا تبيح له الانتقال من نقد الفكرة إلى التجريح الشخصي وإسقاط الشخصية.

الحوار الإلغائي التسلُّطي عند سماحته (قده) مرفوض، وكان يستهدي دائماً بالنبيّ ﷺ في حواره مع المشركين، وهم يحملون كل الضلال، وهو (عليه الصلاة والسلام) يحمل كل الهدى كما جاء في القرآن الكريم:

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

فالفكر هنا يحاوره الفكر، لا ذاتٌ تحاور ذاتاً...

ومن خلال قراءة واسعة لجملةٍ من مؤلفاته، ككتاب (آفاق إسلامية) و(قضايا على ضوء الإسلام) وكتاب (الحركة الإسلامية هموم وقضايا) وغيرها... تراه يؤمن إيماناً راسخاً بالديموقراطية، ويرى في الحوار الحرّ السبيل الوحيد للتفاعل بين الناس في عقائدهم وتياراتهم ومشاربهم المختلفة.

خامساً: أن لا نتهم دوافع الآخر الذي نحاوره، فمن حق أي طرف في الحوار أن يحاسب الرأي الآخر، ومن حق أي طرف في الحوار أن يرفض الرأي الآخر ما دام الأمر خاضعاً للدليل والبرهان ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2].

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١١.

وليس من حق أي طرف أن يتهم دوافع الآخر وفق الظنون والشكوك والاحتمالات إلا إذا قامت الأدلة القاطعة بتأكيدها.

جاء في الحديث «**ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظننّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً**»[1].

سادساً: تأكيد نقاط الاتفاق أولاً، وهذا هو منهج القرآن، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2].

ما يلاحظ على الحوارات المتحركة في الساحة الدينية والمذهبية والثقافية والاجتماعية والسياسية، أنها حوارات تحاول دائماً أن تحرق الأرض المشتركة، وأن تنسف القواسم الموحّدة لتبدأ بنقاط التوتر والخلاف الحاد، فيتشنّج الحوار، وتتأجّج الانفعالات، وتشتعل العداوات، وعندها يفشل الحوار وتموت الحقيقة...

سابعاً: أن تكون لغة الحوار نظيفة، ليّنة، مرنة، شفافة...

وهذا ما أكدته نصوص القرآن الكريم:

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[3].

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[4].

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[5].

---

(١) الكافي ج٢، ص٣٦٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.
(٥) سورة فصّلت، الآية: ٣٤.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[2].

إذا اختلف البعض مع الآخرين فبدل أن يحمل إليهم روح التسامح والمحبة إلى الحوار العلمي، ترى بعضهم يُقصي الآخر قدر ما يستطيع، وأحياناً يكون ذلك باسم الله والدين.

يقول سماحته (قُدِّس سرّه):

«إن الخطورة تكمن في أن بعض مَن التزم الدين في حركة الواقع تأثر بأساليب حزبية وبطرائق عنفية ترفض الآخر على مستوى الدين نفسه، لا بل على مستوى المذهب نفسه»[3].

٦ ـ الدفاع عن الإسلام وقضاياه:

منذ أن بدأ مشواره في هذا الطريق، أواخر الأربعينات، كان سماحته (قده) يحمل هَمّ الدفاع عن الإسلام وقضايا المسلمين، وقد صنع أجيالاً من الدعاة الرساليين الذين حملوا هذا الهم الكبير...

فيقول سماحته (قُدِّس سرّه):

«إنني أعتز بكل هذا الجيل الذي شاركت في صنع فكره، وقمة الاعتزاز عندي في هذا الجيل المجاهد الحركي، سواء الجيل الذي انطلق في الحركة الإسلامية في العراق وامتدّ إلى أبعد منها، والجيل الذي انطلق في لبنان واستطاع أن يحرّر لبنان من الاحتلال، إنني أشعر بأني موجود في كل انفتاحة هذا الجيل الذي ينطلق سياسياً وثقافياً»[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة طه، الآيتان ٤٣، ٤٤.

(٣) في إفطار جمعية التعليم الديني بتاريخ ٢٤/٨/ ٢٠٠٩يوم الإثنين.

(٤) من كتاب (أيها الأحبّة ـ السيد محمد حسين فضل الله (قده)) ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، الطبعة الأولى ص٤٤.

كان سماحته (قده) يحب دائماً أن يكون شخصية إسلامية، فالإسلام بحسب ما يفهمه هو أن تنطلق من أصالة النص، لكنك تتحرك في الواقع وعلى الأرض.

ولطالما كرّر في كلماته وخطاباته وكتاباته «إنني داعية أدافع عن الإسلام وقضايا المسلمين»[1].

وما ادّخر شيئاً من قدراته وطاقاته وإمكاناته دون أن يستنفرها كحالة طوارىء دائمة في هذا الدرب الشائك الصعب، المزدحم بمشروعات التآمر ضد الإسلام والمسلمين، وضد قضايا الأمة، وتتسع آفاقه ليحتضن هموم الإنسان والإنسانية، وهموم الشعوبُ والبشرية.

فيقول (قُدّس سرّه): «ليس هناك مجالٌ للإنسان أن يعيش في موقع اللامبالاة أمام كل الثقافات التي تتحدّى الإسلام»[2].

كان (قده) همه وحديثه دائماً عن الإسلام وباسم الإسلام وعمله لأجل الإسلام، لا نرى الطائفية منهجاً في لسانه ولا الفئوية فكراً في تصرفاته، كان يتحرك للإسلام، ويسعى لكي يؤسلم العالم فكراً وعملاً بالمحبة والإنسانية والعمل الصالح الذي يعود على الأمة وعلى الإنسانية بالخير والبركة والصلاح.

نعم إن الإسلام هو ما يجب أن نتحدّث عنه وما يجب أن نطبّقه ليكون الفكر الخالد للأرض التي لا تطهر إلا بالإسلام الأصيل المنبثق من الوعي الصادق الذي يختزنه قلب سماحته (قده) وعقله، والذي لطالما كان يردّد (قُدّس سرّه):

«أنا موَكلٌ بالإسلام أتبعه»[3].

لقد كان سماحته (قُدّس سرّه) مناراً في الظلام الدامس الذي تعيشه الأمة الإسلامية، يحمل في قلبه آلام وآمال الأمة الإسلامية والإنسانية، لذا كان يردد لا دائماً:

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٠ الجمعة ١١ شعبان ١٤٣١ هـ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٤.

(٢) إحدى الكلمات لمناسبة وفاة الإمام جعفر الصادق عليه السلام ألقاها في مسجد الحسنين عليهما السلام حارة حريك، الضاحية الجنوبية، تحت عنوان «الإمام الصادق عليه السلام موسوعة معرفية ورسالية» بتاريخ ٢٠٠٤/٩/٢٦.

(٣) في حوار مع صحيفة «الوسط» بتاريخ ٣١ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٤ ـ بيروت ـ منصور الجمري.

«عيشوا للإسلام، وانفتحوا على الآخر على قاعدة الإسلام الحضاري المنفتح»[1].

٧ ـ استمرار الحراك الإسلامي الواعي في الأمة:

لقد كرّس حياته (قُدِّس سرّه) منذ الخمسينات من أجل صوغ حراكٍ إسلامي واعٍ في الأمة فيما يُعبّر عنه هذا الحراك من امتداداتٍ روحية وثقافية واجتماعية وسياسية وجهادية.

فكانت مؤلفاته وكتاباته وأفكاره ورؤاه منطلقات لبناء هذا الحراك الرسالي الواعي وإنتاجه واستمر بالمسيرة وبهذا الحراك رغم كل المخاضات الصعبة التي واجهت الإسلام والإسلاميين، ورغم كل التحديات القاسية التي حاصرت الدعاة والمجاهدين، ورغم كل الإشكالات التي لاحقت العمل والعاملين، ورغم كل الملاحقات والاعتقالات والتصفيات والإعدامات في العراق التي طالت السائرين في هذا الدرب.

وأكمل هذه المسيرة بعد ذلك في لبنان فكان مشروعه التأسيس لمستقبل الأمة وصيانتها، إن على المستوى الداخلي وهو يحتضن مواقع المجاهدين والمقاومين أو على المستوى الخارجي وهو يدعو إلى مجتمع إنساني إسلامي، محذراً من مشاريع الفتنة والفرقة والتشرذم، لا ينام على همومها كما ينام غيره، ولا يسهو عن مشاكلها إنما تكون حاضرة دائماً في قلبه وعقله، لا يلهيه شيء عن محنتها، أو قضاياها.

٨ ـ الاستكبار العالمي ـ الكيان الصهيوني والقضية الفلسطينية:

كان سماحة السيد (قُدِّس سرّه) مسكوناً بهَمّ القضايا الكبرى ومنشغلاً بهَمّ القضية الفلسطينية ومنحازاً للحق ضدّ الظلم، وللمستضعفين ضد المستكبرين. لقد شهر سيف مقارعة المحتلين الظالمين أينما كانوا وكيفما كانوا ومهما كانوا.

كان لسماحته (قُدِّس سرّه) الدور الريادي في وقفته التاريخية مع القضية

---

(١) نقلاً عن مقال لـ يحيى أبو زكريا بعنوان: (رحيل عملاق الفكر الإسلامي) جريدة بيّنات العدد ٣٨٠، ٢٣تموز (يوليو) ٢٠١٠م يوم الجمعة.

الفلسطينية العادلة، لقد كان فلسطينياً بقدر ما كان لبنانياً... كيف لا وهو ابن بلدة عيناثا الجنوبية والقريبة من أرض فلسطين، يشمُّ عبق رائحتها الزكية ويرى معاناتها أمام عينيه، وعذابات أهلها بين النار والبارود، نار الاحتلال وبارود المحتلين.

أطلق روح النضال والتحدي والكبرياء من لبنان لتثمر في فلسطين ولبنان وكل الشعوب المقهورة والمظلومة، لأن روحه كانت مع الجهاد والمقاومة... مع فلسطين ومع القدس...

إن الاستكبار العالمي والمتجسّد بأمريكا وإسرائيل يعمل وبجهد لتذويب القضية الفلسطينية وإدخالها في نفق مظلم لقضم ما تبقى من أرض فلسطين في الضفة الغربية وغزة، وإعطاء الحكومة الفلسطينية جرعات من المسكنات والمهدّئات باسم «دواء السلام» لتبدأ الحرب الواسعة النطاق على الأطراف الممانعة في المنطقة.

لقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) يدعو دائماً إلى تعبئة العالم العربي والإسلامي لإنتاج الموقف الموحّد والجامع لتأكيد المواجهة الشاملة للاحتلال الصهيوني، لأن فلسطين ليست فقط بلد في الحساب الجغرافي، بل هي بلدٌ عربي إسلامي في حسابات القضية الكبرى المقدّسة في الصراع ضد الصهيونية والاستكبار العالمي، ولا سيما الأمريكي الذي التزم الخطة الإسرائيلية في السيطرة على جميع أرض فلسطين بشكل مباشر وعلى المنطقة بشكل غير مباشر من خلال التحالف الصهيوأميركي الإستراتيجي، ومن خلفه دول الغرب، الذي يعمل على مصادرة كل الواقع العربي والإسلامي لاستعادة الاستعمار بشكل جديد ومختلف عن الاستعمار القديم.

لكن هذا الاستعمار الجديد أخطر من الاستعمار القديم، كونه مكوّناً من تكتل لمجموعة دول، لا استعمار لدولة مهيمنة على دولة أخرى مستضعفة.

لذلك كان يؤكد سماحته (قُدِّس سرّه) من خلال منبره في مسجد الحسنين عليهما السلام ومن خلال المؤتمرات واللقاءات والمحاضرات والكتابات على مواجهة خطر الاستكبار العالمي المتمثل بأمريكا وربيبتها إسرائيل.

سأله مراسل (واشنطن بوست):

إذا التقيت بالرئيس الأمريكي فبماذا تنصحه؟

فأجابه (قُدِّس سرّه): «أقول له: عندما تستيقظ من النوم أُنظر إلى تمثال الحرية حتى تعرف أننا نحب الحرية كما يحبها الشعب الأمريكي، فلا تضغط على حرية شعوب العالم»[1].

لقد وجّه سماحته (قُدِّس سرّه) اتجاه البوصلة إلى فلسطين، وكانت دائماً في قلبه وعقله، فبات في قلبها وعقلها، مدافعاً صلباً عن قضيتها، واعتبرها قضية الإسلام الأولى والمركزية.

لقد ظلت فلسطين ومعاناتها واحتلالها في وجدان سماحته (قده) وحياته حتى آخر لحظات حياته حين قال له أحد الممرضين: سيدنا ارتاح... فكان جوابه:

«لن أرتاح حتى تسقط إسرائيل»[2].

٩ ـ دعم الجمهورية الإسلامية الإيرانية:

يقول سماحته (قُدِّس سرّه):

«وُلدت الجمهورية الإسلامية الإيرانية من موقع الفكر الإسلامي الحركي الذي يدفع بالإسلام ليحكم الواقع من خلال قاعدته الفكرية، ومن خلال خطه التشريعي ومنهجه الحركي، ولما كنت من الذين يؤمنون بهذا الأفق الواسع للإسلام كقاعدة للفكر والعاطفة والحياة منذ أكثر من أربعين سنة، فإنه من الطبيعي أن ألتقي مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، قيادة وحركة ودولة باعتبار أنها حققت في هذا الموقع الفكر الذي كنا نطلقه منذ زمن بعيد.

وقبل أن تولد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ككل مفكر حركي إسلامي يتابع حركة الإسلام في العالم، ويدفع بطاقاته نحو تقوية مواقع هذه الحركات، لذلك التقيت بالجمهورية الإسلامية باعتبار أنها تلتقي مع الخط الذي انطلقنا فيه ودعونا إليه وسرنا عليه، ولا نزال نواجه الواقع من خلاله.

في ضوء ذلك فإننا نشعر بأننا نتكامل مع الجمهورية الإسلامية في هذا

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨١ الجمعة ١٨ شعبان ١٤٣١ هـ ٣٠تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٨.

(٢) نفس المصدر العدد ٣٧٩ الأحد ٤ شعبان ١٤٣١ هـ ١٥تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٩.

الخط، وهناك شخصية الإمام الخميني (قده) الذي يمثّل قمة القيادة السياسية والقيادة الحكيمة التي استطاعت أن تثور على الحكم الظالم، وأن تستنهض شعبها لإسقاط حكم الشاه.

وأخذت ثورة الإمام الحسين عليه السلام قدوةً ونهجاً، لذا نجحت الثورة الإيرانية وأعطت دروساً للعالم بأن لكل ظالم نهاية وأن الشعوب هي التي تمتلك زمام الأمور بالإرادة والصبر والمثابرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]»[2].

انتصرت الثورة الإسلامية في إيران وقامت الدولة، وكان خياره الانحياز إلى الثورة الإسلامية وإلى الدولة من موقع القناعة بضرورة أن ينتصر المستضعفون، وأن تقوم دولة العدل، ودافع بقوة وواجه كل الاصطفافات المضادّة، وكان بنفس الخندق مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

ولكن ما كان هذا ليعفيه من أن يمارس نقداً أو محاسبة فيما يختص التطبيق أو الممارسة ما دامت التجربة ليست تجربة معصومة.

ومن وصيته (قُدّس سرّه) إلى القيادة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية:

«إنني أقول لهم ـ إذا كنتُ في موقع الوصيّة لهم ـ أن عليهم أن ينفتحوا على الواقع الإسلامي كلّه، باعتبار أنهم يضعون أنفسهم في موقع القيادة للمسلمين، وهم يعلمون ـ ونحن نعلم ـ أن موقع القيادة للمسلمين لا بد أن ينظر إلى المسلمين بعينين مفتوحتين لا أن ينظر لهذا بعين تختلف عن العين التي ينظر بها إلى ذلك، أن تكون القيادة الإسلامية في موقع وعي السرّ النبوي والخط الإمامي»[3].

ومن بيان مرشد الجمهورية الإسلامية السيد علي الخامنئي برحيل سماحته (قُدّس سرّه):

«... لقد كان الراحل الرفيق المخلص والمقرّب من الجمهورية

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) العلاّمة فضل الله وتحدي الممنوع، تأليف الكاتب والصحفي علي حسن سرور، (١٤١٣هـ ١٩٩٢م) ط١، ص١٠٧.

(٣) من كتاب (أيها الأحبة، السيد محمد حسين فضل الله)، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م ط١ ص٤٦.

الإسلامية ونظامها، وكان وفياً لنهج الثورة الإسلامية وأثبت ذلك قولاً وعملاً على مدار الثلاثين سنة من عمر الجمهورية الإسلامية»[1].

دعا سماحته (قُدِّس سرّه) للجمهورية الإسلامية بطول البقاء والنجاح، لكنه رفض محاولة لاستنساخ الثورة في أي مكان آخر دونما حساب لمكونات المكان والزمان وخصوصيات الظروف والأوضاع والمتغيرات.

١٠ ـ حفظ المقاومة الإسلامية:

سيكتب التاريخ المعاصر وسيسجّل المستقبل القريب والبعيد أن العلّامة المجاهد السيد محمد حسين فضل الله كان مؤسساً وأحد الذين صنعوا بيئة المقاومة الإسلامية في لبنان رغم السعي الحثيث للبعض (القريب والبعيد) لطمس هذه الحقيقة والسعي لقلب الحقائق وتزوير التاريخ واستبعاده إعلامياً من ذلك...!

لقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) الأب الروحي لها والمرشد والحامي للمقاومة الإسلامية في أحلك الظروف والصعاب الداخلية والخارجية.

هذا الموقف والتبني كان له ضريبة كبيرة وهي أن وُضع اسمه ضمن قائمة الإرهاب السوداء الأميركية.

وكان لمواقفه في العام ١٩٨٢م الأثر البالغ في إطلاق المقاومة الإسلامية من شباب اقتدوا به واتخذوه إماماً في جماعاتهم في الصلاة فوجههم وأرشدهم لقتال المحتل الغاصب، وكم وكم أفتى للمجاهدين ليقوموا بعمليات بطولية واستشهادية، لدحر الصهاينة المحتلين.

لقد آمن سماحته (قُدِّس سرّه) أن للمحتل هوية واحدة وهي الظلم، فانطلقت المقاومة الإسلامية وكانت فتواه قاطعة:

«قاتلوهم بكل سلاح، والله لا بد ناصركم»[2].

---

(١) بيان مرشد الجمهورية الإسلامية السيد علي الخامنئي، صدر بمناسبة رحيل السيد محمد حسين فضل الله بتاريخ ٤/٧/ ٢٠١٠م.

(٢) نقلاً عن جريدة (بيّنات) العدد ٣٨٢ الجمعة ٢٥ شعبان ١٤٣١هـ ٦آب (أغسطس) ٢٠١٠م، بقلم العميد الدكتور أمين حطيط تحت عنوان (المرجع الثائر).

وتحققت تطلعاته بالنصر مرتين: مرة في العام ٢٠٠٠م باندحار العدو الصهيوني عن جنوب لبنان إلا مزارع شبعا، ومرة أُخرى في العام ٢٠٠٦م، فيما يسمى عملية الرضوان فأرسى سماحته (قُدِّس سرّه) قاعدة ذهبية «**مقاومة الشعوب تنتصر وتعوّض استسلام الأنظمة وعجزها عن التحرير**»[١].

إن ثبات المجاهدين ودماء الشهداء وصبر المؤمنين والقيادات الدينية الحكيمة المضحّية والمتفانية التي أسست لهذا النهج من السيد الإمام الخميني (قُدِّس سرّه) والسيد الخامنئي من بعده وحركة الإمام المغيَّب السيد موسى الصدر (أعاده الله) وإطلاق صرخته المشهورة «إسرائيل شرٌّ مطلق» إلى شيخ الشهداء العلّامة الشيخ راغب حرب (رحمه الله) وموقفه من المحتل الغاصب «الموقف سلاح والمصافحة اعتراف» إلى العالم الرباني سماحة السيد عباس الموسوي (رحمه الله) ووصيته الأساس «حفظ المقاومة الإسلامية» إلى سماحة السيد حسن نصر الله الأمين المؤتمَن على دماء الشهداء ونهج المقاومة، والمواقف الإستراتيجية للقيادات السياسية للرئيس حافظ الأسد، ومن بعده الرئيس الدكتور بشار الأسد والرئيس إميل لحُّود، والرئيس الأستاذ نبيه بري في حماية المقاومة وبلورة مشروع ممانعة في المنطقة على رأسه إيران الإسلام بقيادة الرئيس أحمدي نجاد والتحالف الإستراتيجي لقيادتَيْ حركة أمل وحزب الله أوصل المقاومة إلى هذا النصر المبين والعزة وانتصار الحق على الباطل ودحر الجيش الذي لا يُقهر.

يقول سماحته (قُدّس سرّه):

«إنني أشعر بأني موجود في كل حركة شهيد وفي كل انطلاقة مجاهد، إنني عندما أفارق الحياة أشعر بأنّي موجود في كلّ هذه الطلائع بنسبة معينة، ولا أدّعي أني أستقطب وجود هؤلاء، ولكن أشعر أني جزء من حركتهم الجهادية والسياسية والثقافية، وأرجو أن لا أكون قد أخطأت في فكرة غرستها هنا، وفي شعورٍ انفتحت فيه هناك»[٢].

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) من كتاب (أيها الأحبة السيد محمد حسين فضل الله) ص٤٤، الطبعة الأولى (١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م).

لقد كانت المقاومة تعيش في وجدان سماحته (قُدِّس سرّه) وحناياه، قلباً وقالباً، وكان ينظر إلى المجاهدين على أنهم مستقبل هذه الأمة.

لقد كان دائماً منحازاً إلى جانب المقاومة الإسلامية بمواقفه رغم المتغيرات الإقليمية والدولية والضغوط العالمية.

كان سماحته (قُدِّس سرّه) صوت الدفاع عن لبنان في مواجهة التهديدات المستمرة بالعدوان المتواصل وحملات التهويل والتخويف في وجه المقاومة الإسلامية التي أثبتت رشدها وجدارتها في الميدان والسياسة، ومنع كل الذين يحوكون المؤامرات من أجل الضغط عليها أو إرباكها.

كان سماحته (قُدِّس سرّه) يتنقل في البقاع وجبل عامل الأشم وفي رحابهما عندما كانت تتوفر له الظروف الأمنية، فكان حاضراً مع أهله في صمودهم وصبرهم وجهادهم وتضحياتهم، واعتزازه بهم وفخره بما قدّموا من أنموذج لكل العالم.

لقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) كالطّود الشامخ في مواجهة المنافقين والمعوّقين والمثبطين في عصرنا، وعنوانهم الاعتراف بالكيان الصهيوني.

كان يؤكد سماحته (قُدِّس سرّه) أن تأييده المطلق لحركة المقاومة منطلقها (المحبة) لأنها مقاومة انبنت على رفض اغتصاب الأرض والحياة.

إنها مقاومة لقهر الإرهاب، لأن الممائلة هي التي تعطي مسألة الحق مصداقية هنا وهناك...

وهذا ما بيّنه الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في موضوع الحق وطالبه، لا سيما حين ضُرب أمير المؤمنين، فالممائلة يجب أن تنطلق في الحق ومن أجل الحق (فالمحبة لا تعيش الازدواجية بين الفكرة والتطبيق)[1] فقد تُخلق المحبة من رحم الألم كما تُخلق من رحم السعادة.

إن روح سماحته (قده) ستبقى موجودة بين المجاهدين المخلصين، روحٌ ستطل على الذين لطالما احتضنهم بقلبه الكبير الكبير فلم يشعروا معه بغربة...

---

(١) نقلاً عن جريدة (بيّنات) العدد ٣٨١ الجمعة ١٨ شعبان ١٤٣١هـ ٣٠ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٨. مقال للعلامة الشيخ حسين المصطفى تحت عنوان «القلب الذي لم يعرف إلا الحب».

يقول سماحة الشيخ علي حسن غلوم[1]:

«روحٌ تتطلع إلى سلاح المقاومين، وأزيز رصاصاتهم وهي تمزّق صدور الصهاينة الذين أرادوا أن يحطموا كبرياء جبل الصمود والشهداء.. جبل عامل.. وضاحية البطولة والفداء.. فرجعوا صاغرين يجبِّن بعضُهم بعضاً.. ويلعنُ آخرُهم أوّلهم...

روحٌ بَنَت أجيال الإباء.. وعلّمتها كيف تقول (لا) للمحتلين.. و(لا) للمستكبرين.. و(لا) للظالمين.. و(لا) للمعتدين.. فنهَلَت من مدرسته معالمَ ثورة أبي الأحرار.. وانطلقت في ميادين الصراع تحطم الأصنام.. وتحقق الانتصارات.. وتقدّم القرابين.. إنها الروح التي عشِقَت وَقْعَ أقدام المقاومين الراسخة في الدفاع عن الكرامة والعزة والشرف.. روحٌ حسينية شحذت هممهم وقوّت عزائمهم...

إن جهادكم سوف يصنع للعرب والمسلمين والمستضعفين المستقبل الجديد..»[2].

لقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) على قناعة تامة أن المقاومة المسلحة هي السبيل الوحيد والمثالي لمقارعة عدو لا يفهم إلّا لغة القوة.

لقد أحبّ سماحته (قُدِّس سرّه) هذه المقاومة، لذا كان وفياً لها حتى آخر لحظات حياته، وكان دائماً يسعى لحماية المقاومة، وقد سأله سماحة الشيخ محمد يزبك[3] في الثمانينات عن أنه لدينا أموال للأيتام ونحن محتاجون لها للمجاهدين، فما هو رأيكم؟ فما كان من سماحته (قده) إلّا أن قال:

«وهل هناك أيتامٌ أعظم من مجاهدي المقاومة الإسلامية؟» (دلالة على إعطاء الإجازة الشرعية لذلك).

---

(١) رجل دين كويتي، إمام جمعة وجماعة في مسجد سيد هاشم بهبهاني في الكويت، كاتب ومؤلف لعدة كتب، تخصص أدب إنجليزي وعدة شهادات في مجال الحاسب الآلي ـ داعية إسلامي.

(٢) مقتبسة من كلمة للشيخ علي حسن غلوم من جريدة بيّنات العدد ٣٧٨، الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١هـ ـ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص١٥.

(٣) رئيس الهيئة الشرعية في حزب الله (نقلاً عن تلفزيون المنار بمقابلة مع الشيخ محمد يزبك معلقاً بمناسبة رحيل السيد فضل الله (قده) بتاريخ ٤/ ٧/ ٢٠١٠).

لقد حفظ سماحته (قده) خط المقاومة حتى اشتد عضُدها وأصبحت فخراً للأمة الإسلامية والعربية ولكل الأحرار والمستضعفين والمقهورين في العالم.

ومن بيان سماحة السيد حسن نصر الله في نعي سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه):

«لقد فقدنا اليوم أباً رحيماً ومرشداً حكيماً وكهفاً حصيناً وسنداً قوياً في كل المراحل، هكذا كان لنا سماحته ولكل هذا الجيل المؤمن والمجاهد والمقاوم...»[1].

١١ ـ محاربة الغلو والخرافة:

كان السيد فضل الله (قده) يواجه دائماً بكل عزم وإرادة وصرامة موضوع الغلو والخرافة، وتكاد لا تخلو محاضره من التنبيه وتسليط الضوء عليها.

وكان دائماً ما يتحدّث عما جاء من روايات عن أهل البيت عليهم السلام تناقض طروحات الغلو والخرافة، ويشرحها لنا.

ومما جاء في إحدى محاضراته مع شرحه لها[2]:

«جاء عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام قال:

يا معشر الشيعة كونوا النمرقة الوسطى (هي عبارة عن الوسادة الصغيرة التي يجلس عليها الإنسان بارتياح فلا هي عالية ولا هي منخفضة) **يرجع إليكم الغالي** (الذي يصل إلى درجة الغلو بأن يجد فيكم خط الاعتدال) **ويلحق بكم التالي.**

فقال له رجل من الأنصار يقال له سعد: جُعلتُ فداك مَن الغالي؟

قال عليه السلام: قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا ونحن المخلوقون، يرفعونا إلى درجة تقترب من درجة الله، فليس أولئك منّا ولسنا منهم.

---

(١) نقلاً عن البيان الصادر عن سماحة السيد حسن نصر الله بتاريخ ٢١ رجب ١٤٣١هـ الموافق ٤ تموز ٢٠١٠م.

(٢) نقلاً عن إحدى المحاضرات في مسجد الحسنين عليهما السلام ـ حارة حريك ـ الضاحية الجنوبية وهي مؤرشفة لدينا. وقد بثت على إذاعة البشائر بتاريخ ١٠/٩/٢٠١٠م.

ثم قال عليه السلام: والله ما معنا من الله براءة، ولا بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجة (الحجة لله علينا) ولا نتقرّب إلى الله إلا بالطاعة، فمَن كان مطيعاً لله تنفعه ولايتنا، ومَن كان عاصياً لله لن تنفعه ولايتنا.. وَيْحَكُم لا تغترُّوا...»[1]

(القضية مع الله لا يوجد فيها مزاح) لأن الله يقول:

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2].

كان سماحته (قُدِّس سرّه) دائماً ينبّه لما يقع به الناس من غلو ومن ذلك كيفية الدعاء وطلب الحاجة، ومما قاله:

(كنا نؤكد دائماً أن لا نطلب حاجتنا إلا من الله، لأن الله هو ولي كل حاجة وكل نعمة، وصاحب كل حسنة، ولا يجوز أن نقول يا محمد اقضِ لي حاجتي، أو يا علي اشفيني، أو يا حسين ارزقني...!! كلهم عباد الله وهم يسألون الله قضاء حاجاتهم، ولذلك نحن لا نوافق ما هو مشهور في دعاء «الفرج»:

«يا علي يا محمد، يا محمد يا علي، إكفياني فإنكما كافيان، وانصراني فإنكما ناصران».

إن الله وحده هو الكافي...!!

ونحن ماذا نقول في الدعاء «يا كافياً من كل شيء، ولا يكفي منه شيء».

الله وحده هو الكافي، ليس النبي صلى الله عليه وآله هو الكافي، ولا الإمام علي عليه السلام هو الكافي، لأن الله هو الذي يملك الأمرَ كله، وهو الذي يملك حوائج السائلين ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[3] ومعناه ألاّ تدعوا غير الله لطلب الحاجة.

الله فقط، لا نبي ولا ولي، وبدون واسطة، هذا هو معنى التوحيد الخالص لله.

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٠، ص١٠١.
(٢) سورة التوبة: الآية: ١٠٥.
(٣) سورة الجن: الآية: ١٨.

وهناك بعض الناس الذين يحاولون أن يطلبوا حاجاتهم من الأنبياء أو من الأئمة، ومن السيدة زينب ومن أم البنين ومن أبي الفضل العباس وغيرهم...!!

إن هذا كله منافٍ للإخلاص في التوحيد لله (ﷻ).

وهناك بعض الناس أصحاب العقول الضيقة يستمعون لبعض رجال الدين فيقولون لهم: أنتم لا يوجد عندكم قابلية أن تتكلموا مع الله مباشرة، لذا يجب أن تطلبوا من الأئمة والأئمة تطلب لكم من الله...!!!

الله ﷻ يقول: ﴿...ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1] بلا واسطة.

ويقول ﷻ أيضاً: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾[2].

نعم هنالك شفاعة، أُذِنَ للنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام أن يكونوا شفعاء لنا إذا كنا مذنبين، أو نتوسل إلى الله أن يكرم نبيه ﷺ أو الإمام عليه السلام في قضاء حاجة المؤمنين)[3].

لطالما كان سماحته (قُدِّس سرّه) يرفض التطرف والغلو والتزمت والتدين الشكلي والتكفير، ودعا إلى تحرير عقول الناس ونفوسهم ومجتمعاتهم من التخلُّف والتأخر والخرافة وضيق الأفق والغلو.

لقد تعوّد بعض معمّمي المذهب وخطبائه المغالين والمتعصبين أصحاب التمذهب والنعرات على غرز العقائد المغلوطة والشاذة في قلوب الأتباع بالطرق العاطفية والملتوية بحجة محبة أهل البيت عليهم السلام وظلامتهم، فلا يشعر الأتباع بها إلا وقد أصبحت معتقداً يُدافعون عنه بكل جوارحهم ويتعصبون له ويتأولون له قدر ما يستطيعون.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٣) نقلاً عن إحدى المقابلات في مسجد الحسنين عليهما السلام حارة حريك ـ الضاحية الجنوبية، وهي مؤرشفة لدينا وقد بثت على إذاعة البشائر بتاريخ ٢٠١٠/٩/١٠.

لذلك... اجتمعت عليه قوى الغلو والخرافة والتخلف، وشنّت عليه حرباً ضارية، فنظمت الحملات التشويهية لموقع ومكانة سماحته (قُدِّس سرّه) انطلاقاً من سياسة الحشد أو تجييش العصبيات.

إلا أن كل هذه المحاولات باءت بالفشل، وعلى العكس ساهمت في نقل آراء سماحته (قُدِّس سرّه) إلى الضفة الأخرى مما ساهم في توضيح رأيه وفكره، فرأينا الكثير الكثير قد رجعوا عن غيِّهم ورأيهم وذهبوا إلى سماحة السيد (قُدِّس سرّه) لطلب المسامحة منه.

ورغم تلك الحملات التشويهية التي انشغل بها بعض المعمّمين من أصحاب مدرسة الغلو والخرافة، إلا أن مسيرة ومسار سماحته (قُدِّس سرّه) كان في الصعود، وبقي سماحته (قُدِّس سرّه) كالطود الشامخ لا تهزه العواصف والرياح القادمة من العصبيات المذهبية.

وقد يخطر في البال، أن شخصية سماحته (قُدِّس سرّه) كانت من النوع المسالم المهادن...؟

نعم قد تكون كذلك إلا أن سيرته وحركته في هذا الصراع تُرينا شخصاً مقاتلاً صدامياً في سبيل الحق لا يستسلم ولا يلين، صاحب عزم وإرادة، وهذه صفات جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والإمام الحسين بن علي عليه السلام عندما رفع شعار التحدي والصمود وصرخة «هيهات منّا الذلة» وهذا ما حدث، بقي سماحته (قُدِّس سرّه) لآخر نفَس في حياته وهو يقاوم جهلهم وتخلُّفهم ويسعى بكل قوة وإيمان لأن يفتح عقول الناس على الحقيقة ويبعدهم عن العصبية والغلو والخرافة...

لقد كانت صرخة سماحته (قُدِّس سرّه) الأخيرة:

«لن أهادن المتخلفين، ولن أجامل التكفيريين وسأرفض بشدة تطرف الغلاة الجاهلين»[1].

---

(١) إحدى محاضرات سماحته (قُدِّس سرّه) في مسجد الحسنين عليهما السلام حارة حريك ـ الضاحية الجنوبية، وهي مؤرشفة لدينا صوتاً.

الفصل الرابع

الخصائص والصفات التي ميّزت سماحة السيد فضل الله (قدّس سرّه) ومشروعه النهضوي للأمة

١ ـ الجرأة والشجاعة

٢ ـ العالم العامل والعقل المؤسساتي

٣ ـ الوسطية والانفتاح

٤ ـ الحداثة والتجديد

٥ ـ الحب والأبوة

٦ ـ الإبداع العقلي والاهتمام بالناس

٧ ـ سياسي من الطراز الأول

٨ ـ الصدق والإخلاص

٩ ـ شاعر فذ وأديب مرهف

١٠ ـ سلطة العقل

١١ ـ المرجعية الحرة والشاملة

مشروعه النهضوي للأمة

الفصل الرابع

الخصائص والصفات التي تميّز بها سماحته (قُدِّس سرّه)

إن لشخصية سماحة السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) خصائص وصفات ميزته وأعطته أبعاداً فريدة ونوعية، كانت سر نجاحه، وشكّلت مدخلاً لتألقه في الزمن الصعب، زمن العتمة والظلام، ومنها:

١ ـ الجرأة والشجاعة:

لقد ملك سماحته (قُدِّس سرّه) الجرأة ليخرج من الموروث الديني والثقافي إلى الفكر الحركي المجدِّد في الإسلام، دون أن يتخلى عن الأسس.

تميّز سماحته (قُدِّس سرّه) بجرأته على مراجعة الكثير من الثوابت التي تحدّ من حريات المسلمين وقدرتهم على التأقلم مع عناصر الحياة فلقد بحث في الواقع النفسي والسياسي والإنساني الذي يتحكم بمواقف الأفراد وسلوكيّاتهم، ما جعل اجتهاده رحيماً ومسهِّلاً للحياة.

تميّز (قُدِّس سرّه) في طرح آرائه وأطروحاته الفقهية بانفتاح كبير على التطور العلمي وعلى تفسير الإسلام بما ينسجم مع روح العصر، ما ساهم في توليد طاقة ديناميكية أعطته قدرة على اختراق الكثير من المُسَلَّمات التي ترسخت في أذهان العامّة بفعل تكرار العادة وتوارثها من جيل إلى آخر.

الاعتراف بالاختلاف لا إنكاره شكّل عند سماحته (قده) خطوة حاسمة للبدء في إعادة قراءة التاريخ والحفر في رواياته وحكاياته بقصد تصحيح مقولات منقولة شفهياً أو ضعيفة السند، ولا دليل يؤكد صحتها، أو بعض الروايات التي تخالف

القرآن الكريم وتناقض آياته، ولا دليل يؤكد صحتها في المراجع الموثوقة أوأمهات الكتب.

إن إعادة تصحيح وغربلة المنقولات التاريخية احتاج إلى جرأة كبيرة من سماحته (قده) لأنه يدرك بأن عاصفة قوية من المتعصبين ستشن عليه معارك قاسية إلا أنه مضى في ذلك، وتلك إحدى الخصائص التي تميّز بها سماحته (قده).

في نظريته لدراسة التاريخ من كل جوانبه وخاصة التاريخ الإسلامي يقول سماحته (قُدّس سرّه):

«ليست هناك نظرية خاصة ولكن الشيء الأساسي هو أن التاريخ تراث وعلينا أن نوّثق التاريخ بحيث عندما تُنقل لنا قضية نسأل عن الذي نقلها؟ هل الناقل موثوق؟ أم أنه ليس ثقة؟ وحتى لو كان الناقل موثوقاً فهل مضمون الرواية يتنافى مع العقل ومع طبيعة الظروف الموضوعية التي نعرضها في ذلك الوقت؟ علينا أن نحاكم التاريخ من خلال المتن كما كانوا يقولون: «توثيق الصدور من خلال المضمون»، فعندما تنقل قصة نناقشها، هل هذه معقولة، أم غير معقولة؟ تتناسب مع العقل أم لا تتناسب؟ وهكذا علينا أن ندرس التاريخ كما ندرس أي مادة قابلة للخطأ أو الصواب، وأن لا ندخل في قداسة التاريخ فالتاريخ ليس مقدّساً، ففيه الشريرون والخيّرون، وفيه الكاذبون والصادقون، كما عندنا خيّرون وشريرون وكاذبون وصادقون.

فالمقدس هو القرآن فقط والنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام وما عدا ذلك فلا قداسة له إلا إذا التقى بشكل قطعي أو موثوق بالحقيقة المقدسة»[1].

إن مقدرة سماحته (قُدّس سرّه) وإلمامه باللغة العربية وتضلّعه فيها وتعمقه بالتاريخ، والفكر الإنساني والفلسفي والنفسي أغنى اجتهاده كل ذلك ساعده على التوصل إلى فتاوى كان قد توصل إليها غيره من المراجع إلا أنهم لم يكونوا يملكون الجرأة للإفتاء بها تجنباً لمخالفة المشهور، وخوفاً من ردة فعل المجتمع الشيعي.

ومن هذه الفتاوى «أن الغروب يتحقق عند ذهاب الحمرة المشرقية عند

---

(١) نقلاً عن كتاب: (الندوة ج١) ـ إعداد عادل القاضي، ط٥ ـ دار الملاك، بيروت حارة حريك، ص٣٩٠.

المسلمين الشيعة إلا أن سماحته (قُدِّس سرّه) أفتى بأن سقوط قرص الشمس كافٍ لتحقق الغروب لذا يجوز لنا أن نفطر ونصلي (سنّة وشيعة) في وقتٍ واحد عند سقوط قرص الشمس»[1].

قال رسول الله ﷺ: «**إذا ظهرت البدعة في أُمتي فلينظر العالم علمه فإن لم يفعل فعليه لعنة الله**»[2]، وخير مثال على ذلك الفقيه العلّامة السيد محسن الأمين (قُدِّس سرّه) وجرأته في اعتراض البدع ومحاربة الخرافات وتبنّيه لمشروع إصلاحي لتنقية المذهب من الشوائب التي علقت به.

إن الفتوى عند سماحته (قُدِّس سرّه) لم تكن نتاج تراكم الماضي، بل هي مزيجٌ ديناميّ يولّد قوة طاقة تتناسب مع وقائع العصر ومجرى التاريخ الذي يتقدّم دائماً ويتطور من دون انقطاع، وهذا هو بالضبط دور الفقيه الفيلسوف، وإلا ماذا يعني المرجع إذا لم يكن عنده القدرة والشجاعة والجرأة والانتباه للمتغيرات والتحولات القريبة والبعيدة عنه، حتى يستطيع أن يفتي ويقرأ المستقبل بناءً على الحاضر وتأسيساً على الماضي لعصرنة الفتوى وتقديمها للناس.

يقول سماحته (قده) في أحد الحوارات في موضوع الجرأة في الفتوى:

«أنا لا أنظر إلى مسألة أن يقبل المجتمع الفتوى أو لا يقبلها، المسألة المنفتحة على الخطوط الاجتهادية العلمية لا بد من أن تدرس موضوعياً في العناصر التي يمكن الإنسان أن يكتشف فيها ما يراه حقيقة، لذلك ليست لديّ أية مشكلة في الفتوى حتى تلك التي قد تكون مخالفة للمشهور من الفقهاء، أنا كنت أول فقيه أُفتي بطهارة كل إنسان، بينما كان الرأي الفقهي عند الكثير من علماء الشيعة هو الحكم بنجاسة الكفار وقد حصل هناك بعض التطور فأصبح البعض يُفتي بطهارة أهل الكتاب»[3].

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٥ الجمعة ١٧ رمضان ١٤٣١هـ ٢٧آب (أغسطس) ٢٠١٠م ص٥. مقابلة قبل عام من رحيل سماحته (قده) أجرته صحيفة الأخبار في شهر رمضان المبارك.

(٢) بحار الأنوار، ج٢، ص٧٢.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٤.

إن الاجتهاد العام للمذهب لدينا مبني على عدم اعتبار الإجماع كاشفاً عن الحكم الشرعي ما لم يكن مفيداً للعلم به، فلو كان مدركياً أو محتمل المدركية مما يخضع لاختلاف الأنظار والآراء بما يخالفه لو كان للفقيه قناعة بوجهة نظر أخرى.

نعم تبدو المشكلة في الاستيحاش من المخالفة، أو عدم الجرأة العلمية على الإفتاء وفق القناعة، مما قد يُدخل الفكر الاجتهادي في نمط تبريري لما هو قائم، وتشكيكي لطبيعة النظر الفقهي، مما قد يساهم في شلل الإبداع الاجتهادي المستند إلى قواعد الحجيّة حسب ما هو مقرر في علم أصول الفقه وغيره.

ومن الواضح أن لسماحة السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) تميزه على هذا الصعيد، لأن ديدنه كان الإفتاء بما ينتهي إليه نظره الاجتهادي في الأدلة المعتبرة على هذه المسألة أو تلك مما جعله مثاراً للجدل الذي أخذ أحياناً بأساليب حادة بعيدة كل البُعد عن المنهج العلمي في الحوار والجدال، وهو منهج الذي يعتمد المناقشة الدليلية فيما يتبناه الفقيه من أدلة على رأيه.

ومما هو واضح للمتتبع أن الجرأة العلمية التي تمتع بها سماحته (قده) قد أمّنت الجو العلمي لغيره من العلماء لمتابعة هذه الجرأة، فبعض المراجع عندما اطلعوا على بعض فتاواه أقرُّوها لأنهم اقتنعوا بها، فشهدنا إفتاء بعض الفقهاء بحرمة سَب الصحابة وأمهات المؤمنين بعد ما مضى عقدان من الزمن على إطلاق سماحة السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) لفتاواه بذلك، ومن هؤلاء المراجع سماحة آية الله السيد علي الخامنئي.

إن فتاوى سماحته (قُدِّس سرّه) كانت سابقة لعصرها ومتقدِّمة عن غيرها من فتاوى المراجع، وهذه من خصائصه أيضاً، ولقد شهدنا كيف أثّر اعتماد سماحته (قُدِّس سرّه) على علمَيْ الفلك والأرصاد للإفتاء ببداية الشهور القمرية، ليس في المجال الفقهي الإسلامي الشيعي فحسب وإنما في المجال الفقهي الإسلامي السنّي حيث أخذ بها بعض علمائهم أيضاً.

يقول سماحته (قُدِّس سرّه) بما يختص هذا الموضوع:

«هناك حديث يرويه المسلمون جميعاً عن النبي محمد ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» أكثر المجتهدين من السنّة والشيعة يعدُّون الرؤية هي الأساس.

وهناك بعض الناس الذين يشترطون الرؤية في المنطقة التي يعيشون فيها كمسلمين، وهناك مَن يكتفي بثبوت الهلال عندنا، أما رأينا نحنُ فهو أن مسألة الشهر هي من المسائل المربوطة بالنظام الكوني للزمن ولا علاقة لها بمسألة أن يراه شخص أو لا يراه، والرؤية الواردة في الحديث النبوي الشريف هي وسيلة من وسائل المعرفة.

أنا كنت أتحدث مع بعض الناس بطريقة شعبية، سألت: لو قال لك شخص: إذا رأيت فلاناً فأخبرني، لكنك لم تره بل اتصل بك بالتليفون بحيث عرفت وجوده في البلد، ألا تخبره؟ لا بد من أن تخبره، لأنك تفهم من مسألة إذا رأيته، أي إذا عرفت بوجوده، فالرؤية ليس لها موضوعية في ثبوت الهلال، بل هي مجرد وسيلة من وسائل المعرفة.

ونحن نلاحظ أن الحسابات الفلكية هي أدق من الرؤية، لأن الفضاء ملوّث في هذه الأيام، فمن الصعب جداً أن تحصل رؤية صافية، من جهة ثانية عندما ندرس حركة الأشهر القمرية نلاحظ مثلاً أنه ليست هناك حواجز بين شهرٍ وشهر من الناحية المادية، لكن المسألة هي أنه إذا دخل القمر في المحاق انتهى الشهر السابق، وإذا خرج من المحاق، وهو ما يُعبّر عنه بالولادة، فهو الشهر الجديد، لذلك فإن المسألة خاضعة للنظام الكوني لا للرؤية، لأن الله خلق نظام الأشهر قبل أن يخلق العيون، قبل وجود الناس، لذلك أكدنا في اجتهاداتنا، الحسابات الفلكية الدقيقة، وقلنا أنه إذا كان هناك إمكانية لرؤية الهلال في منطقة من العالم الذي نلتقي معه في جزء من الليل يثبت عندنا»[1].

---

(١) من آخر حوار رمضاني أجرته صحيفة الأخبار قبل عام من رحيل سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه)، نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٥ الجمعة ١٧ رمضان ١٤٣١هـ ٢٧آب (أغسطس) ٢٠١٠م ص٤.

يقول الدكتور نجيب نور الدين[1]:

«لقد تميّز سماحته (قُدِّس سرّه) بجرأته في مراجعة الكثير من الثوابت التي كادت تتحوّل إلى مقدّسات وهي نتاج اجتهادات مجتهدين يصيبون ويخطئون، وكان دائم القول: إن هؤلاء السابقين من العلماء قد اجتهدوا لواقعهم الذي عاشوا فيه، حيث استخدموا ما توافر لديهم من العلوم والمعارف واستفادوا منها في إنتاج آرائهم الفقهية والعقائدية والفكرية ونحن يجب ألاّ نتجمّد أمام ما توصّلوا إليه، بل يجب تجاوز ذلك أو تطويره، لأن ذلك هو سنّة التطور في الحياة، وسبيل ليكون الاجتهاد الديني مواكباً للعصر، لا يتجمّد عند اجتهاد باعتباره مقدساً وهو في حقيقة الأمر غير مقدّس»[2].

إن القدرة على التحمُّل عند سماحته (قُدِّس سرّه) المضافة إلى الشجاعة والجرأة في كسر أنماط من السلوكيات، المعطوفة على الأخذ بالعلوم الحديثة والطبية، والاكتشافات والاختراعات المعاصرة، والتطور، شكّلت في مجموعها أدوات تحليل تساعد على الحفر في الوقائع والاجتهاد في النص حتى تستطيع الفتوى أن تردّ على الأسئلة وتحدي العصر.

فهو لم يكن ليخجل بالرجوع إلى أصحاب الاختصاص في المسائل التي يختصون بها كما المسائل الطبية، كأسئلته الموجهة إلى الدكتور عدنان مروة، (عميد كلية الطب في الجامعة الأميركية في بيروت) والدكتور كرم كرم (رئيس قسم الجراحة النسائية في الجامعة الأميركية في بيروت، ورئيس جمعية الجراحة النسائية في لبنان) رداً على تساؤل حول ما تفرزه المرأة إثر اللقاء الجنسي مع الرجل[3].

إن التطور الفكري الاجتهادي الفقهي لسماحته (قُدِّس سرّه) فسح المجال لانفتاح أفضل في الفتوى، فتوصل إلى فتاوى ودراسات أنصفت المرأة وساوتها مع الرجل وعمّقت من حقوقها، جعله نموذجاً لحضارة الإسلام فأفتى بحرمة

---

(١) دكتوراه في علم الاجتماع ـ مدير مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر للدراسات والبحوث.

(٢) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٩ الأحد ٤ شعبان ١٤٣١هـ ١٥ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٨. مقال للدكتور نجيب نو الدين تحت عنوان (الفقيه الذي أحدث انقلاباً في مفهوم المرجعية).

(٣) كتاب (فقه الحياة) حوار مع سماحة العلاّمة المرجع السيد محمد حسين فضل الله أجراه أحمد أحمد وعادل القاضي ـ مؤسسة العارف للمطبوعات ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م ط٥ حزيران ص٢٨١، ٢٨٥.

الثأر واعتبرها عدواناً وإفساداً في الأرض، وأفتى بحق المرأة في أن تكون وزيرة وفي موقع الإفتاء.

«وأفتى بجواز ارتداء المرأة المسلمة الشعر المستعار (الباروكة) في حال اضطرارها إلى التخلي عن الحجاب كما حدث في فرنسا، وأفتى بحرمة ضرب الرأس في عاشوراء (التطبير) وأنها مظهر من مظاهر التخلُّف في استعادة الذكرى، كما أفتى حول الإجهاض والسماح له ضمن حدود السلامة، قبل تكوين الجنين، وبتحريم إثارة النعرات المذهبية ولا سيما بين الشيعة والسنّة وخاصةً في الكويت في ما يتّصل بالإساءة إلى صحابة النبي ﷺ وزوجاته.

ودعا إلى الاعتماد على العلم في محاولته توحيد المواقيت بين المسلمين في رمضان والأعياد، محاولة منه لتوحيد الصف الإسلامي بشقَّيه.

وحرّم التنازل عن حق الفلسطينيين في العودة إلى أرضهم... إلخ»[1].

لقد شكّل سماحته (قُدِّس سرّه) صدمة ثقافية لدى العامة بجرأته وشجاعته، فالسيد فضل الله (قده) في منظومته الفقهية الفلسفية تعانَقَ مع الماضي برؤية نقدية، وتطلع إلى المستقبل بروح استشرافيّة من دون أن يكترث لتلك الاعتراضات التي كانت تواجه فتاواه الشجاعة والجريئة من مواقع تسيطر عليها المخاوف الآنيّة من العامة أو أصحاب العقول الصغيرة والضيِّقة.

فبعد القناعة والدليل الفقهي في الفتوى، لا قيمة عنده في الاعتبار الاجتماعي أو السياسي أو الموقعي إلا للحق والحقيقة، وعدم خشيته مما يترتب على ذلك من ضجيج أو مخالفة للآخرين في ذلك، ولقد كان يردّد كلمته المعروفة:

«لقد تباينت أنا والشهيد السيد محمد باقر الصدر على أن نصدم الواقع ونبيِّن آراءنا»[2].

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٢ الجمعة ٢٥ شعبان ١٤٣١هـ ـ ٦آب (أغسطس) ٢٠١٠م.
مقال للدكتور شفيق ناظم الغبرا تحت عنوان: «الجرأة الفكرية واحترام الآخر» ص٦.

(٢) نقلاً عن جريدة «الشرق الأوسط» بتاريخ ٩أيار ٢٠٠٤م.

وقد تميّز سماحته (قده) بهذه الخصلة تميُّزاً فائقاً فجسّد بذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[1].

إن مَن تابع مسيرة سماحته (قُدِّس سرّه) سيجده جريئاً في طروحاته وشجاعاً في مواقفه، فكان يرى نفسه مكمِّلاً لمسيرة تاريخية تذكّرنا بأعلام مذهب الإمامية من أمثال الشيخ الصدوق والشيخ المفيد اللذين عملا على تنقية المذهب من المعتقدات الدخيلة، ومن المشهور أن عدد أهل السنّة في عصر الشيخ المفيد الذين مشوا في جنازته فاق عدد أتباعه من الشيعة الإمامية، وبعض من هذا المعتقد أوجد الفرقة بين الشيعة والسنّة...!

إلا أن أعلام المذهب حاربوا هذه المعتقدات الشاذة التي تسعى لبَث الفرقة والتعصب الأعمى بين السنّة والشيعة، وقد كان للسيد عبد الحسين شرف الدين (رض) والسيد محسن الأمين (قُدِّس سرّه) أيضاً صولات وجولات مع علماء أهل السنّة سعياً إلى التقارب والوحدة ونبذ الخلافات وتوحيد الصف ضد الاستعمار ونبذ ما يقوم به البعض...

تلك الخطى التي أراد سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) أن يمشي على دربها، سلوك المفكرين المبدعين الجريئين في مخالفة الدخيل على المذهب الشيعي، ولذلك صلّى ومشت خلفه معظم طوائف لبنان وأحزابها، في حياته وفي مماته.

لقد اشترى سماحته (قده) مرضاة الخالق ولو بسخط المخلوق مجسِّداً الآية الكريمة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[2].

٢ ـ العالِم العامل والعقل المؤسساتي:

إن كان من لقبٍ يُعطى لسماحة السيد محمد حسين فضل الله (قده) وبجدارة فهو لقب العالِم العامل النشيط ذو الهمة العالية التي عجز عن مجاراتها كل طاقمه العامل معه.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

فعلى مدى نصف قرن وسماحته (قُدِّس سرّه) لم يعرف السكينة والهدوء، كيف ذلك وهو القائل: «الراحةُ عليَّ حرام»[1].

فعطاؤه لا يعرف الحدود، ونشاطه لا يعرف القيود، وجهاده لا يعرف الخمود، وفكره لا يعرف الجمود.

نعم.. لم يكن ليعرف ماذا تعني كلمة «راحة» فالراحة عدوّه الأول، لم يكن ليخلد إلى الحدائق الغنّاء، كان شعلة متّقدة في حياته اليومية من تدريس طلبة العلوم وإلقاء المحاضرات الفكرية وتربية الأجيال والصلاة في المسجد وموعظة هنا وهناك ومؤتمرات وحوارات ولقاءات وغيرها...

وتخصيص يومَيْ السبت والأحد لحوزته في سوريا للتدريس، ولقاء الجاليات الخليجية والآسيوية والأفريقية وغيرهم، كان قنديلاً لا ينضب زيته، وحركة لا تعرف السكون، ومشعلاً لا يقبل الانطفاء، ولطالما كان السؤال: ما هو سر هذا العطاء والنشاط والطاقة الكبيرة..؟!

بحثنا كثيراً حتى وجدنا الجواب عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام حيث يقول: «ما ضَعُفَ بدنٌ عمّا قويت عليه النية»[2].

جسدٌ جُبِلَ بحكمة الأنبياء الطاهرين، وعطاء الأئمة الميامين، وصفاء الأولياء الصالحين...

كم وكم استقبل في دارته كل المحتاجين والفقراء، ولم تقفل داره يوماً أمام أحد، الفقير والغني على سواء، الصغير والكبير على سواء، كان يستقبلهم بتلك الابتسامة الرقيقة الحنون.

كان كبيراً في تواضعه مع الناس وتعاطفه مع أحزانهم وتفهُّمه لشجونهم.

ومن بين كل هذه المهام كان لديه بعض الوقت للرد على أسئلة المستفتين والتفسير، للتأليف والكتابة.

---

(١) كتاب (أيها الأحبة ـ السيد محمد حسين فضل الله (قده)) ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م ط١ ص١٠.

(٢) آمالي الصدوق: ص١٩٨.

لقد أغنى سماحته (قُدِّس سرّه) المكتبة الإسلامية بأكثر من مئتي مؤلَّف وكتاب، فكان الإصلاح الديني والإسلام الحضاري هما جوهرا مؤلفاته التي صاغها بتراثه الفكري، الثقافي، والفقهي الغزير.

كان يرى أن كل ثانية من ثواني حياته، وكل دقيقة من عمره الشريف، يجب أن تكون للإسلام والمسلمين.

ويكفي أن ما أنشأه خلال ما يزيد عن الثلاثين عاماً من مؤسسات خدماتية ورعائية واجتماعية وتربوية وفكرية ودينية شاهدٌ على عطاءاته وخدماته التي بناها بيديه فأينعت وأصبحت عطاء عز مثله، احتضنت الأيتام والمستضعفين فكانت «جمعية المبرات الخيرية» التي تضم عدداً من دور الأيتام وأصحاب الاحتياجات الخاصة وعدداً من المدارس والمعاهد العلمية الأكاديمية، فضلاً عن دور الصحة والمستوصفات والمستشفيات ودور العبادة من مساجد ومراكز الثقافة والعلم.

يقول الحاج حسين أنواري المشرف العام للجنة إمداد الإمام الخميني:

«إن السيد فضل الله أحد أكبر المؤسسين للعمل الاجتماعي والرّعائي الإسلامي على مستوى العالم، وأنه ساهم في تأسيس جمعيّة الإمداد، وأن لديه نظرة خاصة وعميقة تجاه المحرومين والفقراء، وكان يعرف أن بناء الأمة ينطلق من رعاية الطبقات المحرومة والفقيرة، والسّهر عليها وتعليمها، إن إسم سماحته مزروع في قلوب اللبنانيين والمسلمين وفي تاريخ المقاومة وعلى مستوى المنطقة والعالم، وستأخذ الأجيال الآتية من فكره الملهم وعلمه الكبير»[1]

لقد كان أكبر همٍّ لديه (قده) هو السعي الحثيث لبناء طاقة الإنسان العقلية والروحية والنفسية، وتحويلها إلى واقع حاضر معنا، كيفَ لا وهو القائل:

«إن المجتمعات القوية تقاس بقوة إنسانها ومؤسساته»[2].

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٠ الجمعة ١١ شعبان ١٤٣١ هـ ـ ٢٣ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٢.

(٢) نقلاً عن كلمة ألقاها سماحته (قده) في فطور رمضاني سنة ٢٠٠١م في مبرة السيد الخوئي ـ الدوحة.

وبهذا الخصوص تحدّث الدكتور محمد باقر فضل الله (مدير عام جمعية المبرات الخيرية):

«أحدّثكم عن العالِم والقائد والمفكر والفقيه والمرشد والداعية الرسالي والمرجع المستنير والإنسان، أحدثكم عن فجر المبرات وإشراقها.. عن الراضي المرضيّ والهانيء في حياته وفي مرضه وفي نزعه، كما حدثني طبيبه في ساعته الأخيرة.

لم يُتعب أحداً في حياته، تعب عن الآخرين، ولكن كم أتعبَ مَن بقي بعده...

خمسة وعشرون عاماً معك أيها الراحل الحبيب في مسيرة العمل المؤسساتي أستحضرها ذاكرة جريحة في بناء المبرات، من مبرة الإمام الخوئي بعد انتقالها إلى الدوحة، إلى مشروعَي جبيل ومبرة بنت جبيل اللذين كُنتَ تسأل عنهما كثيراً في أيامك الأخيرة، ومروراً بكل الهَمّ الذي كنتَ تحمله لتأسيس كل المؤسسات ولكل منها حكاية وتفاصيل، والتي لم تقتصر على لبنان بل امتدت إلى أكثر من مكان في العالم.

وكم كان فرحك ودعاؤك للعاملين عند سماع أخبار النجاحات والتميز والتفوق في أكثر من مجال.

رغم الحصار في مراحل من مسيرة العمل وبتوجيهه ورعايته، واحتضانه وحثّه على النظر لما في يد الله أكثر مما في أيدينا، استطعنا أن نقدّم نماذج رائدة في ميادين العمل الرعائي والتربوي والاجتماعي والإنتاجي، فبفضل هذا التوجيه ووضوح الرؤى لديه وتأكيده على أننا لسنا أتباعاً له وإنما معه وقدوته في ذلك رسول الله ﷺ ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[1] بهذه الروح التي تعطي من روحها لتبني عقولاً تفكّر، ودورنا اليوم أن نستكمل مسيرة التنوير المؤسساتي وأن نسعى لترسيخ هذا النهج وأن نعوّض بعض غيابه بأن نكون قيادات إدارية واقعية وطموحة وجريئة تعتمد المؤسسة بعملها الفريقي لا المؤسسة بتوجهها الفردي»[2].

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) مقتبسة من كلمة في اجتماع مجلس المديرين التعليمي المركزي بتاريخ ٢٢ تموز ٢٠١٠م. نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨١ الجمعة ١٨ شعبان ١٤٣١هـ - ٣٠ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٦.

ويقول فضيلة العلّامة السيد علي فضل الله في هذا المجال أيضاً:

«وعلى مستوى المؤسسات الاجتماعية، يؤكد أنه جعلها أمانة، وقد كان يؤكد أنها ليست مُلكاً لشخص أو جمعية، صحيح أن جمعية تديرها لكنها ملك للأمة باعتبارها تسد حاجاتها. من هنا يجب أن تبقى هذه المؤسسات للمجتمع بكل أطيافه واتجاهاته، ويجب أن يكون الجميع سنداً لهذه المؤسسات التي ترعى الفقراء، وهناك آلاف الأيتام، وآلاف العائلات التي كانت تأخذ مخصصات، وعدد كبير من المعوقين والمحتاجين إلى مراكز صحية ومستشفيات، والطلاب لا يجدون مجالاً للتعليم، كل ذلك تركه «السيد» في عهدة المجتمع، وباب «سماحته» مفتوح ولا يجد أحد حرجاً في أن يدقه في أي وقت»[1].

إن ذكاء سماحته (قُدِّس سرّه) وإبداع عقله المؤسساتي تجلّى واضحاً بما قدّمه من مؤسسات ضخمة ومهمة على مستوى لبنان والعالم، فكل مَن زار هذه المؤسسات واطّلع عليها كان ينبهر بها ويُعجب من قوة الإرادة والقدرة على تحويل هذه المؤسسات إلى مؤسسات ناجحة تعمل في خدمة الإنسان والإنسانية، وإن دلت على شيء فهي أن صاحب هذا العقل هو عقل مؤسساتي بامتياز، وصاحب هذه المسيرة هو ذو طاقة كبيرة.

إن سر هذه الطاقة في جسدٍ تمرّد على سنيِّ العمر بأبياتٍ كان يرددُها سماحته (قُدِّس سرّه) للشاعر أحمد الصافي النجفي عندما سئل عن هذا العطاء المستمر والنشاط الجبّار فقال:

عمري بروحي لا بعدٍّ سنيني ... فلأسخرنّ غداً من التسعين
عمري إلى السبعين يركض مُسرعاً ... والرُّوح باقيةٌ على العشرين[2]

وإن السر الآخر هو أن ما كان للّه ينمو، ولأن العمل كان للّه فقد نما حتى فاضت البركات وعمّ الخير على الفقراء والمحتاجين والأيتام وغيرهم.

---

(١) مقتبسة من لقاء أجرته صحيفة السفير وهو اللقاء الأول مع سماحة السيد علي فضل الله بعد رحيل المرجع فضل الله. نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٩ الأحد ٤ شعبان ١٤٣١ هـ ١٥ تموز (يوليو) ٢٠١٠ ص٤.

(٢) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١هـ ـ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٢ مقال للحاج هاني عبد الله تحت عنوان «سنبقى نطوف حول هذا السر».

ولو وضعنا قاعدة واحدة فقط لنُعرِّف مَن هو السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) لكفتهُ عن غيرها وهي أن قيمة الإنسان بمقدار ما يقدّم للمجتمع، وكلنا يعرف ويشهد له بهذا الجانب، فهو لم يهدأ إلا عندما هدأت أمواج بحره الهدّار.

٣ ـ الوسطية والانفتاح:

يمكن لكل عاقل ومدرك أن يتبصّر مدى حكمة سماحته (قُدِّس سرّه) الوازنة وعقله الراجح باتخاذ موقع الوسطية والانفتاح على الآخر.

حيث برزت مواقفه الانفتاحية والمتقدمة على الواقع من خلال حركته الفكرية بين الديانات والطوائف والمذاهب، أو في الفتاوى التي تنم عن روح تقدمية تتجاوز الخطوط المذهبية الحمراء والفئوية الضيقة لتتلاقى مع الإنسان في مداه الأوسع بما يوفّر له أنماطاً جديدة، للعيش تواكب العصر والتطور ولا تتناقض مع جوهر الإيمان ولا تقع في شرك الجهل والتقاليد الآسرة.

إن الرؤية الوسطية التي عمل عليها ليل نهار لترسيخها في النفوس والعقول هي قاعدة للتلاقي مع الآخر، والانفتاح على الآخر، ودعم الوحدة والمحبة بين البشر، وهي من أهم ما كان يميّز سماحته (قُدِّس سرّه).

إن فرادته لم تكمن في انفتاحه على الآخر، فقد سبقه إلى هذ الكثيرون، بل من خلال مقدرته الفذة من موقعه على رأس هرم فقهي إسلامي، أي (مرجعيته) على أن يبادر إلى تزخيم دينامية تدمير الأقفال بين الديانات والمذاهب والطوائف، فأية محاولة لطرح قضية إشكالية كانت تُعتبر بمثابة استطلاع بالنيران لمنظومة القلق الطائفي والمذهبي والهواجس الأقلوية السائدة.

ويلزمنا بالتالي جامعو أمزجة ذوو مهارات احترافية ليتمكنوا من إجراء مسح شامل لردات الفعل التي من الممكن أن تصدر عن زعماء الطوائف والمذاهب، تلك الردود التي ستتراوح بين المرحِّبة والساكتة والغاضبة، وعند هذا المفصل تحديداً كانت واقعيته وحكمته بالاعتدال والانفتاح على الآخر.

إن سماحته (قُدِّس سرّه) تناول مقولات الاعتدال ليس بوصفها ترفاً فكرياً أو بهارات فلسفية، بل عمل على تأصيل هذه القيم فقهياً، ومن رحم المخزون الروائي والاستنباطي الإسلامي جاعلاً إياها في واجهة ردوده على الصراخ والتهافت اللذين احتلا منابر الخطاب لفترات طويلة من تاريخنا الفكري.

من الواضح أن الساحة الإسلامية أشبه ما تكون بخطوط جبهة ثقافية مستعرة ذات امتدادات أمنية واجتماعية في غاية الخطورة، فما بين دعوات التعصب الموغلة بعكس عقارب الحضارة والتي تخترق سائر المذاهب والفرق ودعوات العلمنة المراهقة التي تريد أن تنسخ تجربة الغرب لتُقرر مشهداً إسلامياً مشوّهاً وهجيناً، على الضفة الأخرى للمتوسط وما بينهما يتموضع تراث سماحة السيد (قُدِّس سرّه) ليس بوصفه معتدلاً أو وسطياً بين حدّيْ معادلة فقط بل بوصفه أيضاً الطرح الأصيل الخالي من عقد النقص أو حتى آفة التورم والمغالاة الإسلامويّة.

لقد استطاع سماحته (قُدِّس سرّه) وبنجاح منقطع النظير أن يصنع المراهم والوصفات المضادة للتشنجات والتقرحات المزمنة والتي لطالما عانى منها البيت الداخلي للأمة الإسلامية.

لقد تغلب سماحته (قُدِّس سرّه) على كل الصعاب والتحديات وتمكن من اجتراح طريق الاعتدال والانفتاح لطالما شكك الكثيرون في إمكانية نجاحه فيه (قُدِّس سرّه) فاستطاع ردم الهوة بين المذهبين الإسلاميين الكبيرين (السنّي والشيعي) وذلك بسلوكه وخطاباته ومؤلفاته ورسائله وحواراته وفتاواه.

إن التوازن بين الانفتاح والأصالة كان أولى علامات نجاحه الباهر فاستطاع المحافظة على مبادئه وقيمه وأفكاره ورؤيته الإسلامية من جهة والانفتاح على التيارات الدينية والفكرية الأخرى من جهة أخرى وذلك بما تحلى به من روح متسامحة، وتشبُّثه بقيم أخلاقية سامية كانت مثار إعجاب لدى معتنقي هذه التيارات قبل غيرهم، ما أسهم في استقطاب الآخر، في وقت لم يجامل فيه على حساب ما يعتقد أو يؤمن به، في عملية شاقة وعسيرة لم يوفّق لها إلا عدد يسير جداً من الشخصيات، في حين فشلت شخصيات مهمة وكبيرة في تأمين هذا

التوازن، فكانت تقودهم التزاماتهم إلى التشدد أو تدعوهم تنازلاتهم إلى الابتذال، فيخسرون الكثير من أرصدتهم الدينية أو الاجتماعية أو السياسية.

أما سماحته (قُدِّس سرّه) فقد يكون الأكثر حظاً بين أقرانه في رسم فواصل دقيقة بين المجاملة والانفتاح من جهة، والاحتفاظ بأصالته من جهة أخرى، ويترشح من هذه الخصّيصة، قدرته على اتخاذ موقف الوسط والاعتدال في ظل هذا الزمن المجنون بالعصبية والتحجُّر.

إن صوت الاعتدال الذي مثّله الراحل (قُدِّس سرّه)، جعله يضطلع بأدوار مشهودة على صعيد تقريب وجهات النظر بين السياسات المعاكسة أيضاً فنرى كيف كان يقرّب وجهات النظر بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية والدول العربية وإيران والدول الغربية من جهة أخرى، وذلك لأنه كان يحظى بقبول عواصم الدول العربية لاعتداله ووسطيته، فضلاً عن مكانته لدى القيادات الروحية والدينية في العالم أجمع، لما عُرف عنه من حب للآخرين وإسداء النصح للجميع في ثوب الانفتاح على كل مكونات المجتمع الإنساني والحرص على إشاعة السلام والطمأنينة والاحترام المتبادل بين الناس أجمعين، وبُعده عن الأجندات والحسابات الطائفية والقُطرية والسياسية.

كان سماحته (قُدِّس سرّه) دائماً ما يشجب أصوات النشاز وأعمال التطرف وفتاوى التكفير واللعن أياً كان مصدرُها، لذلك إن الجرأة والشجاعة التي امتلكها سماحته (قُدِّس سرّه) قلّ نظيرُها كونها أخذت من رصيده الاجتماعي ونقلت كثيراً من جمهوره، من ضفته إلى الضفاف الأخرى في البداية، إلا أن الكثير عادوا بعد ذلك.

ورغم ذلك لم تجبره كل ردات الفعل على الرجوع عن مشروعه الإصلاحي دون خوفٍ أو وجل، وكانت جرأته وشجاعته رصيده بين كل تلك الظروف.

٤ ـ الحداثة والتجديد:

كان سماحته (قُدِّس سرّه) من رواد حركة النهوض الإسلامي الشيعي، وركنٌ من أركان الحركة الإسلامية المعاصرة، الذي عمل بفكره النيِّر والمنفتح،

وسعة معرفته وصدق نواياه في الاجتهاد، في سبيل تطوير الفكر الإسلامي الفقهي والسياسي، وجعله يواكب التطور والتقدم في عصرنا.

لقد قدّم سماحته (قُدِّس سرّه) فكراً إسلامياً معاصراً يحاكي مسلمي العصر في قضاياهم وهواجسهم وتطلعاتهم ورسالتهم، لينقلهم إلى آفاقٍ إنسانية جديدة، وموقع فاعل في عصرهم، وتجديد فكرهم الديني، لقد صالح بين الدين والسياسة، وعمل من أجل تربية إنسان مسلم قادر على حمل الرسالة والدفاع عن قضاياها العادلة بحريّة وعقلانية ومحبة.

يقول سماحته (قُدِّس سرّه) بما يختص منهجه التجديدي المعاصر:

«أنا من الناس الذين يحاولون أن يعيشوا عصرهم، لا من جهة عقدة العصر لكن من خلال أني أتطلع إلى المستجدات في العصر التي تنطلق من تطور العلم والنظريات التي يستنبطها المتخصصون، لأني أثق بالعلم عندما يحصل منه اليقين»[1].

لقد كان سماحة السيد (قُدِّس سرّه) حاضراً باجتهاداته التي فتحت أبواب الدين أمام أبناء الحياة ليعيشوها متحررين من الدخيل على العقيدة، والمتاجرين بالدين، بحبسه في مجموعة من الطقوس التي تختلط فيها الخرافة بالبدعة من أجل الحجر على العقل، وتصوير الاعتراض على الخطأ وكأنه خروج على النص المقدّس.

كان سماحته (قُدِّس سرّه) في زمن التحولات والتغيرات والقضايا الكبرى علامة مضيئة، فأطلق الرؤى والأفكار العصرية على أسس علمية وفقهية أصيلة وعمل من أجل التجدد والإصلاح والتغيير والتطوير.

يقول سماحته (قُدِّس سرّه):

«أنا لا أقلد الآخرين، نحن عندما ندرس تاريخ الفقه الإسلامي نلاحظ أن

---

(١) من آخر حوار رمضاني أجرته صحيفة الأخبار قبل عام من رحيل سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه)، نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٥ الجمعة ١٧رمضان ١٤٣١هـ ٢٧ آب (أغسطس) ٢٠١٠م ص٤.

ما عندهم عندنا، وما عندنا ليس عندهم، طريقة الفهم للنصوص قد تختلف بين ثقافة وأخرى، ومن خلال المعطيات التي يمكن أن تستجد لدى المجتهدين في هذا المجال، على هذا الأساس مثلاً أكّدنا مسألة الحسابات الفلكية لأنها لم تخطىء في مدى ١٠٠ سنة في قضية التوليد.

وهناك مثلاً بعض الفتاوى التي لا تزال لدى الفقهاء، مثل أن الأشياء اللاصقة بالجسد تمنع الوضوء وتمنع الغسل، مثل الدهان والصباغ أو طلاء الأظافر، لكني درست المسألة ورأيت أنها ليست حاجباً، وأن الحاجب هو ما كان انفصالاً واقعياً عن الجسد...

أيضاً هناك رأي مشهور عند علماء الشيعة أن الحلال من حيوانات البحر هو السمك الذي له قشر، لكني توصلت أخيراً إلى أن كل صيد البحر حلال إلا ما كان مضرًّا وسامًّا.

وفي فتوى مشهورة لدى الكثير من علماء الشيعة إلا القليل منهم، أن الزوجة لا ترث من الأرض بل من قيمة البناء في البيت، لكني أفتيت بأنه لا فرق بين الزوج أو الزوجة في أنهما يرثان كما يرث أحدهما الآخر انطلاقاً من النص القرآني»[1].

لقد قادَ سماحته (قُدِّس سرّه) ثورة حقيقية في قلعة الفقه، فأرسى معالم جديدة للمرجعية المعاصرة هدفها الأساسي ربط الدين بالحياة وتيسيره على المؤمنين لا من عقدة تسهيل أمور الناس بل من خلال العناصر الاجتهادية التي تجعله يقتنع بالنتائج في هذا المجال.

يقول سماحته (قُدِّس سرّه):

«أسئلة الناس قد تجعلني أشعر بضرورة التعمق في دراسة مسألة معينة باعتبار أنها تمثّل مشكلة للواقع الإسلامي العام، كذلك قد أجتهد في دراسة

---

(١) مقتبسة من آخر حوار أجرته صحيفة الأخبار قبل عام من رحيل السيد محمد حسين فضل الله (قده) في شهر رمضان المبارك. نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٥ الجمعة ١٧ رمضان ١٤٣١هـ ٢٧آب (أغسطس) ٢٠١٠م ص٤، ٥.

مسائل سبق أن أبديت رأياً فيها، بحيث يمكن أن تتبدّل آرائي السابقة التي ربما كانت تقليدية، إلى آراء جديدة، وهذا ما انطلقنا به في كثير من الفتاوى»[1].

لقد كسر سماحته (قُدِّس سرّه) النمطية والتقليد الجامد، وعمل على تجديد وتحديث مفهوم الفتوى بحيث تتلاءم والعصر، فلقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) عدو الجمود، ورافضاً للتقليد غير المرن، وكان يصر على إخضاع كل الأفكار للنقاش والجدال وإعادة التقويم.

إن أفضلية الراهن عند سماحته (قُدِّس سرّه) لم تكن تعني تجاهل الماضي والتهرب من الاستحقاقات في المستقبل، فالراهن نتاج ديناميكي مركّب من عوامل مختلفة بعضُها طارىء وبعضُها قابل للنموّ والتقدم.

لقد كان لدى سماحته (قُدِّس سرّه) قوة الإرادة والتصميم في تطوير الفتوى، والاستعداد لأن يكون في موقع المسؤول القادر على الإجابة الصحيحة والعادلة، بغض النظر عن ردّ الفعل ومدى الاستجابة من العامّة وأصحاب الرؤوس الحامية.

لقد عمل سماحته (قُدِّس سرّه) على تحرير النص الديني من بعض «الشروحات» التي كادت تُقفل باب الاجتهاد، وعبرَ معارك قاسية خاضها سماحته (قُدِّس سرّه) للتجديد والحداثة، أقرّ بعض المراجع مثل آية الله السيد علي الخامنئي ضرورة العمل على تحديث الفتاوى وتجديدها كفتوى ضرب الرأس (التطبير) في العاشر من المحرم بذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام فما كان إلا أن أفتى بعض المراجع بفتوى عدم جواز ضرب الرأس (التطبير) بعد ما يقارب العقدين من الزمن على إطلاق سماحته (قُدِّس سرّه) تلك الفتوى.

لقد آمن سماحته (قُدِّس سرّه) أن الإسلام دين إحياء لا دين قتل، وقد أهّلته متانة علمه وغزارته لأن يفهم كنه الشريعة الإسلامية، من دون أن يعني ذلك تجاوز ثوابت الشريعة، فكان حريصاً على توسيع دائرة الملتزمين بها عبر رفع القيود التي لا أساس فقهي أو دليل شرعي لها في الشريعة، إذ لم يجد

---

(١) من آخر حوار رمضاني له قبل عام من رحيل سماحته (قده) أجرته صحيفة الأخبار. نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٥ الجمعة ١٧ رمضان ١٤٣١هـ ٢٧آب (أغسطس) ٢٠١٠م ص٥.

مصلحة في التضييق على الناس باسم الدين، في وقت يرى الدين سَمِحاً سهلاً، وقد جاء النبي محمد ﷺ بالشريعة السمحاء فرفع (قُدِّس سرّه) عن الناس الإصر والأغلال فاستنبط للمسلمين أحكاماً تتماشى مع الحياة ومع إنسانية الإنسان.

فكان أن غضب قوم، وساء ذلك آخرين، بينهم جاهلٌ متنسك وآخر انتهازي يتحين الفرص، فيما صمت آخرون.

إن التجديد عند الراحل الكبير (قُدِّس سرّه) لم يقتصر على ساحته الشيعية فحسب، بل تجاوز حالة «التمذهب» التي تسود الأوساط الإسلامية العامة، حيث أن قلة من الفقهاء المسلمين يستطيعون تجاوز تلك الحالة التي تضغط على كثير منهم، محاولة ثنيهم عن الخروج منها، بيد أن الراحل الكبير (قده) استطاع بفكره واجتهاده العصري أن يُفلت من كل تلك الضغوطات التي تمارَس عادة على الرموز والمرجعيات الدينية فأصبح مُجدداً إسلامياً ومفكراً كبيراً في الساحتين الشيعية والسنية.

ولو نظرنا إلى الواقع لوجدنا أنه من المرجعيات الشيعية القليلة التي استطاعت التجديد وجددت فعلاً في الفقه الشيعي في القرن الحالي، وإن سماحته (قُدِّس سرّه) الشخصية الدينية الشيعية الوحيدة التي استطاعت أن تخرق الحواجز السنية، فقد كان العلّامة الراحل (قُدِّس سرّه) يمثّل رقماً صعباً في الساحة السلفية أيضاً حيث يقول العالم السعودي (السلفي) القاضي السابق المحامي الشيخ محمد صالح الدحيم[1] عن سماحة السيد (قُدِّس سرّه):

«إن مرجعية السيد تجاوزت الأطر المذهبية كافة وأنه حين جلست معه وناقشته في قضايا إسلامية هامة وجدته شخصية فذة سبقت عصرها بفكرها وتجديدها للفقه فهو يتمتع بطريقة تفكير فريدة وظّفها إسلامياً بشكل موفّق جداً، وقد كان يركز على تجاوز الخلافات (السنيّة ـ الشيعية)».

---

(١) تقرير صحافي لمنير النمر عن الراحل في يوم تشييعه وشارك فيه مجموعة من علماء السلفية وكتّاب ومفكرين وسعوديين كانوا قد التقوا بسماحته (قده) في وقت سابق في بيروت. نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٠ الجمعة ١١ شعبان ١٤٣١ هـ ـ ٢٣ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص١٤.

هذه الشهادة الكبيرة التي دوّنها الشيخ الدحيم لا تختلف كثيراً عن شهادة أخرى قدّمها الدكتور عمر كامل، فيقول عنه (قُدِّس سرّه)[1]:

«إن السيد محمد حسين فضل الله (رحمه الله) من أكثر مراجع الشيعة رغبة في توحيد الأمة الإسلامية، وله اجتهادات مهمة جداً خاصة في تنقية المذهب الإثنى عشري الشيعي، كما أنه تميّز برؤية واسعة في حقوق المرأة وحقوق غير المسلمين واستخراج ما توصل له، وأصله من مذاهب المسلمين كافة، كما استخرج نصوصاً تؤيد الوسطية من غير المذهب الشيعي، وأُشدد على أن الراحل كانت له آراء تصب في صالح الوحدة الإسلامية والتسامح الديني، وأنه علامة بارزة في المذهب الشيعي».

ويقول الكاتب عبد الله فراج الشريف:

«إن رحيل السيد يعد خسارة كبيرة للأمة الإسلامية، وأنا أُثني عليه كثير الثناء حيث أنه «رحمه الله» لم يخص مذهباً دون آخر، بل إنه مفكر إسلامي يهم المسلمين جميعاً، ولعل ما قد لفت انتباهي أنني عندما التقيته شعرت بالطمأنينة تسري في عقلي وجسدي، إن الراحل كان يتحدث عن آماله التي توحّد الأمة الإسلامية، كان عالماً بارزاً من أصحاب تفادي الأحقاد والضغائن، ومن دعاة التوحيد والتعايش الحقيقيين وترك الفتنة»[2].

كان لسماحته (قُدِّس سرّه) منهج يقوم على أسلوب جماهيري قادر على «تحويل المعاني المجرّدة إلى واقع حي معيش» مفترقاً عن أساليب عدد من رجال الدين الذين ينحون منحًى عرفانياً أو أدبياً محضاً، فهو لا يكتفي بإعطاء المعنى اللغوي للألفاظ والمصطلحات الواردة في النص الديني، بل يقدمه في قالبٍ من قوالب الحياة اليومية مطبِّقاً إياه على الواقع وعلى المواقف التي تواجه الإنسان، بانياً على فكرة «استيحاء المعاني وتحريكها في الواقع».

---

(١) تقرير صحافي لمنير النمر عن الراحل في يوم تشييعه وشارك فيه مجموعة من علماء السلفية وكتّاب ومفكرين وسعوديين كانوا قد التقوا به في وقت سابق في بيروت. نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٠ الجمعة ١١ شعبان ١٤٣١ هـ - ٢٣ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص١٤.

(٢) المصدر نفسه.

لقد أبى سماحته (قُدِّس سرّه) أن يكون مجرّد صدى لتراث أو مخزون سجّله الأجداد، بل هو المؤمن بالإسلام منهجاً حياً يتجاوز الطقوس ويتقدّم مع تقدُّم العصر، هو الفقيه الذي كان حاضراً في المستجدات والمستحدثات التي أفرزها التقدم العلمي وتطور أنماط الحياة.

راعى سماحته (قُدِّس سرّه) في فتاواه واجتهاداته شروط العصر الذي نعيش فيه، ودرس التراث الإسلامي بعمق وبمنهج نقدي فجاءت فتاواه غير متأثرة بسلبيات العادات والتقاليد بل جاءت مقولبة بقالب التجديد والحداثة.

في هذا الجانب يقول الحاج محمد رعد[1]:

«كلنا نتاج سماحة السيد (قُدِّس سرّه) ونحنُ نُدين له بفكرنا»[2].

كان سماحته (قُدِّس سرّه) أكثر المثقفين اقتراباً بالحداثة، يراه الحداثيون حداثياً، والتقليديون تقليدياً، والماركسيون قريباً منهم، ولكنه السيد محمد حسين فضل الله وليس غيره...

إن فتاوى سماحته العصرية ستبقى مثار جدل في المستقبل لأنها شكلت قوة استباقية للكثير من الاحتمالات في عالم يتغير يومياً ولا يعترف إلا بوجود القوى الحية القادرة على مخاطبة تحولات لا يمكن التصدي لها إلا من خلال التعامل العقلاني مع متطلّباتها وتداعياتها، فالخوف من العلم، والتهرُّب من استحقاقاته، ورفض استخدام أدواته للتعرف إلى الحقائق الأزلية والأبدية، كلها إرهاصات رفض سماحته (قُدِّس سرّه) إدخالها إلى مدرسته الفقهية الفلسفية.

الفتوى عند سماحته (قُدِّس سرّه) نتاج زمانها وهي تتطلب قراءة عصرية حتى تستطيع احتواء الوقائع الجارية وبالتالي الصمود في مواجهة المتغيرات في المستقبل.

لقد عمل سماحته (قُدِّس سرّه) على مدى أكثر من نصف قرن على «تحديث

---

(١) نائب لبناني. رئيس كتلة الوفاء للمقاومة في البرلمان اللبناني.

(٢) نقلاً عن مقابلة أجراها تلفزيون المنار لمناسبة رحيل سماحة السيد (قده) بتاريخ ٤/ ٧/ ٢٠١٠م، مع الحاج محمد رعد وقد غصَّ بالبكاء عندما كان يتكلم عن سماحته (قُدِّس سرّه) كونه الفضل الكبير في كل هذا الفكر المرشد والملهم له.

الشريعة» وجعلها تستجيب لحاجات الشباب وطموحاتهم ومخاوفهم في عالم سريع التغيير، ولقد كان العلاّمة المفكر بحق مفتي الشباب والنساء، المرشد الذيّ لم يحبط يوماً أحلام الشباب وآمالهم، بل كان دائماً حاضراً للإجابة عن أسئلتهم التي تشكل المحرّمات الاجتماعية والسياسية مهما بلغت حرمتها.

وهذا ما أشارت إليه صحيفة النهار:

«السيد فضل الله مرشد فريد سيفتقده لبنان والعالمان العربي والإسلامي، سيمضي وقت طويل قبل أن يظهر رجل في مثل تسامحه وانفتاحه وإيمانه بالإنسان، والرغبة في التعاون مع كل المحاولات والجهود، ومع كل القوى والنخب في أيام التوتر.

وكان مريدو ومحبُّو ومقلِّدو سماحته يُجِلُّون فيه آراءه الاجتماعية المعتدلة وانفتاحه وبراغماتيته.

ولقد أصدر سماحته فتاوى دينية تحرّم ختان المرأة وتدين العنف المنزلي وكذلك وقفَ ضد الهجمات الانتحارية ولكنه قال بحق الفرد بالتضحية بنفسه كسلاح في الحرب غير المتكافئة مع المعتدين»[1].

لا يمكن أن يكون العالِم مُجدِّداً إلا إذا كان صاحب قضية ومتصلاً بالشأن العام، لذا كان سماحته (قُدِّس سرّه) يتلمّس أفكار الناس ويعيش معهم ومع أسئلتهم واستفساراتهم واعتراضاتهم، لذا جدّد في فهم ومغزى الفتوى.

كان سماحته أكثر اهتماماً بالإنسان من المنظومات العقدية فأعطاهم نظرة مختلفة عن بقية الجو السائد عند أكثر المراجع، وهذا ما ميّزه عن غيره من رجال دين كثر.

لقد كان سماحته فقيه العصر بحق عندما قرر ألاّ يكون صدًى للآخرين من حَفَظة المتون، وحرّاس القديم، وإن كان بعضه بالياً، يردد ما يُرددون ويُفتي بما يفتي به الأسلاف لمجرد أنهم أسلاف ومحاطون بهالة القداسة وشبه العصمة، بل عمل بكل جهدٍ ونشاط لعصرنة الفقه ومواكبة العصر والحداثة.

---

(١) جريدة النهار بتاريخ ٢٣ ذو القعدة ١٤٣١هـ الموافق ١/ ١٠/ ٢٠١٠م بمناسبة رحيل السيد محمد حسين فضل الله.

٥ ـ الحب والأبوّة:

إن أروع ما تجده عند سماحته (قُدِّس سرّه) هو الحب والمودة والسماحة.. الحب الذي جعل منه إنساناً ممتلئاً بالعطف والحنان، فكل مَن زار سماحة السيد (قُدِّس سرّه) والتقاه من شرق الأرض وغربها، ومهما كان دينه، خرج من عنده مفعماً بالرضا والإعجاب.

كان خُلُقه مقتبساً من القرآن وهو ينشر من عبق التسامح والحب ما يفيض على الجميع، ويخفض جناح الرحمة للصغير والكبير، للشريف وغيره، الرجال والنساء، سواء بسواء، فروحُه وقلبُه الحنون وأخلاقه غرست في قلوب المحبين والأتباع والمريدين الحب لسماحته (قُدِّس سرّه)، ونحتت في وجدانهم الخير والكلمة الطيبة، وهو القائل لهم: «**أيها الأحبة**» فكان شعارهُ حب الناس وعشق الناس وتعميم المحبة والحب لكل البشر.

روحٌ أفاضت على الدنيا دفء الأبوّة وسكينة النفس وطمأنينة الإيمان بقدَر الله، وعذوبة الكلمات العاطفية التي ما انفك يكررها «**إني أحبكم في الله وفي الإسلام، أنتم أهلي، وأنتم أحبتي**»[1].

روحٌ أحبّت الإنسان الذي يختلف معها كما أحبّت الإنسان الذي يتفق معها، معادلة قد لا يستطيع معظم الناس القيام بها، ولكنه أكدها دائماً حين كان يقول:

«**لا تملكون أن تدخلوا قلوب الآخرين إلا إذا فتحتم قلوبكم لهم...**»[2].

لقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) طيب الكلام، نقي الداخلة، سمح القلب، هو عاشق الله في الإنسان، همُّه الأساس أن يعرف الإنسان أن الله عزّ وجل يحبه، وأن بمقدور هذا الإنسان المحبوب من الله أن يحب الآخر أي «آخر» ويعتبره أخاً له.

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١هـ ٩تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص١٥.

(٢) كتاب الندوة الجزء الخامس، إعداد عادل القاضي (سلسلة ندوات الحوار الأسبوعية بدمشق) محاضرات ومطارحات في العقيدة والتربية والفقه والسيرة ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

لقد أطلّ علينا سماحته (قُدِّس سرّه) برسالة الحب، فكان مؤمناً بأن الإسلام رسالة للحياة والكون والإنسان، فأخرج سماحته (قُدِّس سرّه) الدين من سجون العصبيات الطائفية والمذهبية والفئوية محذراً من تأثيراتها السلبية على مجمل واقع الأمة، تمزُّقاً وتفريقاً وانقساماً، وطمعاً للعدو بخيراتها وطاقاتها وإمكاناتها، فالمحبة الإنسانية فيما بينها أمر مؤصَّل في الإسلام قائم على مبدأ الأخوّة البشرية، ففي الحديث: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1].

في هذا الجانب يقول سماحة السيد جعفر فضل الله:

«لقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) رقيق القلب، مرهف الحس، حيث دعا إلى السلام والوئام والتعايش مع الآخر، فكان مصداقاً لهذه الآية ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[2].

وقد تمثلها فعلاً في حياته لأنه كان يشعر بأن الذي يكون في موقع الرسول ﷺ والهداية بالدرجة الأولى، لا يمكن إلا أن يجسّد هذه القيم التي أكدها ﷺ وأن يتألم لما يصيب الآخر ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[3].

إن مصطلح «كره» وما أشبه ذلك، كان بعيداً كل البُعد عن قاموسه، كان هناك إشفاق وهو فعل حب وتعاطف، هناك حسرة على الذين قاموا بالحملة التشويهية التي كانت تستهدف اغتياله معنوياً بعد أن فشلت كل الاغتيالات المادية من قِبَل أعداء الإسلام، في الوقت الذي بقي يتواصل مع الناس، يشرح لهم، يوضح لهم، لأنه لم يكن يريد لأحد أن يُسيء فهمه»[4].

---

(١) أخرجه ابن عساكر عن عبدالله بن زيد العشري (كنز العمال ١/ ٤) ورواه البخاري ومسلم عن أبي حمزة أنس بن مالك ـ خادم رسول الله ﷺ.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٤) حوار أجرته قناة «آفاق» الفضائية مع السيد جعفر فضل الله نجل سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قده) تحت عنوان «ملامح شخصية المرجع السيد فضل الله ومحطات من حياته» بتاريخ ١٧ شعبان ١٤٣١هـ ـ المرافق ٢٩/ ٧/ ٢٠١٠م.

يقول الكاتب والصحافي الجزائري يحيى أبو زكريا:

«لقد كان قلبه بحجم الكرة الأرضية، يسع حتى الذين تطاولوا عليه وحسدوه، وغاروا من مكانته العملاقة، وشككوا في مرجعيته الفقهية، كان يستغفر لهم بقدر ما يحملون عليه...»[1].

بالرغم أن البعض أساؤوا فهمه فأساؤوا إليه، إلا أنه لم يكن ليحمل الضغينة لهم...!!

وتلك هي أخلاق الصالحين المستمدَّة من الأنبياء والأخيار والأئمة الأطهار، وليس غريباً عليه ذلك، لأن سماحته (قُدِّس سرّه) يحمل في قلبه الحب والحلم والرحمة، وتلك صفات الأولياء الصالحين.

ردّ سماحته (قُدِّس سرّه) على الحملة التشويهية الظالمة بالصمت، وترفّع عن الانجرار وراء تلك الأقلام المسمومة التي تطاولت على العلم اعتماداً على تكرار خرافات لا قيمة زاهنة لها سوى حفر القبور وتمزيق الجسد والعبث بالجروح، بغية الكسب السياسي المؤقّت على حساب الحقائق ووحدة الأمة، ودعا إلى جعل لغة المحبة لغة الحياة حتى تكون الحياة أرقى وأطهر وأصفى...

في هذا الجانب سئل سماحته (قُدِّس سرّه): «**لا أحمل في قلبي حقداً على أحد**» مرتبة عالية في إنسانيتكم، هل يمكن أن تتحدّثوا عن ذلك مع كل هذا الجو الحاقد عليكم؟

«إنني منذ انطلقت في الحياة تعلّمت الحبّ من الله ومن رسول الله ﷺ ومن الأئمة عليهم السلام فقد رأيتُ أن الله (سبحانه وتعالى) قد أعطى الرحمة للناس كلّهم، والرحمة تمثّل حالة حبّ، فأنا أحبّ الإنسان كلّه ولكني أبغض انحرافه وجريمته وكفره وظلمه، وقد ورد عندنا في الحديث: «**إن الله يحب العبد ويُبغض عمله، ويحب العمل ويُبغض بدنه**»[2].

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٠ الجمعة ١١ شعبان ١٤٣١ هـ ـ ٢٣تموز (يوليو) ٢٠١٠ ص٨، تحت عنوان «رحيل عملاق الفكر الإسلامي».

(٢) نهج البلاغة، ج٢، ٤٤ من خطبة له في الداعي ووصف آل البيت.

لقد تعلمت من رسول الله ﷺ ذلك عندما قرأتُ سيرته ورأيت أنه مفتوح القلب لكل الناس، وأنه كان يقول: «**اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون**»[1].

وتعلمت ذلك من علي عليه السلام عندما كان يقول: «**احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك**»[2].

إنني وأنا أتألم مما يتحرك به كل هؤلاء ولا أدّعي لنفسي أني أبتعد عن الأحاسيس والمشاعر، فقد كان رسول الله ﷺ كما حدّثنا الله تعالى عنه يحزن ويعيش الضيق مما يمكرون، لذا قال الله له: ﴿...وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾[3].

لكني أحاول دائماً أن أدرس نقاط الضعف التي فرضت عليهم ذلك، كنت أدرس التخلف الذي يعيشون فيه، والجهل الذي يعيشون فيه، والذاتيات التي يدورون في فلكها، ولذلك كنت أشفق عليهم من أنفسهم أكثر مما أشفق على نفسي منهم.

إنني أؤمن بحقيقة، وهي أن عليك أن تحب الذين يخاصمونك لتهديهم، وتحب الذين يوافقونك لتتعاون معهم، وإنني أحب الذين ألتقي معهم لأتعاون معهم على البرّ والتقوى، وأحب الذين أختلف معهم لأتعاون معهم في الحوار من أجل فهم الحقيقة.

إن الحياة لا تتحمل الحقد... الحقد موت، والمحبة حياة، وأنا أريد أن أحيا ولا أريد أن أموت»[4].

يقول الأب أنطوان ضو[5] في سماحة السيد:

(كان العالم الكبير والمجتهد الحكيم الذي يتحلى بصفاء العقل والقلب والروح، ورمزاً من رموز الحركة الإسلامية المعاصرة الذي كرّس حياته للدفاع

---

(١) بحار الأنوار، العلاّمة المجلسي ج٢١، ص١١٩.
(٢) نهج البلاغة ج٤ ص٤٣ ـ الحكمة: ١٧٥.
(٣) سورة النمل، الآية: ٧٠.
(٤) من كتاب (أيها الأحبّة ـ السيد محمد حسين فضل الله(قده))، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م ط١ ص١١، ١٢.
(٥) أمين سر اللجنة الأسقفية للحوار (المسيحي ـ الإسلامي).

عن حرية الفكر والاجتهاد والعقلانية والأصالة الحقيقية والانفتاح على الآخر والإصغاء إليه واحترامه وقبوله والتفاعل معه، ونقل الواقع الإسلامي في سبيل مجتمعٍ إسلامي نهضوي منفتح ومتوازن.

إن الحوار هو طريق الخلاص والسلام والتقدُّم على الصعيد الوطني والعربي والإسلامي والمسيحي والعالمي، والحوار الإيجابي يقودنا أيضاً إلى بناء حضارة المحبّة، محبة الله ومحبة الإنسان، العلّامة السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) جمع بين عدل الإسلام والمحبة المسيحية، أحبّ جميع الناس لكنه أعطى الأولوية لمحبة الفقراء والأيتام والمرضى والمستضعفين والمظلومين وغيرهم...

قاوم سماحته الحقد ودعا إلى المحبة قائلاً:

«إن الحياة لا تتحمل الحقد، فالحقد موت والمحبة حياة».

ولقد دعانا السيد المسيح إلى المحبة قائلاً: **«أحبُّوا بعضكم بعضاً كما أنا أحببتكم»**. والسيد العلّامة أوصانا قائلاً:

«أحبوا بعضكم بعضاً. إن المحبة هي التي تبدع وتؤصّل وتُنتج، تعالوا إلى المحبة بعيداً من الشخصانية والمناطقية والحزبية والطائفية، تعالوا كي نلتقي على الله بدلاً من أن نختلف باسم الله».

لقد أحببناه، وبغيابه خسر المسيحيون في لبنان والعالم العربي أباً مسلماً أحبّهم كما أحبّ المسلمين، وسيداً مستنيراً دافع عنهم بحق وشرف كما دافع عن كل إنسان مهما كان دينه أو فكره، وهو يدعونا من عليائه إلى العيش معاً بأمان وسلام وعدل ومحبة في لبنان والعالم العربي الآن وإلى منتهى الدهر)[1].

إن مفهوم المحبة في فكر سماحته (قُدِّس سرّه) ليست حالة شعورية تنطلق من الإنسان بل هي أمرٌ يشمل الكون كله.

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٩ الأحد ٤ رمضان ١٤٣١هـ - ١٥تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص١١ تحت عنوان: «سيد المحبة الإسلامية المسيحية».

إن الله أحبّنا فخلقنا ورزقنا ورحمنا، أحبّنا ففتح لنا آفاق الدنيا على الخير وعلى العدل، وفتح لنا آفاق الآخرة على أساس أن نعيش عنده ومعه.

إن العلم إذا خلا من (المحبة) فإن فيه قابلية للانتفاخ والاستئثار والغرور وحينها يبدأ بإنكار أي حقيقة لا يتوصل إليها من خلال قنواته، لذلك كان يقول سماحته (قُدّس سرّه):

«أن تكون مسلماً في وعيك يعني أن تكون إنسان الله والعالم من حيث إنك إنسان العقل والقلب والروح والحركة والمسؤولية في خط الرسالة»[1].

لذلك أطلق الله العلم كقيمة هي سرّ القيم كلها ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾[2] وإذا كان الإيمان قيمة وهو القيمة ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾[3] فإنه يمرّ بطريق العلم.

لذلك كان يرى سماحته (قُدّس سرّه) أن العلم أهم منطلق للمحبة، لأن العلم يعطينا انطلاقة الأفق الرحب، والفكر يعطينا امتداد في العالم الأوسع، فالعلم يعلّمنا المحبة، فهو العقل الذي يحب فيُنتج الفكر، والقلب الذي يحب فيُنتج العاطفة، والكيان الذي يحب يُنتج العدالة والإبداع.

فكان يقول سماحته (قُدّس سرّه):

«طهّروا قلوبكم من الأحقاد، وعقولكم من الباطل»[4].

لقد عمّق سماحته (قُدّس سرّه) علاقته بربه ﷻ وانفتح عليه بالدعاء والتخشع، وأجّج في داخله مشاعر الحب والتفاني والذوبان فيه، وأجّج فينا

---

(١) كتاب الندوة الجزء الثالث (سلسلة ندوات الحوار الأسبوعية بدمشق) إعداد عادل القاضي ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٣) سورة السجدة، الآية: ١٨.

(٤) نقلاً عن منتديات عشاق نداء الصلاة (خطبة لسماحته (قده) عن أهمية الاستعداد لشهر رمضان المبارك، من خلال تطهير قلوبنا وعقولنا من كل حقد وباطل لنكون من أهل طاعة الله ومن المقربين إليه في هذا الشهر. نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٢ الجمعة ٢٥ شعبان ١٤٣١ هـ ـ ٦ آب (أغسطس) ٢٠١٠م.

هذا الشعور بصوته الحنون العذب الذائب في عشق الله تعالى وبأفعاله التي عكست معنى الإيمان الحقيقي لله (عزّ وجلّ).

لقد وجدنا فيك أيها السيد الجليل الزاهد، الإيمان والتقوى والانفتاح على الله ﷻ، لقد كنتَ تعي معنى القرب من الله وقيمة التضرع بين يديه والبكاء من خشيته، فكنت تحث أن يعيش الإنسان (الله) في قلبه وعقله، لا عبادة مغلقة لا وعي فيها ولا روح...

إن الحب الذي كان يملأ قلبك وروحك الزكية أرخى بإشعاعاته على الأيتام في مبرّات الخير، تملأ نظراتهم بعطاء تجاوز ما فقدوه بموت الآباء وزهرة حياتهم التي أوشكت أن تذبل لولا مسح أناملك على رؤوسهم، فرسَمَتْ على شفاههم ابتسامة الأمل في الحياة...

يا سيد الأيتام، يا أبا الأيتام، لقد عرفوك أباً رحيماً وحضناً عطوفاً وقلباً حنوناً... هكذا عرفوك فأحبُّوك...

إن روحك ما زالت تنتظر وقع أقدام المستضعفين والمحتاجين وهم يفدون على صاحب القلب الكبير ليبثُّوا له همومهم ويشكوا إليه ضَيْعة الزمان، فقد كانوا يؤمنون أنهم الأقرب إلى قلبه، فيسبقهم هو برأفته ويلملم لهم كبرياءهم الذي حطّمه عَوَزُ الحاجة، لقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) إنساناً تتناثر الرحمة والمحبة من بين جنبيه، تلك الرحمة التي نجح في ترجمتها حرفياً بأعداد مُحبِّيه ومريديه ومؤيديه...

لقد حوّطنا بنفحاته الوجدانية والروحية بعباءة الحب والحنان... وترك في قلوب أحبائه ومريديه وتلامذته والمعجبين به لوعة لن تبرأ، وجراحاً لن تندمل، وفراغاً لا يُسَدّ، وثلمة لن ترأب، جاء أنه:

«إذا مات العالِم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء»[1].

وإذا أردنا أن نعرّف مَن هو السيد محمد حسين فضل الله؟؟...!!

هو باختصار: **(القلب الذي لم يعرف إلا الحب)**.

---

(١) كتاب الكافي ج١ ص٣٨.

٦ ـ الإبداع العقلي والاهتمام بالناس:

كان لدى سماحته (قُدِّس سرّه) قدرة هائلة على التخطيط واستشراف المستقبل في عالم من المرجعيات الدينية لم يألف ذلك.

وقد دأب على ذلك في عدة اتجاهات من حياته وفي دوائر مختلفة من اهتماماته، لعل في مقدمها اهتمامه البالغ بالعمل الاجتماعي، والذي بناه لُبنةً لُبنة وبجهود فردية متواضعة في بداية هذا النشاط، ولم يكن كغيره يكتنز القناطير المقنطرة من الأموال الشرعية، بل وظّفها لخدمة الناس والمستضعفين، ولم تذهب هدراً...!!

كان سماحته (قُدِّس سرّه) مُبدعاً ومُخططاً بارعاً، فأتحف المجتمع برؤاه وأفكاره وكان المثل الأعلى في التخطيط والإرادة.

يقول فيه الرئيس سليم الحص[١]:

«لعل أهم ميزات السيد المفكر أنه واسع الإحاطة في نظرته إلى الأمور، فهو ليس ممن إذا وقع بصرهم على الشجر، زاغت بصيرتهم عن رؤية الغابة، وهو في نظرته إلى الواقع السياسي والاجتماعي، الذي يشغل منه الاهتمام، يتبصّر في مفرداته، وتفاصيله وجزئياته، لا يشوه فيها وإنما ليستخلص منها النتائج، والدروس، والعبر، وليلقي الأضواء على ما يخبيء المستقبل، ويضمر الغير توصلاً إلى توعية الرأي العام، واستنهاضه إلى كا ما هو خير للمجتمع، والأمة حاضراً ومستقبلاً وهو في ذلك سيد البصيرة النفاذة والإحاطة الشاملة في واقعية متميزة تخاطب شؤون الناس، وشجونهم، وهمومهم كما تواكب تطلعاتهم وآمالهم، وهو في كل ذلك يلتزم حدود التعاليم الدينية، التزام التقي المؤمن، كما يلتزم حدود الأخلاقيات، والمفاهيم الوطنية، التزام المواطن المسؤول»[٢].

كتب الصحافي الأميركي (فرانكلين لامب) مقالاً بعنوان (السيد محمد

---

(١) رئيس وزراء لبناني سابق.

(٢) من كتاب (العلاّمة فضل الله وتحدي الممنوع) ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م ـ دار الملاك ـ بيروت، ط١ ص١٨٧.

حسين فضل الله رجل لكل الفصول) تحدّث فيه عن أجواء رحيل سماحة السيد (قُدِّس سرّه) وتشييعه، معتبراً فقده خسارة لا تقدّر بثمن، مشيراً إلى صفاته ودوره القيادي على المستوى الإسلامي العام ومواقفه الرائدة في مواجهة الاحتلال والسياسات الأمريكية، معتبراً سماحته «**رجلاً نادراً يملك ذكاء الملائكة وخُلقهم**»[1].

عمل سماحته (قُدِّس سرّه) على أن تكون المرجعية، مرجعية المؤسسة التي تعمل على ترجمة الدين إلى مؤسسات موجودة لا تنتهي بانتفاء أو بوفاة مرجعها أو زعيمها أو قائدها بل تبقى وتستمر لخدمة المستضعفين من الفقراء والمحتاجين والأيتام وغيرهم...

كان سماحته (قُدِّس سرّه) دائم الاحتكاك بالناس، من خلال تخصيص أوقات محددة يستقبلهم فيها، بعيداً عن البروتوكول والتعقيد المتّبع عند بعض أقرانه، فيعرضون عليه مشاكلهم مهما كانت بسيطة، فكان يستوعبهم ويُفتيهم في مسائلهم، ما ولّد عنده نوعاً من «الفقه المقاصدي»[2] البعيد عن التجريد والمثالية والتحجُّر.

كان سماحته (قُدِّس سرّه) يرفض دائماً الصورة النمطية المأخوذة لرجال الدين، على أنهم كالكعبة، يزورهم الناس ولا يزورون أحداً من الناس، ولذلك كان من العلماء القلائل الذين ينزلون إلى الناس ويستمعون إلى مسائلهم ويجيبون عليها ويعيشون بين الناس لا فوقهم.

لم نشهد في كل التاريخ المرجعي، مرجعية واحدة استطاعت أن تبني مؤسسات إنسانية وخدماتية وتعليمية وتثقيفية ودينية وإنتاجية، بهذا الحجم الذي قام به سماحته (قُدِّس سرّه).

إن اهتمامه بالمحيط الاجتماعي ينبع من تفهُّمه الكبير لتحديات عصره ومتطلبات الناس في هذا العصر، فكان أن تجاوز ما هو المألوف في سلوك

---

(١) بتاريخ ٢٣ ذو القعدة ١٤٣١هـ الموافق ١/ ١٠/ ٢٠١٠م ترجمة: غسان رملاوي موجود في موقع (بيّنات) في (ملف الرحيل).

(٢) ورد تفسير «الفقه المقاصدي» في ص٧٦.

الفقهاء من اقتصارهم على المعتاد والسائد، وهو ما يفسّر نزوعه نحو بناء مؤسسات عجزت عن بنائها حكومات ودول في سلوك فريد من نوعه لدى المراجع الدينية وفقهاء الإسلام، وهو ما يفسّر أيضاً استماعه إلى مشاكل الناس على اختلاف طبقاتهم، وهو (أُذنٌ) صاغية يهتم بهذه المشاكل جداً، فيفكر طويلاً ويجد الحل المناسب لتذليل ما يمكن تذليله، وتجاوز ما يمكن تجاوزه، ما انعكس على مواقفه الفقهية وفتاواه، بعيداً عما دأبت عليه المراجع الدينية من الثبات وقلة الاهتمام بالمتغيرات أو المكابرة تجاه الظروف والقناعات والمناخات المستجدة، فكان اهتمام سماحته (قُدِّس سرّه) بهذه المتطلبات اهتمام الخبير والعليم.

يقول سماحة السيد جعفر فضل الله: كان دائماً شعار سماحته (قُدِّس سرّه):

«العقل مفتوح والقلب مفتوح والبيت مفتوح»[1].

وهذا الشعار كان يمارسه عملياً، لا يريد أن يغلق بابه أمام أحد سوى مَن يُغلق بابه بطبيعة الحال.

يقول المطران سليم غزال[2]:

(ميزة الرجال الأماجد أنهم متى رحلوا بالجسد غياباً في موكب الموت استرجعتهم ذاكرة الحياة حضوراً في الفكر والوجدان، وألفاً لا يمحوه النسيان، فالعمر لا يقاس بعدد السنين، بل إن العمر أقفال وأعمال تضيق بها مساحة الزمان ومدى المكان ليصبح جزءاً من مسيرة التاريخ وديمومة العالم، بهذا المعيار التقويمي الذي لا يندرج في بورصة التحولات الظرفية ننظر إلى شخصية آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (طيّب الله ثراه) في سيرته ومساره من خلال حكمته الوازنة وعقله الراجح ومحبته السمحاء التي تجلّت في خدمته للناس والمجتمع.

---

(١) مقابلة قناة «آفاق» مع السيد جعفر فضل الله تحت عنوان «ملامح شخصية المرجع السيد محمد حسين فضل الله ومحطات من حياته بتاريخ ١٧ شعبان ١٤٣١هـ ـ الموافق: ٢٩/٧/٢٠١٠م.

(٢) رئيس اللجنة الأسقفية للحوار (المسيحي ـ الإسلامي).

هو الذي أمضى عمره مجتهداً وباحثاً فذاً وباحثاً علاّمة عن سبل جادة ومفيدة لتيسير حياة الناس في شؤون الدين والدنيا.

لقد تعرّفت إلى سماحته شخصياً منذ أوائل التسعينات، عندما كنت أزوره برفقة موفدين من الڤاتيكان، أو وفود أجنبية من دول أوروبا، أو من خلال كتابته ومحاضراته التي تناولت جوانب الحياة في بُعدَيْها الروحي والدنيوي، وكذلك من خلال عملنا المشترك في مجالات الحوار والتلاقي، بتأكيد نظرتنا الواحد إلى الآخر وقبوله رغم الاختلافات الفكرية والسياسية والعقائدية)[1].

٧ ـ سياسي من الطراز الأول:

لقد برز سماحته (قُدِّس سرّه) سياسياً من خلال إطروحاته وتحليلاته السياسية واهتمامه بقضايا الأمة والوطن والعالم، وخاصةً عندما وقف إلى جانب المقاومة المسلّحة في لبنان وفلسطين وواجه أميركا وإسرائيل، وبرز في فتاواه التي ردّت على كل فتوى أحجمت أو اعترضت على مقاومة الاحتلال والعدوان، وقد تحصّن بموقف مبدئي لم يتزحزح عن تحريم الاعتراف بالكيان الصهيوني أو التفريط بأي من الحقوق والثوابت في القضية الفلسطينية.

لقد رفض رفضاً صارماً السياسات الأمريكية في المنطقة وكل السياسات الدولية التي تدعم الكيان الصهيوني.

لقد حارب كل المستعمرين الجدد بكلمته ومنبره، فمن هنا حسم السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) موقفه من أميركا سياسياً، وحسمت هي موقفها منه وأدرجته على قائمتها السوداء، وكان لا بد لهذين الحسمين من أن ينعكسا على فقهه وعلى مواقفه.

لقد كان له موقف بارز في الوقوف إلى جانب الجمهورية الإسلامية الإيرانية منذ انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وناصرها في أحلك الظروف وأصعبها، حتى آخر أيامه، ولم ينقطع أبداً عن دعم الحركات الإسلامية والوطنية العالمية المناهضة لسياسة قوى الاستكبار العالمي.

---

(١) مقال بعنوان (رجل الدين ورجل الإيمان) بتاريخ ٦ شوال ١٤٣١ هـ الموافق ١٤م٩م٢٠١٠م بمناسبة رحيل السيد محمد حسين فضل الله (قده) نقلاً عن موقع «بينات» الموقع الرسمي الألكتروني لسماحة السيد المرجع محمد حسين فضل الله (قده).

لقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) المرجع السياسي الذي تلجأ إليه أعلامُ السياسة ليرسم لهم المشهد الحاضر والمشهد المستقبل، وليقدّم لهم النُصحَ من موقع المسؤولية، وبالروح الأبوية التي تريد للجميع أن يدركوا أن السياسة تعني إقامة العدل وموازين القسط بين الناس، والتي تريد للجميع أن يوظّفوا مواقفهم والعناوين التي يحملونها لرفع الظلامات عن المحرومين وتأمين الحياة الكريمة للناس.

لم يكن يوماً ليتبجّح بأنه قرأ للمفكر الفلاني أو غيره، على الرغم من أنه كان قارئاً مميزاً، إن سماحته (قُدِّس سرّه) أنتج لغةً سياسية، فكرية، ثقافية، فقهية، خاصة به، حتى عندما تقرأ شيء تعرف أنه هو كاتبه أو من بنات أفكاره، وهو الذي كان يصنع السياسة لا يقلّدها أو ينقلها.

هو شخصية سياسية جامعة يجتمع عليه أفرقاء سياسيون من اتجاهات متناقضة أحياناً، ما يسهم في التوحيد والتأليف، وخصوصاً أن للسيد تجربة طويلة وواعية وبصيرة نافذة.

يقول طلال سلمان[1]:

(لم نتعود الكتابة عن المرجع ـ المنارة ـ السيد محمد حسين فضل الله بصيغة «الغائب» وهو الذي كان حضوره المُشِع بنور الدين يعزّز فينا المعرفة بدنيانا لتكون لائقة بكرامة الإنسان وحقه في الحية التي كرّمه بها الله.

لقد كنا نقصد «السيد» بحكمته، ولنتعلّم منه الصبر على الشدائد ومقاومة ما يُراد فرضه علينا، بعد كل زيارة كنا نعود أكثر ثباتاً على إيماننا بعروبتنا، فهي عنده رابط مقدّس، أولها تحرير فلسطين عنوان تحرير الإرادة العربية ومعها العراق بعدما ورث الاحتلال الأمريكي الطغيان فيه ووضعه على حافة الحرب الأهلية بالتمزقات التي اتخذت طابعاً طائفياً ومذهبياً وعنصرياً.

كنا نعود من عنده أكثر يقيناً بأن الجهاد في سبيل تحرير الأرض والإرادة هو الجهاد في سبيل الله، وأن الدين من أجل الإنسان لا من أجل السلطان،

(١) رئيس تحرير جريدة السفير (كاتب وصحفي).

وأن العقل نعمة من الله سبحانه وتعالى وعلينا احترامه واعتماده من أجل أن تكون لنا حياة أفضل.

عزاؤنا أيها «السيد» في تراثك الغني، وقد تركت لنا مكتبة عظيمة فيها إلى جانب شروحاتك العصرية للدين وتعاليمه بالاستناد إلى العقل والمنطق، مؤلفاتك في الثقافة وعلوم الحياة إضافة إلى دواوينك التي تجعلك تحتل موقعاً بارزاً بين شعراء عصرنا.

لقد أغنيتنا في حياتك بحياتك وبتاجك الغني، وبمنهجك العقلي والعصري في فهم الدين وتوكيد ارتباطه بالتقدم الإنساني، وها أنت تترك لنا ما تنتفع به الأجيال القادمة ثقافةً وعلماً وإيماناً.

فليباركك الله مرجعاً يرشدنا إلى طريق التقدم ويعزّز فينا إحساسنا بكرامتنا كبشر وكأصحاب قضية تستحق أن نجاهد من أجلها.. وأنت القدوة اليوم وغداً وفي كل زمان»[1].

لقد قضى عمره (قُدِّس سرّه) في العمل والحراك المتواصل في السياسة والدين وفي مجالات متنوعة ومتعددة، وما من مثقف عربي أراد أن يفوق أقرانه إلا وزار سماحة السيد.

كان ملجأً لبعض الناس الذين صدرت بحقهم أحكام تكفيرية مثل نصر حامد أبو زيد[2] الذي رفض السيد (قُدِّس سرّه) إخراجه من الدين.

في عام ١٩٩٤م زار الكاتب والصحفي العربي الكبير محمد حسنين هيكل

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١هـ ـ ٩ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص١١.

(٢) أكاديمي وباحث متخصص في الدراسات الإسلامية، مفكّر، عندما قدّم أبحاثه للحصول على درجة أستاذ اتهمه أحد أعضاء لجنة الترقية في جامعة الأزهر بالردة وترك وطنه مصر (طنطا) ـ جوهر المشروع الفلسفي للدكتور نصر أبو زيد هو الاعتماد على المناهج الحديثة والمعاصرة في فهم النص الديني، وتفرقته بين الدين والفكر الديني، فالدين كما يقول هو مجموعة النصوص المقدسة الثابتة تاريخياً، في حين أن الفكر الديني هو الاجتهادات البشرية لفهم هذه النصوص واستخراج دلالتها وتسلُّحه بالمناهج العلمية الحديثة في إنتاج دلالة هذه النصوص مثل الألسنية والهرمنيوطيقا وعلم الاجتماع، والحرص على إنتاج الدلالة من داخل النصوص نفسها دون أن يفرض عليها رؤى أيديولوجية من خارجها مدركاً أن الفكر البشري ـ الديني هو نتاج للظروف التاريخية والاجتماعية لعصره.

(ويُعتبر أهم شخصية صحفية سياسية في العالم العربي) سورية ولبنان، لم يطلب خلالها مقابلة إلا شخصيتين هما الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد، والسيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه)، أما الباقون فهم الذين كانوا يريدون رؤيته...!

في ذلك اللقاء بين الرجلين المثقفين، دار حديث وحوار عميق وحميم رغم أنه بين شخصية إسلامية وأخرى ناصرية على ما بين الإسلاميين الناصريين من تاريخ وصراع عنيف، ومن القضايا التي تطرق لها الحوار الموقف من القومية العربية...

قال السيد فضل الله: «نحن لا مشكلة عندنا مع القومية وخصوصاً بين العروبة والإسلام، أنا أقول أن الإسلام أعطى العروبة مضمونها، والعروبة أعطت للإسلام حركيتها وذهنيتها وكثيراً من الظروف التي استطاعت أن تمنح الإسلام قوة حركة، وقد طال الحديث والنقاش حتى خرج محمد حسنين هيكل من عند سماحة السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) حيث صرّح قائلاً:

«السيد فضل الله لا تستطيع أن تختلف معه، لديه عقل يضاهي عقل لينين في التنظيم، أنا عندما زرت لبنان وسوريا استفاد الجميع مني، أما أنا لم أستفد إلا من السيد فضل الله، وهو مظلوم أن يبقى في لبنان لأنه مرجعية إسلامية كبرى»[1].

وهنالك شهادة بارزة للدكتورة نهلا الشهّال[2]، تقول:

«إنني رُبِّيت في بيت شيوعي لكنني تعرّفت إلى فكر السيد، فأحدث عندي تحولات كثيرة».

كريم مروة[3] ـ من قادة الشيوعيين ـ يقول إنه عندما زار السيد والتقى به بادره السيد بالقول: «أنت ماركسي مستقل وأنا إسلامي مستقل» يقول: فشعرت

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٠ الجمعة ١١ شعبان ١٤٣١ هـ ـ ٢٣تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص٧.

(٢) كاتبة وباحثة لبنانية وأستاذة جامعية في العلوم السياسية، نقلاً عن موقع «بيّنات» الموقع الرسمي للمرجع السيد فضل الله (قده) تحت عنوان «ملف الرحيل».

(٣) مفكر عربي ـ لبناني، كاتب سياسي يساري مستقل، نقلاً عن موقع (نصوص معاصرة ـ مركز البحوث المعاصرة في بيروت) الألكتروني وموقع «بيّنات» تحت عنوان (بوح الذكرى)..

بأنني مع رجل قادر على الحوار، فقلت له: تجمعني معك الوطنية اللبنانية. فردّ عليه السيد بقوله: إن والدك صديق والدي. (أراد السيد بذلك أن يردّ كريم مروة إلى جذوره الجنوبية العاملية).

نعم لقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) سياسياً من الطراز الأول، ربما فاق وعيه السياسي كل رجالات السياسة في لبنان وخارجه.

رأى سماحته (قُدِّس سرّه) السياسة تتشرذم أمام وعي مفتّت سيطرت عليه التشنجات الطائفية والمذهبية التي لم تترك مجالاً للحوار المدني بين الناس، وجد السياسة مصادرة صادرتها أنظمة استبدادية ونُخَب ثقافية تفتقر إلى المعرفة وتتسكع على أعتاب السلطة وتضع رأس أهدافها أن تصبح بيروقراطية تعمل لدى السلطات. ذابت السياسة أمام الهويات المذهبية حين فسُدت السياسة وفسُد الوعي. وفساد الوعي والسياسة أدى إلى فساد الدين عند الناس.

يقول الكاتب والصحفي علي حسن سرور[1]:

(بحكم عملي الصحفي، التقيت العلّامة فضل الله، كأي شخصية يلتقيها الصحفي، ولكنّ اللقاء كانت نتيجته مختلفة عن كل اللقاءات الصحفية التي أجريتها مع العديد من الشخصيات السياسية والروحية، لأن الصحفي الذي يلتقي العلّامة فضل الله، وبحسب إجماع معظم زملائي من الصحفيين، لا بد وأن يتعلق بشخصية هذا العلّامة الفذ، ولأنني تعلقت بشخصيته مثلي مثل الكثير من الصحفيين، أصبحت أتابع النهج الذي يسير فيه، فتولدت داخل أعماقي وأفكاري رغبة قوية في الكتابة عن سماحته لا سيما بعد أن أن أصبح لديّ قناعة كاملة بأنه ليس ملك نفسه بل ملك جميع الناس المؤمنين بالإنسانية والعدالة والمحبة، أقول هذا الكلام ليس مديحاً كما كان يفعل الشعراء أمام السلاطين في عصر الجاهلية، بل هذا ما كنت أسمعه من معظم الناس في المناطق اللبنانية، ومن مختلف الطوائف والمذاهب، وكانوا يقولون بأن العلّامة فضل الله يستحق الاحترام والتقدير والمتابعة لأن رؤيته واسعة للأمور، ولأنه يطرح فكره وعقيدته بمنطق العقل والمحبة البعيدين عن لغة التهور والعنف، كما اتضح لي أن الكثير من

(١) مؤلف كتاب (العلاّمة فضل الله وتحدي الممنوع) ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م (كاتب وصحفي).

السياسيين اللبنانيين الذين كانوا ينعتون العلّامة فضل الله بعبارات لا تليق بمقامه الكريم، اكتشفوا أنهم ظلموه، فشعروا بالندامة، وعملوا المستحيل كي يستقبلهم في دارته المتواضعة.

هذه الأمور التي كنت أتابعها من خلال عملي الصحفي كما ذكرت، جعلتني أشعر بأن هناك كثيراً من الأمور التي سيقت وتُساق كذباً ضد العلّامة فضل الله، فكان لا بد من إيضاح الحقائق للناس من خلال تحدي الكذب وإظهار الحقيقة)[1].

واجه سماحته (قُدِّس سرّه) هذا المجتمع بالعمل الاجتماعي الأخلاقي من أجل أن يعيد إلى الدين أسس الحركة السياسية الصائبة الواعية، حيث ساهم خطابه السياسي والديني في إعادة تأسيس الوعي، حيث قام بتأسيس عدة مؤسسات ومبرّات ومساجد ومدارس وغيرها لإعادة تشكيل الوعي الديني والسياسي لأن الجو السياسي ملبّد بالسحابات الحزبية والمذهبية، فعمل على تأسيس وتصحيح المفاهيم السياسية والدينية من قاعدة الهرم صعوداً، حتى صارت هي سبيله في النضال والمواجهة في المستقبل.

يقول بولس نعمان[2]:

«يتميز السيد محمد حسين فضل الله (قده) برؤية سياسية نافذة، وإدراك موسوعي عميق للأمور، وانفتاح على كل الأديان والتيارات الفكرية».

ويقول السفير الفرنسي السابق في لبنان (فيليب لوكورتيه):

«لقد تعلمت الكثير من خلال اللقاء بالعلاّمة السيد محمد حسين فضل الله وخصوصاً فيما يتعلق بالوضع الإقليمي، وتفانيه من أجل بلده لبنان، ومن تبصُّره وحكمته وثقافته الواسعة»[3].

يقول الدكتور محمد السماك[4]:

---

(١) نقلاً عن كتابه (العلاّمة فضل الله وتحدي الممنوع) ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢م ص١٣ ـ ١٤.

(٢) رئيس الرهبانية المارونية الأسبق، نقلاً عن الموقع الرسمي لسماحة المرجع السيد فضل الله (قده) (بيّنات) تحت عنوان (بوح الذكرى).

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) عضو لجنة الحوار الإسلامي ـ المسيحي، نفس المصدر السابق.

«صاحب السماحة السيد محمد حسين فضل الله مبادرته الخيِّرة فكرياً وفقهياً تشكل الأساس لعمل وطني جامع ولعلم إسلامي موحّد، ونحن في أمَس الحاجة إلى هذا الفكر وهذه المبادرات، فهذا الأمر ليس جديداً على صاحب السماحة، فهو صاحب مدرسة في هذا المجال، ونحن ننتمي إلى هذه المدرسة ونعمل دائماً بِوحي منها».

الصحافي والكاتب البريطاني روبرت فيسك يقول:

«شخص مثل المرجع الديني الشيعي السيد محمد حسين فضل الله هو فيلسوف إلى جانب كونه داعية إسلامياً وعالمياً»[1].

وزير الخارجية الإيرانية منوشهر متكي يقول:

«السيد محمد حسين فضل الله شخصية إسلامية سامية، مكانته عالية، وهو ثروة إسلامية لا تقدّر بثمن، ليس على المستوى اللبناني فقط إنما على مستوى المنطقة بأكملها»[2].

ملحم كرم نقيب الصحافة في لبنان يقول:

«نلتقي اليوم إنساناً من القادة البارزين في مجال الهدي والتنوير، وله أيدٍ بانية في المجال الفقهي والتربوي والإنساني والروحي والعلمي، وهو مؤمن بما قاله الإمام علي عليه السلام: «نعمة الله عليك حاجة الناس إليك»[3].

الصحافي إبراهيم الأمين يقول[4]:

«السيد محمد حسين فضل الله شخصية إسلامية نادرة جداً في عالم الضياع الكبير للواقع الإسلامي والعربي بوجه الخصوص، وتتميز هذه الشخصية بالانفتاح العقلي، العالم العربي بحاجة إلى شخصية تعيش الواقع بانفتاح، وبذلك نستطيع أن نغيّر الواقع السيىء إلى واقع أفضل، ولكن لديّ شك كبير بأن يكون لدى علماء الدين تلك الشجاعة والجرأة التي تميّز بها السيد محمد حسين فضل الله».

---

(١) نقلاً عن صحيفة الوسط البحرينية بتاريخ ٥ تموز (يوليو) ٢٠١٠م.

(٢) (٣) نقلاً عن الموقع الرسمي لسماحة المرجع السيد فضل الله (قده) (بيّنات) تحت عنوان (بوح الذكرى).

(٤) رئيس تحرير جريدة الأخبار ـ نفس المصدر السابق.

الوزير كرم كرم يقول[1]:

«مَن يلتقي السيد فضل الله يستنير منه علماً وثقافة وحكمة ورأياً سديداً، وما أحوجنا اليوم أكثر من أي وقت مضى على مستوى الأمة والوطن إلى العقل والفكر الثاقب والأخلاق العالية»[2].

الشيخ والأديب عبد الله العلايلي[3] قد قال في سماحته (قُدّس سرّه):

(أردتُ أن أنعتك بلقب أنت أهله ويكون وقفاً عليك، فتروّيت قليلاً وخرجت بهذا اللقب: الإمام حجة الله البالغة.

وليس بالكثير سيدي هذا اللقب إزاء إمام دون أفقِهِ المتنابذون بألقاب تشغف آذان دنياهم، وتروق في أعين أهوائهم، وما لها في جنب الحق من خلاقٍ ولا نصيب.

نعتُك بالإمام ومعناي به ليس ما يتبادر لأول وهلة إلى أفهام الناس بل ما عنته اللغة في الوصلي لكلمة إمام: وهو شاقول البناء وخيطه الذي به تقاس استقامة وضع الحجارة وانسجام رصف اللبنات، وحسبك أن بناية وطنك وعمارة أمتك إنما تقاس بك، ومائلها لا يعرف مقدار جنوحه وميله إلا بخيطك وخطك).

المطران إلياس عودة يقول[4]:

(إنه رجل التأليف والائتلاف، يدعو إلى التمييز حيث يترصد الناس جنوحٌ إلى التشويش أو الخلط، وإلى الانسجام، حيث تتهددهم نزعة إلى التبعثر أو مَيْل إلى الاختزال.

لغة الحوار عند العلّامة فضل الله تخاطب القلب لأنها تجيء من السماحة التي ما برح يستلهمها، وقد دعي بحقٍ صاحبها)[5].

---

(١) وزير صحة سابق ورئيس قسم الجراحة النسائية في الجامعة الأمريكية في بيروت ـ رئيس جمعية أطباء الجراحة النسائية في لبنان، نقلاً عن الموقع الرسمي لسماحة المرجع السيد فضل الله (قده) (بيّنات) تحت عنوان (بوح الذكرى).

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) باحث لغوي وقاموسي متعمّق في التاريخ الإسلامي. نقلاً عن كتاب «العلاّمة فضل الله وتحدي الممنوع» علي حسن سرور، ص٢١٧.

(٤) متروبليت بيروت وتوابعها للروم الأرثوذكس.

(٥) نقلاً عن موقع «بيّنات» الألكتروني تحت عنوان: (بوح الذكرى).

في موقع الأمة في الإصلاح يقول سماحته (قُدّس سرّه):

«ليس هناك في الأمّة شخص خارج المسؤولية، فلكلّ شخص منّا طاقة ولكلّ منّا موقع وإذا كانت طاقتك أو موقعك لا يسمح لك بأن تغيّر الواقع من خلالهما، فإنّك تستطيع أن تضمّ طاقتك إلى طاقات الآخرين، وأن تقارب بين موقعك وبين مواقع الآخرين، ذلك أن أول شرط للمسؤولية هو وعي الواقع، وأن لا تكون لدينا أميّة سياسية، فقد نكون متعلّمين إلى المستوى الجامعي، ولكن مشكلتنا هو هذه الأمية السياسية التي هي من أخطر ألوان الأميّات، فنحن ـ للأسف ـ لا نملك وعياً سياسياً شاملاً، فأين هي ثقافتنا في مشاكل الأمة الاقتصادية؟ وما هي خلفيات هذه المشكلة؟ هل هي محليّة أو إقليمية أو دولية؟ وعندما ندرس الواقع السياسي والمشاكل السياسية في العالم الإسلامي لا نعرف هل أنها مشاكل محليّة أو إقليمية أو مشكلة إستكبار عالمي؟ هل هي مشكلة رأس الهرم أو هي مشكلة قاعدة الهرم؟ أيّ وعي سياسي نملكه؟

إننا نسمع في كلّ يوم نشرة أخبار أو أكثر من نشرة، ونقرأ أكثر من صحيفة، ولكننا نستهلك السياسة كما نستهلك الطعام، فنحن نأكل الطعام من دون أن نعرف مكوّناته خاصة وأن الطعام أصبح معلّباً، والسياسة معلّبة والاقتصاد معلّباً، ويحدّثونك عن السموم في العلب الغذائية وما في العلب الأخرى أخطر وأخطر. فنحن شعب لا يطيق أن يكون منتجاً، إنّما نحن مستهلكون، فنحن نستهلك الفكر الذي يُقدّم إلينا، ونستهلك الإشاعات التي تطلق بيننا، ونستهلك التخلّف الذي يفرض علينا، ونستهلك السياسة والسياسيين، ونستهلك الاقتصاد ونستهلك الثقافة ، وما إلى ذلك.

إن مشكلتنا هي أننا نقول للآخرين فكّروا لنا ولا نقول لهم فكّروا معنا، فنحن نعيش في مرحلة غسل الأدمغة بالفضائيات والصحف والخطابات الاستهلاكية والمتخلفين والجاهلين من أدعياء العلم. . . مشكلتنا هي أننا نستهلك ذلك كلّه حتى أصبحت صورتنا مشوّهة تشويه الفكر والروح والوعي والحركة، من منّا يعرف نفسه؟ دلّوني؛ هل تستطيعون أن تتحدثوا عن أنفسكم تفصيل؟

فلا بدّ أن يكون لدينا الوعي السياسي إلى جانب الوعي الثقافي والوعي الاجتماعي، فلا يقولّن أحد: أنا لا أملك أن أتثقف، فلدينا الكثير من أوقات الفراغ التي نصرفها بدون معنى وفائدة. ولننظر إلى الأُمم الأُخرى التي تحاسب

وتراقب وتسقّط وترقّع، لذا كيف تواجه الواقع السياسي الذي هو واقع حياتها، كيف تواجه الواقع الإجتماعي والاقتصادي من موقع وعيها لكلّ واقعها»[1].

نعم إن سماحته (قُدّس سرّه) أعطى فكراً ورونقاً خاصاً لعالم السياسة، مسخّراً السياسة لخدمة الدين وليس العكس، أي ديّن السياسة ولم يسيّس الدين لمصالحه الخاصة الحزبية منها أو الفئوية، بل أعطى الدين جرعة مساندة من السياسة.

إنه أحد أهم رجال السياسة المحنكين الأول في لبنان والعالم العربي، ورجل المهمات الصعبة في تدوير الزوايا والمواقف السياسية الجريئة، ومدرسة في السياسة الداخلية والعالمية.

٨ ـ الصدق والإخلاص:

إن مصداقية سماحته (قُدّس سرّه) وإخلاصه هما أغلى ما عنده، حافظ عليهما طوال حياته (قده) حيث أنهما أكسباه احتراماً كبيراً في زمن سادت فيه مظاهر الانتهازية والنفعية والحزبية وشعارات عاطفية برّاقة دون صدقٍ فيها أو إخلاص.

هذه الشعارات طغت الكثير من النخب السياسية والدينية المسؤولة في المجتمع ما أفقدها التأثير على قواعدها وأنصارها وأورث هذه المجتمعات ركوداً ملحوظاً، وأسهم في إشاعة روح اللامبالاة واندثار الوعي الأخلاقي والديني فيما بين الناس.

السبب يعود إلى الفراغ الحاصل بين طرح الشعار والتطبيق، فلم يعد ممكناً تقويم سلوكيات المجتمع، ما عاد الوعي بالجوهر الحقيقي للدين يشكل واقعاً لدى الناس، المصالح قصيرة المدى طغت على المصالح طويلة المدى، المصالح الخاصة والذاتية على المصالح العامة.

إن الإخلاص يعطي الأعمال معنًى ومغزى، فكل الأعمال تذهبُ هدراً إن لم يكن بها إخلاصٌ للّه، الصدق يجعل اندماج الفرد في المجتمع عملاً متوازناً ذا سويّة أخلاقية واجتماعية.

انفصال الصدق عن الذات الاجتماعية سواء كانت فردية أو جماعية يولّد انفصام في الشخصية وتعطيل لملكة التفكير بالشأن العام، وبالطبع تعطيل

---

(١) مقتبسة من كتاب الندوة (سلسلة ندوات الحوار الإسبوعية بدمشق) إعداد عادل القاضي ج٧، ط١ ـ ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، ص٢٨٤، ٢٨٥.

لإمكانية التفكير العقلاني، تسيطر الغرائز، بالأحرى تنتفض الغرائز القادمة من الوعظ والإرشاد وعدم الصدق بتطبيقه ورفع الشعارات دون الإخلاص فيها.

تسيطر على العقل تناقضات تؤدي إلى عدم الالتزام بالانتماء إلى المجتمع الإسلامي والإنساني المتديّن، ما يؤدي إلى فساد الوعي، وهذا الفساد في الوعي يؤدي إلى فساد الدين عند الناس.

فتجد بعض رجال الدين يعطون مواعظ ودروساً هم أبعد ما يكونون عنها، وقد أصبحوا مثل رجالات البَلاط قلَّ ما ينخرطون بالمجتمع، همّهم المنفعة المادية والشخصية.

نُسّاكٌ من عصر الطباشيري، الفكر التجديدي غائبٌ عنهم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصبح من الماضي، بعضهم تفرّقهم الأحزاب والتيارات والانتماءات السياسية، بعضهم أقرب إلى الموظفين ليصبحوا نُظراء لرجال الدين في الطوائف الأخرى، يستغلون الدين لخدمة مصالحهم الشخصية.

يقول سماحة السيد (قُدّس سرّه) عنهم:

(رجال الدين الذين يستغلون الدين لخدمة مآرب شخصية لا يمثلون الدين، رجل الدين درسَ الدين، وقد يكون بعضهم درسه دراسة معمَّقة وعالية وناضجة، وبعضهم لم يفعل، الأخيرون أشبه بالعوام في هذا المجال، العمامة لا تصنع رجل الدين.

رجل الدين هو الذي يملك ثقافة دينية واسعة والتزاماً دينياً، ودوره ينطلق مما قاله الله للنبي ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[1].

ليس كل ما يفعله رجال الدين يمثّل الدين، علينا أن ننقد رجال الدين حتى لو كانوا في أعلى الدرجات كما ننقد رجال السياسة والاجتماع، ليس هناك معصوم عندنا في هذه الحياة.

رجل الدين يفكر وهو إنسان قد يخطىء وقد يصيب، وعلينا أن ننبِّهه إلى خطئه ولا نعدّ أخطاءه، لا مقدّس إلا الله ورسوله وأولياؤه الذين فرض قداستهم)[2].

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٢) آخر حوار لجريدة الأخبار مع السيد محمد حسين فضل الله قبل عام من رحيله بشهر رمضان المبارك. نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٥ الجمعة ١٧ رمضان ١٤٣١ هـ ـ ٢٧ آب (أغسطس) ٢٠١٠م، ص٥.

لقد أدخلنا التعصب للزعامات في متاهات التقديس، تقديس رجال الدين وتقديس السياسيين، ودخل الناس في أفخاخ الشرك بالله من هذه النوافذ، ولذلك بات علينا العمل من جديد على إعادة الناس إلى رشدهم، وإخراجهم من هذه الذهنية التي تمثل الغيبوبة الطائفية والمذهبية والسياسية القاتلة.

وهناك فرق بين أن نحترم هذا الشخص وبين أن نقدّسه، وعندما نحترمه نحاوره ونجادله، وندعوه إلى سلوك طريق الصواب أو الطريق الأصوب إذا رأيناه يخطىء، أما عندما نضعه في منزلة القديسين، فلا حوار عندها ولا جدال بل تبعية عمياء وعصبية جوفاء.

علينا أن نفرّق بين مَن هم في مواقع القيادة من خلال انفتاحهم على الرأي الآخر، ودعوتهم الآخرين إلى نقدهم، وبين مَن يريد للناس أن تهتف وتصفق له كيفما شاء، لأن على القيادات إذا كانت أهلاً للمسؤولية أن تدعو الناس إلى نقدها كي تستقيم في خط المسؤولية السياسية والدينية.

في جردة الحساب الختامية لحياة سماحته (قُدّس سرّه) يُرى بين طياتها العَجَب العُجاب، لأنه استطاع أن يصل إلى قلوب الناس وعقولها، والسبب يعود لصدقيته وإخلاصه للّه، فكان يتقبّل أي انتقاد أو ملاحظة توجَّه إليه بكل رحابة صدر، فكان يعمل كما يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**أحب إخواني إليّ مَن أهدى إليّ عيوبي**»[1].

إن كل الشعارات التي رفعها سماحته (قده) عمل بها، اللهم إنه غير معصوم وقد يخطىء هنا قليلاً أو هناك أكثر إلا أن أعماله كانت كالشمس في وضح النهار.

وباختصار هو العالِمُ الذي إذا قال فعل ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[2]، وإذا فعل لم يقل، بل رأينا فعله دون منّةٍ أو رياء.

سيبقى سماحته (قُدّس سرّه) رمزاً للصدق والإخلاص، وهذا هو سرُّ نجاحه ونوره الذي لن تنطفىء أبداً إشعاعاته.

---

(١) تحف العقول: ٣٦٦.

(٢) سورة الصف، الآية: ٣.

٩ ـ شاعر فذ وأديب مرهف:

هو المتبّحر في الشعر والكلام، منبعٌ للبلاغة وأميرٌ من أمراء البيان، كان إذا تكلم شعراً سحرَ وألهبَ العقول، وإذا تحدّث أدباً اشتعلت القلوب والمشاعر.

منذ أيام الطفولة وهو ينظِمُ الشعرَ وينثر أعذب الكلام، فقال الشعر على أنواعه، وتحدّث عن المسرح بسلاسة ومحبة حتى ذاع صيطهُ بين الشعراء فأخذ موقعاً متميزاً ومهماً بين الأدباء والشعراء.

يقول السيد حسن محسن الأمين[١] وهو ابن المغفور له العلّامة الفقيه السيد محسن الأمين (قُدّس سرّه):

«أول ما عرفته في أوائل الخمسينات وميّزته فيه هو شاعريته، شاعراً مجيداً، وسمعته يلقي قصيدة رثائية مؤثرة تجلّت فيها منذ ذلك الوقت، شاعريته المتفوّقة، ثم تابعت بعد ذلك شعره المنثور، فكان الشاعر المبدع الذي تلذ للقارىء قراءته، وللسامع إنشاده»[٢].

ومن رثاء له (قُدّس سرّه) إلى والدته يشير فيها إلى أنه عند وفاتها فَقَدَ طفولته وشعر بشيخوخته:

إلى أين يا روحَ أمي...
وماتتْ... وماتَ الذي كان يحبو
هناك على صَبَوَاتِ الطفولةْ...
وأحسستُ بالطفلِ يصبحُ كهلاً
يعيشُ انحناءةَ شيخوختي...
وتبقى الحياةُ...
وتهربُ مني جمالاتُها،
وأغفو... وأُبصر في الحُلُمِ،

---

(١) صاحب دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ومستدركات أعيان الشيعة.

(٢) مقتبسة من كتاب «العلاّمة فضل الله وتحدي الممنوع» تأليف علي حسن سرور ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ط١ ـ دار الملاك ص٢٢٩.

في رحلةِ الطيوفِ
بعينْي جمالاتِ أمي.
ويبقى ابتهالي وكلُّ خشوعي،
وكلُّ الصلاةِ،
ويحيا معي السرُّ سرُّ الألوهةِ...
يا ربِّ أنت الرحيمُ
وأنت الكريمُ
لك الحمدُ رحماكَ في رُوح أمي[1]

❁❁❁

ومن قصيدة كتبها إلى ولده (علي) في عامه الثاني وهي مدرسة لكل الأجيال:

يا صغيري

هَذه الرّوحُ... التي تَخْفُقُ في دُنْيايَ... حَوْلَكْ
إنها اللَّوعةُ والإشفاقُ... مِنْ قلبِيَ ـ نَحْوَكْ

أنت في قلبي.. وفي روحي.. وَحْيٌ وحيَاةْ
يَلْتقي في خَطْوِها الحُبُّ وتَنْسابُ مُناهْ
ونَشيدٌ عَبْقَريُّ اللَّحْنِ.. تَهْواهُ الشِّفاهْ
بِكَ تَمْتَدُّ حَياتي إن غَفَتْ حَوْلي الحيَاهْ
غير أني والأفاعي السود حولي أتألم
إن درب العمر لو جرّبت آلامٌ وعلقم

---

(١) نقلاً عن كتاب (السيد الحبيب) الدكتور محمد رضا فضل الله ـ إصدار المركز الإسلامي الثقافي ـ مجمع الإمامين الحسنين عليهما السلام حارة حريك ذو القعدة ١٤٣١هـ (تشرين الأول) ٢٠١٠م ص٢٨، ٢٩.

أنا ذقت الألم القدسيّ في عمري وحسي
وعصرت القلق الروحي من أعماق نفسي
تارة يجذبني الموج الى الشاطيء فأرسي
ثم أخرى . . . وإذا بي في متاه اليمّ أمسي
تائهاً يطفو على الموج غدي الأتي وأمسي
حيث تجتاح الدياجي في ربيع العمر أنسي
وتلمسّت طريق العمر في طهر ورجسِ
فلحمت الحقد والحب معاً في قلب جنسي
ورأيت الكفر والإيمان في أثواب قسّ
فتعلمت دروس العمر في أعمق درس

يا صغيري سَوْفَ يَمْتَدُّ بِكَ العُمْرُ إلى ما ليس أدري
وسَتَجْري في خضَمِّ العُمْرِ . . . في مَدٍّ وجَزْرِ
وسَتُدْعى لِدُروبٍ . . ليسَ تدري أَيْنَ تَجري
كُلُّهَا تَهْتِفُ باسْمِ الحَقِّ والفِكْرِ الأغَرِّ
بِشِعارٍ يُظْهِرُ الدِّينَ، ويَغْفو خَلْفَ كُفْرِ
فَاحْذَرِ الزَّيْفَ فَقَد يُرْدِيكَ في أعْمَقِ بِئرِ
وابْتَغِ الحَقَّ، ولا تَخْشَ بِهِ لَوْمَةَ غِرِّ[1]

يا صغيري أنا عشت الحق في ليل الصراع
فكرة بيضاء لا تهدف إلا للشعاع
انها تعمل للإنسان للحق المضاع
لكيان شامخ حرٍّ قويٍّ كالقلاع
يتحدى الظلم والطغيان في زهو القراع

(١) غِرّ: جمع أغرار، الشاب الذي لا خبرة له.

نظر الإنسان روحاً هائماً عبر الضياع
وكياناً لاصقاً بالأرض في صمت الجيتاع
فمضى يختطّ درب الخير في خصب المراع
في حياة تنهل القوة من ربٍّ مطاع

إنه الإسلام درب العبقريات السخية
دربنا المشرق في زل حياة أريحية
في مدانا حيث يحيا الفكر في أرض نديّة
حيث يجتاز الطريق الوعر في روح رضية
ويثير النور في أعماق درب البشرية
نحو دنيا حرّة الأهداف، سمحاء قوية
تتملّى الجسم والروح بفكر ورويّة
ثم تختطّ الحلول البيض في كل قضية
كالربيع البكر في نعمائه... كالعبقرية

يا صغيري لا ترع روحك في الدرب الطويل
كثرة الأعداء في دنياك من كل قبيل
إن درب النصر أن تهدم سور المستحيل
أن تغذّي الروح بالإيمان والعزم الأصيل
فلقد ينهض بالفؤاد والعبء الثقيل
ناهضٌ يقطع درب النصر في جيش قليل
قد يطول الدرب أو يقصر في قال وقيل
ربما ترهقك الألوان في زهو الحقول
لا تدع خطوك ينهار على كل سبيل
إنما النصر لنا وعدٌ من الربّ الجليل

يا صغيري: ها هُوَ الدَّرْبُ... وهَذا مُنْتهَاهُ
جَنَّةُ المَأوى، وأفْقٌ يَتَغَشَّاهُ الإلَهُ
بحَياةٍ يَتَلاقى الخَيْرُ فيها والرَّفاهُ
حَسْبُنا مِنْهُ ـ إذا ما ضَمَّنا الدَّرْبُ ـ هُداهُ
إنما الغايَةُ: أنْ نُدرِكَ في الشَّوْطِ رِضاهُ[1]

❋❋❋

ومن القصائد التي عبّر فيها عن حبه لله بعيداً عن كل شيء (في الخمسينات كتبها سماحته «قُدِّسَ سرّه») في بعض المناجاة:

ربّي ما لي أبكي وما لي أُغنّي ... وحياتي تصدُّ نجواكَ عني
أنا أهواكَ لا لنُعماكَ تستهـ ... ـوي كياني ولا جنةَ عدْنِ
أنا أهواكَ للهوى ترعشُ الرو ... حُ بأفيائِه ويهتزُّ لحني
للسماء الزرقاء تنسابُ منها ... شعلةُ النورِ في جلالٍ وفنِّ
للصَّبا يوقظُ الصبابةَ في الأعماق ... والحبَّ في الضلوع يُغنّي
أنا أهواكَ إن آثامَيَ السودَ ... ستَنْداحُ في شُعاعِكَ عَنّي
أنا أدري بأنَّ خلفَ ظلالِ المو ... تِ إن ثارتِ الغريزةُ سجني
وبأني إذا اقتحمْتُ لذاذاتي ... وأترَعْتُ بالغواياتِ دنّي
سوف أهوي إلى الجحيمِ ولكنْ ... أنا أرجو في ظلّ عفوكَ أمْني
ربِّ هذي حقيبتي ليس فيها ... لي مَن قربةٍ سوى حُسْنِ ظني[2]

❋❋❋

ومما كتب سماحته في قصيدة اعتراف وابتهال يقول في نهايتها:

فإذا شئتَ أن تعذّبَ جسمي ... بغواياتِهِ فحسبي الدعاءُ
دعْ لساني يدعوك يا ربُّ وافعلْ ... بيَ ما شئتَ فالدعاءُ هناءُ[3]

---

(١) نظمها سماحته (قده) في النجف الأشرف محرم ١٣٨٠ هـ.
(٢) انظر: ديوان «قصائد الإسلام والحياة» ص٤٣، ط٢، ٢٠٠١م، دار الملاك، بيروت ـ لبنان.
(٣) نفس المصدر، ص٢٠.

ومما كتبَ سماحته (قده) في الموت قصيدة أسمها «نشيد الموت» في النجف الأشرف بتاريخ ١٠/ ١٠/ ١٩٥٢م وقد كتبها في عنفوان الشباب بشعر وجداني:

سأموتُ

يغمرُ روحيَّ الظمأى إلى وحيِ الخلود
إشعاعَ دنيا حرّةِ الآفاق تهزأُ بالقيود
لا البغيُ يكمنُ في زواياها ولا غلّ الحقود
تتعانقُ الأرواحُ فيها كالأزاهر والورود
سأموتُ

في قلبي خفوقٌ ثارَ في بركان حبّي
وصراعُ آمالٍ ذَوَتْ وهوتْ على أشواكِ دربي
كم رحتُ أطلبُ عندها نجوى الهوى ونشيدَ قلبي
فأرى بها رِيَّ الحياةِ يسيرُ في روحي ولُبّي
سأموتُ

في شفتيّ إعصارٌ وإحساسٌ مريبْ
ودجًى يمثّلُ يأسيَ الداجي وعالَمِيَ الغريب
ونفاثةٌ من صدريَ المحموم تعصفُ باللهيب
تزكو بها الآلامُ داميةً مع الصمتِ الرهيب
سأموتُ

سوف يغورُ في عينيَّ إشعاعُ الحياة
وتموتُ في أحداقِيَ السكْرىَ طيوفُ الغانيات
وتجِّفُ منها الأدمعُ الحيرى أمامَ النائبات
في رقدةِ الأبدِ العميقِ هناك في دنيا الممات
سأموتُ

سوفَ يضُمُّ أحشائِيَ دُجى اللحدِ العميق
وأنامُ لا أرقٌ يهدّدني ولا قلبٌ خفوقْ
ملءَ الجفون رذاذُ أحلامي وذوبٌ من بريق

جَمُدَ الشعاعُ بمقلتيَّ وجفَّ مِنْ شفتي الرحيق
سأموتُ
والخَطَراتُ في روحي تموجُ مع الأثير
والحبُّ والنجوى المذابةُ في كؤوسٍ من عبير
والبؤسُ في شفتيَّ يبعثُ فيهما الألمَ المرير
سيلُفُّها العدمُ المَقيتُ وينجلي هذا المصير[1]

❋❋❋

ومن قصائده في عمر الخمسينات أيُّ عمرٍ؟ أيُّ ذاتٍ؟ بعنوان «في دروب الخمسين» بتاريخ ٢٦/ محرم/ ١٤١٢هـ، ٦/ آب/ ١٩٩١م[2]:

يا لعَسفِ السِّنين، يبهتُ فيها الـ ... لَونُ تذوي الحياةُ في الأوراقِ
تتهاوى الرؤى على صخرة المو ... تِ تموتُ الأشواقُ في الأحداقِ
تخجلُ الذكريات ـ في قلقِ الرُّو ... حِ ـ وسرُّ الضميرِ في الأعماقِ
من خطايا الماضي، من العبث اللا ... هي، من اللَّغوِ في حديثِ الرِّفاقِ
أيُّ عمرٍ، هذا الذي عاشَ في ذا ... تي غريباً في وحشةِ الآفاقِ؟
موجَعَ الحسِّ في مراراتِ أحلا ... مي العذارَى في لهفةِ الأشواقِ...
عاشَ بعضَ الطريقِ في رحلة الحز ... نِ وما زالَ في الطريق الباقي!
همُّهُ أن يُحدِّقَ النورُ في عيـ ... ـنيهِ في أريحيَّةِ الإشراقِ
ويثير المدى، في ضَجعَةِ العمـ ... ـرِ اغترابٌ عن دَمعَةِ الإرهاقِ
أيُّ ذاتٍ هذي التي تركضُ الأطـ ... ـماعُ فيها في أمنياتِ النِّفاقِ
يأكلُ الشرُّ روحَها، ثُمّ يُلقي ... وحيها في مَجامرِ الإحراقِ...
كيف أسمُو وفي تهاويلها السو ... داءِ ما يُتعبُ الضُّحَى في المآقي
وعلى كُلِّ خطوةٍ في مَداها ... حيرةُ الشَّوط في امتدادِ السِّباقِ...
غير أنَّ الذُّرَى تُطِلُّ على الوا ... دي كما العشبُ في خيالِ السواقي

---

(١) انظر: ديوان «على شاطىء الوجدان» ص١٠١، صادر عن دار رياض الريس للكتب والنشر.

(٢) القصيدة على وزن الخفيف:

فاعِلاتن مستفعلن فاعِلاتن ... فاعلاتن مستفعلن فاعِلاتن

نقلاً عن كتاب (في دروب السبعين) العلاّمة المرجع السيد محمد حسين فضل الله ص٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤.

في التفاتِ الشروقِ للأُفقِ بالنُّعـ ـمى، ليهفو للمبدعِ الخلاّقِ
حيثُ طهرُ الروحِ المندَّى بكل الـ ـوحي في سلسبيلهِ الرَّقراقِ
أنا أهفو وفي حياتي شوقُ الـ ـعطرِ للوردِ في الأماني الرقاقِ
أنتَ عمري، هَل يولدُ الغيبُ في الحـ ـسِّ، مع السِّرِّ في مدى العُشاقِ؟
يا غيوبَ الأسرار نامت بعيـ ـنَيَّ الدَّياجي، وغابَ عنِّي رفاقي...
كيف أرنو إلى الشروق وقد عا شت غيومُ الحياةِ في أعماقي
أنا يا ربِّ ظامىءٌ يركضُ الينبو عُ في روحهِ وأنت الساقي!!!

❋❋❋

ومن روائع المطوَّلات الشعرية التي تعبِّر عن حالة «الكشف» عند الشاعِرِ وعن عمقِ التأمُّل والتفكُّر في أسرار الحياةِ وغاية الوجودِ[1].

«في دروب السبعين»

يا لهاث الستينِ في خطوة السّبـ ـعين ماذَا هناكَ: في الأعماقِ؟
عادَ كُلُّ التاريخ في عِمريَ المكـ ـدودِ ذكرى تغيبُ في أوراقي
واستراحَ الشبابُ في غمرةِ الوْجد انِ في أريحيّةِ الأشواقِ
وتوارَت طفولةُ الحبِّ في الشَّيـ ـبِ تُناغيهِ في الزَّمانِ الباقي
وأنا هَاهُنا أعيشُ الرسالا تِ كما الضّوءُ في مدى الآفاقِ
أستحِثُّ الصِّراعَ في ملتقى الفجـ ـرِ وأحياهُ جذوْةً في احتراقي
لستُ ذاتاً تعيشُ للّهوِ في وحـ ـي اللذاذاتِ في هوًى واشتياقِ
لا يعيشُ الضَّبابُ في أفقِ أحلا مي خيالاً في غمرة استغراقِ
أنا في الشّمسِ توقظُ الصّحو في عيـ ـنيَّ نوراً يموجُ في الأحداقِ
يا لهاثَ السِّتين هل ترهقُ الرو حَ الدياجي مع السنينِ البواقي؟
أو تُراني أُثيرُ خطويَ في السّا حةِ جرياً في موعدِ الإشراقِ؟
إنها رحلةُ الحياة مع اللّـ ـهِ إلى أين؟ يا امتدادَ السَّواقي؟

---

(١) القصيدة على وزن الخيف:

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

نقلاً عن كتاب (في دروب السبعين) العلاّمة المرجع السيد محمد حسين فضل الله ص٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨.

ربِّ عمري منكَ امتداداتُ دنيا ... هُ إن هَمهَمَت خيُولُ السِّباقِ
أنا أهواكَ، ألتقي حبَّكَ السَّمـ ... ـحَ بروحي في موعدِ الانطلاقِ
أنا أهوَى الحياةَ في دربِ رضوا ... نِكَ إن أبعَدَ الطريقُ رِفاقي
أعطِني من نداكَ ما يُخصِبُ الرو ... حَ ويروي ظَمايَ عبرَ الفِراقِ
يا لُهَاثَ السِّتينِ هل يبلغُ السبـ ... ـعينَ عمري بالجهدِ والإرهاقِ
أعطني العُمرَ للحقيقةِ أجلُو ... ها بعيداً عن الهَوى والنِّفاقِ
هو كلُّ الطُموحِ لا العبثُ اللا ... هي ولا الزَّيفُ في الوجوه الرِّقَاقِ
خطوةً خطوةً متى أبلغ الشا ... طىءَ يا موجُ في مداي الباقي؟
رحلةُ العمر - يا إلهي - فيضٌ ... من عطايا المهيمنِ الخلاَّقِ
وأنا هاهنا ابتهالُ خشوعٍ ... ودموعٌ حبيبةٌ في اشتياقي...!!

❋❋❋

ومن أحدث قصائده (قُدِّس سرّه) قصيدة بعنوان:

«إيابُ الرُّوحِ»

ربَّ هذا عُمْري يغيبُ معَ الليـ ... ـلِ ويمضِي إلى المدَى المَجهُولِ
لحظةً لحظةً... وأركضُ في لهْـ ... ـفِ الأماني نحوَ الصَّباحِ البَليلِ
علَّني ألتقيهِ في صَحْوةِ الشَّمْـ ... ـسِ وأحيَا شروقَهُ في الأصيلِ
أنتَ أبدَعتَهُ، كمَا الزَّمنُ اللا ... هِثُ في رِحلَةِ الفَرَاغِ الأكُولِ
في دُروبِ السَّبعين يُسرعُ بيَ الـ ... ـخطوُ، فماذا في المُلتَقَى المَأمُولِ؟
وأنا حائِرٌ هُنَا بينَ ذكرى الـ ... أمسِ، كيفَ انطوَى وَراء السُّدولِ؟
وأمامي غَدٌ تُخَاتِلُني الأيَّا ... مُ فيهِ في غفْلَتي وذُهولي
ربِّ عُدْ بي إليكَ حُرًّا نقياً ... طاهِرَ الرُّوحِ كالنَّسيمِ البَليلِ
لأعيشَ الرُّوحَ المُنَدَّى برضوا ... نِكَ حُبّاً كهَينَمَاتِ الأَصيلِ[1]

---

(١) القصيدة على وزن الخفيف:

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتُن ... فاعِلاتُن مستفعلن فاعِلاتُن

من كتاب «في دروب السبعين» لسماحة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قده) ١٤٣١هـ ٢٠١٠م دار الملاك ص١٣، ١٤.

ومن آخر أبيات شعرٍ له، قالها (قُدّس سرّه) ويبدو أنه استعادها من الماضي ليصيغها من جديد:

أنا حسبي إن تغشّاني الدُّجى ... في ظلام الليل آهاتُ جروحي
فالتفاتاتُ حياتي فكرةٌ ... سوف تبقى حُلماً فوقَ ضريحي[1]

يعلّق على ذلك سماحة السيد جعفر فضل الله ويسترجع ذكريات مما كتب سماحة السيد (قُدّس سرّه):

عهدي سيّدي... ألا أتحدّث عنك بالأفعال الماضية، لأن الماضي زمن انقضى وأفل وغادر... وأنت سيّد الحاضر والمستقبل... وأمثالك لا يغادرون، ولا يرحلون، ولا يموتون، ولا يصبحون مجرّد ذكرى، فأنت أيقظت الضحى من أغاني قلبك الكبير، حتى انتثر نور الوحي وهدى الرسالة وروح الإسلام في كيانك وذاتك:

من أغاني القلب أيقظت الضُّحى
في دمي فانتشر الوحي بروحي
فتطلّعت إلى الشّمس ولم
أستفق إلا على صحوِ جروحي...
أنا حسبي إن تغشاني الدُّجى
خطرات الفجر والحسّ الصريح
فانطلاقاتُ حياتي فكرة
سوف تبقى حُلماً فوق ضريحي...

هل مصادفة أن تستعيد في لاوعيك الشعريّ البيتين الأخيرين المؤرّخين بتاريخ ٢٠/٢/١٩٥٧م بصيغة جديدة تعبّر عن واقع الحال وعمق الألم

(١) نقلاً عن جريدة «بيُّنات العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١ هـ ٩تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٢. مقال للحاج هاني عبدالله بعنوان (سنبقى نطوف حول هذا السر).

والمعاناة «في ظلام الليل آهات جروحي» «فالتفاتات حياتي» فأيّ ظلام سيغشانا بعدك يا نور العقل والقلب؟ وهل الالتفاتات رجوعٌ إلى ماضي الهناء معك وبين يديك مقابل «الانطلاقات» التي عشتها شباباً وكوناً رحيباً يغدق الخصب على حياتنا ونفوسنا:

أنا يا ليلاي ما زلت أغنّي للضحى
حبيٌّ وللإشراق منّي...
وحياتي فكرةٌ... لم يكتمل
في حنايا روحها وحيُ المغنّى
هبطت للأرض عذراء المنى
تشرف الأطياف في أطهر دنٍّ
شاقها النّور فطارت نحوه
بجناحٍ من هواها مطمئنّ...

لقد شاقك النّور للإياب إلى عالم الرُّوح، حيث لا حقد ولا غلّ ولا ضغينة ولا أسى ولا ظلم... بل أرواح ملائكية على سررٍ متقابلة، تسبِّح بحمد ربِّها، وأنت الذي عشت حياتك تعزف أغنيات النُّور وتخلق فردوس المعاناة:

«فأنا أخلق وحدي جنّتي
فأرى اللذّة... في أعماق حزني
وها أنت تؤوب راضياً مرضيًّا:
ربي عُد بي إليك حرًّا نقياً
طاهر الرُّوح كالنّسيم البليل
لأعيش الروح المندّى برضوانك...
حبًّا كهنيمات الأصيل...[1]

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٩ ـ الأحد ٤ شعبان ١٤٣١هـ ١٥تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص١٥.

لقد خاض سماحته (قُدِّس سرّه) غمار الشعر فأبدع شعر وجداني ينساب عاطفة جيّاشة صادقة الإحساس، ولعلمه أن الشعر أقرب للحفظ، وقد فرضت نفسها عبر أبيات محكمة الصياغة متينة البناء، ولقد ترك لنا من تراثه الغني دواوين جعلته يحتل موقعاً بارزاً بين شعراء عصرنا.

ومن آخر قصائده التي نظمها سماحة الراحل الكبير (قُدِّس سرّه)، وقد نظمها إثر الأزمة الصحية التي ألّمت به يوم الأحد ١٨ ـ ١٠ ـ ٢٠٠٩م حيث يناجي فيها الزمن الهارب، والعمر الذي يتلاشى ويغيب سريعاً وقد نشرت في ديوانه الأخير «في دروب السبعين»[١].

يا خيالاً يُحرِقُ السِرُّ ... بدُنيَايَ اشتِعالاَ
ويُثيرُ الأمنياتِ الـ ... ـبِيضَ في قلبي انفِعَالاَ
ويطوفُ الأُفقُ الرَّحْـ ... ـبُ مع الكونِ انتِقَالاَ
ويضيءُ الأرضَ في لَيـ ... ـلِ السماواتِ هِلاَلاَ
أنا في كُلِّ نجوى الـ ... ـحُبِّ والفنِّ جَمالاَ
وبِعيني يفيضُ الـ ... ـفجرُ بالنُّور جَلاَلاَ
وبقلبي ينبضُ الحُـ ... ـبُ وينسابُ انجِلاَلاَ
يا خَيَالاً يُورِقُ الخُضْـ ... ـرَةَ في العمرِ تلالاَ
قد يغيبُ الواقعُ المُـ ... ـرُّ فَلاَ يشكُوَ المَلاَلاَ
وأرى في العمقِ سِرَّ الـ ... ـعُمرِ وَهماً وخيالاَ
وأُنادِي الزَّمَنَ الـ ... ـربَ من عُمري طِوَالاَ
فإذا بي أفقدُ اليَقـ ... ـظةَ في الموتِ ابتِذَلا

❋❋❋

وأخيراً هناك قصيدة للعلامة الدكتور الشيخ أحمد الوائلي (تغمده الله) يحيّي فيها المرجع السيد فضل الله (قده) بعنوان «إنّك كونٌ لخّصتْه سُطُورُ» فيقول:

---

(١) من كتاب في دروب السبعين لسماحة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قده) ص١٥، ط الأولى ـ دار الملاك ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م تحت عنوان (الزمن الهارب).

رأيتُكَ والحرفُ المُعبِّرُ صورةً ... بديوان شعرٍ بالحياة يمورُ
تجَسّدتْ الدنيا به فهو بسمةٌ ... ودمع وحزنٌ مرّةٌ وسرورُ
فكُنتَ القريضَ الفذ نسجاً وفكره ... وربُ كلامٍ للكلامِ أميرُ[1]

١٠ ـ سلطة العقل:

إن مَن يرى تلك الحشود والجمهور الكبير من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال، للمشاركة في التشييع يدرك أن سلطة ما هي التي حثّت هؤلاء للنزول إلى التشييع دون كللٍ أو ملل.

سلطة أقوى من الطوائف والمذاهب والديانات والسياسات والأحزاب والتيارات تقف وراءه وتدعمه...!!

يقول الدكتور عبد الحسين شعبان[2]:

«رغم علمي بأن لا سلطة لفضل الله تقف وراءه وتدعمه سوى سلطة العقل، برجاحته وسعة صدره ودفء لسانه وتسامحه وقلبه النابض بالحب، عندها أدركت قوة تلك السلطة وهيبتها ونفوذها حتى لو كُنتَ وحيداً وأعزل»[3].

لقد شيّد سماحته (قُدِّس سرّه) ثورة كبيرة أسماها (العقل) لأن العقل في الإسلام بعد القرآن والسنّة هو مصدر الأحكام الشرعية في غياب القدرة على الإجماع، وبما أنه لا إجماع على السنّة النبوية، والكل يُجمع على العقل، أخذ العقل مكاناً متقدماً في الشريعة.

واستدعى الدينّ والمتديّن إلى فضاء رحب تُنيره شمس الحقيقة، وتتضح السبُل أمام العقلاء ليُعملوا عقلهم. يقول الدكتور أمين حطيط[4]:

---

(١) نشرت في مجلة «العرفان» العددان ١و٢، المجلد ٧٤ أرسلها الشيخ الدكتور أحمد الوائلي لمناسبة صدور ديوان «قصائد للإسلام والحياة» لسماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه).

(٢) باحث ومفكر عربي، ولد في النجف الأشرف بالعراق.

(٣) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٢ الجمعة ٢٥ شعبان ١٤٣١هـ ـ ٦آب (أغسطس) ٢٠١٠م مقال بعنوان (السيد فضل الله... حضورٌ عند الرحيل).

(٤) عميد متقاعد من الجيش اللبناني، مفكر، دكتوراه في الأدب العربي، من لبنان.

«إن كل ما فعله السيد محمد حسين فضل الله أنه استجاب لجدّه الإمام جعفر الصادق عليه السلام عندما دعا إلى الامتناع عن التقليد الأعمى وإعمال العقل، وعرض النقل على القرآن، حتى تتبين الموافقة فيؤخذ أو المعارضة فينبذ...»[1].

لم يكن للسيد فضل الله (قُدِّس سرّه) سلطة سياسية، ولم يكن قريباً من أية سلطة سياسية، لكنه لفت الانتباه إلى سلطة العقل التي كان يتمتع بها، **يقول الفيلسوف البريطاني (فرانسيس بيكون):**

«إن للمعرفة سلطة، ولعل هذه السلطة هي سلطة العقل الأساس في تنمية الفكر والثقافة».

يعرّف سماحة السيد (قُدِّس سرّه) العقل بقوله:

«العقل هو مصدر الفهم والإحساس والشعور، حتى أن القلب عندما يتحرك في عاطفته، إنما يتحرك من خلال الخطوط التي يفتحها العقل للإحساس وللشعور وللعاطفة، وقد تكون هناك مصطلحات عقل ومصطلحات قلب، ولكن القضية أن عقل الإنسان هو الذي يحرّك كل طاقاته الحركية والشعورية والعاطفية، إن العقل هو القوة التي جعلها الله تعالى لكي تحرّك كل ما يتجاوز المعنى المادي في شخصية الإنسان»[2].

فالعقل إذاً هو القدرة على إدراك الخير والشر والتمييز بينهما، ونلاحظ في كيفية خلق العقل، عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك، ولا أكملتك إلا في من أُحب، أما أني إياك آمر، وإياك أنهى، وإياك أعاقب، وإياك أثيب)[3].

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٢ الجمعة ٢٥شعبان، ١٤٣١هـ ـ ٦آب (أغسطس) ٢٠١٠م ص٧.

(٢) من كتاب «بيّنات» حوارات فكرية في شؤون الدين والإنسان والحياة، إعداد وتنسيق: السيد شفيق محمد الموسوي دار الملاك ج١ ص١٩٦، ١٩٧، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

(٣) أصول الكافي، ج١، ص١٠، باب كتاب العقل والجهل ـ بحار الأنوار، ج١، ص٩٧٥.

يقول الدكتور عبد الحسين شعبان:

«كان سماحته (قُدِّس سرّه) يدرك بحسّه وكبريائه أن مَن يمتلك سلطة العقل لا ينبغي عليه التفريط بها لصالح سلطات سياسية أو اجتماعية أو عسكرية أو اقتصادية أو غيرها عابرة.

ولعل جميع هذه السلطات تحتاج إلى المعرفة وإلى العقل وحتى لو لم يكن هناك إجماع على آرائه وأفكاره، فإن الإجماع على رجاحة عقله وعمق معرفته كان محط تسليم من الجميع بغض النظر عن آرائهم ووجهات نظرهم بسماحة السيد (قُدِّس سرّه)»[1].

إن الحديث عن دور العقل في حياة الإنسان قد لا يفوت سماحته (قده) في كل ندوة أو خطاب أو مقالة، ومما قاله في حفل إفطار لجمعية المبرّات الخيرية في مجمع الرحمة:

«بعض الناس يخافون من المفكرين، لأن الأمة إذا تحركت ليفكر كل أفرادها لم يستطع أحد أن يصادرها، إن الذين يفرضون أنفسهم على الناس هم الذين يُجهِّلون الناس، ويريدون لهم أن يبقوا في خط التخلّف، لأنهم إذا انطلقوا إلى خط الوعي اكتشفوا أن الذين يقودونهم هم في دائرة التخلُّف، بعض الناس يحبون أن يبقى الآخرون عمياناً ليبقى هو المبصر الوحيد، ولا أقصد عمى البصر في الوجه ولكن عمى القلب، لذلك هذه هي مشكلتنا»[2].

لقد علّمنا سماحة السيد (قُدِّس سرّه) كيف نحترم عقولنا، وكيف أن هذا العقل هو من أبدع ما صنعه الخالق، فبه عُرف وبه عرفنا الرسل، به نفهم القرآن وبه نفهم أنفسنا، وبه نعرف الحقيقة، فلا يجب أن نستسلم لأي فكرة بسبب ضغط اجتماعي هنا، أو تعصبٍ أعمى هناك، أو أن نؤجّر عقولنا لغيرنا، يفكرون لنا ويقررون كما يشاؤون فنتبعهم اتباع الأنعام، يجب أن نفكر في كل ما يدور من حولنا، فهذه هي دعوة القرآن.

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٢ ـ الجمعة ٢٥ شعبان ١٤٣١هـ ـ ٦آب أغسطس ٢٠١٠م، مقال بعنوان: (السيد فضل الله... حضورٌ عند الرحيل).

(٢) بتاريخ ٢٤ رمضان ١٤٢٣هـ الموافق ٢٩/ ١١/ ٢٠٠٢م في شهر رمضان المبارك.

وقد كان سماحته (قُدِّس سرّه) كثيراً ما يؤكد على أهمية التفكير، وضرورة تخصيص جزء من اليوم أو الأسبوع للتأمُّل والتفكُّر بعيداً عن ضوضاء الحياة كما قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام:

«ليست العبادة كثرة الصوم والصلاة، إنما العبادة كثرة التفكُّر في أمر الله»[1].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أيضاً وهو يحرِّض صحابته على التفكير النقدي:

«فلا تكفُّوا عن مقالةٍ بحق أو مشورةٍ بعدل»[2].

يقول سماحته (قُدِّس سرّه):

«على الإنسان أن يعتبر أن عقله حجة الله عليه، الله خاطب عقلك وجعل العقل أساساً في أن يثيبك إذا جريت على خط الهدى ويعاقبك إذا جريت على خط الضلال»[3].

«والعقل هو حجة الله على الناس وهو الرسول الباطني فالعقل رسول من داخل والرسول عقل من خارج، وفي هذا الجو، يأتي التركيز الإلهي على العقل ليقول أن علينا أن نتحرك في حياتنا عقلانية لا عاطفية وأن نتعلم... وأن نعتقد بالعقل، وأن نحرك عواطفنا بالعقل، وأن نخطط خططنا بالعقل، وأن نتخذ مواقفنا بالعقل، حتى العاطفة لا نرفضها.. إن العاطفة لمن نحب إيجاباً والعاطفة ضد من لا نحب سلباً... أعطوا العاطفة جرعة من العقل لتتوازن، ذلك أن عاطفة بلا عقل، تدعك في حالات الضياع، ولكن عندما تتحرك العاطفة في خط العقل فعند ذلك تتوازن العاطفة، ويرّق العقل، وبين اتزان العاطفة ورقّة العقل، تكون الحياة طيبة»[4].

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول، الحرّاني، مواعظ النبي صلى الله عليه وآله، ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام.

(٢) نهج البلاغة ـ الخطبة ٢١٦.

(٣) المعارج، الأعداد ٢٨/ ٣١، آب ـ أيلول تشرين ١٩٩٧م (المنهج العلمي والعقلي في القرآن).

(٤) كتاب الندوة ـ إعداد عادل القاضي (سلسلة ندوات الحوار الإسبوعية بدمشق) ج١ ـ لبنان ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، ص٨٥، ٨٦.

لذا جاءت الآيات القرآنية الكثيرة التي تحث على التفكير، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾[1].

﴿...إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

﴿...إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3].

فالإعمال بالعقل والتفكُّر هو حجة الله علينا وهو المعيار الذي سيحاسب الله عليه.

إن حجم سلطة العقل التي امتلكها سماحة السيد (قده) رغم أنه كان «محاصَراً» انعكس على مراسم التشييع ومجالس الفاتحة وتوافد المسؤولين وحجم الجمهور الكبير من المحبين والمريدين والمعجبين بخط سماحته وفكره.

وهو وإن كان مع المقاومة والممانعة، لكنه وضع مسافة بينه وبين السياسة والحزبية، وهو وإن كان متديناً لكن خطه كان مصدر إعجاب الكثير من غير المتدينين، وإن كان شيعياً، لكنه كان إسلامياً موّحداً، وإن كان إسلامياً فقد كان إنسانياً عالمياً بامتياز.

حاول سماحته (قُدّس سرّه) ترسيخ الفهم المتحرر للإسلام والدفاع عن الهوية التنويرية لحضارته ضد الذين يحاولون «تحويلنا إلى حطام إيديولوجي» وضد الذين يتقنون تعذيب النصوص. لذا كان سماحته (قُدّس سرّه) يريد لسلطة العقل أن تسود ضد «وثنية التقليد» ومفهوم «الزنزانة المقدّسة»، فكان يرى أن الحياة ينبغي أن تعاش لا أن يتم اغتيالها.

لقد مثّل سماحته (قُدّس سرّه) سلطة العقل ساعياً إلى أن تكون سلطة الحق خصوصاً أنه مثّل الاعتدال والتسامح مقدماً الإسلام بثوب عصري ولون حضاري وطابع إنساني...!!

---

(١) سورة الروم، الآية: ٨.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٤.

يقول أنطون أفرام سلامة[1]:

«ولجت قدر المستطاع في فكر العلّامة السيد محمد حسين فضل الله لأرى أن الحوار الإسلامي ـ المسيحي كما يراه هو تحرك يهدف إلى إغناء الإنسانية فيبرز على المستوى العالمي، القيم السامية التي يلتقي عليها الإسلام والمسيحية ويساهم في تثمير حركة الإنسان في تطلعه إلى المستقبل.

فأهمية هذه الدعوة الروحية المشتركة إلى الحوار الإسلامي ـ المسيحي في نظر سماحته أنها تختصر المسافات من جديد بين الإنسان والقيم، وتفتح ذهنه على معنى إنسانيته وقيمه وجوده وعلى أهداف هذا الوجود والغاية من جهاده الدنيوي فتجعله أقرب إلى الله، ليكون إلى أخيه الإنسان أقرب»[2].

إذا كان السيد محمد حسين فضل الله (قده) قد رحل عن دنيانا فإن ما تركه لنا من ثروة عقلية ومعرفية ستبقى معنا، وبعدنا مئات السنين، بإذن الله تعالى وعونه.

١١ ـ المرجعية الحرة والشاملة:

إن سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه) استطاع وبقوة نقل المرجعية التقليدية من دائرة الفقه والفتوى إلى دائرة شمولية، تُعنى بالسياسة والجهاد والحوار والفكر والتطور، أساسها العلاقة المباشرة مع الناس والجمهور، لأن الدين جاء لأجل الإنسان وليس العكس.

لم يكن سماحته (قُدّس سرّه) ليذعن للأنماط السلوكية السائدة في الوسط المرجعي والتي أجبرت معظم المراجع الفقهية للاحتجاب والاعتكاف بعيداً عن الناس، فلم يكن سماحته (قُدّس سرّه) شبحاً يظهر في لحظة ويغيب زمناً آخر، بل كان مرجع الناس، يجيب على أسئلة الصغير كما الكبير والغني والفقير على سواء، ويجيب المرأة على أسئلتها كما يجيب الرجل ويجالسه.

يعدُّ سماحته (قُدّس سرّه) من جيل المثقّفين الموسوعيين في العالم

---

(١) مفكّر لبناني.

(٢) نقلاً عن موقع (بيّنات) الالكتروني تحت عنوان (بوح الذكرى).

الإسلامي الذين جمعوا بين علوم النقل والعقل والذين برعوا في كل ميادين المعرفة الإسلامية والإنسانية، فقد كان فقيهاً وأصولياً ونحوياً ولغوياً وسياسياً وفيلسوفاً.

يقول يحيى أبو زكريا عن سماحته (قُدّس سرّه)[1]:

«برع في الفقه والأصول واللغة والنحو والتفسير والمنطق وعلم الكلام والفلسفة وفقه الدولة والشعر والاقتصاد وعلم الفلك والحساب»[2].

كان سماحته (قُدّس سرّه) رجل الإيمان والانفتاح والاعتدال والتواضع واللطف والهدوء والتسامح والأخلاق والحوار والكلمة والمصالحة بين الدين والعقل والعلم والحداثة، فكان الداعية إلى التقريب بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وجمع كلمتهم وتحقيق وحدتهم والدفاع عنهم، ومناصرة قضاياهم المصيرية، وفي طليعتها القضية الفلسطينية التي أولاها سماحته (قده) بليغ اهتماماته.

هو داعية ثورة وجهاد في سبيل الله (جلّ جلاله)، الملتزم برسالة الأمة والمقاوم كل ظلم واستكبار وعدوان واحتلال ولا سيما مقاومة العدوّ الصهيوني في لبنان وفلسطين وفي كل مكان.

تجرُّد السيد (قُدّس سرّه) وترفُّعه وعدم انجراره إلى الشراذم والحلقات الضيقة وأهواء العامة، جعله يحتل مكانة خاصة في عالم إسلامي مضطرب من كثرة فوضى الفتاوى العابرة للقارات أو المتسلطة على مواقع الإنترنت والفضائيات المذهبية والإعلام الطائفي.

أعطت هذه النزاهة الطاهرة فتاوى السيد (قُدّس سرّه) قوة خاصة نجحت في اختراق مختلف الطوائف والمذاهب ما جعله يتحول إلى مرجع عام يعود إليه الجميع عند الحاجة.

---

(١) كاتب وصحافي جزائري.

(٢) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٠ الجمعة ١١ شعبان ١٤٣١ هـ - ٢٣تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص٨، بعنوان: (رحيل عملاق الفكر الإسلامي).

يقول وليد نويهض[1]:

(إن الفتوى علم وليست كلاماً يعتمد على الإنشاء أو بلاغة البيان أو فوضى الأفكار الفضفاضة التي تقول كل شيء من دون تركيز أو تدقيق، فالفتوى لها قواعدها الفقهية (العلمية) ومنهجها الفلسفي (أدوات الحفر والتخاطب) وسياقها الزمني (الماضي، الحاضر، المستقبل) والرؤية العقلية التي تهندس العمارة من العام إلى الخاص، والعودة من الخاص إلى العام، وهذا النوع من الاجتهاد الفقهي الفلسفي أعطى مرجعيته (قده) تلك الخصوصية الشاملة لأنها جمعت بين الاختلاف والوحدة على قاعدة أن الوحدة لا الانقسام هي الأساس، وساهمت هذه الرؤية التأسيسية في تشكيل خصوصية شاملة (توحيدية عامة) جذبت إليها الانتباه والتقدير من كل القوى والمدارس والمذاهب الإسلامية على اختلاف أنواعها وألوانها)[2].

يقول سماحة العلّامة آية الله السيد عبد الله الغريفي[3]:

«لقد انطلق سماحة السيد محمد حسين فضل الله بمشروعه المرجعي الشامل مرتكزاً على مجموعة مكوّنات:

١ ـ الارتقاء بمستوى الكفاءات الذاتية للمرجعية، فيما يعنيه هذا الارتقاء من التوفر على عناصر تؤهل المرجعية لأن تكون في مستوى تحديات العصر وضروراته ومتغيراته.

٢ ـ الارتقاء بمستوى أهداف المرجعية بما يتناسب وحاجات المرحلة وتحدياتها وإشكالاتها.

٣ ـ الارتقاء بمستوى الأداء المرجعي، فما عادت الهيكلية التقليدية قادرة على أن تتعاطى مع الواقع بكل متغيراته ومستجداته ومتطلباته...

٤ ـ الارتقاء بمستوى العلاقة مع الأمة، فكلما كانت الأمة حاضرة في وعي المرجعية وفي وجدانها وفي حركتها، كانت المرجعية حاضرة في وعي الأمة وفي وجدانها وفي كل حركتها.

---

(١) مدير تحرير جريدة الوسط البحرينية، كاتب ومفكّر.

(٢) نقلاً عن صحيفة الوسط البحرينية ـ العدد ٢٨٥٩ ـ الأثنين ٥يوليو ٢٠١٠م الموافق ٢٢ رجب ١٤٣١هـ.

(٣) أستاذ حوزوي كبير، من كبار علماء البحرين، عالم رباني، مُرَبٍّ، داعية إسلامي.

حينما نتحدّث عن بقاء هذا النهج نجد في الجماهير التي عشقت هذا الرمز الكبير وذابت في حبه رصيداً ضخماً يعطي لهذه المدرسة حضورها المستمر وعطاءها الدائم وامتدادها المتدفق. . .

ونجد في الأمة بكل مكوّناتها وانتماءاتها الصادقة مع المبادىء والأهداف الربانية والإنسانية ما يحتضن هذا المسار ويدافع عنه، ويدافع عن منجزاته. . .

وقد استطاع المرجع الكبير السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه) أن يكون المرجع المنفتح على قضايا العصر، وأن يعطي المرجعية حضوراً روحياً وفقهياً وثقافياً واجتماعياً وسياسياً، وأن يحتضن الأمة في عقله وقلبه وحركته، الأمر الذي جعل الأمة تحتضنه في عقلها وفي قلبها وفي كل حركتها. . . ولكي نكون الأوفياء لفقيدنا الكبير ونهجه ومدرسته، علينا أن نبقى حاملين أهدافه، وثوابته، ومشروعه، متمسكين بالوعي والبصيرة كما أراد لنا، باحثين عن رضا الله تعالى كما علّمنا، ناشطين في طريق الحق كما وجّهنا، مضحّين من أجل المبدأ والعقيدة كما رسم لنا شعارنا المحبة كما ربّانا، خيارنا الوحدة كما قال لنا، نهجنا الحوار كما أمرنا»[1].

يقول سماحة السيد (قُدّس سرّه) عن المرجعيات الحالية:

«إننا نشعر أننا محكومون ـ في نطاق المرحلة ـ للقبول بمرجعيات ليست في مستوى الطموح من حيث مواصفاتها القيادية الرائدة، فقد تجد نموذجاً يملك الوعي السياسي الشامل، والرشد الإسلامي المنفتح، والحركية العملية الواعية، ولكنه لا يملك المستوى اللازم في الشخصية الفقهية الأصولية للمرجع، وقد تجد نموذجاً آخر يمثل الحجّة في الفقه وأصوله ولكنه بعيد عن الواقع بكل ذهنيّته ومشاعره واهتماماته، فهو لا يشارك في شيء من شؤونه إلا بطريقة هامشية تفرضها الحاجة هنا، والصدفة هناك من دون خطةٍ أو برنامج. . . وربما يختزن في داخله الفكرة التقليدية التي ترى في الأمور الخارجة عن الدائرة الفقهية العلمية شيئاً لا يتناسب مع روحيّة المرجعيّة لا سيما

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات»، العدد ٣٨٠ الجمعة ١١ شعبان ١٤٣١هـ الموافق ٢٣ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٤، ٥.

إذا كانت تتصل بالحركية السياسية، لأن السياسة لا تتناسب مع الروحانية، ولا تلتقي بالتوازن الأخلاقي للشخصية المرجعية.

وفي ضوء ذلك يبقى التخبط انطلاقاً من ضغط الواقع التقليدي على المستوى الشعبي أو الحوزوي، بحيث قد تتم عملية الاختيار لنموذج لا يملك أيّة حيويةٍ للطاقة، أو أي انفتاح على الجديد في الاجتهاد حتى في الفقه والأصول باعتبار أن السن المتقدم قد يمنح الإنسان قداسةً ضبابية لا تجدها ـ في الوعي العام ـ لدى الإنسان الذي لم يبلغ هذا المستوى من العمر، وبذلك تفقد المرجعية حيويتها حتى في المسألة الفقهية، لأنها لا تملك أن تضيف لمعلوماتها شيئاً ولا تستطيع أن تتجدد في نظرتها إلى المتغيرات التي قد تغيّر نهج الاجتهاد من خلال تأثيرها على وعي المجتهد للنص مقارناً بالواقع»[1].

لقد طرح سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه) نفسه مرجعية شيعية مستقلة فهو لم يكن ليقنن نفسه تحت أي اسم أو مسمى، وهذا ما ساعده على قول الحقائق كما هي دون خوفٍ أو وجل، ولم يتلقَ الدعم المادي من دول أو حكومات أو أحزاب أو منظمات، بل من مؤمنين وثقوا به وبنهجه، فاستمعوا له فأحبُّوه فدعموه.

يقول محمد سعد العجلة[2]:

«مكانته العلمية الدينية أهّلته لأن يؤسس لنفسه مرجعية مستقلة وأن يطلق عليه أنصاره ومريدوه وذوو الخبرة الفقهية والعلمية «آية الله العظمى» وهو أعلى لقب في المؤسسة الدينية الشيعية، وأحد شروط الوصول بصاحبه إلى هذا اللقب أن يكون مرجع تقليد، كما هو الحال مع السيد السيستاني في العراق، والسيد الخامنئي في إيران، وغيرهما ممن يعدُّون على الأصابع في العالم، إلا أن اختلافه مع الآخرين لم يكد يشعر به المرء، لأنه لم يكن يسعى لإبرازه أو تحويله إلى شقاق.

ويرى سماحته (قُدّس سرّه) أن الاختلاف أمر طبيعي، لكن مساحة

---

(١) من كتاب (المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية) دراسة وحوار مع سماحته (قده)، سليم الحسني ١٩٩٤م، ص٣، ٥، ٦.

(٢) كاتب وصحفي من غزّة.

الاتفاق والوفاق وإمكانية التعاون دائماً أكبر بكثير، ويجب أن يكون الحوار هو الأساس للتفاهم، فالحوار لديه يحتل مكانة مرموقة وذات أهمية بالغة»[1].

السفير الإيطالي في لبنان (جوسيبي دي ميكاليس دي سلتغللو) يقول عن سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه):

«كنتُ منذ وصولي إلى لبنان في آذار ١٩٩٠م أتطلّع بشغف كبير إلى الاجتماع بسماحة العلّامة السيد محمد حسين فضل الله، لا نشك في أن المكانة التي يتحلى بها العلّامة ليس فقط ضمن طائفته الشيعية الكريمة بل أيضاً في كل لبنان، وكذلك في العالم العربي والغربي، هي ثروةٌ للبنان واللبنانيين نظراً إلى مزايا الرجل الكبير وتفهُّمه الواسع لواقع الأمور وجرأة تفكيره والحرية التي يتحلى بها في التعبير عن مواقفه وآرائه»[2].

الأستاذ جوزف الهاشم[3] يقول عن سماحته:

«السيد محمد حسين فضل الله، سيدٌ وكفى، سيد الموقف والوقفة اللافتة... سيد الكلمة المجنّحة في أبعادها الفكرية والفقهية والسياسية... سيد وكفى... وسامعه لا يحتاج إلى السؤال»[4].

ومن مميزات سماحته (قُدّس سرّه) أنه المرجع الحر الذي لا تأخذه في الله لومة لائم. ومن أجمل ما قال سماحته (قُدّس سرّه) في أن يكون الإنسان حراً:

«أن تكونَ حُراً هي إرادتُكَ بالحريةِ في داخلِ نفسِكْ، فالحريةُ لا تصدُرُ بمرسوم، والحريةُ لا تعطى، إنها تماماً كالينبوع الذي يتفجّرُ من أعماقِ الأرض ليفرضَ نفسَه، فالينبوعُ عندما يتفجّر لا يأخذُ رأيَ هذا ولا يأخذُ رأيَ ذاك، ولا يتقبلْ أي اعتراضٍ من أرضٍ جدبةٍ هنا أو أرضٍ خصبةٍ هناك، هو يُعطي لأن العطاء سرُّ ذاتِ الينابيعْ، والشمسُ تُعطي النورَ والدفءَ والحرارةَ والحياةْ، لأن ذلكَ سرُّها، فالإنسانُ في إنسانيّته التي تمثلُها حريّتهُ، حريةَ أن تقولَ لا عندما

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات»، العدد ٣٨٠ الجمعة ١١ شعبان ١٤٣١هـ الموافق ٢٣ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٧.

(٢) نقلاً عن موقع «بيّنات» الألكتروني تحت عنوان (بوح الذكرى) لمناسبة رحيل سماحته (قده).

(٣) سياسي لبناني بارز، عمل وزيراً في الحكومة اللبنانية عدة مرات.

(٤) نقلاً عن موقع «بيّنات» الألكتروني تحت عنوان (بوح الذكرى).

تكونُ الـ لا... فكركْ... حتى لو قالَ العالمُ نعمْ... وأن تقولَ الـ نعمْ لو كانت الـ نعم فكركْ، حتى لو صاحَ العالمُ كلّهُ لا...

ليست المسألة أن تكونَ أنانياً ولكنّ المسألة أن تكونَ إنسانياً، فاستمعْ إلى العالمْ، هذا يفكّرُ بطريقة وتناقش تفكيره، وذاك يفكر بطريقة وتناقش تفكيره، ثم تحاول أن تؤصّلَ فكرك من خلالِ ما تملُكْ من معطياتِ الفكر، ولذلك أن تكونَ إنساناً يساوي أن تكونَ حُراً»[1].

إن فكرَ سماحته (قُدّس سرّه) المضيئ كالنجوم في الفضاء الإنساني والإسلامي والوطني والعربي والعالمي ونهجه العقلاني والنقدي ومواقفه الإسلامية والفكرية والثقافية والسياسية والوطنية جعلتهُ رائداً في المرجعية العصرية والشاملة.

يقول خالد مشعل[2] عن سماحة السيد (قُدّس سرّه):

«السيد محمد حسين فضل الله ليس شخصية إسلامية لبنانية فحسب، بل هو شخصية إسلامية عامة يعتز الناس بفكره الوسطي وبسماحته وانفتاحه وأصالته ودعمه لكل قضايا الأمة، وعلى رأسها قضية فلسطين التي تحتل مساحة كبيرة في قلبه وعقله»[3].

كان سماحته (قُدّس سرّه) عالماً عاملاً جليلاً، فقيهاً مجدداً، نافذ البصر والبصيرة، صلب الإيمان، أديباً فحلاً وشاعراً فذاً، نبراساً للعلم والجهاد والعطاء، ملجأ للمستضعفين وموئلاً في الأزمات، فيلسوفاً، يشعُّ النورُ من وجهه، المتكلّم المفوَّه، العاشق للّه والرباني، أب الأيتام والفقراء والمساكين، المربي والمرشد، المصلح الاجتماعي والمتواضع والمُحِب والزاهد.

هذا ما يشهد به كل مَن عرفه والتقى به، وهذه هي شهادتهم ولا مبالغة فيها، أو صنمية الحب للشخص، إنما خصائص وصفات تميّز فيها سماحته (قده).

---

(١) إحدى المحاضرات لسماحته (قده) في مسجد الحسنين عليهما السلام حارة حريك ـ الضاحية الجنوبية، وهي مؤرشفة لدينا بصوت سماحته (قده).

(٢) رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس).

(٣) نقلاً عن موقع «بيّنات» الألكتروني تحت عنوان (بوح الذكرى).

إن المشهور في تاريخ المرجعيات أن المرجعية الدينية تختص بالفقه فقط، ثم جاءت بعض المرجعيات الكبيرة في النجف وقم وكان لها أدوار نهضوية وتأثير سياسي كبير فأضيفت خصّيصة أخرى وهي السياسة، أما مع سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) تحولت المرجعية إلى مرجعية فقهية وسياسية واجتماعية وفكرية وتربوية وجهادية وحوارية وإنسانية معاصرة للتقدم والتطور.

لا أعتقد أن من السهل بعد الآن أن يأتي جيلٌ جديدٌ من المرجعيات لا يحمل مجموع هذه الخصائص التي أعتقد أنها أصبحت ضمن شروط المرجع والتي حملها سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) وجعلته مرجعاً للأمة وأعطته لقب «مرجعية شمولية».

مشروعه النهضوي إلى الأمة:

لقد جرّب المسلمون على مدى عشرات السنين، طريقة فتاوى التحريم، وخطب الوعظ، فكانت النتيجة ضعيفة، وهذا ما يدعو إلى إعادة التفكير في المنهج... !! ومَن تابع مسيرة ومنهاج سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) سيجدها مليئة بالتجارب الناجحة ومنعطفات فكرية تستحق الدراسة والتأمُّل، فقوة الجذب لديه استطاعت أن تُدخل ملايين الشباب إلى نادي الالتزام الديني، ومَن يريد العمل على استنهاض الأمة عليه أن يتّبع المشروع الإصلاحي الذي مشى فيه سماحته (قُدِّس سرّه) وأركانه الأساسية هي:

١ ـ ألاّ يعتبر المرء نفسه مالكاً للحقيقة المطلقة دون سواه من البشر، فإن فعل ذلك فقد قدّم أكبر دليل على جهله وتخلُّفه وتعصُّبه الأعمى وطالبَ (قُدِّس سرّه) بمراجعة التاريخ بعيداً عن النظرة الطائفية الضيقة.

٢ ـ الدعوة إلى الابتعاد عن كل من شأنه أن يفرّق الأمة ويزرع الفتنة بين أبنائها فقال سماحته (قُدِّس سرّه) واصفاً الطائفية «أنها مادة قابلة للاشتعال في أي زمان ومكان» فهذا هو التعريف العلمي الدقيق لهذه الآفة الاجتماعية، وأن هذا المارد النائم في قمقمه، الذي إذا ما خرج منه في أية لحظة تاريخية أو بقعة جغرافية فإنه كفيل بتفكيك عناصر المجتمع إلى مكونات مسلوبة الإرادة توجهها الأحقاد وتتصرف بها الكراهية.

لذلك سعى دائماً لطرح رؤى تقدمية تساهم في توحيد المسلمين والتصدي للمشروع الإسرائيلي، فكان (قُدِّس سرّه) واهباً نفسه لتلك القضية، فتراه كلما دبّت الخلافات بين المسلمين وجّه بوصلته باتجاه العدو الإسرائيلي لتنبيه المسلمين إلى أن إسرائيل لا غيرها هي العدو الحقيقي، وأكد على أهمية أن نتعلم كيف نحترم الموضوعية والعقلانية في حوارنا وتفكيرنا وأن نحترم حرية بعضنا البعض، لأن الحرية لا يخافها الواثقون من سلامة فكرهم وقوته.

٣ ـ دعوة رجال الدين إلى مواكبة المنجزات العلمية التي حققها بنو البشر على مدى قرون من التجريب وإعمال الفكر في تيسير أمور الدين على الناس بما يحقق لهم وحدة الكلمة ويكفل لهم السعادة، ودعا إلى احتضان العلم والعلماء، وعدم الاستعجال في رفض أي نظرية علمية، وإنما بحث المخارج الدينية لها، فمواكبة النظريات الحديثة والتطورات العلمية من الضروريات لتطوير الفكر والمستقبل الإسلامي، فرفضها من دون تمعُّن واستيعاب حتماً سيضر بالإسلام كما حصل للكنيسة في العصور الوسطى.

٤ ـ دعا بشجاعة وجرأة إلى تهذيب الطقوس الدينية وتطهيرها مما علّق بها من خرافات وخزعبلات وغلو، لا تمتّ إلى الدين الحنيف بصلة، بل إنها تضر بصورة الإسلام والمسلمين أبلغ الضرر، حيث نرسل للآخرين رسالة خاطئة، فتصّور لهم الإسلام وكأنه عبارة عن ممارسات متخلّفة لشعوب بدائية لم تفقه من الحضارة في شيء.

٥ ـ أن الدين الإسلامي، دين يُسر، فلا عسر فيه ولا حرج، وعليه يتحتّم على العلماء التماس أيسر الطرق وأقربها إلى الحياة العملية العصرية والمتطورة، وإن الله كرّم الإنسان وجعل سعادته الغاية الأولى من إرسال الأنبياء وتنزيل الرسل والكتب السماوية، فيجب أن يُحترم الإنسان وأن لا تُمتهن كرامته إن كان يدين بغير ملّة أو كان بلا دين فهو طاهر بالإنسانية.

٦ ـ أن الأفكار مهما جنحت والأسئلة مهما اتسمت بالجرأة والسخافة، يجب أن تناقش ويجاب عليها بالتفصيل، فهذا هو منهج الله ﷻ.

لقد جادل وحاجج وناقش في كتابه الكريم كل مَن طرح إشكالاً مهما كان شأن الطارح وأياً كان نوع الطرح، ناقش نبيه الكريم وعباده المؤمنين كما حاجج

الكفار والمنافقين، وجادل في صغائر الأمور وعظائمها فلم يستثنِ من ذلك الجدال حتى في ذاته المقدسة، فإذا كان هذا هو المنهج الرباني في الحوار، فكيف يتسنى لأحد أن يضع خطوطاً حمراء على تلك المسألة أو ذلك الأمر؟

٧ ـ لقد ألقى سماحته (قُدّس سرّه) حجراً في المياه الراكدة ما لبث أن ولّدت دوائر أخذت بالاتساع شيئاً فشيئاً، لتشمل جميع ذرّات تلك المياه، فناقش أموراً كانت تُعدُّ من المحرمات التي يُمنع الاقتراب منها، فضلاً عن مناقشة أمورٍ أُسبغت عليها شهرتها بين السابقين من العلماء قدسية، فأثبت أنها قابلة للنقاش والطعن، بل والرد عليها من خلال أدلة عكسية، ولا يعني كونها مشهورة أو متواترةً، أنها مقدسة إذا ما قام الدليل على بطلانها أو تُعارض القرآن الكريم.

٨ ـ دعا أن ينزل رجل الدين من برجه العاجي الذي وضع نفسه فيه طيلة عهود التخلف والانحطاط، وأن يُخرج نفسه من هالة القداسة (فإذا كنتَ معمماً يعني أنك مقدّس... يجب على الناس أن يتباركوا بك...!!).

لا قداسة إلا لمَن يتواضع للناس، يكون بينهم ويعيش معهم مشاكلهم اليومية، ويشاركهم همومهم، وأن يخوض معهم في جميع شؤونهم الفكرية منها والاجتماعية والسياسية.

٩ ـ تبنّى مفهوم المرجعية المؤسساتية، وما ذلك إلا سعي منه لطرح أفكار تقدمية من شأنها رفع وتطوير أداء المرجعية، خصوصاً مع اتساع الرقعة الجغرافية للمسلمين حيث أصبح العالم كله قرية واحدة.

١٠ ـ يجب على المسلمين، التحلي بالمحبة ونزع البغض للآخر مهما كان هذا «الآخر» فاللعن والسباب والشتيمة يولّد ردة فعل من الطرف الآخر، وتمتليء القلوب بالكراهية والأحقاد ونصبح أسرى للفعل وردة الفعل وتتفجّر العصبيات وهذا ما لا يُرضي الله (ﷻ) ورسوله (ﷺ).

الفصل الخامس

شهادات مراجع وفقهاء بحق
سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه)

أولاً: خارج لبنان

ثانياً: داخل لبنان

الفصل الخامس

شهادات مراجع وفقهاء بحقه (قُدّس سرّه):

أولاً: خارج لبنان:

١ ـ العلّامة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري[١]:

قال سماحة العلّامة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري في كلمة ألقاها عنه، الشيخ حسين المصطفى في حفل التأبين الذي أقيم للمرجع الراحل السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه) في القطيف، معبّراً عن عمق الخسارة التي لحقت بالأمة الإسلامية جمعاء بفَقْده تحت عنوان: العلّامة الذي تجلّت فيه خصائص الإنسان[٢].

العلّامة الإنسان:

قال الشيخ التسخيري في تأبينه المرجع الراحل (قُدّس سرّه):

«لقد فقدنا العلّامة الإنسان، ففقدنا به مفكراً يصنعه عقل مبدع، تقوده إراداته الحرة المتمردة على كل قيد موهوم، أو عُرف مصطنع، أو تقليد أعمى، أو ضغط ظالم، أو صنمية متوارثة، أو انزوائية غير عُرفية، فكأنه ـ بكل صدق ـ

---

(١) الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ومستشار قائد الثورة الإسلامية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، سماحة السيد علي الخامنئي.

(٢) نقلاً عن موقع (بيّنات) تحت عنوان (ملف الرحيل)، بتاريخ ٢١ ـ شوال ١٤٣١هـ الموافق ٢٠١٠/٩/٣٠م، ونقلاً أيضاً عن شبكة «راصد» الإخبارية الألكترونية تحت عنوان: (صدىً من حفل الفقيه الإنسان) بقلم السيد موفق ماجد بتاريخ ٢٠١٠/١٠/٤م وشبكة الرامس الثقافية تحت عنوان (القطيف تؤبن الفقيه الإنسان).

يحقق مقولة الإمام عليّ عليه السلام ـ صوت العدالة الإنسانية ـ حينما حلّل النفس والفطرة الإنسانية بما لا أجمل منه فقال: «العقول أئمة الأفكار، والأفكار أئمة القلوب، والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الأعضاء».

أضاف الشيخ التسخيري: نعم المهم أن يكون الإنسان إنساناً، ولكي نثبت ذلك يمكننا أن نرجع إلى حقيقة شاملة تؤكد أن الهدف من خلق الإنسان لن يتحقق إلا إذا تجلّت معالم الفطرة، وهي منظومة الخصائص الإنسانية في حياته، وهو بالضبط ما أراده الدين وما سعى إليه الأنبياء، كما يؤكد ذلك عليّ عليه السلام نفسه حين قال: «**وواترَ إليهم أنبياءَهُ ليَستأدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطرَته**»[1].

الروح الاجتهادية المتميزة:

وهنا أعود إلى سيدي العلّامة فضل الله، فمَن عرفه، عرف أنه كان مفكراً يهديه عقله إلى نظريات وأطروحات يفترضها أولاً ويقيم عليها الدليل بروح اجتهادية ثانياً ـ وهو المجتهد الحق الذي درس على يد العلماء الأفذاذ في النجف من أمثال الخوئي والحكيم والحلي والشاهرودي ـ فإذا تمت عملية الاستدلال تفاعل معها وآمن بها، وراح يصرّح بها بقوة دون أن يمنعه مانع أو يوقفه معارض، إنها حقيقة شهدناها في مختلف مواقفه التي أعلنها دون مواربة.

وأضاف: «سواء اتفقنا معه أو اختلفنا في الاستنتاج والاستنباط، فإنّ علينا أن نُكبِر ونُجِلّ هذه الروح، لأنها المطلوب والمفروض من الإنسان، لقد كان أصيلاً في فكره، معتمداً على الدليل القوي، مُنظّراً بعيد النظر، يصوغُ فكرهُ عاطفتهُ، فتملأ عاطفتُه وجودَه وينطلق من هذا الجو كل سلوكه الحياتي بإرادة قوية لا يقف أمامها شيء».

وعدّد بعض الآراء الاجتهادية للمرجع الراحل (قُدِّس سرّه) فقال:

«على الصعيد الفقهي، توصّل مثلاً إلى حذف شرط الذكورة في مرجع التقليد في فتاواه، وعدم اعتبار الأعلمية فيه، وأجاز التبعيض في التقليد،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١، ص٤٣ ـ منشورات دار الهجرة ـ قم، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلمية: الدكتور صبحي الصالح.

واعتمد قاعدة مساواة المرأة للرجل في الحقوق والواجبات، وأفتى بطهارة الإنسان عموماً، ولم يعتبر التدخين من المفطرات وحرّم العادات المبتدعة في مراسم العزاء، واعتمد الحسابات الفلكية لتحديد بدايات الأشهر القمرية، إلى ما هنالك من فتاوى اجتهادية».

وأضاف: «لقد دعا إلى الحوار مع الغير ـ مهما كان ـ ولكنه حوار واعٍ لا يفسح في المجال للاستغلال مما ينحرف به عن دوره الأساس، وآمن بالتقريب بين المذاهب الإسلامية، وعمل له بما يستطيع، وله أفكاره الرائعة في هذا المجال، فهو يعتبر (المذهبية) مجرد وجهة نظر في الإسلام، ويدعو إلى إيجاد واقع تقريبي على صعيد الجماهير، وعدم الاقتصار على النخبة، وأمثال ذلك».

كما أشار في كلمته إلى إيمان سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قده) بقضية الوحدة قائلاً:

«إن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ليتشرف بكونه على مدى عمره عضواً في المجلس الأعلى له، ومنظّراً ونظيراً في كل المواقف، ذلك لأنه آمن بقوة بقضية الوحدة الإسلامية، وألّف فيها كتباً ونذر لها حياته الشريفة.

مواقفه السياسية الرائدة:

أما في المجال السياسي فقد استعرض مواقفه المميزة بالنظرة الصائبة والموقف الإستراتيجي والصلابة والثبات، رغم كل المؤامرات المعادية والتي تعرض لها، ما أنتج أحياناً «المئات من التهم والمواقف العدائية الظالمة حتى من المقربين إليه، ومن أولئك الذين لا نتوقع منهم هذا الابتذال في الموقف».

كما استعرض الشيخ التسخيري بعضاً من آراء المرجع الكبير (قده) فقال:

لقد آمن بالصحوة الإسلامية في هذه الأمة ونظر لها في تأليفاته ومواقفه وخطبه، ودافع عنها، وزار الأقطار المختلفة، وحضر المؤتمرات العالمية في الجزائر وإيران وأمريكا والغرب، وقد حضرتُ بعضها وشهدتُ مدى التوعية والتأثير الذي كان يتركه.

كما آمن بالحركة الإسلامية في كل مكان، ورآها أملاً في خلاص الأمة

من وضعها البائس، وقد تجلّى ذلك في دعمه للحركة الإسلامية في العراق أيام سيطرة الشيوعيين والبعثيين، وبقي داعماً لها فكرياً وسياسياً وعملياً إلى نهاية حياته، لقد كان صاحب مدرسة حركية غذّت الكثيرين بالفكر الأصيل، وكتابه «خطوات على طريق الإسلام» ينبىء عن ذلك.

كما أشار إلى أن الراحل الكبير (قُدِّس سرّه) آمن بالثورة الإسلامية في إيران، ونذر نفسه للدفاع عنها حتى آخر نفَس، وأضاف: «لقد شهدت له مواقف كبيرة وتألقاً عظيماً وحرصاً شديداً على دعم مسيرتها بما يقل أن يصدر عن أحد الشخصيات الدينية أو الاجتماعية».

كما آمن أيضاً بأن الاستكبار العالمي يتجسّد اليوم في الغرب وتقوده أمريكا قيادة شيطانية، فبقي منتقداً سلوكها المستكبر، فاضحاً أساليبها، حتى أسلوب أوباما «المنافق أحياناً، والمعلن بالعداء أحياناً أخرى».

وتحدث عن حياة الراحل (قُدِّس سرّه) السياسية، معتبراً «أنه كان الأب الروحي للمقاومة، فقال: ومن جوانب حياته السياسية المميزة موقفه من النظام الصهيوني الغاصب لفلسطين، فقد نظر إليه عدواً أكبر لهذه الأمة، ورصد كل تحركاته، وفضح كل أساليبه، وعبّأ الجماهير العربية والمسلمة ضده، ولم يألُ أي جهد في محاربته، وهو ما يفسّر رعايته المستمرة للمقاومة الإسلامية البطلة في لبنان، ليعتبر بحق الأب الروحي لها».

أبعاد شخصية المرجع فضل الله (قُدِّس سرّه):

واعتبر العلّامة الشيخ التسخيري بأنه لا يمكن استيعاب مختلف أبعاد شخصية المرجع الراحل بسبب اتساعها، ولكنه أشار إلى جانب من هذه الأبعاد، وهي النقاط التالية:

أ ـ البُعد التربوي لطلاب العلوم الدينية في الحوزات التي أنشأها من قبيل «المعهد الشرعي» في لبنان، و«حوزة المرتضى» في سوريا، وقد نُشرت دراساته الفقهية المعمّقة، وقبل ذلك مارس التدريس في الحوزة النجفية العلمية الكبرى وذلك لمجموعات من طلبة العلوم الدينية، وقد نُقل أنه درّس «المكاسب» للشيخ الأعظم الأنصاري (قده)، و«مدارك الأحكام»

للسيد العاملي (قده) لدورات تسع، كما كان يربي جماهير الأمة عبر محاضراته القيّمة في العراق ولبنان وسوريا وإيران والجزائر وغيرها...

ب ـ البُعد الأدبي، فقد كان كاتباً أصيلاً وشاعراً محلّقاً، استخدم إمكاناته في خدمة قضيته الإسلامية.

ج ـ البُعد التفسيري، فقد كتب تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم بأسلوب شيّق، وقد امتاز تفسيره بالعصرية من حيث اللغة ومعالجة الواقع والجرأة في إبداء الرأي.

د ـ البُعد العالمي، ونقصد به النظرة الواسعة إلى كل البشرية والاهتمام بمشاكلها وإبداء النظر فيها، وهو أمر أكده القرآن الكريم وركّزه رسول الإنسانية محمد ﷺ بعد إعلانه أنه رحمة مهداة.

هـ ـ البُعد الخيري، حيث أنشأ الكثير من المشاريع الخيرية والتأهيلية ومنها (جمعية المبرات الخيرية) التي تركت آثاراً خيِّرة في مجالات رعاية الأيتام وهي تحتضن اليوم الآلاف منهم، ومنها: مكتب الخدمات الاجتماعية وغير ذلك...

و ـ البُعد الجماهيري، إذ كان يعشق الجماهير ويعيشُ بينها حتى في أشد حالات المحنة، حينما قصفت إسرائيل الضاحية وصيّرتها حطاماً، لقد كان يؤم المصلين باستمرار، ويقرأ الدعاء مع الناس، ويستقبل الصحافة باستمرار، وقد اهتم بقضايا المرأة كثيراً، ودافع عن حقوقها، كما اهتم بقضايا الطفل والشباب، وألّف كتباً في ذلك...

ز ـ البُعد الثقافي، وقد بدأه مبكراً، فانتُخب عضواً في جمعية منتدى النشر الشهيرة في النجف الأشرف، وأشرف على مجلة «الأضواء» مع المرحوم الشهيد الإمام محمد باقر الصدر (قُدِّس سرّه)، وقد لعبت دوراً مهماً في نشر الثقافة الإسلامية، وهكذا امتدت مسيرة التثقيف حين هاجر إلى لبنان.

ح ـ البُعد التغييري، لقد خطط (قُدِّس سرّه) لإحداث التغيير في مختلف المجالات كالمجال الحوزوي، بما فيه تربية الطلبة بالتغيير في الطريقة والأسلوب وإيجاد المرجعية العصرية الواعية (المؤسسة) وتخليص الفقه والأصول والتفسير من التعقيدات التي أنتجها الخلط بين البحوث

الفلسفية وهذه البحوث، ما أبعدها عن الفهم العرفي المطلوب أحياناً، والتغيير في مجال الأمة، وقد أشرنا إلى بعض مناحيه سابقاً.

ط ـ البُعد الوطني، فقد بقي يناضل في سبيل وحدة الشعب اللبناني وحل مشكلاته، بأفكار أصيلة مرنة، كان لها أكبر الأثر في الساحة اللبنانية التي شهدت أعظم الحوادث في زمانه.

لوعة رحيل العلماء الأفذاذ:

وتابع: بعد هذا الحديث أشعر حقيقة بأني لم أوفه حقه، وأنّى يمكن ذلك والرجل إنسان عصامي تناسقت أبعاد «شخصيته الموسوعية» فأنتجت «منظومة بديعة».

أو فلنقل: «قصيدة إلهية، أو معزوفة طبيعية جميلة يعجز اللسان أن يصف أبعادها».

وختم الشيخ التسخيري بالقول: لقد ترك رحيله في قلوب الجماهير أسًى كبيراً، وفي قلبي لوعة حارقة لا يعادلها إلا رحيل الأفذاذ من أمثاله، كالإمام الخميني (قُدِّس سرّه) والشهيد محمد باقر الصدر (قُدِّس سرّه) وآية الله المطهري، وأمثالهم...)

٢ ـ آية الله العظمى الشيخ يوسف الصانعي (قم المقدسة)[1]:

ببالغ الحزن تلقينا نبأ رحيل العالم الرباني والفقيه المتقي آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (كَلَّلَهُ) وبهذه المناسبة نعزي بقية الله الأعظم (أرواحنا له الفداء) والحوزات العلمية وجميع الشيعة في العالم وبخاصة الشعب اللبناني وعائلته المحترمة.

لا شك أن رحيل عالم من هذا القبيل، الذي سعى من خلال صراعه مع التحجُّر والرجعية لعرض صورة رحمانية عن الإسلام، والدفاع الواعي والشامل عن المظلومين والمقاومة أمام الظلم، دون النظر إلى دين المظلومين وقومياتهم يعدُّ ثلمة لا يسدُّها شيء للحياة السلمية البشرية.

---

(١) أحد كبار مراجع التقليد في إيران.

إنه حقاً فقيه شجاع وبصير بزمانه ومكانه في عالم اليوم المتلاطم، فقد كان يشري نفسه ابتغاء الآراء الفقهية لينير بها درب المجدّدين والمفكرين الملتزمين.

مع تعازينا بمناسبة رحيل آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) إن البقاء على تقليد الميت جائز، سواء في المسائل التي عمل بها المُكلف والتي لم يعمل بها[1].

٣ ـ آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (النجف الأشرف)[2]:

«إذا مات المؤمن الفقيه ثُلِم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء».

الإمام الصادق عليه السلام

إن انثلام الإسلام يعني غلق نافذةٍ كانت تطلّ منها البشرية المُكِدّة المتعبة على الإسلام، لتقتبس من نوره ما يضيء لها درب السعادة والطمأنينة، ويعني حصول ثغرةٍ في حصن الإسلام والمسلمين، حيث يقف العلماء العاملون عليها للدّفاع عن عقائد الأمة ومبادئها وأخلاقها وحاضرها ومستقبلها، ويعني النّقص في العلوم والمعارف والبركات والألطاف التي كانت تنزل على الأمة بإفاضة العلماء الربّانيين.

هذا ما حصل اليوم عندما رحل عنّا صاحب النفس المطمئنّة، فقيدنا الكبير سماحة المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله قدّس الله روحه الزكيّة ورجع إلى ربه راضياً مرضياً فألحقه الله تبارك وتعالى بدرجة آبائه الصالحين.

لقد كان الفقيه الراحل مثالاً للعالِم العامل بعلمه، والطبيب الدوّار بطبّه، ولسموّ الذات، وعفّة السلوك، فقد تسامى عن الأمور الدنيّة، وترفّع حتى عن الرد على مَن أساء إليه.

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧رجب ١٤٣١هـ ـ ٩ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٧. ومن بيان صادر عن مكتب آية الله السيد عبدالله الغريفي بشأن البقاء على تقليد السيد فضل الله (قده) (البحرين) وهو مارشف لدينا.

(٢) من كبار مراجع النجف الأشرف.

لم توقفه المحن والصعوبات والإرهاب ومحاولات التصفية الجسدية والمعنوية عن مواصلة درب الجهاد وتوعية الأمة ومسيرة الإصلاح، واستمر على ذلك أكثر من خمسين عاماً، ويجد الكثير من الرساليين العاملين أنفسهم مدينين لجهاده وجهده المباركين، وتشهد بكل ذلك كتبه التي أنتجتها أنامله الشريفة في مختلف العلوم والمعارف، ومؤسساته الخيرية والثقافية في أصقاع المعمورة التي تساهم في إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى، ونشر مدرسة أهل البيت عليهم السلام ونصرة المظلومين والمستضعفين ومساعدة المحرومين.

وبهذه المناسبة نرفع أحرّ التعازي إلى مقام مولانا صاحب العصر والزمان (أرواحنا له الفداء) ولذوي الفقيد وللعلماء العاملين الذين عرفوا فضل الراحل الكبير وثمّنوا عطاءه، ولعموم المسلمين، خصوصاً أتباعه ومريديه ومحبّيه.

وعزاؤنا أن يسد هذه الثّلمةَ الخلفُ الصّالحُ من العلماء السّائرين على طريق ذات الشوكة، لأنه من الصعب التعويض بمثله، لأنه كان أمّة وحده.

وأملنا أن تبقى المؤسسات الخيرية والعلمية والثقافية التي شادها بروحه وعمره الشريف، وآزره عليها ثلّة من المؤمنين الصالحين الذين هداهم الله تعالى إلى فعل الخير بإذنه، وأن تستمر بأداء دورها المبارك المعطاء.

ونقول لذوي الفقيد الراحل: لكم في مصائب أجدادكم الطاهرين سلوة، وفي صبرهم الجميل أسوة، وما عند الله خيرٌ وأبقى، ولنِعْمَ دار المتقين.

أنَسَتْ رزيَّتُكُم رزايانا التي ... سَلَفَتْ وهَوَّنَتْ الرَّزايا الآتية

ولقد أجزنا لمقلدي المرجع الفقيد السيد فضل الله (قدّس الله سره) في خارج العراق باستمرار العمل برسالته العملية والرجوع إلينا في المسائل المستحدثة التي عُلِم منها الخلاف بين الفقهاء (قُدّس سرّه) ويتيسّر الآن التواصل معنا في النجف الأشرف عن طريق الإيميل ونحوه[1].

---

(١) نقلاً عن كتاب (السيد محمد حسين فضل الله من الذات إلى المؤسسة) السيد حسين بركة الشامي، دار الإسلام ـ ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، ط١ ص١٩٤، ١٩٥ ونقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧رجب ١٤٣١هـ ـ ٩تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٧، ومن بيان صادر عن آية الله السيد عبدالله الغريفي بشأن البقاء على تقليد السيد فضل الله (قده) ـ (البحرين) وهو مأرشف لدينا.

٤ ـ المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (قم المقدسة):

لقد أوجد الفقدان المؤسف للعالم المعظّم، حضرة آية الله العلّامة السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) موجة من الحزن في عالم التشيُّع.

إن الفقيد السعيد كان حصناً مقتدراً في لبنان أمام حملات أعداء الإسلام، ولقد حفظ هذا الحصن بشجاعة وحُسن تدبير.

أتقدم في هذا المصاب الكبير بالعزاء من عائلته الشريفة وتمام علماء لبنان والأمة اللبنانية العزيزة، وأسأل الله تعالى للمرحوم الرحمة الإلهية الواسعة، ولعائلته الصبر والأجر الجزيلين.

وبالنسبة للبقاء على تقليد المرجع الميت في المسائل الشرعية التي عملوا بها أو حتى التي لم يعملوا بها؟

إن أكثر المراجع الموجودين يجيزون البقاء على تقليد المرجع الميت في المسائل التي عمل بها المقلد في حياته، وفي الباقي يُرجع إلى الحي[١].

٥ ـ المرجع الديني آية الله العظمى السيد كاظم الحائري (قم المقدسة):

لقد شكل رضوان الله عليه ظاهرة بين أقرانه في الدفاع عن الإسلام ورفد الوعي المتنامي في أوساط مفكري الأمة ومثقفيها، فأدى مسؤولياته ونهض بها بشكل يسجل له دعمه للمقاومة وحمايته لها.

نحن اليوم بحاجة إلى الراحل (قُدِّس سرّه) أو أمثاله في أسلوبه وبيانه، لرفع مستوى اليقظة وفضح مخططات العدو الغادر والوقوف في وجه خداعه ومكائده... ومَن كان يعتقد بأعلميته (قُدِّس سرّه) ولم يزل على ذلك الاعتقاد ورجع إلينا في المستحدثات جوّزنا له البقاء[٢].

---

(١) نقلاً عن كتاب (السيد محمد حسين فضل الله من الذات إلى المؤسسة) السيد حسين بركة الشامي، دار الإسلام ـ ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م، ط١ ص١٩١، وجريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧رجب ١٤٣١هـ ـ ٩تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٦. وبيان مكتب آية الله السيد عبدالله الغريفي بشأن البقاء على تقليد السيد فضل الله (قده) ـ (البحرين) وهو مأرشف لدينا.

(٢) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧رجب ١٤٣١هـ ـ ٩تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٧، وبيان مكتب السيد عبد الله الغريفي بشأن ا لبقاء على تقليد السيد فضل الله (قده) ـ البحرين وهو مأرشف لدينا.

٦ ـ آية الله الشيخ محمود الهاشمي الشهرودي (قم المقدسة):

لقد صرف الراحل عمره الشريف في خدمة الدين الحنيف ونشر الوعي والفكر الإسلامي ومقارعة الظالمين والمستكبرين[١].

٧ ـ آية الله سماحة الشيخ محمد باقر الناصري: (هذه الشهادة بحياة سماحته) (قُدّس سرّه)[٢]

إن سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (قده) هو واحد من أبرز العلماء الواعين المتصدِّين للمرجعية الرشيدة، ووجوده المبارك نعمة من الله تعالى على حركة الوعي والصحوة الإسلامية والتي تمتد اليوم وتتطاول رغم شدة الأعداء ولجاجتهم.

فهو بحمد الله وتوفيقه ممن عُرف بين أهل العلم والفضل والجهاد منذ شبابه، وشهد بفضله وعلمه ووعيه وتقواه كبار العلماء والأساتذة في حوزة النجف الأشرف وخارجها، وقد عرفناه عن كثب وصحبناه لما يقرب من نصف قرن وإلى اليوم، عالماً مجاهداً، مدافعاً عن الإسلام والصحوة الإسلامية، ورمزاً من رموزها، وفي الخطوط الأمامية لحمل راية أهل البيت عليهم السلام، ومدافعاً عن مدرستهم الفكرية المعطاءة، ولصد عادية المتحاملين على أهل البيت عليهم السلام ومدرستهم، وقد أغنى المكتبة الإسلامية بفيض من علومه وخطاباته وكتبه، وتابع جهاده في مختلف ميادين الصراع والمواجهة، ولا يسع التقي المنصف إلا الاعتراف باجتهاده المطلق وكفاءته وورعه، وأن تقليده ضمن الموازين الشرعية صحيح، مبرىء للذمة إن شاء الله تعالى.

ونحن نعتبره من مفاخر العصر والمراجع، ووجوده نعمة من الله تعالى على الدين والملّة، وننصح كافة المؤمنين بالانتفاع من وجوده وعلومه وحركته، ووجود أمثاله من الفقهاء والمراجع الواعين الأكفاء، ونسأل الله تعالى أن يحميه ويحمي به شريعة سيد المرسلين.

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١هـ ـ ٩ تموز (يوليو) ٢٠١٠ ص٧.

(٢) نقلاً عن كتاب (آية الله السيد محمد حسين فضل الله شمس لن تغيب) الشيخ مصطفى الحمصي والشيخ مهدي خليل جعفر ١٤٣١هـ ٢٠١٠م ط١ ص٣٤٦، ٣٤٧.

وكم هو قبيح أن يشترك بعض جهّال المؤمنين في الحملة والإساءة للصحوة ورموزها، ويشاركوا مع أعداء الإسلام المجتمعين اليوم فصائلهم لحرب المرجعية الدينية ورموزها الواعية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾[1].

٨ ـ بيان آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي بوفاة سماحة المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله (النجف الأشرف):

إنني أكتب هذه الكلمات بتأثُّر بالغ وأسًى عميق، فقد كان فقيدكم وفقيدنا وفقيد الأمة قمّةً في الأخلاق والأخلاقيات والقيم والمعايير.

وإذ أشارك الحزن مع أبناء الأمة في كل مكان على فراق فقيدنا العظيم، فإنني أستذكر بكل اعتزاز عقلانيته المستنيرة وإنسانيّته العميقة وتاريخه المشرّف ومواقفه النبيلة، ولن أنسى ما حييت نزاهته وأصالته وأريحيته.

لقد مثّل الراحل الكبير أفضل ما في الأمة من الخُلُق القويم، والعلم الغزير، والأدب الجم، وكان مدرسة نادرة، إذ لم يكتفِ بالفكر المجرّد وبالتنظير ولو على أرفع مستوى، وإنما أغنى القول المأثور بالمساعي العملية الخيِّرة والأفعال الجريئة المؤثِّرة[2].

عاش عمره (قُدِّس سّره) في خدمة القضايا الإسلامية الكبيرة في الخط الأول من ساحات الصراع السياسي والثقافي المعاصر، مدافعاً عن ظلامات العالم الإسلامي، محذِّراً من النفوذ الأمريكي في العالم الإسلامي، منذِّداً بالاحتلال الإسرائيلي والغزو الأمريكي للعالم الإسلامي، داعياً إلى التقارب فيما بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها[3].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٠.

(٢) عن كتاب (السيد محمد حسين فضل الله من الذات إلى المؤسسة) السيد حسين بركة الشامي ـ دار الإسلام ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م ص١٩٣، ط١.

(٣) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ ـ الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١ هـ ـ ٩تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٧.

٩ ـ سماحة آية الله الدكتور عبد الهادي الفضلي (السعودية ـ الإحساء):

ببالغ الحزن والأسى تلقّيت نبأ رحيل أخينا العزيز العلّامة المجاهد المرجع السيد محمد حسين فضل الله طيّب الله ثراه.

إن رحيل المرجع السيد محمد حسين فضل الله خسارة كبرى.. كان عالِماً طليعياً وفقيهاً يعيش هاجس البحث عمّا يلبّي حاجات عصره في وعيٍ وانفتاح...

كان مثال العالِم العامل الذي عاش العطاء حتى الرمق الأخير من عمره الشريف...

هكذا عرفناك ـ يا أبا علي ـ أخاً عزيزاً، ورفيق درب طويل... حتى عبرت إلى ضفة الخلود...

ترك رحيلك فراغاً كبيراً، وكان له الأثر البالغ في النفوس...

رحم الله فقيدنا الغالي، وحشره مع أجداده الطاهرين...

وألهمنا وذويه الصبر والسلوان...

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

١/ شعبان/ ١٤٣١هـ ـ ١٣/ ٧/ ٢٠١٠م

١٠ ـ آية الله السيد علي الخامنئي[١]:

أتقدم بالعزاء إلى عائلة فضل الله الكريمة وإلى جميع مريدي ومحبي سماحته في لبنان والجاليات اللبنانية في أفريقيا وأميركا اللاتينية ومن كافة الشيعة في لبنان برحيل العالِم المجاهد آية الله السيد محمد حسين فضل الله (قده).

لقد قدّم هذا العالِم الكبير والمجاهد، الكثير في الساحات الدينية والسياسية، وكان له الأثر الكبير على الساحة اللبنانية والتي لن تنسى خدماته وبركاته الكثيرة على مَرّ السنين.

---

(١) مرشد الجمهورية الإسلامية في إيران.

إن المقاومة كانت على الدوام تحت رعاية ودعم ومساعدة هذا العالِم المجاهد.

لقد كان الراحل الرفيق المخلص والمقرّب من الجمهورية الإسلامية ونظامها، وكان وفياً لنهج الثورة الإسلامية، وأثبت ذلك قولاً وعملاً على مدار الثلاثين سنة من عمر الجمهورية الإسلامية[1].

١١ ـ سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ أحمد منتظري[2]:

في نبأ رحيل العلّامة السيد محمد حسين فضل الله (رضوان الله تعالى عليه) الذي هو من القلة القليلة في العالم والذي بموجب الخبر نشعر بالحزن والأسى بفقده.

إن المرحوم علاوة على تبحُّره في الفقه وعلم الأصول، وامتلاكه لموقع المرجعية الشيعية، إلا أنه أحد المفكرين الكبار في العالم الحالي.

إن سعة صدره المستمدَّة من أجداده الطاهرين، استطاعت أن توحّد الأمة الإسلامية على وجه العموم، والشعب اللبناني خاصة.

ندعو المولى الكريم أن يحشر المرحوم مع الأئمة الطاهرين عليهم السلام وأن يلهم ابنه السيد علي فضل الله الصبر الجميل والأجر الجزيل والموفقية في خدمة الإسلام والمسلمين[3].

٢١/ رجب/ ١٤٣١هـ

١٢ ـ آية الله الشيخ محسن الآراكي:

لقد كان هذا السيد الجليل منذ مطلع نهضة الإمام الخميني (قُدِّس سرّه) من أكبر العلماء الذين ناصروا الثورة الإسلامية، وكان في طليعة المحاربين للتحريف والتشويه.

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١هـ ـ ٩تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٧.

(٢) نجل المرجع الراحل سماحة آية الله الشيخ حسين علي منتظري.

(٣) نقلاً عن منتديات الجزيرة توك الألكترونية تحت عنوان (رحيل آية الله السيد محمد حسين فضل الله) وعبر شبكة (ارث العراق) نقلاً عن شبكة (الفجر الثقافية) بتاريخ ٧/ ٧/ ٢٠١٠م، وموجود باللغة الفارسية في منتديات (يا حسين) الألكترونية تحت عنوان (تأكد وفاء السيد محمد حسين فضل الله) صفحة ١٩.

إن سماحته بعد رحيل الإمام الخميني (قُدِّس سرّه) لم يألُ جهداً في الخطبة وفرصة سنحت له في دعم الجمهورية الإسلامية في إيران[1].

١٣ ـ آية الله العلّامة السيد ساجد علي النّقوي: (باكستان)[2]:

كلنا يعلم أن رحيل الشخصية العلمية العظيمة المعروفة في العلم والفقاهة في العالم الإسلامي، والصخرة القوية أمام المؤامرات الاستعمارية، ليس مصيبة تختص بأهالي لبنان فحسب، بل هو مصاب وخسارة لجميع العالم الإسلامي.

إن جهوده القيِّمة في سبيل استقلال لبنان، وتحرير القدس وفلسطين واتحاد أهلها، لا تزال باقية الآثار، ولن تُنسى أبداً، ولسوف تكون شخصية هذا العالِم العظيم ضوءاً ينير طريق السائرين، فندعو الباري تعالى مرة أخرى بإعلاء درجاته والمن بالصبر على ذويه[3].

٢٥/ رجب ١٤٣١هـ ـ ٧/ ٧/ ٢٠١٠م

١٤ ـ علماء دين سعوديون[4]:

الشيخ حسن الصفّار: (القطيف)

لقد فقدنا به مرجعاً رائداً، وفقيهاً مجدداً، وعالماً مُصلحاً، ومربياً عظيماً تخرجت على يديه أجيال من المؤمنين العاملين والرساليين المجاهدين.

لقد سطّر الفقيد الراحل بمواقفه العلمية والجهادية صفحة من أروع صفحات العلم والجهاد في هذا العصر حيث لم تأخذه في الله لومة لائم، ولم يأبه لمختلف الضغوط التي انهالت عليه، ومحاولات الاغتيال التي استهدفت شخصه وشخصيته.

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيِّنات» العدد ٣٨١ الجمعة ١٨ شعبان ١٤٣١هـ ـ ٣٠ تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص٤.

(٢) كبير علماء الشيعة في باكستان.

(٣) نقلاً عن كتاب (السيد محمد حسين فضل الله من الذات إلى المؤسسة) السيد حسين بركة الشامي، دار الإسلام ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م ط١، ص١٩٨، ١٩٩، وجريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧رجب ١٤٣١هـ ٩تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٧.

(٤) نقلاً عن شبكة الفجر الثقافية بتاريخ ٧/ ٧/ ٢٠١٠ وجريدة «بيّنات» العدد ٣٧٩ الأحد ٤ شعبان ١٤٣١هـ ١٥تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص١٢، وأيضاً جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٢ الجمعة ٢٥ شعبان ١٤٣١هـ ـ ٦آب (أغسطس) ٢٠١٠م ص١٢.

سماحة العلاّمة السيد علي السيد ناصر السلمان: (الدمام)

بسم الله الرحمٰن الرحيم، ولا حول ولا قوة إ لا بالله العلي العظيم نعزي العالم الإسلامي ومراجع الدين العظام برحيل سماحة آية الله السيد محمد حسين فضل الله، الذي كان له دورٌ بارزٌ في الحركة الإسلامية في العالم وكان له مجهود واضح في عالم الفكر والثقافة في الساحة الإسلامية، ودورٌ واضح في الخدمات الإجتماعية من رعاية الأيتام والفقراء والاهتمام بشؤون المستضعفين نسأل الله أن يتغمده برحمته ويعوّض الأُمة ما خسرته بفقده والحمد لله أولاً وآخراً[1].

العلاّمة المحقق فضيلة الشيخ حسين الراضي (السعودية ـ الإحساء):

في رحاب الحسينية العباسية أقام أهالي بلدة البطالية بمحافظة الإحساء السعودية حفل تأبيني حضره العديد من العلماء وأصحاب الفضيلة وأهالي الإحساء وكانت كلمة للشيخ عبد الخالق الحاجي الذي أشار إلى أن أهالي البطالية يتشرفون بإقامة هذه الفاتحة لهذا المرجع الكبير واعتبر أن العالم العربي والإسلامي والإنساني بحاجة إلى أفكار وتعاليم السيد فضل الله وأبدى الشيخ الحاجي إعتذاره عمّا صدر من تقصير تجاه شخصية سماحته (قُدِّس سرّه) أثناء حياته. ثم شارك العلاّمة المحقق فضيلة الشيخ حسين الراضي فقال:

«إن السيد فضل الله كان مناراً في الظلام الدامس الذي تعيشه الأمة الإسلامية والإنسانية، وأنه كان يحمل في قلبه آلام وآمال الأمة الإسلامية والإنسانية. لقد تمتّع سماحته (قُدِّس سرّه) بصفات، وهي مصداق للحديث: **«إذا مات العالِم ثُلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا عالِم مثله»**.

إن المقاومة الإسلامية في لبنان مَدينة لسماحة السيد (قُدِّس سرّه) لأنها نشأت تحت توجيهاته ورعايته وعنايته منذ بداية تأسيسها وحتى عندما شقّت طريقها في قتال العدو المحتل «إسرائيل»[2].

---

(١) نقلاً عن شبكة (الفجر الثقافية) الألكترونية تحت عنوان (السيد علي الناصر ينعي آية الله السيد محمد حسين فضل الله) وعبر منتديات (يا حسين) الالكترونية تحت عنوان تأكد وفاة السيد محمد حسين فضل الله ص١٩.

الشيخ فوزي السيف: (القطيف ـ تاروت)[1]

إن المرجع الديني الراحل السيد محمد حسين فضل الله من صنّاع ثقافة الصحوة والتغيير في المجتمع الإسلامي، وأشيد بشجاعته في طرح آرائه الدينية التجديدية.

كان الراحل الفقيد من طليعة مَن كتبَ وخطبَ في تجديد الفهم الديني والتصحيحي للكثير من المفاهيم الدينية التي كانت تفسَّر في الماضي بشكل لا يخدم موقعها في المنظومة الدينية، وأصل التجديد يحتاج إلى فكر متوقد ورأي شجاع.

كان الراحل الفقيد: الفقيه، المتحرر والأديب، الشاعر والسياسي المحنّك، الممارس والكاتب المتميّز، والخطيب المتدفق.

كان له دور كبير في ربط الجاليات المسلمة في أوروبا وأمريكا بالفكر والالتزام الديني من خلال تواصله المباشر مع تلك الجاليات، كما تميّز المرجع الفقيد بالتمسك بالأنماط الحديثة في إدارته الدينية للجمعيات والمبرات الخيرية والمراكز والمعاهد التي أشرف على تأسيسها بنفسه.

الشيخ نمر باقر: (القطيف)

إن الفقيه والمفكر والمرجع المجاهد آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) نعمة من الله منَّ بها على المؤمنين.

وقد امتاز بالتجديد الثقافي والأصالة في ثوابت الشريعة والرفض لشريعة الطاغوت والاحتلال.

الشيخ محمد العبّاد: (القطيف ـ العوامية)

إن رحيل السيد فضل الله ليس خسارة للبنان فقط وإنما لكل الوطن الإسلامي ولكل المسلمين، وقد دافع المرجع الراحل عن المستضعفين وإسناده

---

(١) نقلاً عن جريدة (بيّنات) العدد ٣٨٢ الجمعة ٢٥ شعبان ١٤٣١هـ ـ ٦ آب (أغسطس) ٢٠١٠م، ص١٢.

(٢) في المجلس التأبيني الذي أقامه رجل الدين السيد علي الناصر السلمان.

لكل تحرك ضد النظم الدكتاتورية السابقة في العراق وإيران إلى جانب دعمه لحركات المقاومة في لبنان وفلسطين.

الشيخ محمد الصفّار: (القطيف)

السيد (قُدّس سرّه) شغل الناس ولم ينشغل بهم، ففي لحظة سماعي خبر وفاة الفقيد، فقد كنت أرسل العديد من الأسئلة إلى أعماقي وأعيد إرسالها لتحرك كل مشاعري، يا الله كم من الحزن يملأ قلب هذا الرجل.. وكم من التشويه اللاأخلاقي قد تعرّض له.. وكم اتخذه البعض للاستهزاء والاستهتار وإضحاك المجالس.. كم تألم وكم انجرحت مشاعره.. وكم سهر ليله مغموماً.

كانت الأسئلة تعود خائبة حسيرة، فالحزين لا يبني، والحزين لا ينتج، والحزين لا ينتشر، والحزين لا يبدع، والحزين لا ينطلق، والحزين لا يفكّر ولا يدرّس ولا يباحث ولا يربي...

المغموم والحزين ينتهي وينطفىء ويتراجع ويخبو، لأنه ينشغل بمَن آذاه ومَن نفترض أنه أحزنه...

ولو وصل المناوئون له، لهذا التأثير الحقيقي في نفسه، إذاً لحققوا أهدافهم، وأوقفوا مشروعه، وفرضوا عليه مزيداً من التراجعات، ثم دجّنوه ليصبح نسخة مكررة منهم.

لكن الكبير لا تسمح له نفسه بتسرب اليأس والإحباط والحزن لها، بل يبقى يخط مسيره ويترك للآخرين وقتاً مديداً وفسحة كافية وتسامحاً كبيراً للانشغال به وملاحقة خطواته ليعيشوا ردات الفعل وليس الفعل الحقيقي...

لا يحزن الكبير أبداً، بل يتجوهر كلما تحركت نار التشويه والنيل منه، ولو حزن فقد مكانه ومكانته وعاد صغيراً لا يؤسَف على موته ولا يُرجى خير من حياته.

الشيخ فيصل العوامي: (القطيف ـ العوامية)

المرجع الراحل كانت له مساهمات رائدة في صناعة الصحوة الإسلامية وبث روح الجهاد والمقاومة عند الجيل الجديد في الوسط الإسلامي.

السيد حسن النمر:

لقد كان الفقيد عالِماً إسلامياً واسع الاطلاع، قدّم للفكر الإسلامي الكثير من محطات المعرفة النهضوية، كما كان مجاهداً كبيراً في طليعة المكافحين أمام الاستكبار العالمي المتربص بالأمة شراً، وإلى جانب ذلك متحلياً بفضائل أخلاقية تدفع بعارفيه إلى محبته ومودته.

الشيخ حسين المصطفى: (القطيف)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ﴾ ﴿لَّا يَسْتَوِى الْقَعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى الضَّرَرِ وَالْمُجَهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَهِدِينَ بِأَمْوَلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَهِدِينَ عَلَى الْقَعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]

لم يدرِ في خلدي يوماً أن أقف لأوبّن هذا المرجع المجاهد والمعلّم الكبير الذي جاء ليُعبّر عن وجوده ـ في عالمنا ـ من خلال إنسانيّته وحضارته، وعلمه، وعالميته... إنه الفقيه والمرجع الذي اقتطف حكمة الأنبياء وصفاء الأولياء، بما حمله من قلبٍ طالما تعلّق بالله وتخلّص من ثقل الأغراض.

لقد تعودت الساحة الإسلامية أن تستنير ـ منذ عقود ـ من حركة اجتهاده المستنير وجهاده الكبير الذي سخّره في سبيل إعلاء كلمة الله ليتحمّل أخطار السّاحة وتحديّاتها وكل سلبيّاتها، وقد كانت لإسهاماته، الفضل الكبير في تشكيل الخطاب الإسلامي الشيعي الحديث، فهو الذي نسج للوحدة رمزاً، وللتعايش قيمة، وللحب مساحةً وللحرية متنفساً...

وصرف من أجل تثبيت هذه القيم الرّساليّة عمره الشّريف كله، وما كان لها أن تأخذ هذا الحجم العالمّي إلا من خلال ما يملكه من عناصر شخصيّته الذاتية، ولا سيما شجاعة الموقف ورحابة الأُفق، فهو قطب عظيم، لم ينبض مشرقنا الإسلامي بمثيلٍ له منذ عهد طويل.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٥.

لقد انفتح (قُدِّس سرّه) مبكراً على عالميّة الإسلام، ووحدة الأُمة، والسّعي لأجل قضاياها المصيريَّة ، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، وكرّس فكره لإعلاء مباديء الإسلام العليا في خطابه، موضحاً أنّ الإسلام لا بدّ من أن يصوغ وعي الإنسان بذاته داخل مجتمعه الإنساني المتنوّع وعلاقته بالوجود من حوله وأن الإسلام يبني الإنسان العقلاني في مسؤوليته عن أفكاره وما يعتقده وغرس فينا الحرّية والعدالة والمحبّة والكرامة.

إن خسارة العالم الإسلامي بل العالم الإنساني برحيلة لا تعوض، وإنها لثلمة كبيرة انفتقت عن جرح عميق أرجو من الله تعالى أن يعوضها بمثله، فيا مولاي ـ يا حجة الله ـ أعزّيك في هذا المصاب الجلل وأُعزي الأُمة الإسلامية بفقيد علمها المجاهد الكبير، سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (قده) وإنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد كانت لإسهاماته الفضل الكبير في تشكيل الخطاب الإسلامي الشيعي الحديث، فهو الذي نسج للوحدة رمزاً، وللتعايش قيمة، وللحب مساحة، وللحرية متنفَّساً...[1]

حوزة دار العلم: (القطيف)

لقد قضى الفقيد الراحل عمره المبارك بالدفاع عن الإسلام وعن بيضة الإسلام، وكان مربياً عظيماً للحركات الإسلامية، ومدافعاً عن مكتسبات الأمة، داعياً إلى كل ما يجمع الأمة ويقوّمها في مواجهة أعدائها.

لجان الولاية بأم الحمام: (القطيف)

لقد كان الراحل الكبير أحد رموز النهضة الإسلامية وأحد صنّاعها والذي نقلها من حالة التنظير إلى واقع التطبيق فانفتحت على فكره النهضوي مختلف التيارات الإسلامية على اختلاف انتماءاتها المذهبية.

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧رجب، ١٤٣١هـ ـ ٩تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٢.

رجال الدين في بلدة الجارودية: (القطيف)

أصدروا بياناً نعوا فيه رحيل السيد فضل الله وكان من بين الموقعين الشيخ علي المعلم، السيد راضي آل السيد كاظم، السيد حسن السادة، الشيخ صالح الشهاب، الشيخ جميل الأحمد، الشيخ علي عبادي، والشيخ حسين الرمضان وغيرهم، كما أقيمت مجالس عزاء حاشدة في القارة والرميلة وسيهات والمدينة المنورة، حيث أقام الشيخ محمد علي العمري كبير علماء المسلمين الشيعة في المدينة مجالس العزاء على مدى خمسة أيام بحضور حشود المؤمنين.

١٥ ـ فقهاء وعلماء دين بحرانيون:

آية الله العلاّمة السيد عبد الله الغريفي:

في مرحلة تزدحم بأقسى التحديات والضغوطات والصراعات والإشكالات، وعلى كل المستويات الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية... يأتي رحيل المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله، ليشكل منعطفاً صعباً وصدمة قاسية ومأزقاً أربك الكثير من الحسابات كونه يمثّل عنواناً ملأ المرحلة بكل مخاضاتها وجدليّاتها وتأزُّماتها وتناقضاتها وتجاذباتها...

والسؤال الذي يفرض حضوره هنا وفي هذه المرحلة رغم غناها بمراجع وفقهاء ومفكرين وقادة، هو: هل شكّل هذا الرحيل انتهاء تجربة فريدة امتدّت أكثر من نصف قرن؟

ربما يراهن أعداء هذه التجربة أنها مرشّحة للغياب والانتهاء بغياب رمزها وصانعها وقائدها وعنوانها...

لا نشك وفي أعقاب الصدمة بغياب الرمز والعنوان أن يحدث اهتزاز وارتباك على مستوى وهج التجربة وعنفوانها وحضورها وإمكاناتها وطموحها، إلا أن هذا لا يعني انهيار المشروع الذي أنتجته التجربة ما دامت تجربة ناجحة استطاعت أن تؤصّل مكونات المشروع وأن تؤسس لحراكٍ يملك قدرة البقاء والديمومة والاستمرار، وما دامت تجربةً ناجحةً أبدعت في صوغ أجيال

مبدئيين، رساليين، تعشّقوا هذا النهج الربّاني المبارك، الذائب في حبّ الله سبحانه والمشدود إلى رضوانه، والمتجذّر في خط الأنبياء والأولياء والأئمة الأبرار والمجاهدين والشهداء والصالحين.

هذا النهج وبعناية الله ورعايته، لا يمكن أن يتجمّد وأن يغيب وأن ينتهي... وحينما نتحدث عن بقاء هذا النهج، نجد في مراجعنا العظام ملاذاً يحمي المسار، ويحصّن الخطى، ويحرس الأهداف، ويُرشد الرُّؤى والمواقف...

وحينما نتحدث عن بقاء هذا النهج، نجد في الرموز الواعية التي استوعبت هذا الخط، وامتلأت بقناعاته، ما يحمِّلها أمانة الحفاظ على بقاء هذه المسيرة واستمرارها وديمومتها وإصرارها وثباتها...

وختاماً، نتضرّع إلى الباريء (عزّ وجل) أن يتغمّد فقيدنا الكبير بوافر الرحمة والرضوان، وأن يحشره في زمرة الأنبياء والأولياء والأصفياء والشهداء والأبرار والأخيار والمتقين والصالحين...

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين[1].

الشيخ عيسى أحمد القاسم:

إن سماحة آية الله السيد فضل الله كان رجل جهاد بأكثر من بُعد وأكثر من ساحة على مستوى الأمة الإسلامية وعلى مستوى العالم كله، كان رسالياً صلباً.

وهو ينطلق من حس إسلامي كبير بدوره وكفاحه ومواجهته للظلم والاستكبار العالمي، كان وحدوياً وفي الوقت نفسه كان مبدئياً[2].

سماحة الشيخ جعفر الشاخوري:

إن سماحة المرجع الراحل السيد فضل الله كان يحمل هَم التجديد دائماً، وإن قلق التجديد كان حاضراً في كل دروس السيد فضل الله الحوزوية.

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٠ الجمعة ١١ شعبان ١٤٣١هـ - ٢٣ تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص٤.

(٢) نفس المصدر السابق، العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١هـ - ٩ (تموز) يوليو ٢٠١٠م، ص٧.

لقد أنتج سماحته طوال حياته العديد من الكتب الفكرية، وكان من أهمها ما أنتجه في أواخر السبعينات مثل «الإسلام ومنطق القوة» و«خطوات على طريق الإسلام» و«قضايانا على ضوء الإسلام» و«أسلوب الدعوة في القرآن»[١].

١٦ ـ الأستاذ السيد كاظم الحسيني[٢]: (النجف الأشرف)

إن العلّامة المرجع السيد فضل الله كان الأب الروحي والخيمة التي تغطي المقاومة الإسلامية في فلسطين.

هناك كلمة يرددها الطلبة في الحوزة العلمية في النجف الأشرف وهي «كل مَن خرج من النجف خسر النجف، إلا السيد محمد حسين فضل الله فقد خسرته النجف» هذه الكلمة حقيقية وموجودة في قلوبنا.

وإن الكاتب الصحفي المصري الشهير محمد حسنين هيكل يقول: إن السيد فضل الله يملك عقلاً تنظيمياً أقوى وأعلى من لينين، وعندما جئت لبنان استفاد مني كل مَن التقاني إلا السيد فضل الله فإني استفدت منه ولم يستفد مني.

إن السيد فضل الله الذي نشأ جيل أجيالنا على كتبه الثورية التي أنتج فيها فكراً إبداعياً غذّى فيه الشباب الثوري، وكان نسيجاً متجانساً من الوعي والفكر لا إفراط فيه ولا تفريط.

وقد احتضن المقاومة الإسلامية في لبنان التي كان لها الأب الروحي، ودعم المقاومة في فلسطين، وكانت له مواقف إسلامية كبيرة[٣].

١٧ ـ الحوزة العلمية في قم:

مواقفه إلى جانب المظلومين والمستضعفين سيسجِّلها التاريخ في صفحاته المشرقة[٤].

---

(١) نقلاً عن جريدة (بيّنات) العدد ٣٨٢ الجمعة ٢٥ شعبان ١٤٣١ هـ ٦ آب (أغسطس) ٢٠١٠م ص١٢.

(٢) أستاذ في حوزة النجف الأشرف.

(٣) نفس المصدر السابق، العدد ٣٨١ الجمعة ١٨ شعبان ١٤٣١هـ ـ ٣٠تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص٤.

(٤) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١هـ ـ ٩تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص٦.

١٨ ـ الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين:

نعى الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين إلى الأمة الإسلامية في جميع أنحاء العالم العلّامة الجليل آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله الذي وافته المنية في بيروت بعد حياة حافلة بالجهاد في سبيل العلم والعمل المخلص لتقريب الأمة الإسلامية بعضها من بعض، والقضاء على أسباب الشحناء والبغضاء بين الفرق والمذاهب والجماعات والطوائف.

لقد كان العلّامة الجليل ﷺ داعماً قوياً لجهود إنشاء الاتحاد، وعضواً مؤسساً من أعضائه الكبار، ومارس دائماً دور الناصح الشفيق والأخ المخلص لقيادة الاتحاد وأعضائه.

والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين إذ ينعي سماحة الشيخ السيد فضل الله يسأل الله أن يسكنه فسيح جناته وأن يتقبّل صالح أعماله وأن يجزيه عن علمه وعمله خير ما جزى عالِماً صالحاً عن أمته ودينه[١].

١٩ ـ الأزهر الشريف وعلماء مصر[٢]:

نعى الأزهر الشريف سماحة السيد فضل الله فقال:

«كان صاحب فكر مستنير يرتفع فوق الفوارق المذهبية ويسعى للتقريب بين أبناء الأمة بل وبين المؤمنين جميعاً من سائر الأديان».

وسارعت الكثير من الشخصيات الإسلامية المصرية البارزة إلى نعي العلّامة المرجع السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) منوِّهة إلى أنه كان الداعية الأبرز للَمّ شمل الأمة، وقد كان الجامع الأزهر وشيخه أحمد الطيب من أبرز الناعين لسماحة المرجع الراحل (قُدِّس سرّه) مؤكدين أن تأثيره تخطى الساحات الشيعية إلى العالم الإسلامي بأسره.

---

(١) نقلاً عن كتاب (السيد محمد حسين فضل الله من الذات إلى المؤسسة) السيد حسين بركة الشامي، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م ط١ ص٢٠١.

(٢) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٠ الجمعة ١١ شعبان ١٤٣١هـ ـ ٢٣تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص١٣.

كما تحدّث الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الأسبق ورئيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة عن المرجع الراحل فقال:

«لقد فقدت الأمة الإسلامية رجلاً من أغلى الرجال وأعظمهم، كرّس حياته للدفاع عن وحدة الأمة، ودعا طيلة حياته للَمّ شملها، وكان يسعى دوماً إلى توحيد الأمة الإسلامية واستنهاضها.

وأضاف الشيخ عاشور:

إن السيد فضل الله قد سعى إلى أن يكون مشروعه منذ بدايات عمله واضحاً شفافاً لا لبس فيه، مضبوطاً بضوابط الشريعة أولاً وبمصلحة الأمة الإسلامية ثانياً، وكان يحلم دوماً بتحرير فلسطين وتحرير المسجد الأقصى واستعادة مجد الأمة الإسلامية، وقد أدرك أن هذا المشروع لا بد له من وحدة الأمة وتضافر جهود جميع العاملين على الساحة الإسلامية.

كما أشار إلى أن السيد فضل الله كان منفتحاً على جميع الأطياف اللبنانية، وعلى المحيط العربي والعالم أجمع، ذلك من خلال حركته الدؤوبة على جميع الأصعدة والجهات.

وقال: كان رحمه الله رحمة واسعة عندما يتوصل إلى رأي ما يدافع عن وجهة نظره، وقد تعرّض كثيراً للهجوم والنقد العنيف واضعاً أمام نفسه هدفاً معيناً ألا وهو الوصول للوحدة الإسلامية المنشودة.

وتابع: لقد عمل الرجل على توحيد الأمة الإسلامية ودحض المزاعم الفقهية التي تفرّق بين السنّة والشيعة، وكانت تلك رسالته في السنوات الأخيرة من عمره».

من جانبه قال الدكتور محمد سليم العوا (الأمين العام السابق للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين):

«إن وفاة المرجع السيد محمد حسين فضل الله بلا شك خسارة كبيرة لكل الشعوب العربية والإسلامية خاصة على مستوى التقريب بين المسلمين، مشيراً إلى أن الراحل لا يبخل بجهده لتقريب وجهات النظر بين الشيعة وإخوتهم السنّة».

أما الشيخ جمال قطب رئيس لجنة الفتوى بالأقصى سابقاً فعبّر عن حزنه لرحيل السيد (قُدّس سرّه) قائلاً:

وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدرُ، نعم، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، غيَّبت الأقدار رمزاً شيعي الهوى، مسلم الهوية، هو سماحة الإمام محمد حسين فضل الله، هذا العالم الفذّ الذي يعرف للألوهية علاها، وللنبوّة هيبتها وهداها، وللفقه والفقهاء حدود خشيتها وتقواها، ذلكم محمّد حسين فضل الله، الذي يفهم معنى الجهاد الحقّ، ومعنى قول الله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾.

فيقرر ـ يرحمه الله ـ قائلاً:

ماذا يكون الجهاد إذا لم تجاهد إسرائيل، فإنّ غياب الأقصى وعلوّ إسرائيل هما «ترومومتر» إيمان الأمة وحضارتها.

واعتبر قطب أن المرجع السيد محمد حسين فضل الله كان من أهل التقريب العملي بين المذاهب الإسلامية وليس من أهل الاستهلاك الإعلامي.

وقال الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح ممثلاً المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين:

«إذا كان في الساحة الإسلامية الشيعية مرشد للإخوان المسلمين فهو السيد محمد حسين فضل الله، لأنه كان داعية إلى الوحدة ونبذ الطائفية ومجدداً مستنيراً، وكان لآرائه وأفكاره دوراً كبيراً في إحداث تقارب بين أهل السنّة والشيعة».

٢٠ ـ اتحاد الطلبة الأندونيسيين:

نعزّي الأمة الإسلامية على رحيل أبرز العلماء، حامل لواء الوحدة الإسلامية آية الله العظمى السيد فضل الله فهو نجمة مضيئة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فالعينان اللتان كانتا مبللتين بالدموع في القيام ليلاً مستيقظتين في محاربة الظلم والطغيان نهاراً قد أُغلقتا الآن، وسافرت روحه إلى الرفيق الأعلى...[1]

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١هـ ـ ٩تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص٧.

٢١ ـ الشيخ عبد الملك الحوثي: (اليمن)[١]

الأمة الإسلامية فقدت رجلاً مهماً وشخصية عظيمة بفقدها هذا العلَم الشامخ، وظلت واقفة في وجه أعداء الأمة الإسلامية بكل جرأة وشجاعة مُمَثِّلةً بذلك القدوة لكل علماء الأمة.

٢٢ ـ الكاتب والمفكّر حاقان البيرق:[٢] (تركيا)

إن السيد فضل الله كان يدافع عن الوحدة بين الشيعة والسنّة، وكان يحيي الدور التركي في الشرق الأوسط.

وأنا أيضاً أحيي السيد فضل الله وأقول:

«أنا لست شيعياً، لكن لو كنت شيعياً لكنت شيعياً مثل السيد فضل الله.

ولم أكن لأقف في المكان نفسه مع الشيعي الذي يغذّي الفتنة، ولا في المكان نفسه مع السنّي الذي يغذّي الفتنة.

الحق أن السيد فضل الله هو صوت الوحدة الإسلامية، ونحن شهداء يا رب على ذلك.

ليس الشيعة فقط فقدوا عالِماً ذا قيمة كبيرة جداً بل كل العالم الإسلامي، فليرحمه الله في جنانه».

واحتلّ رحيل المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) موقعه البارز في صدر الصفحات الأولى من الصحف التركية ووسائل الإعلام يوم وفاة سماحته (قُدِّس سرّه).

فعنونت صحيفة «يني شفق» المقرّبة من «حزب العدالة والتنمية» خبرها بالقول «وفاة المعارض الأكثر حزماً للولايات المتحدة الأميركية».

وأشارت صحيفة «زمان» التابعة لجماعة فتح الله غولين الإسلامية، إلى أن السيد فضل الله معروف بمواقفه المناهضة للولايات المتحدة الأميركية، كما

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) ناشط إسلامي، وكان في عداد «أسطول الحرية» الذين اعتقلتهم إسرائيل.

بمواقفه المعتدلة ولا سيما تجاه دور المرأة في المجتمع، وأن للسيد مريدين كثر خارج لبنان، وكان يعتبر الزعيم الروحي لـ(حزب الله) عند تأسيسه.

ووصفت صحيفة حريبت العلمانية السيد فضل الله بأنه العقل المعتدل لـ(حزب الله) وأن السيد فضل الله بكتبه وآرائه، من أكثر رجال الدين الشيعة نفوذاً في العالم، وقالت أن له تأثيراً كبيراً في دول الخليج وفي دول آسيا الوسطى.

وإنه كان العقل المدبّر لحزب الله بعد تأسيسه، ومع أنه كان يساند المقاومة المسلّحة ضد إسرائيل إلا أنه كان يقول أنه ليس معادياً لليهود، وأنه يقول: حتى لو أصبحت إسرائيل كلها إسلامية فيجب محاربتها لأن الاحتلال أمر يجب محاربته حتى لو كان مسلماً، ولم تكن لديه عقدة تجاه اليهود ولكنه ضد الصهيونية.

وأنه قال للممرضين الذين حَولَهُ، أن أمنيته الأخيرة إنهاء الصهيونية.

وقد تمتع المرجع الراحل فضل الله بشجاعة في إبداء رأيه العلمي الاجتهادي المستند على فهمه للدليل سواء وافق المشهور أو خالفه.

وإن الصدمة وثقل المصاب لعظيم على محبّي ومقلّدي سماحة السيد من جميع أقطار العالم، متعهداً بالالتزام بنهجه الذي خطه (قده) من أجل نشر الإسلام والدفاع عنه[1].

٢٣ ـ رجال دين سوريين (سوريا)[2]

الدكتور الشيخ أحمد بدر الدين حسُّون[3]:

دعا سماحته (قُدِّس سرّه) إلى الوحدة الإسلامية والعمل لها، واحتضانه للمقاومة والمجاهدين ضدّ «إسرائيل» و«أمريكا» فهو صاحب اجتهاد واسع وعلم غزير، وله مؤلّفات أغنت المكتبة الإسلامية في الكثير من الجوانب،

(١) نقلاً عن جريدة «بيِّنات» العدد ٣٨٠ الجمعة ١١ شعبان ١٤٣١هـ ـ ٢٣ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص١٣.
(٢) نفس المصدر السابق، العدد ٣٨٢ الجمعة ٢٥ شعبان ١٤٣١هـ ـ ٦ آب (أغسطس) ٢٠١٠م، ص١٣.
(٣) المفتي العام للجمهورية العربية السورية.

والإقبال الكبير على مؤلفاته، لما فيها من مميِّزات تجتذب إليها المثقفين الواعين بأسلوبه الفذّ وطريقته المبتكرة في تناول قضايا الأمة الإسلامية.

الشيخ حسين شحادة قال:

كان يتميز الفقيد بشمولية نشاطه في لبنان وسوريا والعراق وإيران، وحتى دول الاغتراب، حيث كان يحضر المؤتمرات في مختلف دول العالم ليرفدها بعلمه وفكره وجهده. إنه كان دؤوباً على متابعة قضايا الأمة الإسلامية، لا يترك شاردة ولا واردة إلا واهتم بها، وكانت الوحدة الإسلامية همّه الشاغل، كما كان منفتحاً على الحوار مع المسيحيين بشكل كبير، ونتيجة لانفتاحه في الحوار مع المذاهب والأديان الأخرى، فقد نعاه الأزهر كما نعته الكنيسة المسيحية، ولأول مرة ينعى الملوك والرؤساء والأمراء فقيهاً شيعياً من جبل عامل.

الدكتور الشيخ حسام الفرفور قال[1]:

لقد عرفته عن قرب، واجتمعت به كثيراً، وفي كلّ مرة ألتقيه أزداد حباً له، حيث وجدت فيه العالِم الموسوعي، والفقيه المتبحِّر، المنفتح على الرسالة الإسلامية بعقله وفكره وقلبه وروحه، كما وهو رائد الوحدة الإسلامية والمصلح الكبير.

العلاّمة السيد عبد الله نظام قال[2]:

إن سماحة الراحل الكبير صاحب منهج اجتهادي تجديدي، فلقد استطاع، وبكل جرأة، أن يخترق الحجب المذهبية والطائفية الضيقة، وينفتح على الجميع، وكان يهتم بالأيتام والمحتاجين، وكان أباً للجميع في فلسطين والعراق ولبنان وسورية وإيران وتركيا، وفي كل عالمنا الإسلامي، من البوسنة إلى الصين.

لقد كان الراحل الكبير راعياً للمقاومة الإسلامية في لبنان منذ ولادتها، حيث ظلّل المقاومين بعباءته وكذلك القوى الفلسطينية، ونصرته للجمهورية الإسلامية الإيرانية في مختلف المجالات ومختلف المحافل، منذ قيام الثورة هناك وحتى وفاته (رحمه الله) ومن دون أن يطلب أحد منه ذلك.

إن فقدانه هو فقدان أمّة.

---

(١) رئيس قسم الدراسات التخصصية في معهد الفتح الإسلامي ـ دمشق.

(٢) من أبرز علماء الشيعة في الشام.

الدكتور الشيخ عبد الفتاح البزم (مفتي دمشق)[1]:

رحيل عالِم بمكانة سماحة السيد محمد حسين فضل الله يُحدِث في البناء الإسلامي والقلعة الإسلامية ثغرة لا يسدها إلا عالِم مثله وبمكانته.

كما ونعى سماحة الراحل الكبير (قُدِّس سرّه) الدكتور الشيخ نبيل حلباوي، والجمعية المحسنيّة، وجمعية الرابطة الأدبية الاجتماعية، وجمعية الإحسان الإسلامية، والشيخ علاء الدين الزّعتري (أمين الفتوى) والشاعر الشيخ أبو الحسن ماردِيني (إمام جامع العثمان) بدمشق، والشاعر فريز حسن سلموني وغيرهم.

٢٤ ـ مرشد المركز العلمي الصّوفي العالمي:

بمزيد من التسليم لقضاء الله وقدره، ينعي المركز العالمي الصوفي العالمي العالِم الإسلامي العلّامة السيد محمد حسين فضل الله، فقيد العلم والحوار الحضاري، نشارك طلاب العلم وأهل الفقيه بمصابهم الجلل، سائلين الله الصبر والسلوان[2].

٢٥ ـ منظمة المؤتمر الإسلامي:

إن رحيل العلّامة فضل الله يشكل خسارة للأمة الإسلامية، حيث عاش الرجل عمره مخلصاً جهده في خدمة وطنه وقضايا أمته، ورمزاً للتقارب بين المذاهب، مسخِّراً جهده لرأب الصدع وتخفيف التوتر في لبنان وعلى صعيد العالم الإسلامي.

واعتبر الأمين العام للمنظمة أكمل الدين إحسان أوغلو أن الأمة الإسلامية تفقد بهذا المصاب الجلل واحداً من أبرز الشخصيات الإسلامية التي اضطلعت بدور مهم في دعم التضامن الإسلامي.

٢/ شعبان/ ١٤٣١هـ ـ ١٤/ ٧/ ٢٠١٠م[3]

---

(١) من فقهاء المذهب السنّي.

(٢) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١هـ ـ ٩تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص٧.

(٣) نقلاً عن كتاب (السيد محمد حسين فضل الله من الذات إلى المؤسسة) السيد حسين بركة الشامي، دار الإسلام، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م ط١ ص٢٠٠.

٢٦ ـ الشيخ نفيع الله عشريف[١] (روسيا ـ موسكو):

إن الراحل المرجع (قُدِّس سرّه) كان شخصية سياسية وثقافية واجتماعية مهمة، ولقد كانت مواقفه الصلبة في مواجهة الصهاينة المجرمين.

إنه المشعل الذي يضيء درب المجاهدين للسير على نهج الإسلام والعرفان والتحلّي بالأخلاق الحميدة لإرواء عطشى العلم والمعرفة من منهله الأصيل.

إن العالم الإسلامي والمسلمين في المنطقة، والشعب اللبناني، سيواصلون النهج الذي رسمه لهم هذا العالِم المجاهد، وسيتزودون من معين أفكاره الوضّاءة في حياتهم[٢].

٢٧ ـ الشيخ خيام قربان زاده[٣] (أذربيجان ـ باكو):

إن فقدان المرجع الراحل (قُدِّس سرّه) فاجعة كبيرة لمحبيه وللمؤمنين في جميع أنحاء العالم، وأشير إلى دوره الجهادي الكبير في دعم حركات المقاومة ضد إسرائيل، فلقد كان شغله الشاغل وقضيته المركزية «قضية فلسطين» وأطالب المؤمنين بالالتزام بخطه ونهجه[٤].

٢٨ ـ اتحاد علماء المسلمين في العراق:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[٥].

بألم شديد وحزن كبير تلقى اتحاد علماء المسلمين في العراق نبأ رحيل آية الله المجاهد السيد محمد حسين فضل الله إلى بارئه تعالى، وأمتنا الإسلامية بأحوج ما تكون لهذا العالِم العلم في الفكر والوعي وانفتاح الخطاب على كلّ الحضارات...

---

(١) عضو مجلس الإفتاء في روسيا الاتحادية.

(٢) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٢ الجمعة ٢٥ شعبان ١٤٣١هـ ـ ٦ آب (أغسطس) ٢٠١٠م، ص١٢.

(٣) وكيل سماحة المرجع السيد فضل الله في أذربيجان.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

لقد رحل رجل مدرسة الرباط والجهاد والتحدّي لقوى الاستكبار والطغيان، رحل رائد الوحدة الإسلامية ومنظّر نهج التقريب والتكامل بين المذاهب الإسلامية... رحل المربّي الراعي والمرشد الواعي للحركات الإسلامية المجاهدة، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، والقلوب يعتصرها الألم والحزن.

تتقدم الأمانة العامة لاتحاد علماء المسلمين في العراق بأحرّ التعازي لمراجع الإسلام وعلمائه الأعلام، ولكل الحركات الإسلامية المجاهدة في وطننا الإسلامي، ولذوي الفقيد الراحل بهذا المصاب الجلل.

سائلين المولى عزّ وجلّ أن يرفع درجته ويجبر ثلمته، ويسُدّ فراغه بأمثاله الأعلام، ويحشره مع أجداده الطاهرين محمد وأهل بيته الطيبين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٢١/ رجب/ ١٤٣١هـ ـ الموافق ٤/ ٧/ ٢٠١٠م[١]

٢٩ ـ حزب الدعوة الإسلامية:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[٢].

تسليماً بقضاء الله وقدره، وبقلوب ملؤها الأسى ويعتصرها الألم، تلقينا نبأ رحيل المرجع الديني الفقيد آية الله السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه) إلى جوار ربه، الذي كان علماً من أعلام الدين ورائداً من روّاد الوعي الإسلامي وركناً من أركان العلم والتقوى.

لقد كان الفقيد ملهماً للحركيين الرساليين وهم يتعاطون مع القضايا الكبيرة في العالم الإسلامي في العراق ولبنان وفلسطين وغيرها من البقاع الإسلامية، كما أنه كان شعلة للوعي الإسلامي وهو يتصدى للأفكار التي تواجه الإسلام بما يجود به فكره الإسلامي الأصيل فيما يستجد من قضايا فكرية معاصرة بحيث شكّل مدرسة واضحة المعالم، عميقة الجذور، تنهل من الإسلام وفكره، وتضيء الطريق للسائرين على دربه.

---

(١) نقلاً عن كتاب (السيد محمد حسين فضل الله من الذات إلى المؤسسة) السيد حسين بركة الشامي، دار الإسلام، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م ط١ ص٢٠٣، ٢٠٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

وبرحيل آية الله العظمى العلّامة السيد محمد حسين فضل الله خسر العالم الإسلامي بل الإنسانية رجلاً قلّ نظيره في وعيه وتصدّيه وعطائه الذي لم يتوقف.. سيبقى في سجل الخالدين منارة حقّ تتناقلها شفاه المصلحين المخلصين حيث ترك من الآثار العلمية والمشاريع الفكرية والسياسية والاجتماعية ما سيبقى مناراً تهتدي به الجموع المؤمنة في ذودها عن الإسلام وتعميق وعيها الرسالي وتفجير طاقاتها دفاعاً عن الأمة ومقدّساتها.

كما أنّ الفقيد رضوان الله عليه انتصر للقيم والمبادىء والأخلاق الإسلامية، ودافع عن المحرومين والمستضعفين والمظلومين في كل أرجاء العالم، وكانت له بصماته الواضحة في نشر الفكر الإسلامي الرافض للتمييز الطائفي والعنصري، كما أنه كان من دعاة الأخوّة والوحدة الإسلامية ونبذ الفرقة والتناحر بين أبنائها.

وفي العراق كان الفقيد من أوائل الذين دعموا وساهموا في بناء ونشر الوعي الإسلامي مع السيد الشهيد محمد باقر الصدر والدعاة الأوائل، وجاهد ضدّ النظام الصدّامي البائد، وكان له دور بارز في ترسيخ دعائم حزب الدعوة الإسلامية في داخل العراق وخارجه من خلال مساهماته الفكرية وترشيده لحركة الدعاة العاملين، وكان نهج فقيدنا الغالي امتداداً لنهج مدرسة آية الله العظمى السيد الشهيد محمد باقر الصدر.

وبعد سقوط النظام البائد كان للفقيد الغالي الدور البارز في ترشيد العملية السياسية ودعم بناء العراق الجديد، والتأكيد على مبدأ المصالحة الوطنية بين العراقيين، وتوحيد جهود القوى السياسية لبناء العراق وتطويره واستقلاله، تغمّد الله فقيدنا المرجع آية الله السيد محمد حسين فضل الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنّاته وألهم ذويه ومحبّيه والسائرين على نهجه الصبر والسلوان.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

٢٢/ رجب/ ١٤٣١هـ ـ ٤/ ٧/ ٢٠١٠م[1]

---

(١) نقلاً عن كتاب (السيد محمد حسين فضل الله من الذات إلى المؤسسة) السيد حسين بركة الشامي دار الإسلام ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠م، ط١، ص٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧.

٣٠ ـ مؤسسة أهل البيت عليهم السلام (مدينة هاملتون الكندية):

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1] بمزيد من الرضى والتسليم بقضاء الله وقدره وببالغ الحزن والأسى تنعي مؤسسة أهل البيت عليهم السلام في مدينة هاملتون إلى الأمة الإسلامية رحيل المرجع الكبير السيد محمد حسين فضل الله وبهذا المصاب الجلل والخطب العظيم والرزية الفجيعة ترفع أسمى آيات التعازي إلى صاحب العصر والزمن (عج) وإلى المراجع الفقهاء والعلماء الأعلام وإلى جميع الأحرار في العالم ومحبيه ومريديه.

السيد فضل الله تميز بمكارم الأخلاق ومحاسن الفعال وتحلّى بالشجاعة والجرأة في الإقدام في تبليغ رسالة الله وبَذَلَ عمرهُ الشريف في خدمة أهل البيت عليهم السلام والعزاء كل العزاء بأن الراحل الكبير هو واحد من أولئك الذين قال فيهم جده رسول الله صلى الله عليه وآله **«العلماء ورثة الأنبياء ومدادهم افضل من دماء الشهداء»**[2].

ثانياً: داخل لبنان:

٣١ ـ المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان:

نعى المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في بيان إلى «المسلمين عموماً واللبنانيين خصوصاً» وفاة سماحة آية الله السيد محمد حسين فضل الله عن عمر ناهز ٧٥عاماً قضى معظمه في خدمة الدين الحنيف، فكان رائداً من رواد الحركة الإسلامية التي تخرّج منها رواد وقادة في عالمنا العربي والإسلامي، وبرحيله تفتقد الأمة الإسلامية رمزاً من الرموز العاملين على التقريب بين المذاهب من خلال الحوار البنّاء الذي يؤدي إلى تحصين الوحدة الإسلامية، وتفتقد الأمة الإسلامية برحيل العلّامة الكبير رجلاً من رجالات المقاومة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

(٢) عبر شبكة (العراق الثقافية) الألكترونية تحت عنوان (غياب كوكب الإيمان ـ رحيل المرجع فضل الله، أبرز ما قام به وأبرز ما قيل فيه (قُدّس سرّه)).

والممانعة الذين أثمرت جهودهم ومساعيهم في ترسيخ ثقافة الجهاد والنضال التي حققت عزة وكرامة هذه الأمة في مواجهة المشروع الصهيوني».

إن العالم الإسلامي خسر برحيل آية الله السيد فضل الله عالِماً فذاً ومؤلفاً موسوعياً وباحثاً ترك آثاراً علمية كبيرة اشتملت عناوينها على مختلف ميادين المعرفة والعلوم والفنون مما أغنى مكتبتنا العربية والإسلامية بجملة من المؤلَّفات والأبحاث القيِّمة التي احتلت موقعاً مميزاً في عالم الفكر والبحث العلمي وحفظ مكانة الأمة ودورها في العالم».

إن المسلمين افتقدوا برحيل السيد محمد حسين فضل الله رجل الانفتاح وصاحب الصدر الرحب والهمّة العالية، العامل على نشر تعاليم الإسلام وبناء المؤسسات الدينية والرعائية والصحية والتربوية والاجتماعية والإنتاجية الهادفة إلى خدمة الإنسان.

إن المصاب أليم ولا يسعنا إلا القبول بقضاء الله تعالى لنقول: إنا للّه وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الشيخ عبد الأمير قبلان ٤/ ٧/ ٢٠١٠م[1]

٣٢ ـ سماحة السيد حسن نصر الله (أمين عام حزب الله):

«إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

لقد فقدنا اليوم أباً رحيماً ومرشداً حكيماً وكهفاً حصيناً وسنداً قوياً في كل المراحل.

هكذا كان لنا سماحته ولكل هذا الجيل المؤمن والمجاهد والمقاوم منذ أن كنا فتيةً نصلي في جماعته ونتعلم تحت منبره ونهتدي بكلماته ونتمثل أخلاقه ونقتدي بسيرته.

علّمنا في مدرسته أن نكون دعاة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نكون أهل الحوار مع الآخر، وأن نكون الرافضين للظلم، والمقاومين للاحتلال، وعشاق لقاء مع الله تعالى من موقع اليقين، وأن نكون أهل الصبر والثبات

(١) نقلاً عن شبكة (الفجر الثقافية) الألكترونية تحت عنوان (العلاّمة فضل الله في ذمة الله).

والعزم، مهما أحاطت بنا الشدائد والمصاعب والفتن. فكان لنا الأستاذ والمعلم والعلم والنور الذي نستضيء به في كل محنة، واليوم نفتقده إذ يفارقنا إلى جوار ربه الكريم الذي جاهد في سبيله طيلة عمره الشريف إلا أن روحه الزكية وفكره النيِّر وكلمته الطيبة وابتسامته العطوفة وسيرته العطرة ومواقفه الصلبة، كل ذلك سيبقى فينا هادياً ودليلاً ودافعاً قوياً متجدداً للعمل الدؤوب والجهاد المتواصل.

إنني أتقدم باسم المجاهدين والمقاومين وعوائل الشهداء والجرحى والمحررين وكل جمهور المقاومة إلى إمامنا صاحب الزمان (عج) وإلى مراجعنا العظام وفي مقدمتهم سماحة الإمام الخامنئي دام ظله، وإلى جميع المسلمين عموماً واللبنانيين خصوصاً، وبالأخص إلى أسرته، أسرة العلم والفضل والجهاد والشرف، بأحر التعازي وأصدق مشاعر المواساة في هذا المصاب الجلل الذي أصاب أمتنا، ونعاهد روح سيدنا الجليل الراحل أننا سنبقى الأوفياء للأهداف المقدسة التي عاش من أجلها وعمل لها وضحّى في سبيلها ليل نهار، وأن نبذل في سبيلها كلَّ غالٍ ونفيس إن شاء الله.

٢١/ رجب/ ١٤٣١هـ ـ ٤/ ٧/ ٢٠١٠م[١]

٣٣ ـ سماحة الشيخ نعيم قاسم[٢]:

كان السيد فضل الله عَلماً من الأعلام الذين رفعوا راية المقاومة ودعموها، وكان رمزاً من رموز الوحدة، ومواجهاً لكل مؤامرات الاستكبار، ولقد سعى سماحته (قده) دائماً إلى قاعدة عدم تغليب الفتن المختلفة في الأمة، ونحن لا نستطيع أن نفكك بين السيد فضل الله والعمل الجهادي المقاوم، الذي كان يتابعه ويسأل عنه باستمرار ويطمئنّ على أخبار المقاومة وواقعها، وأنا أذكر في عدوان تموز ٢٠٠٦م كان يسأل دائماً عن المقاومة وجهادها وتقدمها وانتصاراتها وهو لم يألُ جهداً في الوقوف إلى جانب قضية فلسطين وإلى جانب المقاومين في كل ما يريدونه ويتطلعون إليه.

---

(١) نقلاً عن شبكة العراق (الثقافية) الألكترونية تحت عنوان (المرجع الكبير محمد حسين فضل الله في ذمة الله) وعبر منتدى (منار للحوار) الألكتروني تحت عنوان وفاة فقيه آل بيت محمد.

(٢) نائب الأمين العام لحزب الله ـ نقلاً عن شبكة الفجر الثقافية الإلكترونية.

إن السيد فضل الله كان رمزاً إسلامياً كبيراً وعلماً من أعلام الساحة الإسلامية بكل مجالاتها، وفي النهاية لا شيء يعوّض هذه الخسارة.

٣٤ ـ سماحة المفتي الجعفري الشيخ أحمد طالب:

إن أبرز سمات الراحل كان حثه على الحوار وقبوله للاعتراض والنقاش، لقد كان رحمه الله متميزاً في تعامله مع النص الديني بسبب قدراته الأدبية وما تمتع به من استحضار مُلْفِت ومميز للنص القرآني، فقد كان يجري القرآن على لسانه بشكل انسيابي مما شكّل قدرة متميزة على تحكيم النص القرآني وإخضاع الرواية له ويؤمّن قدرة على توجيه الرواية في إطار المنهج القرآني وضوابطه.

إن رحيل السيد فضل الله (رضوان الله عليه) ترك فراغاً واسعاً لا سيما في أوساط الناشئة.

لقد كان سماحة السيد (رحمه الله) ملاذهم السهل يلجأون إليه بسهولة ويسر ويبثون شكواهم دون حرج أو تعقيد، لقد كان الغطاء الحقيقي فأين مَن يستر ما انكشف بفقده؟!

لقد سألت الراحل عن رضاه بحجم القرّاء لإنتاجه الفكري فأجاب (قده):

«أنا لا أكتب لقرّاء اليوم، فربما يأتي جيل بعد أربعين سنة أو أكثر يتفاعل مع هذا الفكر ويجد ضالته فيه».

وبالنسبة للذين يشنون الحملات تجاه المرجع الراحل، أنا لا أعتقد أن أمثال هؤلاء استطاعوا أن ينفذوا إلى عقول الأجيال المتنوعة الأديان والمذاهب كما استطاع السيد (قُدّس سرّه) فهذا العالم أمامكم شرق أو غرب لن تسمع أسماءهم على لسان متدين أو مثقف بينما ستجد الكثير ممن يحدثك على تأثره بفكر السيد (قُدّس سرّه) ومتابعته له.

وحول الظلامة التي تعرض لها السيد الراحل أولائك جرّؤوا البسطاء ليأتوا ويسألوا السيد (قُدّس سرّه) نفسه عن ما كان قد علّمه لأجدادهم وأبائهم طيلة سنين بأنه هل يؤمن بها أو لا؟

مما يذكّرنا بجده علي بن أبي طالب عليه السلام إمام الصلاة والمصلين حين سئل: (**هل كان علي يصلي**)...!؟

ونصيحتي إلى جمهور مدرسة السيد أن يتحلى برحابة الصدر التي كان يملكها ويتميز بها سماحته (قُدِّس سرّه) وهو الذي كان يقول دائماً ويردد قول جده رسول الله ﷺ: **(اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)**[1].

لم يكن سماحته (قُدِّس سرّه) ازدواجياً «يقول ما لا يفعل» بل كان يمارس كل ما يتكلم به ويعظ الناس ويرشدهم ليفعلوه.

في بيته وعلاقته مع عائلته يجسّد كل أقواله ويعيش معهم علاقة الاحترام والحب، ويقدم النصيحة بهدوء ومحبة، لا يفرض رأيه عليهم بل يعطي رأيه ويطلب منهم أن يدرسوه ويفكروا به.

هذا الرجل السيّال، الذي أتعب قلمه كما أتعب خصومه ولم يتعب.. كان إذا سمع بإنجاز للمجاهدين رفع يديه بالدعاء والشكر وتظهر على وجهه آثار الراحة وعلامات الرضى.

كان يسأل عن أحوال المجاهدين وعن الإمكانيات وعن جبر الناس الصامدين ويتابع تفاصيل الأمور ويرسل بتوجيهاته للمعنيين، سواء طُلب منه ذلك أو لم يُطلب منه.

فإحساسه بالمسؤولية دفعه لأن يبذل كل الجهد في سبيل الوقوف إلى جانب الحق لنصرته، وكان الأب الراعي والحاضن.

كان (رحمه الله) ممن يعيشون العلاقة الروحانية المميزة بالله ﷻ حيث كان تعلُّقه بربِّه يظهر من خلال ذكره الدائم وحبه الذي يبرز كنوع من علاقة عشق المُحِب لحبيبه، وهذا ما تنفّسَ به شعراً وأدباً وعبادةً ودعاءً وقياماً في الليل حيث تُسمع تلاوته للقرآن في جوف الليل قبل قيام صلاة الليل التي دأب عليها، وخشوعه في دعائه وأنسه الدائم بالحديث مع الله من خلال الأدعية والذكر.

قلتُ له مرة: سيدنا أنت في حالة مرض وتعب، فلو تترك قراءة الدعاء في المسجد لا سيما في ليالي شهر رمضان لبعض الأخوة فترتاح ولا تبذل جهداً وهناك مَن يكفل المهمة فقال لي:

---

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج٦، ص١١٧.

يا شيخ أحمد، أنا لا أقرأ الدعاء لأجل الناس فقط، أنا محتاج لقراءة الدعاء فإن ذلك يريحني ويؤنسني وأشعر مع الدعاء بلذة التوجه والقرب إلى الله ﷻ بعد كل هذا الضجيج الدنيوي والتزاحم على الملذات[1].

٣٥ ـ السيد هاني فحص[2]:

ألقى السيد هاني فحص مداخلة بعنوان (السيد فضل الله: لحظة فراق.. لحظة إنصاف).

ومما جاء فيها: السيد فضل الله العالِم الفقيه، المرجع الأستاذ الإمام، إمام الفقراء، تأسيساً في النبعة، الخطيب الواعظ، المحاضر، الكاتب، الباحث، الشاعر، الجميل... مربي جيش هائل من الأيتام في مؤسسات مفتوحة أبوابها وجاهزة مقاعد الدراسة فيها، في وجه المزيد من الأيتام والفقراء.

هذا الكبير كان مظلوماً أيضاً، تماماً كما كان الكبار والروّاد من رعيله من رجال الدين المسلمين الشيعة في هذه الحقبة.

هذا الرجل كان يداري الناس على قاعدة الرحمة إلى حد كبير، أما في الرأي فلا...

أضاف: وكان قليل المداراة للفقه الساكن السكونيين... ومن هنا مدّ يده إلى الشجرة فهزّها فاهتزت الألسن والأقلام والسيوف في وجهه، ولكنه استمر يطلق سراح الفتاوى التيسيرية في الفقه، والتي خاف على أنفسهم منها فقهاء كبار، فكتموها... أما هو، فقد استفاد من جو الحريات الذي فرض نفسه كضرورة على الفضاء الديني، وفي لحظة ازدياد التعصُّب، وصولاً إلى العنف والإرهاب، وما يقتضي ذلك من تنميط ضيّق للفقه والفكر لتسويغ الإرهاب والجهل والتخلُّف...

هذا الرجل المقاوم... يحب المقاومة والمقاومين... ويناقش غيرهم

---

(١) نقلاً عن لقاء شبكة الفجر الثقافية مع المفتي الجعفري الشيخ أحمد طالب بتاريخ ٢٩/ ١/ ٢٠١١م.

(٢) السيد هاني: أحد أهم علماء الشيعة في لبنان ومفكريهم.
ندوة في معرض بيروت العربي والدولي للكتاب بعنوان «العلاّمة المرجع السيد محمد حسين فضل الله: فقه وفكر». بتاريخ ٣٠ ذو الحجة ١٤٣١ هـ، الموافق ٦/ ١٢/ ٢٠١٠م.

في المقاومة، يعترض على حاكم عربي هنا أو هناك، وبأدب شديد وموقف عميق، ولا يمانع في التواصل وبذل النصح.

لقد كان شجاعاً جداً عندما اختار أن يعلن مرجعيته من لبنان مذكّراً كل علماء الأطراف الشيعية بأن المركز المرجعي في النجف لم يكن يلغي الأطراف التي كان لها مرجعيتها المحترمة من جميع المراجع، ولكنها كانت لحظة شديدة الحرج، لأنها اللحظة التي تمّت فيها المطابقة بين المرجعية والحاكمية مع تساهل في الشروط العلمية للمرجعية لصالح الحاكمية، وهذه تُحسب له سنةً حسنة، لا أظن أنها سوف تتكرر أو يُسمح بها ثانية.

كان سماحته لبنانياً، وطنياً، شفافاً، شعراً وفقهاً وفكراً، من البداية... يحلم بأن يكون لبنان منبراً للفكر العربي والإسلامي والعالمي، موصولاً ومحفوظاً ومحترماً من أشقائه العرب والمسلمين ومن شعوب العالم كافة...

كانت شيعيته مورد غذاء لإسلاميته، حاضنة لشيعيته... كل ذلك يجري ويتحرك في فضاء وطني لبناني عربي ودولي، رشّحه لأن يكون موضع ثقة الجميع وحبهم وتقديرهم في حال الاختلاف وحال الاتفاق معاً[1].

٣٦ ـ السيد محمد حسن الأمين[2]:

إن لبنان والعالم الإسلامي خسر أبرز رموز النهضة المعاصرة، بوفاة العلّامة فضل الله، ويشكّل غيابه فراغاً من الصعب ملؤه خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار الرؤية المعتدلة والمنهج المستنير الذي كان يشكّل طابع مسيرته الفقهية والفكرية، كما رؤيته السياسية.

لقد كان فقيهاً متنوّراً، جعل من المرجعية موقعاً متفاعلاً مع المجتمع والقضايا الكبيرة التي تمس واقع المسلمين والقضية الفلسطينية وقضايا التحرر بصورة عامة.

---

(١) عبر موقع «بيّنات» الألكتروني ـ الموقع الرسمي لسماحة السيد المرجع محمد حسين فضل الله (قده) تحت عنوان (ندوة حول العلاّمة المرجع فضل الله في معرض بيروت العربي والدولي للكتاب).

(٢) من أهم علماء الشيعة في لبنان ومفكريهم.

لقد كان في الوقت نفسه رجل المؤسسات والمبرات التي تميزت بالسعة والشمول، والأداء السليم، فقد كان بصورة عامة رجلاً بأبعاد كثيرة غنية وحيوية فكرية فائقة، استفادت منها القوى والحركات السياسية والثقافية والإسلامية، بحيث كان يمثّل عنصراً توجيهياً قيادياً لدى كل هذه الاتجاهات والحركات فضلاً عن رؤيته الإسلامية الشاملة والبعيدة عن المذهبية والتعصب، والواعية دائماً إلى الوحدة والتماسك على الصعيد الوطني والإسلامي بصورة عامة.

رحمه الله وأسكنه مع الأنبياء والشهداء والصدّيقين، وحسن أولئك رفيقاً[1].

٣٧ ـ فضيلة الشيخ ماهر حمّود[2]:

بفقدانه خسرت الأمة الإسلامية وخسرت الإنسانية عالماً إسلامياً كبيراً وعلَماً فكرياً ونبراساً للمقاومين الأحرار، رحل آية الله سماحة السيد محمد حسين فضل الله، العالمُ الإسلامي الذي ملأ الساحة بعلمه وجهاده ومواقفه ومؤلفاته، وهو الذي وقف بكل جرأة ووضوح نصيراً للمقاومة ضد العدو الصهيوني ونصيراً للأبطال.

رحل الملتزم الرصين بمدرسة الحكمة والموعظة الحسنة، رحل رمز من رموز الحوار مع الآخر على خلفية رفض الظلم والانتصار للمقاومة وعشق اللقاء مع الله من موقع يقين أهل الثبات والصبر والعزم، مهما كانت الشدائد وتوالت المصاعب وتكالبت الفتن.

رحل مَن لخّص بسيرة حياته المليئة والمفعمة بروح الإيمان والأئمة الأبرار الميامين حالة إسلامية قلّ نظيرها جامعاً النهج والفكر والعقيدة والحياة الجهادية المثمرة التي ساهمت مساهمة كبيرة في تحقيق النصر على العدو الصهيوني.

---

(١) نقلاً عن شبكة (الفجر الثقافية) الألكترونية تحت عنوان (العلاّمة السيّد محمد حسن الأمين يعزي برحيل المرجع فضل الله).

(٢) من فقهاء المذهب (السني) إمام مسجد القدس في صيدا، شخصية وطنية ناشطة في المجال الفكري والثقافي والسياسي ـ المصدر: نقلاً عن الموقع الإلكتروني الرسمي لسماحة الشيخ ماهر حمُّود في برنامج (ماذا بعد) على قناة المنار بتاريخ ٧/ ٧/ ٢٠١٠م. لمناسبة رحيل العلاّمة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قده).

رحل مَن قضَّ مضاجع قوى الاستكبار التي أزعجها التفاعل الفوري مع الثورة الإسلامية في إيران، وساء أن يتحول مسجد الإمام الرضا عليه السلام في منطقة بئر العبد إلى خلية تَشكُلْ النواة الأولى لهيئة دعم الثورة الإسلامية في إيران، حيث كان سماحته أول مَن دعا إلى التعاطف مع شعاراتها والتفاعل مع قياداتها دون تحفُّظ، أما ما أفلت عقال قوى الاستكبار فهو انخراط مجموعات الشباب التي انبرت للمقاومة والجهاد والاستشهاد في سبيل الله فكان قرار المخابرات المركزية الأميركية بالتخلص من سماحة السيد فضل الله من خلال عدة محاولات اغتيال، كان أكبرها تفجير بئر العبد في العام ١٩٨٥م.

رحل رجل الموقف، لكنّ كلماته سوف تبقى تدعو إلى الوحدة ونبذ الطائفية، نعاه سماحة السيد حسن نصر الله كأب رحيم ومرشد حكيم واصفاً إياه بالكهف الحصين والسند القويّ في كل المراحل، وبالأمس كان تشييعه استفتاءً حقيقياً على خيار المقاومة وفكرها.

كان التشييع تجديداً لعهد مواصلة الجهاد، قبيل أن تفيض روحه الطاهرة.

سئل سماحة السيد محمد حسين فضل الله، عن آخر أمنياته فقال من دون تردد: أتمنى أن تسقط إسرائيل.

المُحِب: هي الصفة التي لازمته منذ أن عرفناه حتى غادر إلى جوار ربه، قالوا مرجع الانفتاح والتنوير والعقل والمستقبل، قالوا أموراً كثيرة وكلها صحيحة، ولكن ما كان كل ذلك ليأخذ طريقه إلى الواقع لولا النفس التي تحتضن ذلك العلم وذلك العقل وتلك التجربة.

الأصل في الصلاح هو النفس ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾[1]، ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2] وإلى آخر ما هنالك من آيات في نفس المعنى...

فالنفس هي الوعاء الذي يستوعب العلم والتجربة وكل الطاقات البشرية، فإن لم يكن الوعاء سبباً لاستقبال المنح الربانية فلن يصلح شيء منها... لقد صلحت

(١) سورة الشمس، الآيتان ٧، ٨.
(٢) سورة الرعد، الآية: ١١.

نفس هذا الرجل الكبير، وعلامة صلاح النفس أنه كان محبًّا... تشعر المحبة تتسرب إليك من كلماته التي ينتقيها وما بينها، من نصائحه الرقيقة، من قبوله للآخر، من الحوار الذي اشتهر به، من صبره على أذى أولي القربى والأبعدين، أصحاب الأعذار أو الشبهات كما الذين يعلمون، صبرَ عليهم جميعاً ورفض بشكل مستمر أن يرد على الإساءة بإساءة، بل كان يحتسب الأمر إلى الله، ويبتسم راضياً بما حصل واثقاً من المستقبل الذي سيأتي بهم إلى جادة الصواب أو يعيدهم إليها.

برأينا لا يزال جوهره مكنونه، ولا تزال أهميته الحقيقية مخبوءة كالدر العظيم الذي لا يعلم قيمته حيث هو... ولا يزال الذي لم يُقَل بعد أعظم من الذي قيل.

وبرأينا لم يقدِّره أحد حتى الآن كما يستحق، وكل ذلك لأنه مُحِب، تستشعر من كلماته وفلتات لسانه الحديث الشريف «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1]. وهذه الصفة التي جعلت أفكاره تتسرب إلى النفوس بسلاسة وهدوء، ودون ضجيج وجلبة، وكأني به كما وصف الشاعر:

تَمُرُّ بكَ الأبطال كَلمى هزيمةً ووجهُك وضّاحٌ وثغرُكَ باسمُ

هو تماماً كذلك، هل رأيتموه بعد محاولة الاغتيال الشهيرة، وغيرها؟ هل رأيتموه والقصف ينهمر على المنطقة التي هو فيها؟ هل عاشرتموه في فترات الأخطار المتعددة الوجوه والأشكال؟

هل سمعتموه والناس يختصمون على أمور كبيرة وصغيرة ويتهم بعضهم بعضاً ويتشاتمون وهو يعطي رأيه بهدوء بدون تشنُّج ودون خوف من أحد...!!

لماذا كل ذلك؟ لأنه مُحِب، مُحِب للخير... أحسب أنه كان في اللحظة التي تسقط قربه متفجرة، لا يحقد على مطلقها ولا على الذي كان حريصاً على قتله ولا على الذي يفتري عليه ويتأول عليه بهتاناً وجحوداً.

نعم شحّ العلم أم كثر، كبُرَ المقام أو صَغُرَ، نُظر الإنسان أم غُمر، انطلق

---

(١) أخرجه ابن عساكر عن عبد الله بن زيد العشري (كنز العمال ١/ ٤) ورواه البخاري ومسلم عن أبي حمزة أنس بن مالك ـ خادم رسول الله (ص).

في الآفاق أم حُشر، أصل الصلاح هو النفس، وليس كثيراً عليه أن سماه البعض لفترة طويلة النفس الزكية، سواء كان الهدف من تسميته التأكيد على صفاته أم ربط ذلك بموضوع آخر، إنما ليس كثيراً عليه أن يكون النفس الزكية التي لا تنطوي إلا على خير ومحبة وحرص على المؤمنين ورأفة بهم ورضى بما قسم الله.

٣٨ ـ سماحة السيد جعفر فضل الله:

في زمنٍ ضيّق خؤونٍ مهزوم...

زمنٍ يضنّ علينا بالكبار والصالحين والرّجالات، حيث تتصحر القيم، وتتلوّث المفاهيم، ويندر الشّاهدون والشُّهداء، والعظام والمبلّغون بحقّ رسالات الله...

يرحل عظيمٌ من العظماء، صديقٌ من الأولياء، كبيرٌ من الرجالات، صدق ما عاهد الله عليه، فأحبه الله واصطفاه نعمةً منه وفضلاً...

يرحل السيّد والأب والمرشد والقائد والمعلّم والإنسان والمرجع والعلم محمد حسين فضل الله، مرجعاً للدّين والدُّنيا، وفقيهاً للإسلام والمسلمين، ورائداً للوحدة الإسلامية، وأباً للأيتام، وينبوعاً للمتقين، ونوراً للمؤمنين، وسنداً للمقاومين، وحصناً للمجاهدين، وأملاً للفقراء الساكنين، وقدوة للمستضعفين، ورجاءً للمحرومين، وداعياً بلسان الصّادقين في العالمين...

مَن عاشَ لله، وانفتح على الله، روحاً وقلباً وعقلاً وفكراً... يرحل نفساً مطمئنة راضيةً مرضيّةً، راجعةً إلى ربِّها، آيبةً إليه، وقد بلّغت في سبيل الله رسالات الله، وقيم الإسلام السّمح العظيم، ولم تخشَ أحداً إلا الله، وقدوتها رسول الله والسادة الأئمة من أهل بيت رسول الله... يرحل موصياً بالإسلام خيراً:

«الله الله في الإسلام، لا تحبسوه في عصبياتكم ومذهبيّاتكم، ولا تدمّروه بأحقادكم، بل قوّوه بوحدتكم واعتصامكم بحبل الله تعالى...».

يرحل أبي وروحي وعلاّمتي وقدوتي ومرشدي ومعيني على دهري، نقياً عزيزاً مُقدّساً، ليلتقي مثاله الأعلى رسول الله الذي تملّك كيانه وعقله.

يقول سماحته (قُدّس سرّه): «**عندما التقيت برسول الله في وجداني الإيمانيّ، من خلال قراءتي لسيرته في القرآن أولاً، انفتحت على الرسول الإنسان الذي ملأ قلبي بهذا الفيض الإنساني الرائع، الذي كان يعيشه من خلال علاقته بالآخرين، والتي كانت تتحرّك كينبوع متدفّق بكل ما في شخصيّته من رحمةٍ وحبٍّ وحنانٍ وحرصٍ على الآخر ورأفةً به واحتضانٍ له**».

يرحل معلّمي الذي أخذ بيدي إلى دنيا الرّسالة، وترفّع بي عن وحول التمذهب والتقوقع والتخلّف والعصبية والجهالة، ليغرس في عقلي أنّ:

«**أمّة يكون محمّد ﷺ رسولها وقائدها ونبيّها، هي أمّة تحمل من المسؤولية على أكتافها الكثير من الأثقال، لا التي تعيش الاتّكال...**» أو العقل الجمعيّ أو تغييب الحقيقة النورانيّة الساطعة... طالباً من الأمّة التي أحبّ وعمل جاهداً لتعتصم بالقرآن دستوراً للحياة.

فطوبى لنفسك التي عَرَكْتَهَا في جنب الله يا سيّدي... يا «سيد السادات»، يا أمير البيان الذي اقتبسته بلاغة وفصاحة من عليّ الذي عشقته وأحببته وذبت فيه قائلاً: «**أنا عندما أتحدّث عن عليّ، أذوب فيه... فعليّ هو إمام الإسلام الذي انطلق من بيت الله وعاش الله في قلبه وعقله وقضى في بيت الله**».

ألم تُربّنا ـ يا سيدي ـ على أن نتعلم من إمام الحق قول الحق، وأنت الذي حفرت في عقولنا كلمات عليّ عليه السلام:

«**فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء، لإخراجي نفسي إلى الله سبحانه وإليكم من التقيّة[1] في حقوقٍ لم أفرغ من أدائها، وفرائض لا بدّ من إمضائها، فلا تكلموني بما تكلّم به الجبابرة، ولا تتحفظوا منّي بما يتحفّظ به عند أهل البادرة[2]، ولا**

(١) التقية: الخوف والمراد لازمه، وهو العقاب.
(٢) البادرة: الغضب.

تخالطوني بالمصانعة[1]، ولا تظنوا بي استثقالاً في حقّ قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فإنّه مَن استثقل الحقّ أن يقال له، أو العدل أن يعرض عليه، كان العمَلُ بهما أثقل عليه، فلا تكفُّوا عن مقالةٍ بحق، أو مشورة بعدل، فإنّي لست في نفسي بفَوقٍ أن أخطىء، ولا آمن ذلك من فعلي، إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني[2]»[3] وكنت تعقّب «وقد كفى الله عليًّا ذلك»).

لقد كنتُ أكتب عنك في حياتك بصفتك الرساليّة التي أحببت، وأفنيت عمرك فيها حتى لم نحسّ معها بأن أبوّتك لنا في النسب والجسد تختلف عن أبوتك لكلّ أبناء هذه الأمة... كيف ولم أتعرّف عليك إلا تحت المنبر، وعشتُ معك في المسجد أكثر ممّا كنت أراك في المنزل، فكنتُ ـ كما قلتَ لي مراراً ـ أرى وأحس بأن كل هؤلاء الذين تربّعوا تحت منبرك وهم يستمعون إليك شارحاً للقرآن، أو مفسراً للسنّة، أو معمِّقاً للفكر، أو مُطلقاً التشيُّع من قمقم العصبيات والمذهبيات، أو محاولاً أن تحلّق بالأمّة إلى الفضاء الرحبة رحابة الكون الذي يسبّح باسم الله، أحسّ بأنّ كلّ هؤلاء هم إخوة لي وليس عليهم فضلٌ إلا بمقدار ما يقترب الواحد منا من الله أكثر، وعلمُ ذلك عند الله...

لم أنسَ وقد قلتَ لي إنك تتزوّد روحياً من كلّ الذين يجهشون بالبكاء في الدعاء وهم يدعون خلفك في المسجد بدعاء كميل أو أبي حمزة... حتى تعلّمتُ من ذلك تواضع الروح بين يدَيْ الله، وكما هي القيادة مع سائر مَن تعلقوا بأطرافها في مسيرة الرسالة الطويلة...

لم أنسَ وقد كان يتجرّأ عليك الصغير والكبير عندما قلتَ لي: إن كان هذا الفكر لله فالله يتكفّل به، وإن لم يكن لله فأنا لا شغل لي به، فليذهب مع الرياح...

ولا تزال كلماتُك ترنُّ في أذنَيْ قبل أيّام من لقائك مَن أحببت، وأنت

---

(١) المصانعة: المداراة.

(٢) أملك به مني: أي أشد ملكاً مني.

(٣) كتاب نهج البلاغة (الشريف الرضي) ص٥٣٠، ٥٣١. الكافي ج٨ ص٢٩٣، بحار الأنوار، ج٧٤، ص٣٥٨، ٣٥٩.

تقول إنّي قد ظُلمتُ كما لم يُظلم أحدٌ، ولكنّي أحبُّهم؛ لأني ربّيتهم، وأشعر بأبوتي لهم جميعاً...

هكذا علّمتنا ـ يا أبي ويا سيدي ـ أن لا نحقد على أحد: لأن «**الحقدَ موت**» ولأن القلب الذي يحقد لا يمكن أن يسمو في حبِّه للّه، وربيّتنا على أنّ مَن يأمل عفو الله يوم لا ظلّ إلا ظلّه، فلا يُمكنه إلا أن يسمو في حبِّه للّه، وربّيتنا على أنّ مَن يأمل عفو الله تعالى يوم لا ظلّ إلا ظلّه، فلا يُمكنه إلا أن يجعل عفوه عمّن أساء وسيلةً لتحصيل عفو الله تعالى...

وعلّمتنا ـ يا مَن يفتقدك مصلاّك والمنبر ـ أنّ كل ما في الحياة ينبغي أن يكون للّه، أن نسعى جاهدين لنُخلص للّه في نيّاتنا، فلا يكون فيها شيء لغير الله حتى الذات تذوب في إرادة الله في حركة المسؤولية...

والتواضع كان عنواناً من عناوينك الكثيرة، من الناس، معهم، في خدمتهم، حتى وأنت ترتقي بهم في روحانيَّتك التي اكتشفنا سموّها اليوم أكثر، فأنت لا تشعر في نفسك إلا «**أفقر الفقراء إلى الله**»، تتوسّل إلى الله بكلّ الأنفاس الطاهرة، والقلوب النقية، والنيّات الصافية، التي تنبع من صدق المؤمنين..

ولستُ أدري، ونحن نبذل الجهد اليوم لنصدّق ما مُنينا به، هل نتحسّر على ثوانٍ مرّت دون أن نتزوّد منك بكلمة، أو بموقف اقتداء، أو بمنهج للحياة؛ كيف؟ وقد ضيّعنا أياماً دون ذلك...

حسبُنا أنّ الذي أحببت حيٌّ لا يموت، وأن الرسالة التي بها تماهيتَ مسؤوليّتنا، وأن القضايا التي بها آمنت قضايانا، وأن الروح التي بها حلّقت غايةٌ من غاياتنا، وأن الخلق الذي به سمحت خلق الأنبياء، وأن الخطّ الذي انتهجت هو الخطّ الذي يوصلنا إلى كلّ الذين نعتقد أنك معهم ـ ولم تكن إلا معهم ـ تشهد على الأمّة، وتدعو ربّك أن يلطف بها...

حسبنا أن ندرك أنّ اللقاء بك لن يكون إلا بسلوك الطريق الذي سلكت، والمعاناة التي عانيت، والصبر الذي صبرت، والنيّة التي أخلصت، والأفق

الذي حلّقت فيه؛ وما أصعبه من طريق! وما ألذ المسير فيه؛ والله من وراء القصد..

نَم قرير العين يا أبا عليّ... في رحاب الله... في جنّةِ الله، في رضوان الله، وقسماً بعمري... لن تموت...[1]

٣٩ ـ سماحة العلّامة السيد محمد علي فضل الله[2]:

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[3].

سيدنا الحبيب، تتصاغر الكلمات في حضرتك، وتتواضع الألقاب أمام مقامك، وتكلّ الألسن عن وصف مناقبك وخصالك، ماذا عسانا نزيد في هذا المقام عن ما قاله عنك وفيك المحبون.. وهل بعد تأبين أهل الوفاء والإخلاص هؤلاء... من تأبين...!

يا سيدنا الجليل، وجد فيك أصحاب الفكر عقلاً منفتحاً على أوسع مدى العلم والمعرفة.

وتعلّم منك المجاهدون العزيمة والصبر ومكابدة الصعاب وبذل الغالي والنفيس أملاً بالنصر على الأعداء.

ووجد فيك المستضعفون نصيراً ومعيناً في الملمّات، والأيتام أباً حنوناً عطوفاً رؤوفاً شغوفاً لا يبخل بالغالي والنفيس في خدمتهم.

ووجد فيك المسلمون والمسيحيون داعية محبة ووحدة وإلفة ولقاء... ورجلاً يحمل في قلبه وفكره وسلوكه كل قيَم أديان السماء...

سيدنا.. لقد وجد فيك أهل القضايا الكبرى دليلاً وعوناً ومرشداً وقائداً ومنارة وعي شهد لك كل مَن عرفك من أحرار العالم.

---

(١) نقلاً عن جريدة (بيِّنات) مقال للسيد جعفر فضل الله تحت عنوان «من دنيا الرسالة... إلى عالم الملكوت» العدد ٣٧٩ الأحد ٤ شعبان ١٤٣١هـ ـ ١٥ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص١٦.

(٢) شقيق سماحة السيد محمد حسين فضل الله ـ المصدر: جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٩ الأحد ٤ شعبان ١٤٣١ هـ ـ ١٥ تموز (يوليو) ٢٠١٠ م ص ١٠، ١١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

سيدنا.. لقد وجد عندك أهل الحق ثباتاً ورسوخاً وعزيمة لا تلين.

ووجد فيك أهل الزهد عابداً ورعاً تقياً نقياً يشهد لك الليل الذي ساهرت فيه ملائكة السماء..

ووجد فيك الكبار كبيراً في تواضعك وحلمك ورأفتك وبساطة الحياة التي عشتها مع الناس طيلة عمرك الشريف.

ووجد فيك الخصوم خصماً شريفاً ومنصفاً وعادلاً يجادل الفكر بالفكر والكلمة بالكلمة والموقف بالموقف.

ووجد فيك أعداء الأمة منافحاً عنيداً ومقاوماً شديداً وعقبة كأداء أمام مشاريعهم وأطماعهم والأحلام.

سيدنا.. لم يكن لك من عدوّ سوى الجهل والعصبية والتخلف والغلو والظلم والاحتلال ونزعات التكفير والباطل.

لن نطيل يا سيدي فالحديث عنك لا ينتهي، فكيف لبضع كلمات في يوم العزاء برحيلك أن تختصر عمراً مديداً بُذل في خدمة الإسلام والحق والعدل ورفع شأن الإنسان في زمن انحدار القيم والمبادىء وشيوع قيم المنفعة والشخصانيات الزائلة.

لقد كان رحيلك سيدنا مناسبة لتفجير ينابيع المحبة والمودة في صدور المحبين والمريدين من جميع الأديان والطوائف والمشارب، ومن كافة أقطار العالم العربي والإسلامي، ومن كل أرض وصلت نفحاتك الرسالية الإنسانية إليها.

ونحنُ أهل العزاء.. بل كل الذين ذكرناهم أهل عزائك أيها الراحل الكبير إنه ليوم مجيد ذلك اليوم الذي فاض الحب من حول نعشك، وارتفعت الصلوات من أمام جثمانك وقرأت الآيات على ضريحك الطاهر.

مَن نعزّي ومَن نشكر يا سيدي في مناسبة كان فيها كل المحبين أهل العزاء بك. ونحن عائلة الراحل الكبير وبلسان كل المحبين نتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير والامتنان... وبخالص المحبة والودّ والاحترام من كل الذين واسونا

في مصابنا الجلل من قادة ورؤساء الدول وممثليهم، ومن العلماء والمفكرين والمجاهدين، ومن الهيئات الرسمية والشعبية والسياسية والاجتماعية والفكرية والأمنية، ومن وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية على اختلافها، ومن كافة مؤسسات المجتمع المدني على تنوعها في لبنان والعالم.

ولا ننسى أن نخص بالشكر الفريق الطبي الذي عمل بكل جهد وإخلاص وقام بمهامه على أكمل وجه...

ونسأل العلي القدير أن يُبقيك بعد رحيلك، كما كنت دائماً في حياتك موئلاً للحب والوحدة والاجتماع وواحة للفكر والوعي والجهاد والاجتهاد.

نعاهدك يا سيدنا مع كل محبيك أن نستمر على خطك ونهجك وسبيلك، سبيل الصالحين والصدّيقين والأولياء ونسأل الله الرحيم أن يجمعنا بك مع مَن واليت من الأنبياء والأئمة الأطهار يوم لا ظلّ إلا ظلّه، ويوم يقوم الناس لرب العالمين ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾[2].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠.

الفصل السادس

❖ **المرجعية:**

١ ـ تاريخ المرجعية ونشأتها.
٢ ـ مدارس الفقه الشيعي.
ـ مدرسة المدينة المنورة.
ـ مدرسة الكوفة.
ـ مدرسة قم والري.
ـ مدرسة بغداد.
ـ مدرسة الحلة.
٣ ـ فقهاء جبل عامل.
٤ ـ مفهوم التقليد.
٥ ـ شروط المرجعية.
٦ ـ مفهوم الأعلمية.
٧ ـ موضوع تحديد الأعلم.
٨ ـ الشهادة بالأعلمية.

❖ **المرجعية المؤسسة:**

١ ـ المرجع.
٢ ـ المؤسسة المرجعية.
٣ ـ الأمة الإسلامية.

❖ **تقليد المرجع الميت ابتداءً:**

١ ـ فتوى اشتراط الحياة في المجتهد.
٢ ـ فتوى جواز تقليد المرجع الميت ابتداءً.
٣ ـ الأدلة الفقهية حول جواز تقليد الميت ابتداءً.
٤ ـ (٣٤) من العلماء الإخباريين والأصوليين يجوِّزون تقليد المرجع الميت ابتداءً.
٥ ـ الأسباب التي دعت المجتهدين لتحريم التقليد الابتدائي للمجتهد الميت.

❖ **الخلاصة:**

الفصل السادس

المرجعية

١ ـ تاريخ المرجعية ونشأتها:

لقد كان الناس يرجعون إلى رسول الله ﷺ للسؤال واستيضاح كل ما يتعلق بدينهم ﴿...فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[١].

وهنا كانت البداية باعتبار أن النبي ﷺ صاحب الرسالة والأدرى بشؤونها، فنشأ مفهوم المرجعية وتعني الرجوع إلى الأعلم بقضايا الدين، ومن ثمّ أرسل النبي ﷺ بعض من أصحابه إلى عدة مناطق وبلدان لتعليم الناس أحكام دينهم، جاء في القرآن الكريم ﴿...لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[٢].

بقيت هذه العادة في عصر النبي ﷺ ومن ثمّ جرى عليها الأئمة عليهم السلام من أهل البيت عليهم السلام الذين كانوا يتقبّلون الأسئلة في الأحكام الشرعية، بطريقة السؤال والجواب، لا بطريقة التقليد.

يقول سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه) في هذا المجال:

(وسار الشيعة الإمامية على هذا الخط بعد (الغيبة الكبرى)، فقد رجعوا إلى علمائهم في هذا المجال، وربما كانت المسألة منطلقة من هذا الخط التأريخي من جهة ومنطلقة من كلام الإمام الحجة (عج) «**وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنهم الحجة عليكم**»[٣]، من جهة أخرى أو من خلال الحديث الذي

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣، وسورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي ج٧ ص١٤٠، رواية ٣٣٤٢٤.

يناقش البعض في حجيته، وإن كان مقبولاً لديهم «مَن كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه»[1].

وهكذا رأينا أن الشيعة كانوا يرجعون إلى علمائهم، ولكن ليس من الواضح جداً وجود مرجعية عليا بالمعنى الموجود عندنا في هذه الأيام من رجوع مجموع الشيعة إلى شخص ما، في ذلك العصر كان لا يسمح بهذا التواصل الشامل في ارتباط الشيعة بشخصية واحدة، مما يجعل من غير الواقعي أو العملي أن يرجع الشيعة إلى كل العلماء في كل أمورهم.

لذلك فقد كان الشيعة يرجعون إلى علمائهم الموجودين في مناطقهم وربما كان بعض العلماء يأخذ شهرة كبيرة في هذا المجال كـ (الشيخ المفيد) مثلاً و(السيد المرتضى) في زمنه فكانوا يسألون من قبل الشيعة في مناطق نائية، فنحن نقرأ مثلاً في كتب الشيخ المفيد (المسائل الطرابلسية) أو في كتب السيد المرتضى، ولكن هذا لا يعني أن هناك مرجعية عليا بالمعنى الشامل أو بالمعنى المستمرّ في الزمن)[2].

وهكذا توجه الناس إلى الفقهاء من رجال الدين للاستفسار عن مسائل الابتلاء الفقهي، فتبلور مصطلح ومفهوم (المرجعية) و(التقليد).

٢ ـ مدارس الفقه الشيعي (حسب توالي عصور الفقه الشيعي)[3]:

الأولى ــ (مدرسة المدينة المنورة):

وسميت (العصر الأول) وهو عصر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ظهرت من حين ظهور المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة واستمرت إلى أواسط القرن الثاني إلى حياة الإمام الصادق عليه السلام.

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج٢٧ ص١٣١، رواية ٣٣٤٠١.

(٢) من كتاب (فقه الحياة) حوار أجراه أحمد أحمد وعادل القاضي مع العلاّمة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩١م ط٥ ص١٦، ١٧.

(٣) راجع كتاب (اللمعة الدمشقية) للشهيد الأول: محمد بن جمال الدين مكي العاملي، ٧٣٤ ـ ٧٨٦ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص٢٦، ٦٩.

الثانية ــ (مدرسة الكوفة):

في أخريات حياة (الإمام الصادق عليه السلام) انتقلت مدرسة الفقه الشيعي من (المدينة) إلى (الكوفة) أي من أواسط القرن الثاني وبذلك بدأت حياة فقهية جديدة في الكوفة واستمرت إلى الربع الأول من القرن الرابع (الغيبة الكبرى) وكانت الكوفة آنذاك مركزاً صناعياً وفكرياً كبيراً يقصده البعثات العلمية والتجارية، وقد ذكر البلاذري أن أربعة آلاف من رعايا الفرس وفدوا إلى الكوفة[1] وقد أثّر وفود العناصر المختلفة إلى الكوفة طلباً للعلم أو التجارة في التلاقح العقلي والذهني في هذه المدرسة، كما كان لها الأثر البالغ في تطوير الدراسات العقلية فيها.

الثالثة ــ (مدرسة قم والري):

يبتدىء هذا العصر من الغيبة الكبرى والربع الأول من القرن الخامس (أيام المرتضى والطوسي) في هذه الفترة انتقلت حركة التدريس والكتابة والبحث إلى مدينتَيْ (قم) و(الري) وظهر في هذه الفترة شيوخ كبار من أساتذة الفقه الشيعي كان لهم أكبر الأثر في تطوير الفقه الشيعي فقد كانت قمّ منذ أيام الأئمة عليهم السلام بلدة شيعية وحصناً من حصون الشيعة وعشاً لآل محمد صلى الله عليه وآله وموضع عناية خاصة من أهل البيت عليهم السلام.

الرابعة ــ (مدرسة بغداد):

ظهرت من النصف الأول للقرن الخامس إلى احتلال بغداد وسقوطها على يد السفّاك هولاكو التتار وكانت فتحاً جديداً في عالم البحث الفقهي وقد ظهرت في هذا العهد ملامح الصناعة والصياغة الفنية والاجتهاد والرأي والتفريع في كتابات هذا العصر ولا سيما في كتب (المرتضى) الأصولية وكتب (الشيخ الطوسي) الفقهية والأصولية وانقلاب عملية (الاستنباط) إلى صناعة علمية لها أصولها وقواعدها.

---

(١) تاريخ الكوفة، للمؤرخ السيد حسين حسن بن السيد أحمد البراقي ص ٣٨٢ ـ ٣٩٥.

الخامسة ــ (مدرسة الحلة):

وظهرت بعد احتلال بغداد على يد هولاكو التتار واستمرت إلى حياة الشهيد الثاني، واجتمع في الحلة عدد كبير من الطلاب والعلماء وانتقل معهم النشاط العلمي من (بغداد) إلى (الحلة) واحتفلت بوجوه النشاط الفكري ندوات البحث والجدل وحلقات الدراسة والمكاتب والمدارس وغيرها، واستقرت المدرسة في الحلة وظهر في هذا الدور فقهاء كبار كان لهم الأثر الكبير في تطوير مناهج الفقه والأصول الإمامي وتجديد صياغة عملية الاجتهاد، وتنظيم أبواب الفقه كـ(المحقق الحلي) و(العلّامة الحلي) و(ولده فخر المحققين) و(ابن نما) و(ابن أبي الفوارس) و(الشهيد الأول) و(ابن طاوس) و(ابن ورّام) وغيرهم من فطاحل الأعلام ورجال الفكر.

يقول السيد فضل الله (قُدّس سرّه) في هذا المجال:

«نحنُ نرى أن علاقة المرجعية بالمكان ليست قضية فقهية، بل هي قضية ناشئة من الظروف الموضوعية التي تتيح لهذا المرجع أو ذاك، أن ينتشر اسمه في الآفاق، ويمكن القول إن التطورات الأخيرة في المرجعية جعلت إيران تنتبه إلى هذه القضية، لتفكر في أن غياب المرجعية عنها ووجودها في النجف أو في أي مكان آخر يمكن أن يضعف مصداقية الجمهورية الإسلامية في العالم الشيعي، لأن هذا العالم لا يزال منفتحاً على المرجعية كعنوان تاريخي متصل لكل مفاصل الوجود الشيعي.

ولم تبلغ ولاية الفقيه هذا الموقع النفسي والفكري في حياة الواقع الشيعي في وقت رأت إيران أن الاستكبار العالمي بدأ يشن حملة عليها في هذا الجانب، من أجل أن يثير الخلاف ويشوه الصورة ويعزلها عن المرجعية، فتضعف علاقة الوجود الشيعي بها وعلاقتها به، ولتبقى المرجعية في النجف المحكوم للنظام العراقي، والحوزة في النجف ضعيفة مما ينعكس في نهاية المطاف على ضعف المرجعية ككل، فالمرجعية إذا انتقلت من إيران التي تعطيها القوة ووجدت في النجف التي تعيش الضعف، فستكون ضعيفة حتى لو كان المرجع إيرانياً، ونرى أن السيد السيستاني هو إيراني من محافظة خراسان وليس عربياً وإن أمضى معظم حياته في النجف، لهذا أصبحت إيران تفكر في

خصوصية وجود المرجعية في قمّ، وأن يكون علماء قمّ هم المرجع في تعيين المرجعية من المسائل الحساسة التي تمس قوة الجمهورية الإسلامية وبالتالي قوة خط التشيُّع الذي تمثله الجمهورية الإسلامية في موقع القوة»[1].

٣ ـ فقهاء جبل عامل:

عُرف جبل عامل في جنوب لبنان بتاريخه العلمي الحافل للكثير من الفقهاء والمرجعيات التي لعبت دوراً هاماً في مواكبة الفقه ونشر الثقافة الإسلامية، ولا تزال بصماتهم الفقهية تُدرّس حتى اليوم في الحوزات العلمية، فمنهم مَن بقي في لبنان ومنهم مَن هاجر إلى العراق أو إيران بسبب الظروف السياسية والأمنية أيام (العثمانيين والفرنسيين) والمعيشية، ولكن حركتهم السياسية والفقهية كانت ذات أهمية، مثل الشيخ حسين بن عبدالصمد الجبعي وابنه الشيخ البهائي والمحقق الكركي.

إن جبل عامل على مدى تاريخه المشرق المجبول بالعلم والثقافة والسياسة والجهاد، خرّج علماء صدّروا العلم والنباغة والفقاهة.

فآثار الشيخ بهاء الدين العاملي الهندسية لا تزال شاخصة إلى اليوم منذ ما يقرب الأربعمائة عام في مدينة أصفهان الإيرانية.

إن مدرسة جبل عامل تميّزت بحيوية الاجتهاد ومستجدات العصر ونبذ التحجُّر والجمود والتفرقة وانفتاحها على المذاهب الإسلامية الأخرى حيث يلاحظ أن الفقيهين:

الشهيد الأول والشهيد الثاني، درّسا على أئمة المذاهب الأخرى كما درّس الشهيد الثاني على المذاهب الخمسة في المدرسة النورية في بعلبك، وفي القرن الماضي عُرف الفقيه العلّامة السيد محسن الأمين صاحب (رسالة التنزيه) التي دعا فيها إلى الإصلاح الديني من الممارسات الشاذة والدخيلة على مذهب أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) من كتاب (حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع) سنة ١٩٩٧م، دار الملاك، الطبعة الأولى، ص٥٥٩، ٥٦٠، إعداد وتنسيق الدكتور السيد نجيب نور الدين.

وفي العصر القريب ظهر الشيخ محمد جواد مغنية وابتعاده عن الجو التقليدي وانفتاحه على قضايا المستضعفين وقضايا الحرية والعدالة ومواجهة الانحرافات السياسية والدينية.

وسماحة السيد موسى الصدر (أعاده الله) فأطلّ علينا وهو يرفع شعار الوحدة الإسلامية ـ المسيحية، فكم وكم رأيناه وهو يجتمع ويحاور أهل الكتاب ويدعو إلى الابتعاد عن الطائفية والعصبيات الدينية فنراه كيف صلّى في الكنيسة دون تفرقة والنور يشع من وجهه الشريف وعمامته السوداء.

. فكان يدعو دائماً إلى رص الصفوف (مسلمين ومسيحيين) يداً بيد وقلباً بقلب لمقاتلة العدو الإسرائيلي الغاشم، ورأيناه يأكل من عند المسيحي الذي رفض المسلم أن يأكل من عنده، وتعتبر هذه فتوى اجتهادية بجواز الأكل من الكتابي وطهارته.

ومن ثم بروز العلّامة المرجع السيد محمد حسين فضل اللهِ فقيهاً مجدداً ومفكراً إصلاحياً في عصرنا الحاضر، وغيرهم مما لا يتسع ذكرهم..

إن جبل عامل على مَرّ التاريخ خرّج فقهاء عاملين مخلصين ولو احتُضنوا لوجدوا طريقهم إلى المرجعية بقوة.

٤ ـ مفهوم التقليد:

هل يجب على كل إنسان أن يكون مقلِّداً ؟

يجيب على هذا السؤال سماحة الشيخ حسين الخشن[1] فيقول:

«من الطبيعي أن على كل مسلم لا يملك ثقافة فقهية تمكنه من معرفة الحكم الشرعي من مصادره، أن يرجع إلى مَن يملك هذه الثقافة فيتمكّن هذا المسلم من المواءمة بين سلوكه العملي وانتمائه إلى الإسلام وهذا ما يجعل من

---

(١) مدير الحوزة الدينية ومستشاراً فقهياً ومقرّراً لأبحاث سماحة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قده) الفقهية ومثله في العديد من المؤتمرات الفكرية والفقهية وله عدد من المؤلفات وهو معدّ كتاب (الزهراء القدوة) تلقى علومه في حوزة قم على يد عدد من العلماء البارزين أمثال: السيد محمود الهاشمي، مدرّس لمادّتَيْ الفقه والأصول والتفسير في حوزة المعهد الشرعي الإسلامي ـ يمارس مهنة التدريس منذ ١٥ عاماً.

ظاهرة التقليد طبيعية وعقلانية، ولذا كانت مسيرة العقلاء القاضية برجوع الجاهل إلى العالم، وهي المستند الأهم في تبرير ظاهرة التقليد وهو لا يعني أبداً ـ كما يخيّل إلى البعض ـ الانقياد الأعمى للفقيه في كل ما يقوله أو يفعله ولا سيما في المواقف التي يتخذها في الشأن العام، أو في تحديد الموضوعات أو تقييم الأفراد فإن الفقيه ليس معصوماً ولا مانع من مناقشته أو نقده ممّن يملك ثقافة ذلك وقد تعلّمنا في مدرسة رسول الله ﷺ أن نُبقي عقولنا مفتوحة ولا نؤجرها لأحد»[1].

يقول سماحة آية الله العلّامة السيد عبد الله الغريفي في التقليد:

«أساس التقليد مسألة عقلية، دليلها عقلي لا نقلي. أما حديث «**أما مَن كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه**»[2] هنا الدليل جاء ليؤيد حكم العقل، فأصل وجوب التقليد مسألة عقلية بحتة، فكما نرجع إلى الطبيب للعلاج عند الوجع على سبيل المثال، لأن العقل يقول أنه:

إذا مرض الإنسان يجب أن يرجع إلى الطبيب، أي رجوع الجاهل إلى صاحب الاختصاص، فالعقل البشري هو الذي يحكم، كذلك في الفقه، العقل يحكم بوجوب الرجوع إلى الفقهاء»[3].

يقول سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه) في قضية التقليد:

«نحنُ نعتبر أن قضية التقليد قضية فطرية تنطلق من رجوع الجاهل إلى العالم، وليست قضية تعبُدية شرعية، ذلك أن العقلاء يرون أن أي إنسان يملك خبرة في أي علم فإن قوله يكون حجة عقلانية في هذا المجال، ونحن لا نجد

---

(١) حوار مع سماحة الشيخ حسين الخشن أجرته صحيفة اللواء ـ حاوره: حسين زلغو. نقلاً عن جريدة بيّنات، العدد ٣٨١ الجمعة ١٨ شعبان ١٤٣١ هـ ٣٠ تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص١٢.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي، ج٧ ص١٣٢. رواية ٣٣٤٠١.

(٣) نقلاً عن حوار مع سماحة السيد عبد الله الغريفي بمناسبة رحيل العلّامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قده) حول البقاء على تقليد المرجع السيد فضل الله وتقليد الميت ابتداءً وأصل التقليد. وهذا الحوار موجود على اليوتيوب لمَن يريد الاطلاع عليه تحت عنوان «تقليد الميت ابتداءً» وهو مأرشف لدينا.

أن هناك حاجة إلى إمضاء شرعي في هذا الموضوع لأن الحجة العقلية تكفي في تحقق العذر عند الخطأ، كما هي الحجة عند الإصابة»[1].

٥ ـ شروط المرجعية:

يقول سماحة الشيخ حسين الخشن في شروط المرجعية:

«ليس كل مجتهد مرجعاً بالضرورة، إنما للمجتهد حق العمل بآرائه كما أنه مشروع مرجع، وإنما يتحول إلى مرجع فعلي، إذا اقتنعت به الأمة وأثبت حضوره في وسطها العلمي، ويرى بعضهم أنه لا بد من أن يترقّى في مستواه العلمي ليصبح أعلم الفقهاء، وإلا فلا يجوز تقليده، لكن في مقابل هذه النظرية المعروفة، هناك نظرية لا تشترط الأعلمية في مرجع التقليد وتكتفي باجتهاده وفقهاهته، وممّن يرى هذا الرأي المرجع الراحل السيد محمد حسين فضل الله، بل إن السيّد محسن الأمين قد نسب هذا الرأي في كتابه (أعيان الشيعة) إلى مشهور الفقهاء»[2].

وإلا لما كان هناك مقلّدون لمرجع وفي نفس الوقت هناك مقلدون لآخر قد لا يحمل الأعلمية.

وفي مواصفات وشروط المرجع الذي يجوز الرجوع إليه يقول سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه):

«المواصفات الأساسية هي (الاجتهاد) مع (الممارسة) التي تجعل لديه نضوجاً في وعيه الفقهي. ولا يكفي عندنا مجرد الاجتهاد والعدالة التي تجعل الإنسان يطمئن إليه، وهناك شروط أخرى كالذكورة والحرية وطهارة المولد مما لا يدخل في مضمون التقليد من الناحية العلمية، ولكنه قد يدخل في موقع التقليد من الناحية الاجتماعية في هذا المجال، ولعل أغلبها مبني على الاحتياط»[3].

---

(١) من كتاب فقه الحياة، حوار مع سماحته (قده) أجراه أحمد أحمد وعادل القاضي ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، ط ٥، ص٢٠.

(٢) نقلاً عن جريدة (بينات) العدد ٣٨١ الجمعة ١٨ شعبان ١٤٣١هـ ـ ٣٠ تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص١٢ حواراً أجرته صحيفة اللواء مع سماحة الشيخ حسين الخشن.

(٣) من كتاب فقه الحياة (حوار مع سماحته (قده) أجراه أحمد أحمد وعادل القاضي) ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، ط ٥ ص٢٨، ٢٩.

سئل سماحة آية الله السيد كمال الحيدري[1]:

هل يشترط سماحتكم في المجتهد شروطاً مغايرة لما عليه الفقهاء؟

الجواب: من الضرورة أن يكون مرجع التقليد أعلماً بمعنى الأقدر على الاستنباط في جميع المعارف الدينية، لا خصوص المسائل الفقهية كما هو المشهور[2].

٦ ـ مفهوم الأعلمية:

في مفهوم الأعلمية ومسألة تقليد الأعلم يقول سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه):

«أما مسألة الأعلمية فإنني أجد أن البناء العقلائي الذي هو الأساس في مسألة التقليد ليس متقيداً بالرجوع إلى الأعلم من حيث المبدأ بل يكتفي الناس في كل أمورهم بالرجوع إلى أهل الخبرة الذين يملكون خبرة ما يرجعون إليهم فيه ولا يتجمّدون أمام الأعلم في هذا المجال، أما قضية أن الناس يرجعون إلى الأعلم عند الاختلاف، فإننا نجد أن رجوع الناس إلى الأعلم حال الاختلاف ينحصر في صورة ما إذا كانت المسألة يطلب فيها الاحتياط على كل حال، لا ما يطلب فيها الحجّة بشكل طبيعي، وهذا ما نلاحظه بأن الناس يرجعون إلى الطبيب الأعلم عندما تصل القضية إلى مرحلة الخطر على حياة الإنسان، وربما لا يكتفون بالرجوع إلى الأعلم بل يطلبون لجنة طبية بالإضافة إلى الأعلم، من أجل أن تستنفذ كل الاحتمالات التي

---

(١) حائز على شهادة البكالوريوس في العلوم الإسلامية الأكاديمية بدرجة امتياز عام ١٩٧٨م، درس السطوح العالية على يد الأساتذة: الشهيد آية الله عبد الصاحب الحكيم، سماحة آية الله الشيخ بشير النجفي، ومن أساتذته في بحوث الخارج: آية الله العظمى السيد الشهيد محمد باقر الصدر، آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، سماحة العلاّمة السيد محمد تقي الحكيم، سماحة آية الله الشيخ الميرزا علي الغروي، سماحة العلاّمة السيد نصر الله المستنبط، تابع دروسه الحوزوية على كل المستويات (الفقهي والأصولي والفلسفي والعرفاني والعقائدي) وقد انتقل من حوزة النجف إلى قم المقدسة في إيران بسبب الأوضاع المأساوية في النجف واشتداد الخناق على طلبة العلوم الدينية حوالي سنة ١٩٨٣م وهو من أهم أساتذة الحوزة العلمية هناك.

(٢) نقلاً عن الموقع الإلكتروني الرسمي لسماحة آية الله العلاّمة السيد كمال الحيدري.

تساعد على فهم مرضه أو علاجه، لذلك فقضية الرجوع إلى الأعلم عند الاختلاف ليست من المسائل الملحّة بشكل إلزامي في حياة العقلاء إلا في الحالات الضرورية، ونحن نعرف أننا في المسائل الشرعية لسنا مأمورين بالاحتياط، فنحن نبلغ الواقع على كل حال بل نحن مأمورون بأن نحصل على الحجّة فيها أو على العذر فيها وهذا أمر ينطلق من خلال الرجوع إلى المجتهد الذي يملك الفقه والورع وما إلى ذلك»[1].

٧ ـ موضوع تحديد الأعلم:

في هذا المجال يقول سماحة الشيخ ياسر عودي[2]:

«كثير من العلماء قالوا باستحالة تحديد الأعلم، وبأنها مسألة نظرية بحتة لا دليل عليها في النصوص الشرعية وأن الأعلم بحسب المفهوم الفقهي هو الأقدر والأجدر والأكثر معرفة في الاستنباط، ويعتبر البعض أن الأعلم يكون أعلم في الأصول والفقه، بل يجب أن يتحلى الفقيه بفهم اللغة فهماً عميقاً (معمّقاً) وأن يمتلك حساً أدبياً وفهماً قرآنياً عميقاً، بعيداً عن أجواء الرواية أولاً، ومن ثم تطبيقها على الرواية الثانية، وهذا ما يعطي ميزة للفقيه الحركي عن الفقيه التقليدي، ولذلك وبناءً على ما تقدم فإنه لا يوجد أعلم من السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه) في العصر الحاضر، وتميزه عن غيره، وعلى الأقل لا نعتقد أن هناك شخصاً أعلم منه، وخصوصاً مع العناصر الكثيرة في شخصيته الفكرية والعلمية التي امتاز بها في المرجعية الحركية عن المرجعية التقليدية»[3].

سئل سماحة آية الله السيد كمال الحيدري: هل تُحَدّد معرفة الأعلم بشهادة أهل الخبرة أم هناك طريق آخر لإثبات ذلك؟

---

(١) مقتبسة من كتاب فقه الحياة (حوار مع سماحته (قُدّس سرّه) أجراه أحمد أحمد وعادل القاضي) ١٩٩٩م، ص٢٣، ٢٤، ٢٥.

(٢) أستاذ حوزوي، أحد تلامذة السيد فضل الله منذ العام ١٩٨٤م، إمام مسجد السجّاد ـ حي السلم، منذ العام ١٩٩٩م، داعية إسلامي، أُرسل إلى عدة بلدان بهدف التبليغ.

(٣) نقلاً عن الموقع الرسمي لسماحة السيد محمد حسين فضل الله (بيّنات) تحت عنوان (ملف الرحيل).

الجواب: لا ينحصر معرفة الأعلم بقول أهل الخبرة بل يمكن معرفة ذلك من خلال شيوع أعلميته وانتشارها بحيث لا شك مع ذلك الشيوع في تحقق تلك الأعلمية بل لو كان الشخص له من القدرة العلمية يمكنه معها التأكد من أعلميته فهو أيضاً طريق ثالث أيضاً لتشخيص الأعلمية[1].

يقول سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه):

«إن مسألة الأعلم هي من المسائل المعقدة الغامضة، فما المراد بالأعلم؟ إن البعض يقول: «**إن الأعلم هو الأقدر استنباطاً**» ولكن ما هي موازين الاستنباط؟ ربما يرى بعضهم أن الأعلم هو الأكثر دقة في المسألة الأصولية، ولكننا نرى أن الدقة في المسألة الأصولية قد تُبعد الإنسان عن وعيه الفقهي لأن المسائل الفقهية قد تحتاج إلى ذوق أدبي أكثر من حاجتها إلى دقة عقلية، لأنها تتصل بنصوص الكتاب والسنّة بشكل أساسي فربما يكون الأعلم بالأصول أبعد عن الحكم الشرعي من غير الأعلم الذي يملك خبرةً وذوقاً عرفياً فقهياً.

وأما مسألة (**الأقربية لحكم الواقع**) فمَن الذي يعرف الواقع حتى يعرف أن هذا أقرب أو لا؟!!.. في الوقت الذي قد تكون المسألة نسبية، هذا مع ملاحظة أن رأي غير الأعلم في هذه المرحلة قد يكون موافقاً لرأي الأعلم في مرحلة أخرى، كما قد يكون رأي الأعلم الآن موافقاً لرأي غير الأعلم في مرحلة سابقة فليس هناك رأي مطلق للأعلم المطلق، حتى يمكن الحديث عن أقربيته للواقع.

أنت تحتاج إذن إلى أن يكون هناك شخص يملك الذوق الفقهي الذي يستطيع من خلاله أن يتفهم الكتاب والسنّة بطريقة مألوفة في فهمه لقواعد اللغة العربية وفي معرفة الأساليب الفنية في التعبير، ويملك معرفة روح الإسلام التي تطلّ به على مضمون الأحكام الشرعية بحيث يستطيع أن يتعرف على مخالفة هذا الحكم الشرعي للمفاهيم القرآنية ومضمون السنّة النبوية الشريفة بحسّه الإسلامي الفكري.

---

(١) نقلاً عن الموقع الرسمي الإلكتروني لسماحة آية الله السيد كمال الحيدري.

لذلك نعتبر أن مسألة الأعلم ليست من المسائل الملزمة للإنسان، ولو أنها كانت ملزمة للناس، لكان على مَن لا يملكون الأعلمية أن يغلقوا أبوابهم أمام حاجات الناس، لأن الناس لا يرجعون إليهم في ذلك، أو لأنهم لا يملكون الحجة في إلزام الناس مع وجود الأعلم، مع أننا نرى أن الناس لا ترجع إليه إلا في الحالات الطارئة وأن القول بأن الناس ترجع إلى غير الأعلم ولا تعرف وجود خلاف بين الأعلم وغيره فهم يرجعون إلى غير الأعلم على أساس أن رأي غير الأعلم ليس خلاف الواقع»[1].

وكثير من المراجع لا يشترط الأعلمية في تقليد المجتهد وعلى سبيل المثال لا الحصر **سماحة آية الله العظمى الشيخ محمّد إبراهيم الجنّاتي**[2] حيث يقول:

«لا تُشترط الأعلمية في تقليد المجتهد، والمقصود بالأعلمية كون المجتهد أكثر مهارة في استنباط الأحكام الشرعية، ولا يمكن تصورها بين مجتهدين مطلقين، لا في مرحلة الظاهر والإثبات، ولا في مرحلة الثبوت والواقع، بل بمعنى آخر:

إنّ الأعلم يرتكب أخطاء أقل في إرجاع الفروع والمسائل الحديثة إلى الأصول، والآخر يرتكب أخطاء أكثر، كما بيّنّاه في حاشيتنا على (العروة الوثقى) والأعلمية بالمعنى الثاني ممكنة التصوير (سهل التوضيح) إلا أنه من الصعب تشخيص أي من المجتهدين أقلّ ارتكاباً للأخطاء في مجال التفريع حتى يكون هو الأعلم»[3].

---

(١) من كتاب فقه الحياة (حوار مع سماحته (قُدّس سرّه) أجراه أحمد أحمد وعادل القاضي) ١٩٩٩م، ط٥، ص٢٥، ٢٦.

(٢) من كبار مراجع إيران، ولد عام ١٣٥١ بمدينة شاهرود في إيران، درس البحث الخارج في الفقه والأصول في قمّ ثم سافر إلى مدينة النجف وأقام بها ٢٥ سنة قضاها بين الدراسة والتدريس والتأليف، ثم عاد إلى قمّ سنة ١٣٩٩هـ واستقر بها. ومن أساتذته: الإمام الخميني والسيد الخوئي والسيد حسين الطباطبائي والسيد محمود الحسيني الشاهرودي.

(٣) من بيان أصدره مكتب آية الله السيد عبد الله الغريفي في البحرين حول البقاء على تقليد المرجع الديني الراحل آية الله السيد محمد حسين فضل الله لمجموعة من العلماء والمراجع الكرام.

٨ ـ الشهادة بالأعلمية:

في الشهادة بالأعلمية يقول سماحة الشيخ ياسر عودي:

«نأسف لكون معظم الشهادات لا يُراعى فيها الإنصاف، ومَن يشهد بالأعلمية لا بد من أن يكون من أهل الخبرة (ومستقل) وعليه أن يختبر جميع المطروحين للتقليد، ونسأل: هل مَن شهد بأعلمية مرجع من المراجع في إيران اطّلع على مراجع النجف، وكذلك العكس، أو اطلع على المرجعية المطروحة في لبنان؟!

الجواب مع الأسف لا، فالشهادة ناقصة، وعليه لا يمكن الاعتماد عليها لا شرعاً ولا أخلاقاً، والغريب أن البعض يطلب شهادات من الآخرين في مرجعية السيد محمد حسين فضل الله في حين أن الآخرين هم مَن يحتاجون إلى شهادته: «غير السيد يحتاج إلى مَن يشهد له أما السيد (قده) فبروزه العلمي والقرآني والفقهي وشتى الميادين... يعطي شهادات للآخرين»[١].

يقول سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه):

«هنالك صعوبة الاكتشاف الدقيق لشخصية الأعلم من خلال العناصر المميزة لذلك، لا سيّما أن كل مجتهد قد يتميز بخصوصية مرجحة لا تتوفر في الآخر لعدم وجود شخصية تملك العناصر المطلقة للأعلمية مما يجعل الدعاة إلى هذا أو ذاك ينطلقون من جانب فقهي هنا أو هناك تبعاً لمزاجهم العملي وترجيحاتهم الذاتية، وقد تخضع المسألة في بعض الحالات لاعتبارات عاطفية أو عناوين ثانوية سياسية أو اجتماعية، مما يجعل قضية تقليد الأعلم قضية لا تملك الكثير من الواقعية العملية[٢].

---

(١) نقلاً عن الموقع الرسمي لسماحة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (بيّنات) تحت عنوان (ملف الرحيل).

(٢) من كتاب فقه الحياة (حوار مع سماحته (قده) أجراه أحمد أحمد وعادل القاضي) ١٩٩٩م، ط٥، ص٢٦.

المرجعية المؤسسة

لقد نادى سماحته (قُدّس سرّه) بتحويل المرجعية الشيعية إلى مؤسسة واسعة مثل الفاتيكان بدل أن تكون مرجعية الشخص، وهذا الطرح طرحه السيد محمد باقر الصدر (قُدّس سرّه) (مشروع المرجعية الرشيدة) وهو مشروع يحاول أن ينظم المرجعية تنظيماً إدارياً ويحقق لها العطاء الرسالي أكثر.

يقول سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه):

«في الوقت الذي كنت ألتقي فيه المرحوم الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قُدّس سرّه) في هذا الموضوع، كنت أفكر في أن المرجعية لا بد من أن تكون شاملة وأن تخرج من مرجعية الشخص الذي يدير أموره أولادهُ وأصحابهُ وأحفادهُ وأصدقاؤه، لتكون مؤسسة يترأسها المرجع، ولكنها تتمثل في نظام كامل يضع الدراسات ويركّز العلاقات، بحيث إذا مات المرجع وجاء غيره يستطيع أن يرى كل تاريخ سلفه في كل علاقاته ونشاطاته ومشاريعه وأفكاره، بدل أن يتحول كل تراثه إلى أولاده كما يحدث الآن، وكنت أعطي مثلاً (الفاتيكان)، وأرى أن المرجع لا بد من أن ينتخب انتخاباً من علماء الشيعة، وأهل الخبرة في العالم تماماً كما ينتخب كرادلة العالم (البابا) وأن تكون المرجعية مؤسسات ذات فروع واختصاصات وأجهزة متنوعة»[1].

ويستند هذا المشروع إلى ثلاثة مرتكزات أساسية وهي:

---

(١) من كتاب حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع، ١٩٩٧م، الطبعة الأولى، ص٥٦٠. إعداد السيد الدكتور نجيب نور الدين.

١ ـ المرجع:

يرى سماحته (قُدّس سرّه) أنه مضافاً إلى شرط الأعلمية لمَن يقول بها والصفات الأخرى للمرجع، لا بد من توفر صفات أخرى لكي يكون المقلّد في الفتوى مرجعاً شيعياً، لأن المرجع أصبح في الواجهة السياسية في العالم بعدما أصبحت مسألة الطوائف أو الأديان تمثل وجهاً من وجوه الحركة العالمية وقد أصبحت الناس ترجع إلى المرجع في القضايا السياسية والاجتماعية وما إلى ذلك من الأمور التي تقتحم على العالم الإسلامي كل مواقفه وقضاياه.

وكذلك فإن الفقيه لا يستطيع في المرحلة الحاضرة أن يعيش خارج نطاق قضايا عصره، باعتبار أن قضايا العصر حتى في الأمور الفقهية تمثّل موضوعات الأحكام التي يحتاج المجتهد أن يستنبطها ويحددها كمنهج إسلامي في الحياة.

٢ ـ المؤسسة المرجعية:

يحدد سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه) منهجية العمل للمؤسسة المرجعية على أساس دائرتين رئيستين:

الأولى: إبعاد المرجعية عن الصفة الشخصية وجعلها مؤسسة متكاملة موحّدة لا تعيش الفواصل في شخصيات المراجع ولا يتحدد امتدادها الزمني بحياة المرجع، بل تضم مختلف الطاقات التي يحتاجها المرجع (رئيس المؤسسة) في إطلالة المرجعية على العالم، فيستفيد من تجارب السابقين ضمن التراث المتوفر لدى المؤسسة وتستمر من بعده من خلال المرجع الذي يأتي بعده.

الثانية: أن تتخلى المرجعية عن حالتها التقليدية في الميل إلى الوسط الحوزوي بعيداً عن الاهتمامات العامة في حياة المسلمين فلا بد للمرجعية أن تطل على قضايا العالم السياسية والثقافية والاجتماعية.

٣ ـ الأمة الإسلامية:

تلعب المرجعية المؤسسة دوراً مهماً في تماسك الأمة الإسلامية ووحدتها من خلال وحدة الموقف ووحدة الرؤية التي تستند إلى استيعاب شامل للحالة الإسلامية في واقعها المعاصر وواقعها المستقبلي ولا يُبنى مع كل ذلك على

نظرة شخصية، بل تنطلق من خلال تلاقح الطاقات داخل المؤسسة المرجعية كما تؤمّن المرجعية المؤسسة التواصل المباشر بين المرجعية الشيعية وقاعدتها والقاعدة الإسلامية عموماً.

ولكن هذا المشروع في امتداده الواقعي، بحاجة إلى رأي عام يؤمن به ويدعمه ويتفاعل معه حتى تستطيع المرجعية أن تطل على العالم وتواكب طموحات كل الجيل الشاب الذي يريد من المرجع أن يعطي رأيه في أية قضية عالمية وأية مشكلة اجتماعية، وأن يحرك الأجهزة من أجل احتواء كل المشكلات العالقة في هذا الوسط بطريقة أو بأخرى حسب الإمكانات الموجودة بين يديه، ولا سيما من خلال توفير الإمكانات التي تساعد حركة المؤسسة المرجعية وتطورها في بيئتها التنظيمية وتهيىء لقيادتها فرصة التأييد الانتخابي وغير ذلك مما لا يتناسب مع أية مرجعية فردية محدودة الإمكانات ولا سيما مع الحرب المجنونة الظالمة التي تستهدف المرجعيات الواعية والطليعية من قِبَل أكثر من فريق من الناس.

يقول سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه):

«هذا المشروع ليس للحاضر، لأن الأمر يقتضي أولاً أن يتبنى الرأي العام الشيعي ولا سيما منه الحوزات هذه الفكرة، وأعتقد أن هناك تطلعات نحو هذا المستوى من التفكير وأن هناك جدلاً ونقداً للواقع ولكن الأمر يحتاج إلى ظروف أوسع وإلى حوار أشمل، كما يحتاج إلى تطورات ومتغيرات لذلك طرحت أن يكون مشروع المستقبل؛ أما الحاضر فيمكن أن يحدث فيه بعض التغييرات الشكلية أو بعض التغييرات في الأساليب والمناهج وما إلى ذلك وهذا ما نسعى إليه»[1].

إن تبني سماحته (قُدّس سرّه) مفهوم المرجعية المؤسساتية وما هو إلا سعي منه لطرح أفكار تقدمية من شأنها رفع أداء المرجعية وتطويرها، خصوصاً مع اتساع الرقعة الجغرافية للمسلمين والعالم كله أصبح قرية واحدة، فبدل أن

(١) من كتاب حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع، ١٩٩٧م، الطبعة الأولى، ص٥٦١، إعداد السيد الدكتور نجيب نور الدين.

تتعدد الفتاوى وتكثر بين علمائها تصبح مركزية الإصدار موحّدة لتوحيد المجتمع الإسلامي.

هذه النظرية من أرقى النظريات الإسلامية المطروحة، وقد طبقها (قُدّس سرّه) ولو جزئياً على مستوى المؤسسات التي لا نظير لها في تاريخ المرجعية، أما تحققها عبر مجلس مرجعي يُصدر فتوى موحدة فهذا يبقى في إطار التمني، بل إنه مستحيل في الوقت الراهن حتى يأتينا جيل جديد من المرجعيات التي تحمل عقل المؤسسة لا عقل الفرد كما كان سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه) متميزاً في عقليته المؤسساتية.

عقبات في طريق المؤسسة المرجعية:

«سئل سماحة السيد (قُدّس سرّه) ما هي العقبات الحالية التي تعترض إنجاز مشروعكم حول (المؤسسة المرجعية) وهل تمت مناقشة هذا الاقتراح في الأوساط الشيعية المختلفة؟

«لا يزال هذا المشروع يبحث عن كثير من مجالات الحوار والنقاش حتى يتحول إلى مشروع واقعي علمي، لذلك لا يزال الفكر تقليدياً في مسألة المرجعية.

ونحن نعرف أنه حتى الناس الذين يختلفون في تعيين هذا المرجع أو ذلك المرجع، يختلفون بطريقة متصلّبة؟ لذلك نحتاج إلى وعي كبير، وأعتقد بأن كتاب «المعالم الجديدة في المرجعية الشيعية» أثار الكثير من الجدل في إيران ولبنان ولكننا نعرف، أيها الأحبة، أن التغيير في الذهنية العامة في منهج عاش مئات السنين لا يمكن أن يختصره كتاب أو موعظة أو حوار، إن المسألة ـ ككل المسائل التي تريد أن تغيّر فيها الواقع، تحتاج إلى جهود كبيرة وإلى زمان طويل»[1].

(١) من كتاب الندوة (سلسلة ندوات الحوار الإسبوعية بدمشق) إعداد عادل القاضي ـ دار الملاك ط٥ ـ لبنان ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، ص٤٩٦.

تقليد المرجع الميت إبتداءً

فتوى اشتراط الحياة في المجتهد:

«إن مسألة اشتراط الحياة في المجتهد (المقلّد) لم يثر البحث فيها إلا في القرن العاشر وذلك عندما صَدَرَ الشهيد الثاني بحثه في هذه المسألة وأشار إلى شرط الحياة في المجتهد»[1] فالأصل هو أن العقل يحكم بوجوب الرجوع إلى الفقهاء والعقل لا يفرّق بين الرجوع إلى الفقيه الحي أو الميت فالعلم لا يموت بموت صاحبه بل يستمر وتتناقله الأجيال وتطوّرهُ وتبني عليه ليتقولب بقالب الحداثة.

يقول سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه):

«أما مسألة الحياة فلأن السيرة العقلانية جارية على الأخذ برأي الميت فنحن نجد أن الناس في كل مكان وزمان يرجع الجاهل منهم إلى رأي العالم سواء كان هذا العالم ممن مضى عليه عشرات السنين أو من الأحياء المعاصرين.

فالبناء على الرجوع إلى الميت الخبير في أي شأن من شؤون العلم هو أمر عقلائي، لأنه لا معنى لأن تكون حياة الإنسان بما هي قوة بالجسد دخيلة في حجيّة رأيه وعدم حجيّته.

حيث يكفي في حجيّة الرأي أن يكون صاحب الرأي واعياً يملك علمه وخبرته وحيثيته الاجتهادية عند إعطاء الرأي، أما ماذا يحدث به بعد ذلك من

---

(١) من ملاحظات سماحة آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي ـ أحد أشهر علماء الإحساء المعاصرين ـ له دور علمي بارز، وهو متنوع المعرفة، فضلاً عن توفره على البُعد التوفيقي بين الموروث المعرفي الذي يبدو من دراساته وأبحاثه فيما يعرف بحوزة النجف الأشرف وبين دراساته الأكاديمية والجامعية.

مرض أو من موت أو ما إلى ذلك، فلا علاقة له سلباً أو إيجاباً بمسألة الرأي ولهذا فإننا نجد أن الناس يرجعون إلى آراء الأموات بقاءً أو ابتداءً في هذا المجال.

ولعل ذلك هو الذي يفسر لنا تأثير الكثير من أصحاب العلوم الطبية وغير الطبية على أجيال متعددة تثق بعلمهم، فيما يأخذون به في الأمور الصحية، أو في الأمور الأخرى المتعلقة بحياتهم، وهذا ما لاحظناه لدى علمائنا السابقين الذين كانوا يأخذون بآراء مَن سبقهم من العلماء الذين يمثلون قيمة علمية كبرى في وعيهم، ولذلك لم يثر هناك جدل كبير في ذلك الوقت في مسألة جواز تقليد الميت أو عدم جواز تقليد الميت، وإذا كان العلماء المتأخرون قد أثاروا مسألة الحياة كشرط في حجيّة الرأي الفقهي، فلأنهم التقوا بالجانب الفلسفي الذي إذا واجهناه، ولا نملك إلا النظر إليه بإشفاق، لافتقار استدلالاتهم للأساليب العلمية في المناقشة، إذ أنهم دأبوا على التساؤل:

هل أن الميت له رأي أو ليس له رأي؟ وهل أن ذهاب الحياة يجعله بعيداً عن مسألة الرأي؟ وما إلى ذلك ممّا لا دخل له بالمسألة من قريب أو بعيد، فأن تبقى روحه ويبقى رأيه مع روحه أو لا يبقى هذه مسألة لا علاقة لها باجتهاداته التي انطلق بها في خلال وعيه العلمي وحضوره الفقهي، لأن الطوارىء التي تطرأ بعد ذلك لا تُخرج الرأي عن كونه رأياً لأن رأي المجتهد إنما هو رأيه عند اجتهاده لا رأيه في حركة وعيه الشعوري والإحساسي والعقلي، وإلا كيف نفسّر حجيّة رأيه عندما ينام؟! وكيف تفسّر حجيّة رأيه عندما يتعرض لبعض الأشياء التي يكون مشغولاً فيها تماماً عن الانتباه بفعل ضغط الأوضاع؟

ونحن نعرف أن كثيراً من العلماء الذين يملكون اجتهادات كثيرة قد لا يتذكرونها فيرجعون إلى ما كتبوه عندما يُسألون عنها لأن العالم لا يستطيع أن يستوعب ذلك كله»[1].

---

(١) من كتاب (فقه الحياة، حوارات مع سماحته (قده) أجراه أحمد أحمد وعادل القاضي) ١٩٩٩م، ص١٩، ٢٠، ٢١، ط٥.

فتوى جواز تقليد المرجع الميت ابتداءً عند سماحته (قُدّس سرّه):

يقول سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه):

«إنني أعتبر أن مسألة شرطية الحياة من الأمور التي لا حساب لها أبداً في مسألة الحجيّة في كل المسيرة العقلائية، والمسيرة الفقهية ليست بدعاً من المسيرة، لأنه لا خصوصية لها إلا من خلال كونها عذراً أو حجة، وقضية العذر والحجة هي من المسائل التي يتحرك بها العقلاء في كل شؤونهم وفي كل حياتهم، ولم أكن بدعاً من الناس في التزام هذا الرأي، فهناك من العلماء الكبار جداً مثل (المحقق القمي) صاحب (القوانين) ممن رأى أن رأي الميت حجة سواء كان في حال الابتداء أو البقاء، وإذا كان بعض الناس يدّعون (الإجماع) فإن الإجماع لا مجال له في هذه المسألة، لأن هذه المسألة التي عقّدها المتأخرون من خلال منهجيتهم الفلسفية التي دخلت في حساب الاجتهاد الفقهي من دون أي أسس ثابتة ومتينة في هذا المجال، ومن هنا جاءت وجهة نظري في جواز تقليد الميت بقاءً وابتداءً»[1].

الأدلة الفقهية حول مسألة جواز تقليد الميت ابتداءً، يُعدِّدُها سماحة الشيخ ياسر عودي:

أولاً: سيرة العقلاء قائمة على الأخذ من الأموات إلى يومنا هذا فهل ماتت نظريات الطب أو الكيمياء أو الفيزياء أو غيرها بموت أصحابها أم أُخذ بها وطوِّرت؟!

ثانياً: سيرة المتشرعة، وهم أهل العلم، لا زالوا يأخذون بآراء الأموات وأدلتهم، يطورون فيها بحسب مقتضيات العرض، بل إن الفقهاء الذين يفتون بالاحتياط الوجوبي خوفاً من مخالفة المشهور هم مقلّدون للمشهور، وليس المشهور إلا أمواتاً، فكيف يحق للفقيه أن يقلد الميت (المشهور) فتوائياً ولا يحق لعامة الناس أن ترجع إلى الميت.

---

(١) من كتاب فقه الحياة (حوار مع سماحته (قده) أجراه أحمد أحمد وعادل القاضي)، ١٩٩٩م، ط ٥ ص ٢١.

ثالثاً: عموم الأدلة التي دلّت على وجوب رجوع الجاهل إلى العالم ليست ناظرة إلى الأحياء أو الأموات، بل تشمل الجميع ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾[1] أو (ارجعوا إلى رواة أحاديثنا)[2].

رابعاً: الاستصحاب دليلٌ أصولي نتمسك به، عند الشك في بقاء حجيّة فتوى الميت أو عدمها، فنستصحب بقاءها على الحجيّة.

خامساً: الأصل عند الشك في جواز تقليد الميت أو عدمه، هو الجواز، واستئنافاً أقول: هل انتفت حجيّة قول الأئمة والنبي ﷺ لأنهم أموات؟!

وهل لا يجوز الرجوع إليهم والأخذ منهم؟! ثم التفريق بين البقاء على تقليد الميت وعدم جواز تقليده، غريب من الفقهاء لأن الإثنين من وادٍ واحد!!

أربعة وثلاثون من العلماء الإخباريين والأصوليين يجوِّزون تقليد الميت ابتداءً:

* هذا البحث لفضيلة العلّامة المحقق الشيخ فاضل البديري[3]:

«إن مسألة اشتراط الحياة للتقليد ابتداءً من المسائل التي استحدث البحث عنها العلماء المتأخرون، ولم نعثر في كتب علمائنا القدماء على شيء يدلّ على أنهم تعرضوا لها، لا في كتبهم الواصلة إلينا، ولا في مجالات بحوثهم، ولا في

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي ج١٨ ص١٠١.

(٣) بكلوريوس في علوم الأحياء ـ تتلمذ في الحوزة الشريفة في النجف الأشرف ـ نبغ في العلوم وبرع فيها كالسطوح العليا ولا سيما الكفاية والمكاسب والفرائد ـ أستاذ حوزوي يقوم بتدريس القطر والألفية والمنطق والحاشية والتجريد والشرائع واللمعة والكفاية والحلقة الثالثة والمكاسب وبداية الحكمة والقواعد الفقهية وعلم الحديث والرجال، وقد أكمل خمس دورات من اللمعة، وتأهل لدخول البحث الخارج، وقد حصل على إجازات بالاجتهاد من:
١ ـ آية الله العظمى الشيخ منتظري (قده).
٢ ـ آية الله العظمى السيد محمد باقر الشيرازي (دام ظله).
٣ ـ آية الله العظمى السيد محمد العلوي الجرجاني (دام ظله).
٤ ـ آية الله العظمى الشيخ محمد إبراهيم الأنصاري.
٥ ـ آية الله العظمى السيد محمد تقي ـ فاز كأفضل أستاذ للسطوح العالية جداً في الحوزة العلمية في العام ٢٠٠٨م.

فتاويهم، ولا حتى في أجوبة مسائلهم، نعم هم بحثوا مسائل التقليد وما يعتبر في المجتهد من الشروط ولكنهم لم يذكروا اعتبار شرط الحياة في المجتهد.

ولم نتحقق من زمن وتأريخ منشأ تحرير هذه المسألة في الفقه لأنها ليس لها مكان عندهم في الفقه ولم يُفردوا لها باباً مستقلاً حتى نعرف تأريخ بحثها أو التعرض لها أو طريقة الاستدلال على فروعها لأنه لم يصلنا كتاب استدلالي منهم نعرف بواسطته طريقة كيفية بحثهم وتنقيبهم إلاّ بعض الكتب الأصولية المختصرة بل يبدؤون دائماً من كتاب الطهارة وينتهون بآخر كتاب الديات إلى زمن المعاصرين تقريباً الذين جعلوها كمبحث مهم في الفقه فأسموه بكتاب الاجتهاد والتقليد فبحثوا فيه كل ما يتعلق بهذه المسألة وتوسّعوا فيها، وهذا واضح لكثرة الابتلاء فيها وكيف كان: فهناك من علمائنا مَن يقول بجواز التقليد للمجتهد الميت وقد ذكرت أسماءهم وأقوالهم كاملة في كتابنا (كشف الأسرار في تقليد المجتهد الميت في الابتداء والاستمرار) لأنني أذهب إلى الجواز بشرط أن لا يمنع منه جميع العلماء وقد بلغ عدد ما ذكرت (٣٤ عالماً) وهم:

أولاً ـ العلماء الإخباريون:

١ ـ الشيخ الكليني محمد بن يعقوب (قُدِّس سرّه) والمتوفى سنة (٣٢٩هـ) في مقدمة ديباجة كتابه (الكافي).

٢ ـ الشيخ الصدوق محمد بن علي القمي (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (٣٨١هـ) أيضاً في مقدمة ديباجة كتابه (مَن لا يحضره الفقيه) فإنه يصرّح دائماً بجواز العمل بكتابه في حياته وبعد مماته لتعهده بمقدمة كتابه بأنه لا يذكر فيه إلا الروايات التي يفتي على طبقها وهو حجة بينه وبين ربه، وهذا صريح منه بجواز تقليد المجتهد الميت إبتداءً.

٣ ـ والده: الشيخ علي بن الحسين (قده) المتوفى سنة (٣٢٩هـ) عندما ألّف كتابه في الأحكام الشرعية، دفعه إلى ولده ليعمل به وهو صريح منه أيضاً بجواز تقليد المجتهد الميت ابتداءً، وإلاّ لماذا دفعه إليه ليعمل به؟

٤ ـ الشيخ محمد أمين الأسترابادي (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (١٠٣٦هـ) في كتابه (الفوائد المدنية) فقال بالجواز وأصرّ عليه غاية الإصرار.

٥ ـ الشيخ محمد محسن المعروف بالفيض الكاشاني (قُدِّس سرّه) والمتوفى سنة (١٠٩١هـ) في مقدمة كتابه (الوافي) فإنه قال: إنه لا إشكال في جواز تقليد المجتهد حياً وميتاً.

٦ ـ السيد نعمة الله الجزائري (قده) المتوفى سنة (١١١٢هـ) في كتابه (منبع الحياة) فإنه بنى على أن تقليد المجتهد حياً وميتاً من المسلّمات عندنا.

٧ ـ الشيخ يوسف البحراني (قُدِّس سرّه) صاحب (الحدائق) والمتوفى سنة (١١٨٧هـ) حيث ذكر ذلك في رسالة خاصة بهذه المسألة اطلعت عليها شخصياً عند أحد الفضلاء منذ زمن وهي مخطوطة ثم بحثت عنها فلم أجدها وقد أشار إليها في كتابه (الدرر النجفية رقم ١٢) حيث قال ما لفظه:

«المرجع في استعلام مَن له أهلية الحكم والتقوى ـ وهو مَن اتصف بالعلوم والملكة مع تسربله بسربال الورع والتقوى ـ إما إلى المعاشرة التامة من مثله في العلم والعمل، أو شهادة عدلين بذلك أو عرض فتاويه مع فتاوى مَن تكون له القوة القدسية والملكة العلمية أو عمل أهل العلم بأقواله وفتواه، ولا فرق في العمل بقوله بين كونه حياً أو ميتاً».

ثانياً ـ الفقهاء المجتهدون الأصوليون وهم ثلة من أكابرهم:

١ ـ الشيخ العلّامة الحلي الحسن بن يوسف والمتوفى سنة (٧٢٦هـ ـ ١٣٢٦م) فإنه قد ذكر الشيخ المحقق الثاني علي بن الحسين الكركي (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (٩٤٠هـ) في تعليقاته على كتاب (الأمر بالمعروف من شرائع الإسلام) عن الشيخ فخر المحققين أنه حكى عن والده العلّامة جواز تقليد المجتهد الميت ابتداءً فيما إذا خلا العصر من المجتهد أو تعسّر حصوله، وهذا يعني الجواز.

٢ ـ الشيخ الشهيد الأول (محمد بن مكي العاملي «قُدِّس سرّه») والمستشهد سنة (٧٣٦هـ ـ ٣٨٤م) حيث قال في كتابه (الذكرى) ما لفظه:

«إن المستفتي إن وجد المجتهد لم يجز له الاستفتاء من الحاكي عنه سواءٌ أكان من حي أم من ميت، لأنه مكلف بأخذ أقوى الظنين فيتعين عليه كالمجتهد

فإنه يجب عليه العمل بأقوى الدليلين، فإن لم يجد مَن يحكي عنه وجب أن يأخذ من المجتهدين الماضين».

٣ ـ الشيخ زين الدين علي بن هلال الجزائري (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (٩١٠هـ ـ ١٥٠٤م) فقد ذكر مثل ما ذكره الشهيد الأول.

٤ ـ الشيخ المحقق الفاضل التوني (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (١٠٧١هـ ـ ١٦٦٠م) فقد ذكر في كتابه (الوافية) بعد أن رد أدلة القائلين بالمنع من التقليد الابتدائي وأبطلها، ما لفظه:

«الذي يختلج في الخاطر في هذه المسألة وإن مَن علمَ أن المجتهد لا يفتي في المسائل إلا بمنطوقات الأدلة ومدلولاتها الصريحة ـ كإبني بابويه وغيرهما ـ يجوز تقليده حياً أو ميتاً، ولا تتفاوت حياته وموته في فتواه، وأما مَن لا يعلم من حاله ذلك كمَن يعمل باللوازم غير البيِّنة والأفراد الخفية فَيشْكُلُ تقليده حياً وميتاً، فإن مَن تتبع وظهر له كثرة اختلاف الفقهاء في هذه الأحكام يعلم أن قليل الغلط قليل مع أن شرط التقليد ندرة.

قال بعض المعلقين عليه: وهذا يدل على أنه (قُدِّس سرّه) إنما يمنع من تقليد المجتهد مطلقاً حياً أم ميتاً أو يُجوِّز مطلقاً كذلك، والأول ممنوع على مذهبه فيتعين الثاني وهو الجواز حياً أو ميتاً، وهو تعليق متين رائع.

٥ ـ السيد المحقق محسن الأعرجي (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (١٢٢٧هـ ـ ١٨١٢م) في كتابه (الوافي في شرح الوافية)، فقد قال ما لفظه:

«إن الإنسان إذا علم أن جواز استفتاء المقلد عن المجتهد إنما هو لأنه مخبر عن أحكام الله تعالى، فحينئذٍ يحصل له القطع بأن حياة المجتهد وموته لا يحتمل أن يكون مؤثراً في ذلك، ومن أن المجتهد إذا غاب جاز العمل بقوله فكذا إذا مات».

٦ ـ الشيخ المحقق أبو القاسم القمي محمد حسن (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (١٢٣١هـ ـ ١٨١٦م) في كتابه (القوانين) حيث قال ما لفظه:

«وفي جواز العمل بالرواية عن المجتهد الميت خلاف، والمشهور عند أصحابنا العدم ـ عدم جواز تقليده المجتهد الميت ـ وعندهم ـ يعني علماء الجمهور ـ الجواز، ولذلك صار بناؤهم على تقليد الأئمة الأربعة يعني رؤساء

المذاهب الأربعة، بل على الاجتهاد في أقوالهم والعمل به، والقائل بالجواز من الأصحاب المتأخرين قليل بل لم نعرف بالخصوص قائلاً به» ثم قال: «والاحتجاجات المذكورة لنفي الحجيّة ـ حجية قول المجتهد الميت ـ كلها ضعيفة» ثم قال: «أقول الحق هو جواز التقليد للمجتهد الميت ابتداءً».

ثم أخذ في نقل كلمات علمائنا الأعلام (قُدِّس سرّه) وفي تشييد بناء جواز تقليد الميت ابتداءً وتأسيس أركانه.

٧ ـ العلّامة السيد محمد المجاهد الطباطبائي (قُدِّس سرّه) صاحب كتاب (المناهل) المتوفى سنة (١٢٤٢هـ ـ ١٨٢٦م) نجل السيد علي صاحب (الرياض) المتوفى سنة (١٢٣١هـ) حيث قال في كتابه (إصلاح العمل) عند تعرضه للمسألة ما لفظه:

«والأقوى هو الجواز ـ جواز تقليد المجتهد الميت ابتداءً ـ لو كان الميت أعلم».

٨ ـ العلّامة السيد إبراهيم بن محمد باقر القزويني الحائري (قُدِّس سرّه) صاحب كتاب (ضوابط الأصول) المتوفى سنة (١٢٦٤هـ ـ ١٨٤٧م) حيث قال في الضابطة التي عقدها في مسألة جواز تقليد المجتهد الميت وعدمه ما لفظه:

«والحق جواز تقليد المجتهد الميت بدواً[1] في كل الأقسام الثلاثة، ويعني بالأقسام الثلاثة ما إذا كان مقلداً له في حياته ثم مات ولم يقلده في حياته ثم مات، وما كان لم يكن موجوداً في حياته؛ لأن تقليد الميت ابتداءً قسمان:

قسم كان المكلف حين وجود ذلك المجتهد موجوداً وكان تقليده له جائزاً لكن اتفق أنه لم يقلده، وقسم لم يكن المكلف موجوداً حين حياة المجتهد كذلك، فنقول في القسم الأول بجواز تقليد الميت لاستصحاب جواز تقليد هذا المكلف لذلك الميت، الذي كان حياً، واستصحاب صحة التقليد المتقدمة الموجودة حال الحياة للمجتهد، ويتم الأمر في القسم الثاني بالإجماع المركب، ولا يمكن القلب لأن ضميمة إجماعنا وهي الاستصحاب أقوى من

(١) بدواً: يُقصد بها بدءاً.

ضميمة المقابل وهي أصل الاشتغال، والمانعون لم يفرقوا بين القسمين والمجوزون كذلك... إلى آخر ما أفاده في تقوية القول بالجواز».

٩ ـ العلّامة المرجع الشيخ محمد بن علي الرازي الخليلي (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (١٢٨٠هـ ـ ١٨٦٣م) حيث نقل عنه السيد العلّامة محمد مهدي الأصفهاني أنه قال في رسالته الخاصة بالاجتهاد:

«لا مانع أبداً من تقليد المجتهد الميت ابتداءً».

١٠ ـ الشيخ الفاضل الدربندي الآغا الحائري المشهور (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (١٢٨٥هـ ـ ١٨٦٨م) كما حكاه عنه في هامش القوانين صاحب (حديقة الأصول) وذكر ذلك السيد محمد مهدي الأصفهاني في رسالته.

١١ ـ العلّامة المرجع زين العابدين المازندراني الحائري (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (١٣٠٩هـ ـ ١٨٩١م) في كتابه (زينة العباد) حيث قال ما لفظه:

«وإذا لم يقلّد ذلك المجتهد أصلاً أو قلده في مسألة خاصة وبعد موت ذلك المجتهد يريد أن يقلد الميت لا يخلو من القوة خصوصاً في الوقت الذي أدرك زمانه وخصوصاً في الصورة التي كان فيها ذلك المجتهد الميت أعلم من الحي وخصوصاً في الصورة التي ظن المقلد بصحة قول ذلك المجتهد أقوى من الحي» ثم قال: ولكن من جهة الشهرة ونقل الإجماعات الكثيرة على عدم جواز تقليد الميت ابتداءً، الأحوط الترك».

١٢ ـ العلّامة السيد محمد باقر الموسوي الخونساري النجفي (قُدِّس سرّه) صاحب كتاب (روضات الجنان) المتوفى سنة (١٣١٣هـ ـ ١٨٩٤م) فقد ذكر ذلك في كتابه (شرح الألفية) وكما نقله عنه الأصفهاني في رسالته.

١٣ ـ المرجع الشيخ حسين بن خليل الخليلي الرازي (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٩م) حيث قال في أجوبة مسائله التي نقلها عنه السيد الأصفهاني في رسالته ما لفظه:

«لا فرق في أخذ الفتوى من الحي أم من الميت على سواء، ما أحلّ الله وتحليل ما حرّم الله، وهل هذا إلا مضحكة للنسوان وملعبة للصبيان».

١٤ ـ العلّامة المرجع الشيخ فتح الله الأصفهاني (قُدِّس سرّه) المعروف

بشيخ الشريعة المتوفى سنة (١٣٣٩هـ ـ ١٩٢١م) فقد نقل السيد الأصفهاني عن رسالة لبعض معاصريه أن الشيخ (قُدِّس سرّه) كان يصرح بجواز التقليد الابتدائي في مجالس بحثه ودروسه.

١٥ ـ العلّامة المرجع الشيخ حبيب الله بن علي الكاشاني (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (١٣٤٠هـ ـ ١٩٢٢م) ذكر الجواز في منظومته في الفقه.

١٦ ـ العلّامة المرجع السيد عبد العلي الخونساري النجفي (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٩م) فقد ذكر تلميذه السيد الأصفهاني في رسالته:

إنه (طاب ثراه) كان يصرّح بجواز تقليد المجتهد الميت ابتداءً في مباحثه ودروسه، وكان ينص على ذلك في رسائله وأجوبة مسائله ومصرًّا عليه غاية الإصرار ويصرح به على رؤوس الأشهاد.

١٧ ـ العلّامة الشيخ محمد حسين القشاركي الأصفهاني (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٦م) حيث ذُكر في رسالته المختصة بهذه المسألة على ما نُقل عنه قوله:

«الأقوى جواز تقليد المجتهد الميت ابتداءً إذا كان أعلم».

١٨ ـ السيد آية الله المرجع رضا الصدر ابن المرجع الكبير صدر الدين الصدر (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م) في كتابه الاجتهاد والتقليد (من ص١٢٠ إلى ص١٤٥) حيث أسس الأصول الأولى في الحكم بالمسألة وهو جواز تقليد المجتهد الميت ابتداءً، وأثبته بالأدلة ثم تعرّض لذكر أدلة بعض العلماء التي تهدم هذا الأصل فأثبت بالأدلة الدامغة أنه لا دليل صالح إطلاقاً لمعارضة هذا الأصل وتقدُّمه عليه فبقيت أصالة الجواز على حالها وهو المطلوب، بل ذهب (قده) إلى أكثر من ذلك: بأن القدماء يقولون بالتقليد الابتدائي وأن المنع منه إنما حصل عند بعض المتأخرين ومشهور المعاصرين.

١٩ ـ العلّامة السيد محمد مهدي الأصفهاني الكاظمي (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م) حيث قال في رسالته الموجودة عندنا التي أعدها لذلك قاطعاً بالجواز:

«يجوز تقليد المجتهد الميت ابتداءً مطلقاً، ولا مانع منه أبداً».

٢٠ ـ العلّامة آية الله السيد محمد رضا الخلخالي (قُدِّس سرّه) الشهيد سنة (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م) فإنه بعد أن رفض أدلة حرمة التقليد الابتدائي التي استدل بها السيد الخوئي في كتابه (دروس في فقه الشيعة) أثبت عدم المانع من تقليد المجتهد الميت ابتداءً أبداً، وقال:

«إنه لم يصلح أي دليل يمكننا بواسطته القول بحرمة التقليد الابتدائي».

٢١ ـ السيد المرجع عبد الأعلى الموسوي السبزواري (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م) في كتابه (مهذب الأحكام) فإنه قد مال جداً إلى القول بالجواز ولكنه تردد في المسألة في مقام العمل والفتوى، ولم يُفتِ به صراحة، نظراً إلى دعوى الإجماع التي لم يقنع بها مع أنه شديد الاهتمام بالإجماع، وحيث قال ما لفظه:

«وخلاصة الكلام من المبدأ إلى الختام: أن المقتضى لتقليد الميت ابتداءً والبقاء عليه مطلقاً موجود والمانع منحصر بدعوى الإجماع على المنع في التقليد الابتدائي دون البقاء مع أن اعتباره في موردهم مشكل فكيف بغيره».

٢٢ ـ السيد المرجع محمد الحسيني الشيرازي (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م) فإنه أيضاً قد مال إليه بصورة واضحة ولكنه لم يفتِ به وقد قال في كتابه (الفقه) ما لفظه:

«وحيث أن ما ذكرنا من بناء العقلاء ـ جواز رجوع الجاهل إلى العالم وإن كان ميتاً ـ كان في هذه المسألة خصوصاً إذا كان الميت أعلم» ثم قال: «ولو كان هناك انصراف من إطلاق الأدلة إلى الحي فهو بدوي كما لا يخفى وكل ذلك حسب الأدلة العملية أما الأدلة في مقام العمل فالاحتياط طريق النجاة فيه».

٢٣ ـ آية الله العلّامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين (قُدِّس سرّه) المتوفى سنة (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م) في كتابه (الاجتهاد والتقليد المقارن) حيث قال ما لفظه:

«إنه لا حاجة إلى إثبات جواز تقليد الميت ابتداءً ـ فضلاً عن البقاء عليه ـ إلى الاستصحاب، وأنه لا مورد للأصل العملي في المسألة وذلك من جهة دلالة الأدلة الاجتهادية على مشروعية تقليد الميت ابتداءً واستمراراً وهي الكتاب والسنة والسيرة العقلائية الممضاة من الشارع».

٢٤ ـ السيد المرجع تقي الطباطبائي القمي (دام ظله) في تعليقاته على العروة الوثقى للسيد اليزدي (قده) وفي كتابه (مباني منهاج الصالحين) للسيد الخوئي (قده) فإنه قد تردد في المسألة ومال إليه ولكنه لم يفتِ به، حيث قال في المباني، بعد حكم المصنف بعدم الجواز... ما لفظه:

«لو لم يدل دليل على الجواز يكون مقتضى الأصل الأولى عدم الجواز إذ مرجعه الشك في جعل الحجيّة ومقتضى الأصل عدم الجعل، فلا بد من النظر في أدلة التقليد كي نرى هل تشمل الميت أو لا».

ثم ساق الأدلة وناقشها ولم يرَ دليلاً صالحاً لعدم الجواز بل الدليل صالح لشمولها للحي والميت.

وقد قال في كتابه (الغاية القصوى) ما لفظه:

«إذا عرفت ما تقدم نقول إن المستفاد مما تقدم أن المقتضى لاعتبار قول الميت موجود والذي ذكر في مقام الردع أمور وتعرضنا لكل واحد منها وأجبنا عنه وهي أدلة المانعين من إجماع وأصل وشهرة، وأجبنا عنها بأنها غير صالحة لأن تكون دليلاً على الردع».

٢٥ ـ شيخنا المعاصر المرجع الشيخ محمد إسحاق الفياض (دام ظله) فقد مال إليه في بحثه في الفقه ومنع دليل الإجماع القائم على عدم الجواز الذي هو عمدة أدلة المانعين، إلا أنه لم يفتِ به مطلقاً ولكنه أفتى به على نحو الموجبة الجزئية وخصوصاً إذا كان الميت أعلم وخصه بالمرجع السيد الخوئي (قده) المتوفى سنة ١٤١٣هـ وهذا تصريح منه (دام ظله) بالجواز.

٢٦ ـ السيد المرجع صادق الحسيني الشيرازي ي(دام ظله) في كتابه (بيان الفقه) ولكنه قيّده بالضرورة وحيث قال بعد بحث المسألة ما لفظه:

«وقد اتضح من مجموعها ـ مجموع الأدلة على الجواز ـ إن مقتضى الصناعة جواز الرجوع إلى المجتهد الميت حتى ابتداءً، ولكن الإجماع المدعى والشهرة العظيمة القطعية على عدم جوازه وتوفر الفقهاء الأحياء في مثل هذه الأزمنة في كل مكان يلزم معها الركون إلى الاحتياط وعدم الإقدام على تقليد الميت ابتداءً إلا إذا أدت الضرورة إلى ذلك».

٢٧ ـ آية الله الشيخ محمد المؤمن القمي (حفظه الله) حيث قال في كتابه (تسديد الأصول) ما لفظه:

«أن العمدة من أدلته إنما هي مسألة رجوع الجاهل إلى العالم التي هي قاعدة أصيلة عقلائية، وإذا راجعنا العقلاء في حدود رجوعهم إلى العلماء في غير باب الأحكام الشرعية نراهم لا يفرقون بين الحي والميت قطعاً، فهل ترى أنهم إذا أرادوا الوقوف على خواص بعض النباتات مثلاً، قد ذكرها الشيخ الرئيس أو بعض آخر من علماء هذا الباب في كتبهم، فهل ترى فرقاً في حجيّة ما ذكره في كتابه بين زمان حياته وما بعد وفاته أم لا نشك في أنه إذا أريد الأخذ بنظره ورأيه فآراؤه المسطورة في كتابة حجة وطريق معتبر يؤخذ بها في كلتا الحالتين؟ وهذا واضح جداً لا ينبغي الريب فيه أصلاً وحينئذ فمقتضى السيرة العقلائية حجيّة قول الميت من أهل الخبرة كما إذا كان حياً، وقد عرفت أن مبنى جواز التقليد هو هذه السيرة وأن الأدلة اللفظية أيضاً منزلة عليه، وحينئذ فمقتضى الدليل الاجتهادي من السيرة والإطلاقات جواز تقليد الميت أيضاً كما في الحي، فالمتحصل بمقتضى الأصول العملية والأدلة الاجتهادية جواز تقليد الميت كالحي».

فهؤلاء الأعلام وغيرهم (أعلى الله مقامهم) والذي بلغ مجموع مَن وصلنا من رأيهم (٣٤ عالِماً) ممن ذهبوا إلى جواز تقليد الميت ابتداءً.

الأسباب التي دعت المجتهدين لتحريم التقليد الابتدائي للمجتهد الميت:

إن السبب الاجتماعي والسياسي المهم جداً للقائلين بحرمة التقليد الابتدائي، بغض النظر عن السبب (الشرعي)، يكمن في أن المصلحة الرئيسية للمذهب الشيعي الإمامي هو بالالتفاف حول زعمائهم وقادتهم المتمثلين بالمراجع والفقهاء، ليقفوا في وجه الطوارىء وهذا يتم بشكل رئيسي بتقليد الحي لما هو المعروف من التلازم بين التقليد وبين الانقياد له في أذهان كثير من الناس فلو أجازوا التقليد الابتدائي، صعّب على الفقهاء تجميع الناس فيما لو عرض عارض على المذهب، فتتهرب الناس بدعوى أنهم يقلدون شخصاً ليس من الموجودين الآن، فلإغلاق هذا العذر تماماً أمامهم دأبوا إلى تحريم التقليد الابتدائي.

ولكننا نقول: إن هذا أمر استحساني وليس حجة شرعية، ولكنه رائع جداً، ومع ذلك فإنه قد يكون الأمر بالعكس تماماً، فتكون المصلحة العظمى للمذهب في التقليد الابتدائي، وذلك لو ظهر مرجع حركي يدعو إلى التغيير في الواقع الراهن سواء أكان تغييراً سياسياً أم ثقافياً أم اجتماعياً وتعلقت به أفئدة الناس وأصبح له سطوة على النفوس وبث في نفوسهم روح التحرر وحب الجهاد ومعنى التكامل الأخلاقي والرغبة في الوصول إلى المراتب العالية من الأمر بالمعروف حتى أصبحوا يتفاخرون بالانتماء إليه وبتقليده، ويعتبرونه سبباً لهدايتهم بل سبب لهداية المجتمع أو الوقوف بوجه التحديات المعادية وكان ما يصنعونه بسبب انتمائهم إليه في منتهى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإننا نرى أن هذا التقليد جائز له ابتداءً بل ربما نوجب ذلك، إذا اعتبرناه كمضاد حيوي من الانحراف وكتحصين للفرد من الكسل والميوعة، وكان قد فرضه الواقع كحالة جهادية وذلك لأن الانتماء الإيماني بحد ذاته يعتبر واعزاً ورادعاً عن العمل بالمنكرات كالأسم للرجل أو المرأة المؤثر في سلوكهما كما هو واضح وكذلك البيئة وكذلك الزي الذي يلبسه الفرد وعليه فإننا نعتبر أن هذا التقليد كحافز ومشجّع لبقاء المجتمع في سلم الكمال ومحضّن له من الأمراض الأخلاقية وهو أقصى غاية للفقيه ولا سيما إذا كان المجتمع لا يستجيب إلاّ لهذا الأمر الذي خلقه ذلك المجتهد ولا يتفاعل إلا معه، فإننا ينبغي لنا أن ننظر إلى ذلك نظرة المتأمل ونبقى على تقليده ابتداءً واستمراراً ولو لفترة معينة حتى يأتي الوقت الملائم ونطمئن على المجتمع من الانحراف.

نحن اليوم بأمس الحاجة إلى الفكر الشيعي الحقيقي الإصلاحي التنويري الحركي الجهادي الرسالي»[1].

سئل سماحة آية الله السيد كمال الحيدري عن رأيه بجواز تقليد الميت، ابتداءً؟ فقال:

«يجوز تقليد الميت فيما لو كان الأعلم بحسب الشروط المذكورة عندنا»[2].

---

(١) من كتاب (كشف الأسرار في تقليد المجتهد في الابتداء والاستمرار) لسماحة العلاّمة المحقق الشيخ فاضل البديري.

(٢) نقلاً عن الموقع الإلكتروني الرسمي لسماحة آية الله السيد كمال الحيدري.

الخلاصة

ونستخلص مما تقدم مسألتين وهما:

الأولى: الإجماع: وإن دعوى الإجماع في غير محلها كما بيّناه وعلى فرض تحققه فهو إجماع محتمل المدرك وهو إجماع منقول ولم تثبت حجيّته.

الثانية: الشهرة: وأما دعوى الشهرة فمدفوعة للأسباب التالية:

١ ـ عدم عنونة المسألة في كتب القدماء.

٢ ـ وجود الخلاف بين المتأخرين.

٣ ـ إن هذه شهرة فتوائية لا قيمة لها.

وأخيراً: عند وفاة المجتهد يرجع المكلف إلى مرجعٍ آخر ليجوّز له البقاء على تقليد المرجع الميت إذا أراد المكلف ذلك.

وعندنا من المراجع المعاصرين ممن يجوّز تقليد المرجع الميت ابتداءً فيستطيع أي مكلف لم يقلد سابقاً ويريد التقليد ابتداءً لمرجع ميت فعليه أن يقلد المرجع الذي يجوّز تقليد المرجع الميت ابتداءً ومنه يستطيع تقليد أي من المراجع الأموات القدماء كالشيخ الصدوق والسيد الخوئي أو السيد محمد باقر الصدر أو سماحة السيد محمد حسين فضل الله وغيرهم ممّن يرى أعلميتهم.

وهنالك مراجع لها وزنها واسمها في حوزتَيْ قمّ والنجف مَن يجوّز ذلك ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

آية الله العظمى الشيخ محمد إبراهيم الجنّاتي فيقول في فتواه:

«يجوز البقاء على تقليد الميت، كما يجوز تقليده ابتداءً»[1].

---

(١) من بيان أصدره مكتب آية الله السيد عبد الله الغريفي في البحرين حول البقاء على تقليد المرجع الديني الراحل آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله لمجموعة من العلماء والمراجع الكرام.

وعلى ما تقدّم يجوز تقليد سماحة العلّامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله ابتداءً وذلك بالرجوع إلى المرجع الذي يقول بجواز تقليد الميت ابتداءً وهو موجود، أو يقتنع بما تقدم من أدلة وبراهين أثبتت جواز تقليد الميت ابتداءً.

وقد يسأل سائل: ماذا عن المسائل المستحدثة؟

فالجواب أن سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) قد أجاب عن كل ما يستجد من أمور شرعية مستقبلية.

وإذا ما واجه المكلّف مسألة لم يجدها في المرجع الميت، يرجع بها إلى المرجع الحيّ الذي من خلاله قلّد المرجع الميت ابتداءً والجامع لشرائط التقليد[1].

(١) وفقاً لرأي سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (قده).

الفصل السابع

السيدة الزهراء عليها السلام

١ ـ ماذا قال سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) في السيدة الزهراء عليها السلام

٢ ـ هل السيدة الزهراء عليها السلام مظلومة؟ نعم وقد ظلمت بثلاثة أمور:

أولاً: غصب خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام

ثانياً: منعها فدك ثالثاً: الهجوم على الدار

٣ ـ هل ما قاله سماحة السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) وتساءل عنه كان متفرداً به؟

القسم الأول:

نقل ما تساءل عنه سماحة السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) وماذا قال؟

القسم الثاني:

استعراض ما قاله بعض علمائنا السابقين في كسر الضلع وحرق الدار وإسقاط الجنين.

١ ـ الإمام الأكبر آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (قُدِّس سرّه)

٢ ـ الشيخ المفيد «قُدِّس سرّه»(أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي)

٣ ـ الخلاصة

٤ ـ صنفان من العلماء (مقالة للشيخ محمد جواد مغنية)

٥ ـ المرجع فضل الله (قُدِّس سرّه) يخاطب جدّته الزهراء عليها السلام

الفصل السابع

ظلامات الزهراء عليها السلام

في هذا الموضوع سأثير ثلاث نقاط وهي:

١ ـ ماذا قال سماحة السيد فضل الله (قده) في السيدة الزهراء عليها السلام.

٢ ـ هل السيدة الزهراء (عليها السلام) مظلومة؟

٣ ـ هل ما قاله سماحة السيد (قده) وتساءل عنه كان متفرداً به؟

١ ـ ماذا قال سماحته (قُدِّس سرّه) في السيدة الزهراء عليها السلام:

«إن فاطمة الزهراء عليها السلام هي مظهرٌ حيٌّ لفضائل أهل البيت عليهم السلام في كل كلماتها وأعمالها، في زهدها وعبادتها، في أخلاقها ومشاعرها، في إيمانها وتقواها.

فاطمة عليها السلام هي الاسم الذي عندما نذكره أو نتذكره فإنه لا يوحي لنا إلا بالطهارة كأصفى ما تكون الطهارة، وبالنقاء كأعذب ما يكون النقاء، وبالإنسانية التي تعطي الإنسان قيمته، وبالعصمة التي تتمثلها فكراً في فكرها وخلقاً في أخلاقها وسلوكاً في كل حياتها وشجاعة في الموقف مع الحق، شجاعة رسالية لا شجاعة انفعالية، كانت وقفاتها وقفات من أجل الحق، وكان حزنها حزن القضية، وفرحها فرح الرسالة، ومثّلت عمق الإسلام في عمق شخصيتها، واختزنت في داخلها كل الفضائل الإنسانية الإسلامية، باعتبار أن كونها سيدة نساء العالمين يفرض أن تكون في المستوى الأعلى من حيث القيمة الروحية والأخلاقية[1].

(١) نقلاً عن كتاب (الزهراء القدوة) إعداد الشيخ حسين الخشن (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م) ط١، ص٣٨، ٣٩.

ليس خفياً أن فاطمة عليها السلام كانت الشخصية النسائية المقدسة لدى المسلمين جميعاً، فإننا لو قرأنا ما كتبه علماء المسلمين من السنّة والشيعة وما ألّفوه من كتب ورسائل مستقلة وغير مستقلة بشأنها، لوجدنا أنهم يتحدثون عنها بكل تعظيم ومحبة واحترام وإجلال، وما ذلك إلا لما تزخر به شخصيتها من قيم أخلاقية راقية، ولما تحمله من طهارة روحية ومنزلة علمية، ما يجعلها مثلاً أعلى يحتذي به المسلمون، ولما عرفوه من القرآن الكريم وأقوال النبي الأمين التي بيّنت مقامها ومنزلتها وأكدت لزوم احترامها وتقديرها وتعظيمها والابتعاد عن كل ما يوجب إيذاءها وسخطها.

ولهذا وجدنا المسلمين على اختلاف مذاهبهم وتعدد مللهم يلتقون على تقديسها، لا لأنها ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله بل لأنها حملت شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وتخلّقت بأخلاقه[1].

عندما نقدّس الصدّيقة الزهراء عليها السلام فإننا لا نقدّس انتسابها للرسول صلى الله عليه وآله فحسب وإنما نقدّس فيها صفاتها المثلى وخصالها الحميدة التي تجعلها قدوة نقتدي بها ونبراساً نستضيء بنوره، ومثلاً أعلى نسير على هديه ونستلهم منه الدروس والعبر، فقد انطلقت الزهراء البتول بعلمها وعبادتها وإخلاصها لله ورعايتها لرسول الله ولأمير المؤمنين حتى ارتفعت إلى مقام العصمة وسمت إلى مرتبة القداسة، لا تدنسها الآثام، ولا تقترب منها الذنوب، وتركت لنا المثل الأعلى عن المرأة التي عاشت حياتها من أجل الله وأغمضت عينيها مفارقةً الحياة وهي تلهج بذكر الله.

إننا نعتقد أن الزهراء عليها السلام معصومة عن الخطأ والزلل والسهو والنسيان فلم ترتكب في حياتها معصية مهما كانت صغيرة[2].

إن الزهراء عليها السلام الإنسانة كانت تحيط بها ألطاف الله، ونستطيع أن نقول إن هناك عالماً من الغيب في شخصيتها، وإنها نورٌ من الأنوار، وفي حياتها الكثير من الكرامات التي أعطاها الله إياها[3].

---

(١) من كتاب (الزهراء القدوة) إعداد سماحة الشيخ حسين الخشن (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ط١، ص١٥٩.
(٢) المصدر نفسه، ص١٦٢.
(٣) المصدر نفسه، ص١٧١.

ورغم ما تقدّم من براهين على عصمة الزهراء عليها السلام وقدسيتها وكرامتها وفضائلها فإن ذلك لا يُخرجها عن كونها امرأة من جنس البشر تملك من الأحاسيس والعواطف والغرائز ما تملكه سائر النساء، وإنما عظمتها أنها حرّكت أحاسيسها في رضا الله، ولم تسمح لغرائزها أن تخرج عن حدود الله (سبحانه)، بحيث إن قلبها وعقلها وجسدها لم ينحرفوا عن خط الاستقامة طرفة عين أبداً.

وعندما تحدثنا في «تأملات إسلامية حول المرأة»[1] عن أن الزهراء عليها السلام كما مريم عليها السلام وآسية بنت مزاحم... امرأة عادية، فلم يكن في ذلك الكلام إشعار بنفي كرامات الزهراء وعصمتها، كيف وقد أشرنا في تلك الصفحة نفسها إلى أن الله (سبحانه) منح بعض تلك النسوة العظيمات من ألطافه ما يسددهن ويثبتهن روحياً وعملياً، وإنما كان ذلك الكلام يرمي ـ كما يشهد به صدره وذيله ـ أنها عليها السلام لم تكن إلا بشراً وتحمل خصائص سائر النساء، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله بشراً ويحمل خصائص الرجال ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[2] وإلا لو لم يكن رسول الله بشراً وكذلك الأنبياء والأئمة والزهراء عليها السلام لما كان لهم فضل على سائر الناس ولما كان هناك معنى للاقتداء بهم ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾[3].

فعظمة هؤلاء وقيمتهم أنهم بشر وليسوا ملائكة، لكنهم بإرادتهم وقداستهم أرفع شأناً عند الله من الملائكة ولهذا علينا عندما نقدّم الزهراء عليها السلام أو نقدم آل البيت عليهم السلام، أن لا نقدمهم بطريقة توحي بأنهم ملائكة أو أنهم غيب من الغيب، لأننا وإن كنا نعتقد أن الغيب يمثل الأساس في عقيدتنا، ولكن إرادة الله قضت أن يكون المثل الأعلى للناس والهادي لهم من الضلالة من جنسهم[4] ﴿...قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٣﴾[5] ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[6]».

---

(١) تأملات إسلامية حول المرأة، دار الملاك، ط٦ (١٩٩٧م) ص٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩.

(٤) الزهرة القدوة، إعداد الشيخ حسين الخشن (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م) الطبعة الأولى ص١٧٢، ١٧٣.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٩٣.

(٦) سورة الجمعة، الآية: ٢.

٢ ـ هل السيدة الزهراء عليها السلام مظلومة؟

الجواب: نعم وقد ظلمت بثلاثة أمور هي:

أولاً: غصب خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام:

يقول سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه):

حين أنكروا على زوجها أمير المؤمنين علي بن طالب عليه السلام الخلافة، تحدثت عن إبعاد علي عليه السلام عن حقه في الخلافة، صادعة بالحق من دون أن تخاف في الله لومة لائم، ولم تكن هذه الآلام والمظالم تعني لها شيئاً على المستوى الشخصي والذاتي، ولم تكن فدك عندها قضية مال وحق شخصي، لأنها عليها السلام في المستوى القيادي الرسالي، همها الإسلام، وغصب فدك يعني لها غصب الحق وغصب الخلافة... وهكذا عندما جاءتها نساء المهاجرين والأنصار، تحدثت إليهن عن علي عليه السلام[١].

«وما نقموا من أبي حسن، نقموا منه نكير سيفه وقلة مبالاته بحتفه»[٢].

وعندما طاف بها الإمام عليه السلام على جموع المهاجرين والأنصار، تحدثت معهم عن الحق وأعلنت غضبها للحق لا للذات، لقد كانت قضيتها كلها أن ترى الحق يعطى لأصحابه ويوضع علي عليه السلام في الموضع الذي وضعه فيه الله ورسوله، لأنها تعتقد أن الإسلام سينمو ويسمو ويتقدم ويتعمق ويستقيم ويشتد ساعده عندما يتحرك علي عليه السلام في موقع القيادة، لأن علياً عليه السلام وكما قال عمر بن الخطاب:

«ولو وليهم علي لحملهم على المحجة البيضاء»[٣].

ولأنه عليه السلام لم يكن عنده إلا اللون الأبيض دون اللون الأسود أو الرمادي ولأن علياً كما قال الرسول صلى الله عليه وآله عنه[٤]:

«علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار»[٥].

---

(١) الزهراء القدوة، إعداد الشيخ حسين الخشن (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م) الطبعة الأولى، ص١٢١.

(٢) عوالم الزهراء ص٤٦٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦ ص٢٣٣.

(٣) بحار الأنوار، ج٥٨ ص٢٤٠، وفيه «إن بايعوا أصلع بني هاشم حملهم على المحجة البيضاء».

(٤) الزهراء القدوة، إعداد الشيخ حسين الخشن، دار الملاك (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م) الطبعة الأولى ص١٢٢.

(٥) قادتنا كيف نعرفهم ج٢ ص٤٣٨، بحار الأنوار ج٣٨ ص٣٦، سفينة البحار للشيخ عباس القمي ج٢ ص٢٨٨، دار الأسوة، إيران، ١٤١٤هـ.

ثانياً ـ منعها فدك[1]:

يقول سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه):

«مما أسيء إلى الزهراء عليها السلام منعها فدكاً التي هي حق من حقوقها، كما يؤكد ذلك التاريخ السني والشيعي، فقد ذكر علماء الفريقين ومنهم السيوطي في «الدر المنثور» في تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[2] أنه لما نزلت الآية، نحل الرسول ابنته فاطمة فدكاً التي كانت له ممّا صالحه اليهود عليه في حربه معهم[3] والظاهر أن حق فاطمة عليها السلام في فدك كان معروفاً لدى المسلمين في الامتداد التاريخي.

لذلك رأينا أن عمر بن عبدالعزيز وهو خليفة أموي، أرجع فدكاً إلى أهل البيت[4] ثم أُخذت منهم وجاء أبو العباس السفّاح أول خلفاء بني العباس وأرجعها إليهم حتى استولى المنصور على الخلافة، أخذها ثم ردها المهدي ثم قبضها المهدي وهارون فلم تزل في أيديهم إلى أن ولي المأمون فردّها على الفاطميين[5] حتى قال الشاعر في ذلك:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا ... بردّ مأمون هاشم فدكا

والأدلة على ملكية الزهراء لفدك كثيرة ولا تكاد تخفى، وقد شهد لها بذلك بعض المسلمين، ومنهم أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأم أيمن، لكن شهادتهم لم تُقبل[6] ولم يكن من حجّة معارضة إلا حديث رواه أبو بكر عن النبي صلى الله عليه وآله يقول فيه: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورّث، ما تركناه صدقة**»[7].

---

(١) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة المنورة يومان وقيل ثلاثة (حوالي ١٤٠ كيلومتراً) وهي عبارة عن مزرعة كانت للرسول من خيبر بعد أن أخرج يهودها، وفيها عين فوارة ونخيل كثير، وتسمى في الوقت الحاضر بـ«حائط» أو كما تسميها العامة «حويط».

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٢٦.

(٣) الدر المنثور ج٤ ص١٧٧، ينابيع المودة، القندوزي الحنفي ج١ ص١٣٨، دار الأسوة، إيران ١٤١٦هـ.

(٤) فتوح البلدان ص٣٨، شرح النهج ج١٦ ص٢١٦.

(٥) شرح النهج ج١٦ ص٢١٦.

(٦) شرح النهج ج١٦ ص١٢٢.

(٧) صحيح البخاري، بشرح الكرماني، ج١٥ ص٤.

لم تكن الزهراء عليها السلام عندما وقفت تطالب بحقها في فدك تهتم بفدك من الناحية المالية لأن الدنيا لا قيمة لها عند فاطمة التي تعوّدت على حياة التقشف والبساطة، وكما قال علي عليه السلام وهو يتحدث عن الدنيا «. . . . **نعم كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلّته السماء فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين، وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غدٍ جدث. . .**»[1].

لقد كانت فدك في نظر الزهراء عليها السلام جسر العبور إلى حق علي عليه السلام في الخلافة، وقد نقل أن هارون الرشيد عرض على الإمام موسى الكاظم عليه السلام أن يحدّ له فدكاً ليُرجعها لورثة فاطمة، فحدّد الإمام فدكاً بحدود الدولة الإسلامية كلها[2].

وكانت الزهراء عليها السلام بمطالبتها بفدك تريد أيضاً أن تفضح الأكذوبة، لأن القضية ليست قضية مال تريد تحصيله وإنما هي قضية اعتداء على حكم شرعي من أحكام الله «**أترث أباك ولا أرث أبي**»[3] كان نقاشها في القاعدة وما تريده هو تثبيت الحكم الشرعي الذي عمل الحكم والخليفة على تجاوزه وكانت أول خطوة قام بها هي خطوة إبعاد حكم من أحكام الله انقياداً للمصالح الضيقة[4].

ثالثاً ـ الهجوم على الدار:

يقول سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه):

«ذكر المؤرخون ومنهم ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) أنّ القوم جاؤوا بعد وفاة الرسول وحادثة السقيفة بالحطب ليحرقوا بيت علي وفاطمة[5]، وقد روى الحادثة صاحب الاحتجاج (ج الأول ص١٠٥) على الشكل التالي:

---

(١) نهج البلاغة، من كتاب له لعثمان بن حنيف، رقم الكتاب ٤٥.

(٢) فدك للسيد القزويني ص١٦٧.

(٣) من خطبة الزهراء (ع) في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور ص٢٣، والاحتجاج ج١٠ من ص٩٧ إلى ص١٠٧ طبع مشهد المقدسة ١٤٠٣هـ، ومسند فاطمة ص٥٥٧، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦ ص٢١١، ٢٤٩، وعوالم الزهراء ص٤٦٧، وبحار الأنوار ج٤٣ ص١٤٨.

(٤) (الزهراء القدوة)، إعداد الشيخ حسين الخشن (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م) دار الملاك، ط١ ص١١٩، ١٢٠.

(٥) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ص١٢، انتشارات الشريف الرضي، مصورة عن الطبعة المصرية، قم ـ إيران، ١٩٧٩م، تاريخ الطبري ج٢ ص٤٤٣، قم ـ إيران، مصورة عن الطبعة المصرية المطبوعة بتاريخ ١٩٣٩م، أنساب الأشراف ج١ ص٥٨٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦ ص٥٠، عوالم الزهراء ص٤٠٤.

عن عبد الله بن عبد الرحمٰن قال: «ثم إن عمر احتزم بإزاره وجعل يطوف بالمدينة وينادي: ألا إن أبا بكر قد بويع له فهلمُّوا إلى البيعة، فينثال الناس يبايعون، فعرف أن جماعة في بيوت مستترون، فكان يقصدهم في جمع كثير ويكبسهم ويحضرهم المسجد، فيبايعون، حتى إذا مضت أيام أقبل في جمع كثير إلى منزل علي عليه السلام فطالبه بالخروج فأبى، فدعا عمر بحطب ونار وقال: والذي نفس عمر بيده ليخرجنّ أو لأحرقنه على ما فيه، فقيل إن فاطمة بنت رسول الله وولد رسول الله وآثار رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، وأنكر الناس ذلك من قوله، فلما عرف إنكارهم قال: ما بالكم أتروني فعلت ذلك، إنما أردت التهويل، فراسلهم علي أن ليس إلى خروجي حيلة، لأني في جمع كتاب الله الذي قد نبذتموه وألهتكم الدنيا عنه، وقد حلفت أن لا أخرج من بيتي ولا أدع ردائي على عاتقي حتى أجمع القرآن».

لقد اجتمعت في بيت علي عليه السلام من يعتبرونهم معارضته، وقد قيل لقائد الحملة (عمر): يا هذا، إنّ في البيت فاطمة، وفاطمة هي الإنسانة التي يلتقي المسلمون على حبِّها واحترامها وتعظيمها، لأنها البنت الوحيدة التي تركها رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته، ولأنها بضعة منه يُغضبه ما يُغضبها ويؤذيه ما يؤذيها... فكيف تأتي بالنار لتحرق بيتها؟

ولكنه قال كلمته الشهيرة وهي قوله: «وإن».

ونحن نعتبر هذه الكلمة من أخطر الكلمات، لأنها تعني فيما تعنيه أنه لا مقدسات في هذا البيت، فلا مانع من أن يُحرق على أهله.

إن هذه الكلمة تشير إلى روحية القوم وما كانوا يهيئون له، مع أنهم لو فتحوا باب الحوار الإسلامي من خلال الكلمات الطيبة، لرأوا أن علياً هو إنسان الحوار كما كان في حياته حتى بعد أن أصبح خليفة، ولوجدوا أن فاطمة هي إنسانة الحوار، لأن القرآن الذي كانت فاطمة أكثر الناس التزاماً به كان كتاب الحوار، لكن القوم كانوا قد تجاوزوا مرحلة الحوار عندما جمعوا الحطب لإحراق بيت الزهراء عليها السلام وقال قائلهم تلك الكلمة جواباً لقولهم إن فيها فاطمة، فقال «وإن» والتي تعبّر عن أبشع الظلم الذي تعرضت له الزهراء عليها السلام»[1].

---

(١) الزهراء والقدوة، إعداد الشيخ حسين الخشن (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) الطبعة الأولى ص١٠٧، ١٠٨، ١٠٩.

إن قضية الهجوم على دار الزهراء عليها السلام وتجميع الحطب على بابها وغير ذلك من المظالم التي لحقت بها مما تحدثت عنه المصادر التاريخية، لم يلقَ قبولاً لدى المسلمين بشكل عام، لما للزهراء عليها السلام من مكانة في نفوسهم، جعلتهم يرون أن الإساءة إليها هي إساءة لرسول الله صلى الله عليه وآله، ما اضطر اللذين ظلماها أن يأتياها تحت تأثير الضغط العام والاستهجان الكبير لهذه الأعمال، وطلبا من علي عليه السلام أن يستأذن لهما بالدخول عليها ليسترضياها فماذا كان موقفها؟

ينقل ابن قتيبة في «الإمامة والسياسة» أن عمر قال لأبي بكر:

«انطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا عليها فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلّماه فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها فلم ترد عليهما السلام، فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله أحب إليّ من قرابتي، وإنكِ لأحب إليّ من عائشة ابنتي ولوددتُ يوم مات أبوك أني متُّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله صلى الله عليه وآله؟

ألا إني سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة».

فلم تعلّق الزهراء عليها السلام على قضية الميراث، لأنها كانت قد عالجت هذه المسألة مفصلاً في خطبتها، لكنها أرادت أن تقيم الحجة عليهما في ما عرض لها من أذى وظلامة وإساءة[1] فقالت: **«أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم، فقالت: نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ ابنتي فاطمة أحبني ومن أسخط فاطمة أسخطني» قالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونّكما إليه، فقال أبو بكر: وأنا عائذ بالله من سخطه وسخطك يا فاطمة، وهي تقول: والله لأدعونّ عليك في كل صلاة أصليها»[2].**

---

(١) الزهراء القدوة، إعداد الشيخ حسين الخشن (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) الطبعة الأولى ص١١٠، ١١١، ١١٢.

(٢) الإمامة والسياسة ص١٤.

وفي رواية أخرى ينقلها العلّامة المجلسي في بحار الأنوار أنها عليها السلام قالت لهما: «أنشدكما بالله، هل سمعتما النبي صلى الله عليه وآله يقول: «فاطمة بضعة مني وأنا بضعة منها مَن آذاها فقد آذاني ومَن آذاني فقد آذى الله، ومَن آذاها بعد موتي فكان كمَن آذاها في حياتي، ومَن آذاها في حياتي كان كمَن آذاها بعد موتي» قالا: اللهم نعم، فقالت: الحمد لله».

ثم قالت عليها السلام: «اللهم إني أشهدك فاشهدوا يا مَن حضرني، أنهما قد آذياني في حياتي وعند موتي»[1].

وهكذا وبكل قوة وشجاعة احتجت الزهراء عليها السلام عليهما وسجّلت عليهما أنهما أغضباها وأغضبا بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ومن فوق ذلك أغضبا الله تعالى، وبقي غضبها عليها السلام جرحاً نازفاً في قلب أبنائها ومحبيها، وقد سئل عبدالله بن الحسن عن الشيخين فقال:

«كانت أمنا صدِّيقة ابنة نبي مرسل، وماتت وهي غضبى على قوم فنحن غضاب لغضبها»[2].

أتموت البتول غضبى وترضى ... ما كذا يصنع البنون الكرام

ولم يقف احتجاجها عند هذا الحد، بل إنها واصلت رحلة الاحتجاج إلى حين موتها وكانت قمة احتجاجاتها بالحق أنها:

أولاً ـ أوصت علياً عليه السلام أن يدفنها ليلاً[3] وأن لا يحضر جنازتها الذين ظلموها واضطهدوها وسلبوها حقها.

ثانياً ـ أن يسوي أمير المؤمنين علي عليه السلام قبرها ويخفيه ليكون ذلك دليلاً وشاهداً على كل الظلم الذي لحق بها والاضطهاد الذي تعرضت له ولتخلّد بذلك احتجاجها على القوم الذين ظلموها[4].

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٠٣.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦ ص٤٩، ٥٠.
(٣) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢١٠، ٢١١.
(٤) عوالم الزهراء ص٥١٩.

وعمل علي عليه السلام بوصيتها هذه فدفنها ليلاً وخفى موضع القبر[1].

والخلاصة أن سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه) لم ينفِ أن السيدة الزهراء عليها السلام ظُلمت ولم يبرِّىء أحداً ممن ظلموها.

٣ ـ هل ما قاله سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه) وتساءل عنه كان متفرداً به؟

وسأُقسِّمه إلى قسمين:

القسم الأول: نقل ما تساءل عنه سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه) وماذا قال[2]:

وهناك بعض الحوادث التي تعرّضت لها ممّا لم تتأكد لنا بشكل قاطع وجازم كما في مسألة حرق الدار فعلاً، وكسر الضلع، وإسقاط الجنين، ولطم خدها وضربها... ونحو ذلك مما نُقل إلينا من خلال روايات يمكن طرح بعض علامات الاستفهام حولها، إما من ناحية المتن وإما من ناحية السند وشأنها شأن الكثير من الروايات التاريخية، ولذا فقد أثرنا بعض الاستفهامات كما أثارها بعض علمائنا السابقين (رضوان الله عليهم) كالشيخ المفيد[3] الذي يظهر منه التشكيك في مسألة إسقاط الجنين، بل في أصل وجوده ـ وإن كنا لا نوافقه على الثاني، ولكننا لم نصل إلى حد النفي لهذه الحوادث ـ كما فعل الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (قُدّس سرّه) بالنسبة لضربها ولطم خدها[4] ـ لأن النفي يحتاج إلى دليل كما أن الإثبات يحتاج إلى دليل، ولكن القدر المتيقن من خلال الروايات المستفيضة بل المتواترة تواتراً إجمالياً، هو الاعتداء عليها من خلال كشف دارها والهجوم عليه والتهديد بالإحراق، وهذا كافٍ للتدليل على

---

(١) نقلاً عن كتاب (الزهراء القدوة) إعداد الشيخ حسين الخشن (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م) ط١ ص١١٢، ١١٣، دار الملاك.

(٢) المصدر نفسه: ص١٠٩، ١١٠.

(٣) الإرشاد ج١ ص٣٥٥، والطبرسي في «إعلام الورى بأعلام الهدى» ج١ ص٣٩٥، مؤسسة آل البيت، إيران ١٤١٧هـ.

(٤) جنة المأوى، محمد حسين كاشف الغطاء ص١٣٥، ١٣٦، ١٣٧.

حجم الجريمة التي حصلت... هذه الجريمة التي أرّقت حتى مرتكبيها، ولذا قال الخليفة الأول لما دنته الوفاة:

«ليتني لم أكشف بيت فاطمة ولو أعلن عليّ الحرب»[1].

وفي رواية أخرى:

«وددتُ أني لم أكشف بيت فاطمة وتركته وأن أغلق عليَّ الحرب»[2].

القسم الثاني: استعراض ما قاله بعض علمائنا السابقين (رضوان الله عليهم) في كسر ضلع الزهراء عليها السلام وحرق الدار وإسقاط الجنين:

١ ـ الإمام الأكبر (كما يلقّب) الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (قُدّس سرّه):

نبذة عنه (قُدّس سرّه):

ولد سماحته (قده) سنة ١٢٩٥هـ ـ ١٨٧٦م في النجف الأشرف، من أشهر مشاهير علماء الإسلام في الشرق وأغزرهم علماً في العالم، من الشخصيات الأفذاذ وأكابر شيوخ الإسلام وأعاظم فقهاء الشيعة الأعلام، وأحد أركان الدين المجددين وروّاد النهضة ودعاة الإصلاح، ورث زعامة الدين عن آبائه الفطاحل واجتمع فيه خصال الكمال والفضائل وقام بالأعمال الجلائل[3].

قيل عنه فقيه عصره ونابغة دهره وفيلسوف زمانه، يحيط بأنواع العلوم[4]، برع في الآداب والعلوم العربية وفاق أقرانه، ودرس سطوح الفقه وأصوله وأتمّها وهو شاب، وحضر دروس الطبقات العليا عند المحقق الأصولي المولى محمّد كاظم الهروي الخراساني، وعند الفقيه الأكبر السيد محمد كاظم الطبطبائي اليزدي، ودرس الأخبار والحديث على يد الميرزا حسين النوري،

---

(١) شرح نهج البلاغة ج٦ ص٥٠ تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، المؤسسة الجامعية للدراسات الإسلامية، لبنان، ولسان الميزان ج٤ ص١٨٩.

(٢) عوالم الزهراء ص٤١٧.

(٣) جنة المأوى، الإمام الأكبر آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، دار الأضواء لبنان، ط ٢ ص١٥.

(٤) المصدر نفسه، ص٨.

الذي أجازه بالحديث عنه، ودرس الكلام والحكمة على يد الشيخ أحمد الشيرازي، والميرزا محمد باقر الأصطهباناتي، والعلّامة الشيخ علي محمد النجف آبادي، وكان هؤلاء من فحول الحكماء والرياضيين ومن أبطال الحكمة والكلام (رضوان الله عليهم)[1].

كان فقيهاً قوي الحجّة والبرهان، مجتهداً في المباني لا مقلداً في المبنى، واسع الاطلاع، حراً في آرائه ونظرياته، كان ينتزع كثيراً من الفروع من ذوق عربي سليم قد ارتكز على فهم نصوص الأخبار والروايات التي يبتني عليها المذهب الجعفري ويمتاز بالجرأة في إبداء الرأي الذي يراه قد ارتكز على الحُجّة وسانده العقل في حين أن خصومه الذين قد وقفوا له بالمرصاد كانوا لا يستطيعون مقاومته أو ردّه[2]، توفي سنة ١٣٧٣هـ.

يقول سماحة الإمام الأكبر آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (قده) في كتابه جنة المأوى ص١٣٥، ١٣٦، ١٣٧ وسأنقلها حرفياً:

«ولكن قضيّة ضرب الزهراء ولطم خدّها ممّا لا يكاد يقبله وجداني ويتقبلّه عقلي، ويقتنع به مشاعري، لا لأن القوم يتحرّجون ويتورّعون من هذه الجرأة العظيمة، بل لأنّ السجايا العربية والتقاليد الجاهليّة التي ركزتها الشريعة الإسلامية وزادتها تأييداً وتأكيداً تمنع بشدّة أن تُضرب المرأة أو تُمَدّ إليها يد سوء، حتى أنّ في بعض كلمات أمير المؤمنين عليه السلام ما معناه: أن الرجل كان في الجاهلية إذا ضرب المرأة يبقى ذلك عاراً في أعقابه ونسله.

ويدلّك على تركيز هذه الركيزة بل الغريزة في المسلمين وأنّها لم تفلت من أيديهم وإن فلت منهم الإسلام: أنّ ابن زياد وهو مَن تعرّف في الجرأة على الله وانتهاك حرماته لمّا فضحته الحوراء زينب عليها السلام وأفلجته وصيّرته أحقر من نملة، وأقذر من قملة، وقالت له: ثكلتك أمّك يا ابن مرجانة، فاستشاط غضباً من ذكر أمّه التي يُعرف أنها من ذوات الأعلام[3]، وهمّ أن يضربها، فقال له

(١) جنة المأوى، الإمام الأكبر آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، دار الأضواء لبنان، ط ٢، ص٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٥.

(٣) الأعلام: العواهر ومفردتها عاهرة.

عمرو بن حريث وهو من رؤوس الخوارج وضروسها إنها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها، فإذا كان ابن مرجانة امتنع من ضرب العقيلة خوف العار والشنار وكلّه عار وشنار، وبؤرة عهار مع بعد العهد من النبي ﷺ فكيف لا يمتنع أصحاب النبي ﷺ مع قرب العهد به من ضرب عزيزته، وكيف يقتحمون هذه العقبة الكؤود ولو كانوا أعتى وأعدى من عاد وثمود، ولو فعلوا أو همُّوا أن يفعلوا أما كان في المهاجرين والأنصار مثل عمرو بن حريث فيمنعهم من مد اليد الأثيمة، وارتكاب تلك الجريمة، ولا يقاس هذا بما ارتكبوه واقترفوه في حقّ بعلها سلام الله عليه من العظائم حتّى قادوه كالفحل المخشوش فإنّ الرجال قد تنال من الرجال ما لا تناله من النساء.

كيف والزهراء عليها السلام شابّة بنت ثماني عشرة سنة، لم تبلغ مبالغ النساء وإذا كان في ضرب المرأة عار وشناعة فضرب الفتاة أشنع وأفظع، ويزيدك يقيناً بما أقول أنّها ولها المجد والشرف، ما ذكرت ولا أشارت إلى ذلك في شيء من خِطَبِها ومقالاتها المتضمِّنة لتظلُّمها من القوم وسوء صنيعهم معها مثل خطبتها الباهر الطويلة التي ألقتها في المسجد على المهاجرين والأنصار، وكلماتها مع أمير المؤمنين عليه السلام بعد رجوعها من المسجد، وكانت ثائرة متأثرة أشدّ التأثر حتّى خرجت عن حدود الآداب التي لم تخرج من حظيرتها مدّة عمرها، فقالت له:

(يا بن أبي طالب إفترست الذئاب وافترشت التراب، إلى أن قالت: هذا ابن أبي فلانة يبتزّني نحلة أبي وبلغة إبني، لقد أجهد في كلامي وألفيته الألدّ في خصامي)، ولم تقل أنّه أو صاحبه ضربني، أو مُدّت يد إليّ، وكذلك في كلماتها مع نساء المهاجرين والأنصار بعد سؤالهنّ كيف أصبحتِ يا بنت رسول الله؟ فقالت: أصبحت والله عائفة لدنياكنّ، قالية لرجالكنّ. ولا إشارة فيها إلى شيء عن ضربة أو لطمة، وإنما تشكو أعظم صدمة وهي غصب فدك وأعظم منها غصب الخلافة وتقديم مَن أخّر الله وتأخير مَن قدّم الله، وكل شكواها كانت تنحصر في هذين الأمرين، وكذلك كلمات أمير المؤمنين عليه السلام بعد دفنها، وتهيُّج أشجانه وبلابل صدره لفراقها، ذلك الفراق المؤلم: حيث توجّه إلى قبر النبي ﷺ قائلاً:

السلام عليك يا رسول الله عنّي وعن ابنتك النازلة في جوارك.. إلى آخر

كلماته التي ينصدع لها الصخر الأصمّ لو وعاها، وليس فيها إشارة إلى الضرب واللطم ولكنه الظلم الفظيع والامتهان الذريع، ولو كان شيء من ذلك لأشار إليه سلام الله عليه، لأنّ الأمر يقتضي ذكره ولا يقبل ستره، ودعوى أنها أخفته عنه ساقطة بأنّ ضربة الوجه ولطمة العين لا يمكن إخفاؤها» انتهى النقل.

٢ ـ الشيخ المفيد (أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي):

نبذة عنه (قُدّس الله سرّه):

ولد في يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة ٣٣٦ هـ، وقيل سنة ٣٣٨ هـ، يكنى بابن المعلم، وهو أحد عمالقة تشكيل الوعي المعاصر للفقه والكلام والتاريخ والفلسفة، ومن أشهر تلامذته الشريف الرضي محمد بن الحسين المتوفى سنة ٤٠٦هـ، والشريف المرتضى علي بن الحسين المتوفى سنة ٤٣٦هـ، وسلار بن عبد العزيز الديلمي المتوفى سنة ٤٤٨هـ، ومحمد بن علي الكراجي المتوفى سنة ٤٤٩هـ، وأحمد بن علي النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠هـ، والشيخ الطوسي محمد بن الحسن المتوفى سنة ٤٦٠هـ، ومحمد بن الحسن بن حمزة الجعفري المتوفى سنة ٤٦٣هـ، ولديه مصنفات ما يقارب المئتي مصنف كبار وصغار في الفقه والكلام والتاريخ والتفسير والحديث وغيرها من العلوم. قال العلّامة الحلي فيه أنه أوثق أهل زمانه وأعلمهم في الفقه والكلام والرواية، ويقول عنه السيد مهدي بحر العلوم: هو نابغة العراق ونادرة الآفاق، غرة المصلحين وأستاذ المحققين، ركن النهضة العلمية في المائة الرابعة الهجرية، آية الله في العوالم، معلّم الأعاظم وابن المعلّم، توفي ليلة الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ٤١٣ هـ.

يُظهر الشيخ المفيد التشكيك في مسألة إسقاط الجنين، بل في أصل وجوده.

حيث يقول: «وفي الشيعة مَن يذكر: أن فاطمة عليها السلام أسقطت بعد النبي صلى الله عليه وآله ولداً ذكراً كان سماه رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وهو حمل ـ مُحسناً، فعلى قول هذه الطائفة أولاد أمير المؤمنين عليه السلام ثمانية وعشرون».[1]

---

(١) كتاب الإرشاد ج١ ص٣٥٥، والطبرسي في «أعلام الورى بأعلام الهدى» ج١ ص٣٩٥، مؤسسة آل البيت، إيران، ١٤١٧هـ.

٣ ـ الخلاصة:

لماذا هوجم سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه) واعتُبر ضالاً ومُضِلاً عندما أبدى رأيه في موضوع كسر الضلع علماً أنه لم ينفِ أو يُثبت موضوع كسر الضلع ولم يجرؤ أحد على التكلم عن العلّامة الإمام الأكبر آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء أو الشيخ المفيد وغيرهم؟؟

الجواب سأستعين به من كتاب جنة المأوى بعنوان (شيوع الافتراء)[1].

وكان يُقصدْ به الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (قده) إلا أنه يسري على كل العلماء المصلحين على مَرّ التاريخ.

«قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[2].

مَن ينعم النظر إلى أحوال الأكابر والنوابغ من علماء الدين ورؤساء المذهب يرى أنه لم يكد يسلم أحد منهم من تشنيع الأعداء والنقول والطعن عليهم من الخصماء، وقد وقعوا أهدافاً لسهام اللوم والطعن والتنفيذ ولم يسلم كثير من الشخصيات العالميّة من هذه السهام المسمومة ولم يشذ أحد منهم عن القذف والمروق والشذوذ وما شابه ذلك وأكثرهم سواء في حياتهم أو بعد مماتهم لم يسلموا عن الكلمات الخاطئة في حقهم والتحامل عليهم بالقول الزور وبكل أفيكة.

وغير خفي على الباحث المنقب أن رميهم بالأقوال الشائنة والقوارص الموبقة وبالأفائك والمفتريات، كان في الزمن السالف ناشئاً في الأغلب من الحسد والحقد ومن افتراءات الخصوم وأهل الغرض والأهواء أو المخالفين في المذهب والعقيدة، ولذا نجد بعد البحث والتنقيب وإمعان النظر والتحليل الصحيح، أن كل تلك الأقوال عارية من الصحة وخالية عن الحقيقة ولا قيمة لها عند الباحث المنقب والمتحري للحقائق، نعم هكذا كان الأمر في الزمن الغابر ولكن في عصرنا الحاضر نجد أن شيوع الافتراء والاختلاق والتهمة على

---

(١) جنة المأوى، الإمام الأكبر آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، دار الأضواء لبنان، ص٥٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٥.

علماء الدين وكبراء المصلحين، ليلوّثوا بزعمهم ساحة قدسهم وليحطُّوا عن مقامهم في أنظار الناس.

غفرانك اللهمّ من هذا البهتان العظيم والإفك الصريح والجرأة العظيمة في حق رجل عظيم من عظماء العالم الإسلامي والمجتمع المذهبي»[1].

٤ ـ صنفان من العلماء:

جادت براعة العلّامة الكبير الشيخ محمد جواد مغنية ـ نزيل بيروت ـ بكتابة مقالة ونشرها في المجلد ٤٧ من مجلّة (العرفان) الأغرّ التي تصدر في صيدا ـ لبنان، لصاحبها العلاّمة المجاهد الشيخ عارف الزين ج١٠ ص٩٣٨ وجاء في ذلك المقال ما هذا لفظه:

«وليس من شك أننا في حاجة ماسة إلى نوعين أو صنفين من العلماء، أحدهما للتفقه في الدين وبث الشريعة حلالها وحرامها على أهل البيت، وثانيها لإظهار عظمة المذهب وإعلان حقيقته على الأجانب والأقارب، ودفع الافتراءات والشبهات عنه، ولدينا من الصنف الأول القدر الكافي وزيادة، والحمد لله[2].

نعم نحن بأمس الحاجة إلى النوابع وأعلام الدين الشاهقة في الإحاطة بأنواع العلوم الإسلامية وفي الذب عن الدين من كل النواحي، ولا يكفي في زماننا الاكتفاء بالفقه وأصوله في الذب عن الدين والدفاع عنه وقلع أساس الأباطيل والأضاليل وقمع جرثومة الزندقة والإلحاد، وبيان حقائق المذهب على الأقارب والأجانب ودفع الأفائك والافتراءات ودحض الشبهات ورفع الإشكالات»[3].

نعم إنه التاريخ يعيد نفسه، فكما حدث مع عظماء المذهب وأعلامها فقد حدث مع سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه) وسيحدث مع أي حركة إصلاحية جديدة، والثمن هو إسقاط هذا الشخص مهما علا وكبُر شأنه العلمي والمعرفي!!

---

(١) جنة المأوى، الإمام الأكبر آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، دار الأضواء لبنان، ط٢ ص٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٦٠.

٥ ـ المرجع السيد فضل الله (قُدّس سرّه) يخاطب جدّته الزهراء عليها السلام:

سأل أحد الصحافيين سماحته (قده) عما يتوجه به إلى جدته الطاهرة سيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام حين يلتقيها في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، قال: حين تلتقي، إن شاء الله، بجدّتك الزهراء عليها السلام، ماذا تتصوَّر أن تقول لها؟

ـ أجاب سماحة السيد (قُدّس سرّه):

إنني أعتقد أنني أقول لها: لقد عشتُ معكِ طيلة حياتي مع كل الطهارة التي تمثل الإنسان الطاهر بكل واقع الطهارة.

لقد عشتُ معكِ في كل خط الوعي الذي تجسّد فيك كأول امرأة عاشت الوعي الحركي في الإسلام، من موقع المسؤولية، ومن موقع العصمة.

لقد عشتُ معكِ في كل ظلامتك، التي كانت ظلامة الحق من خلال اضطهاد الباطل.

لقد عشتُ معكِ من خلال الإنسان الذي استطاع أن يرتفع بالمرأة إلى موقع العصمة، وأن يرتفع بالمرأة إلى مستوى الوعي، وإلى مستوى الطهارة النقيّة، وإلى مستوى المسؤولية المتحدية الشجاعة الصلبة، وإلى مستوى العلم المنفتح على كل حقائق الإسلام.

لقد عشتُ معكِ وتحدّثت عنكِ بغير ما يتحدّث به الكثير من الناس، سواء ممن يغالون فيك، أو ممن يبتعدون عنكِ.

لقد عشتُ معكِ لأصوِّر للناس سيدة نساء العالمين بالصورة التي يحترمها العالم الإنساني، في كل زمانٍ ومكان، وينحني لها، من خلال ما يتمثله من آفاق العظمة في شخصيتها المنفتحة على أكثر من جانب.

ـ أليس ثمة شكاية تبثّ بها إليها عليها السلام؟

إنني أعتقد أننا هناك إذا عشنا مع الله رحمته ولطفه، فإننا لا نعيش معنى الهم والشكاية، لأن هناك عالماً جديداً يجعلنا ننسى ما عشناه هنا»[1].

---

(١) نقلاً عن جريدة بيّنات العدد ٣٧٩، الأحد ٤ شعبان ١٤٣١هـ، ١٥ تموز (يوليو).

الفصل الثامن

الإمامة ـ الولاية ـ العصمة

- ماذا يقول سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه) في الإمامة
- ماذا يقولون المراجع والفقهاء الكرام في الإمامة
  ١ ـ السيد الإمام الخميني (قُدّس سرّه)
  ٢ ـ سماحة السيد الخوئي (قُدّس سرّه)
  ٣ ـ الشيخ محمد حسن النجفي (قُدّس سرّه)
- تصحيح مفهوم الولاية
- كيف يمكن أن نتمثّل الولاية في حياتنا العملية المعاصرة
- الدور الموكَل إلى أهل البيت عليهم السلام
- العصمة برأي سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه)

الفصل الثامن

الإمامة والولاية العصمة

لقد التُبِسَ عند الكثيرين ما قاله سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه) فيما يخص الإمامة والولاية...

لذلك سنستعرض ما قاله سماحته (قُدّس سرّه) في الإمامة ثم نعرض رأي بعض المراجع والمجتهدين في ذلك.

أولاً: ماذا يقول سماحته (قُدّس سرّه) في الإمامة:

«تعتبر الإمامة حقيقة حيوية من حقائق الإسلام الأصيلة حيث قامت الأدلة القطعية الصحيحة عندنا على ذلك، وهي تمثّل الامتداد للنبوة من غير نبوة، فعن النبي ﷺ: **«يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»** ولكن إنكارها لا يوجب الحكم بكفر المسلم الآخر، بل لا يكون مؤمناً بالمعنى الأخص للإيمان، فالإمامة من أصول المذهب الثابتة، ولذلك فبإجماع كل العلماء واعتماداً على سيرة النبي والأئمة فإن الذين لا يعترفون بالإمامة مسلمون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم»[1].

«وإنما نقول من أصول المذهب لأن الذي لا يعتقد بالإمامة ليس شيعياً ولكن مَن لم يعتقد بالإمامة فهو مسلم، فالإمامة من حقائق الدين ولكن ليست من أصوله، فأصول الدين هي ثلاثة (التوحيد والنبوة واليوم الآخر) لأن أصول

(١) مسائل عقائدية لسماحة السيد محمد حسين فضل الله (قده) دار الملاك (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م) لبنان، ص٦٧.

المذهب يمكن للإنسان المسلم أن يبقى مسلماً من غير الاعتقاد بها لكنه يعاقب بإنكارها وليس معذوراً في ذلك فهو مخطىء ومنحرف»[1].

ثانياً: ماذا يقول المراجع الكرام في الإمامة:

١ ــ السيد الإمام الخميني (قُدّس سرّه):

«إن الإمامة بالمعنى الذي عند الإمامية ليست من ضروريات الدين، فإنها عبارة عن أمور واضحة بديهية عند جميع طبقات المسلمين، ولعل الضرورة عند كثير على خلافها، فضلاً عن كونها ضرورة، نعم هي من أصول المذهب ومنكرها خارجاً عنه لا عن الإسلام»[2] ويقول أيضاً (قده): «وأن ما أخذ في مهية الإسلام ليس إلا الشهادة بالوحدانية والرسالة والاعتقاد بالمعاد... ولا يعتبر فيها سوى ذلك سواء فيه الاعتقاد بالولاية وغيرها، فالإمامة من أصول المذهب لا الدين»[3].

وهذا تصريح من الإمام الخميني (قُدّس سرّه) بأن تحقق الإسلام متوقف على ثلاثة أصول هي التوحيد والنبوة والمعاد، بمعنى أن الإمامة غير معتبرة في تحقق الإسلام وليست شرطاً فيه.

٢ ــ السيد الخوئي (قُدّس سرّه):

«الضروري من الولاية إنما هي الولاية بالحب والولاء والمودة، وأهل الخلاف[4] غير منكرين لها بل يظهرون الحب لأهل البيت عليهم السلام، وأما الولاية بمعنى الخلافة فهي ليست بضرورية بوجهٍ، وإنما هي مسألة نظرية. وقد فسّروها بمعنى الحب والولاء ولو تقليداً.

وقد أسلفنا أن إنكار الضروري إنما يستتبع الكفر، إذا كان مما ثبُتَ وهذا ما لم يتحقق في حق أهل الخلاف لعدم ثبوت الخلافة عندهم بالضرورة لأهل البيت عليهم السلام.

---

(١) مسائل عقائدية لسماحة السيد محمد حسين فضل الله (قده) دار الملاك (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م) لبنان، ص٦٦.

(٢) كتاب الطهارة للإمام الخميني ج٣ ص٣٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٢٢، ٣٢٣.

(٤) أهل الخلاف: المقصود أهل السنة.

نعم الولاية بمعنى الخلافة من ضروريات المذهب لا من ضروريات الدين»[1].

ويقول السيد الخوئي (قُدّس سرّه) «أن أصول الإسلام أربعة:

الأول: الإيمان بالله والإقرار بوجوده، وكونه صانعاً للعالم...

الثاني: الإقرار بتوحيده تعالى ويقابله الشرك، وهو القول: بأن للعالم أكثر من صانع واحد...

الثالث: الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وآله والاعتراف بكونه نبياً مرسلاً...

الرابع: الإيمان بالمعاد الجسماني والإقرار بيوم القيامة والحشر والنشر... ولابد وأن يعلم أن الإقرار بهذه الأمور الأربعة له موضوعية في التلبُّس بحلية الإسلام، وإنكار أي واحد منها في حد نفسه موجب للكفر، ومن هنا لا يحكم بكفر المخالفين في الظاهر مع إنكارهم الولاية»[2].

يعني أن الأصول التي يتوقف عليها الإسلام هي التوحيد والنبوة والمعاد، فمَن أقرّ بذلك فهو مسلم وإن لم يعتقد بالولاية والإمامة.

٣ ــ الشيخ محمد حسن النجفي (قُدّس سرّه) يقول:

«إما البناء على كفر المخالف وهو معلوم الفساد للأخبار المعتبرة المنجبرة بعمل الأصحاب وبالسيرة القاطعة الدالة على تحقق الإسلام بالشهادتين»[3].

يعني أنّ المخالف: مَن لم يعتقد بإمامة أهل البيت عليهم السلام فهو مسلم تترتب عليه جميع أحكام الإسلام والتي تتحقق بالشهادتين لا بالثلاث.

فهل ما قاله سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه) خرج عن هذا السياق؟!

بل إن الشهيد الأول (محمد بن جمال الدين مكي العاملي) يقول: «عدم جواز

---

(١) التنقيح في شرح العروة الوثقى للسيد الخوئي ج٣ ص٨٦.
(٢) كتاب (مصباح الفقاهة) ج١ ص٢٤٦، ٢٤٧.
(٣) كتاب (جواهر الكلام) ج٤ ص٨٣.

اعتقاد شرعية التشهد بالولاية لعلي عليه السلام وأن محمداً وآله خيرُ البرية أو خيرُ البشر (وإن كان الواقع كذلك) في الأذان والإقامة، فما كل واقع حقاً يجوز إدخاله في العبادات الموظّفة شرعاً، المحدودة من الله تعالى، فيكون إدخال ذلك فيها بدعة وتشريعاً، كما لو زاد في الصلاة ركعة أو تشهداً أو نحو ذلك من العبادات[1].

وكذلك الشهيد الثاني في (روض الجنان) حيث يقول:

«وأما إضافة أن علياً ولي الله وآل محمد خير البرية ونحو ذلك، فبدعة، وأخبارها موضوعة وإن كانوا عليهم السلام خير البرية إذ ليس الكلام فيه بل في إدخاله في فصول الأذان المتلقى من الوحي الإلهي وليس كل كلمة حق يسوغ إدخالها في العبادات الموظفة شرعاً».

قال الشيخ الصدوق: إن إدخال ذلك فيه من وضع المفوِّضة، والمفوِّضة طائفة اعتقدوا أن الخالق (عزّ وجلّ) فوّض إلى العالم تكويناً أو تشريعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله أو أحد الأئمة عليهم السلام والمفوضة لعنهم الله قد وضعوا أخباراً وزادوا في الأذان محمد وآل محمد خير البرية مرتين، وفي بعض رواياتهم بعد أشهد أن محمداً رسول الله: أشهد أن علياً ولي الله مرتين، ومنهم مَن روى بدل ذلك: أشهد أن علياً أمير المؤمنين حقاً... مرتين، ولا شك في أن علياً ولي الله وأنه أمير المؤمنين حقاً وأن محمد وآله خير البرية ولكن ذلك ليس في أصل الأذان وإنما ذكرت ذلك ليعرف بهذه الزيادة المهتمون بالتفويض المدلسون في جملتنا وهم طائفة من الغلاة[2] ولو فعل هذه الزيادة، أو إحداها بنية أنها منه، أثِمَ في اعتقاده...!!»[3]

إن ما قاله سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه) بالإمامة لم يخالف ما اتفق وأقره علماؤنا ومراجعنا الكبار فلماذا هوجم سماحته (قده)!! ونعتوه بالضالّ المُضِل...؟!

---

(١) اللمعة الدمشقية للشهيد الأول، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ج١، ط٢، ص٢٤٠.

(٢) الغلاة: طائفة غالت في النبي، أو أحد الأئمة صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، واعتقدت فيهم فوق مرتبتهم.

(٣) مَن لا يحضره الفقيه، ج١، كتاب الصلاة، باب الأذان.

وهل يجرؤ أحد على حذف الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة...!! مع أنها أُدخلت إلى الأذان بطريق الغلو في أمير المؤمنين علي عليه السلام كما قال الشيخ الصدوق وغيره وأنها بدعة، والتبرير الذي وُجد للشهادة بالولاية لأمير المؤمنين عليه السلام في الأذان أنها ليست من فصول الأذان ولا يجوز الإتيان بها بقصد الجزئية، بل إنها من باب الاستحباب! وهل الاستحباب يأتي إلا عبر السنّة الشريفة المتمثلة بنبينا الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام!! فلم يأتِ عنهم فضل واستحباب ذكرها... وهل عوام الناس تعرف أنه لا يجوز اعتبارها جزء من الأذان؟ بل إنهم على عكس ذلك...!!

إلى متى سنبقى نرضى بما حملناه من الموروث بحجة المشهور المقدّس على حساب شرع الله تعالى، وأين الحقيقة الضائعة التي تبدو أنها بعيدة عنّا في معظم أجزائها...!!

ولماذا كل مَن يطالب بشرع الله وحذف البدع، يواجه بالسُباب والشتائم وإلباسه لُبس الضلال أو التسنُّن أو الانتماء للوهابية... وغيرها من التهم الباطلة التي لا أصل لها...!!

إلى متى سنبقى نعيش في كهوفٍ مغلقة بأحجار الجهل والتخلّف...!! والانقياد والتعصب الأعمى دون التفكير وتحكيم العقل...!!

تصحيح مفهوم الولاية[1]:

ليست الولاية ـ حسب السيد فضل الله (قُدّس سرّه) ـ علاقة شخصية بين طرفين بعيداً عن الأفق الرسالي وعن محورية الارتباط بالمعصومين عليهم السلام من خلال الارتباط بالله، بل هي ـ في مفهومها القرآني ـ علاقة رسالية محضة ينطلق فيها البُعد العاطفي ليمثّل رافداً لترسيخها، وليس منطلقاً أساسياً وهدفاً مركزياً.

---

(١) مقتبسة عن كتاب (إضاءات على فكر الفقيه المجدد المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه)، المركز الإسلامي الثقافي، مسجد الحسنين عليهما السلام لبنان، حارة حريك، لفضيلة الشيخ علي حسن غلوم (مواليد الكويت ١٩٦٥م) إلتحق بالحوزة العلمية في مدينة قمّ المقدسة عام ١٩٨٣م إلى ١٩٩١م، تخصُص أدب إنجليزي بجامعة (آزاد إسلامي) شهادة في مجال الحاسب الآلي، داعية إسلامي، له أكثر من ٤٠ مصنفاً في الأبواب المختلفة، وإمام مسجد سيد هاشم بهباني في الكويت.

وهذا ما يلحظه السيد (قُدّس سرّه) في العديد من الآيات القرآنية وكلمات النبي وآله (عليهم الصلاة والسلام)، ففي القرآن الكريم تركيز على الاستغراق في الرسالة وليس في ذات حاملها، قال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[1].

ويعلّق السيد فضل الله (قُدّس سرّه) على ذلك بقوله:

«قد نستوحي من هذه الآية أن الله لا يريد لرسله وللعاملين في سبيله أن يتحركوا في دعواتهم من منطلقٍ ذاتيٍّ يؤكّد على الجانب الشخصي الذي يستدعي انطلاق كلّ واحدٍ منهم من نقطة البداية بعيداً عن خطوات الآخرين الذين سبقوه... وعلى هذا الأساس، فإنّ النبيّ لا يعيش همَّ الذات في حركته، بل يعيش همَّ الرسالة في منطلقاته، ما يجعل من موقعه في حركة الرسالة موقعاً يكمّل السلسلة في خطواتها، لا موقعاً يعطي الذات دوراً مميزاً منفصلاً عن الأدوار الأخرى... وربّما كان لنا أن نستوحي من ذلك أن الله يريد أن يعلّمنا أن لا نستغرق في الأنبياء كأشخاص بل أن نستغرق فيهم كخط وكهُدى وكرسالة».

ولعلّ في الخطاب الموجّه للنبيّ ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[2] وليس (فيهم اقْتَدِهْ) إشارة إلى أنّ النبيّ يموت ولكنّ الخط يبقى، والرسالة تبقى، ولا بدّ للرساليين من أن يحملوها، لأن علاقتهم غير مقيّدة بشخص النبيّ في إطار حياته الدنيا ووجوده الجسماني بينهم، حتّى إذا توفي انفرطوا من بعده، لتسقط ـ حسب تصورهم ـ كلّ المسؤولية الملقاة على عاتقهم تُجاه الإسلام وتُجاه أمّتهم... بل لا بدّ للدعوة من أن تستمر، وبكل قوّة، وقد قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان ٨٩، ٩٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

بالطبع هذا لا يعني أن نضيّع ذكر صاحب الرسالة ونُهمله، بل أن يكون منهجنا قرآنياً في ذلك، فكما أنّ القرآن ذكر الأنبياء والمُصلحين ومجّدهم دون استغراق في العناصر الشخصية في ذواتهم، فكان ذكرهم ذكراً رسالياً حيث كان التركيز على مدى ارتباطهم بالله إيماناً وفتوّى وعملاً، ولما قدّموه في طريق المسؤولية المناطة بهم، فكذلك ينبغي أن نطبع ذكرنا لهم وإحياءنا لأمرهم من ذات المنطلق والأسلوب، وإلا فلن يكون لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[1] معنى، ولا لقوله تعالى: ﴿...قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰۗ﴾[2] موردٌ.

قال (قُدّس سرّه) وهو يستفيض في بيان الفكرة وتوضيحها:

«للولاية في الخطّ العقيدي الإسلامي دور القاعدة الفكرية الحركية في معنى القيادة التي تختصر كل المفردات الإسلامية في حركة الواقع على الخطّ المستقيم. إنّ مضمون الولاية، سواء كانت ولاية الله والرسول والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، ينفتح على الله من حيث هو الربّ الخالق الرازق المهيمن الذي يملك، وعلى الرسول صلى الله عليه وآله من حيث هو الحامل لرسالة الله سبحانه، العامل على تأكيدها في الوعي والواقع، وعلى الأئمة عليهم السلام من حيث هم الأمناء على الرسالة في حمايتها من الانحراف في خطّ النظرية والتطبيق، وتحريكاً في صعيد الواقع على أكثر من اتجاه... إنّ هناك نقطة لا بدّ لنا أن نفهمها جيداً، وهي أن الولاية ليست حالة عاطفية تربط الإنسان بالشخص في عملية حب ينبض بها القلب وتنفتح فيها الروح، ويخفق فيها الشعور، تماماً كما هو الحبّ الذاتي عندما يحبّ إنسان إنساناً فيستغرق في صفاته الذاتية بعيداً عن خطّه الفكري أو العملي في حركة الرسالة، كما يتحرّك فيه الكثيرون من الناس الذين كانت علاقتهم بالنبيّ وبالأئمة علاقة حبّ مستغرق في الذات، فهم ينفتحون على أشخاصهم وفضائلهم وشؤونهم في دائرة العظمة الذاتية بحيث تكون الرسالة جزءاً من أمجادهم، فالرسالة صفة ذاتية في الرسول ترفع مكانته في النفوس، والإمامة عنصرٌ حيويٌّ في ارتفاع درجة الإمام، فلا ينظرون إلى الرسالة في حياة

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

الرسول في روحيّته وفكره وحياته، وفتحت للإمام آفاق المعرفة الواسعة والروح القدسي المنفتح على وحي الله»[1].

ويشير المرجع الراحل (قُدّس سرّه) في كلماته حول هذه النقطة إلى سلبيات عديدة يمكن أن تترتب كنتيجة مرصودة للإخلال في فهم حقيقة التولّي والاستغراق في ذات الأنبياء والأولياء، وشخصنة العلاقة بهم، وضرورة التركيز على محورية دور الرسالة في ذلك... ونلخصها في النقاط التالية:

١ ــ نسيان الهدف والرسالة:

وهو نقض الغرض الذي من أجله قدّم الأنبياء والأولياء ما قدّموا وضَحّوا بما ضَحّوا، فلم تكن مساعيهم من أجل أن يبقى ذكرهم خالداً كأصحاب إنجازات على المستوى الشخصي، ولتُرسم لهم اللوحات وتُنحت التماثيل وتُنشد فيهم القصائد، بل كانت تضحياتهم قربةً إلى الله، ومن أجل الرسالة التي آمنوا بها.

٢ ــ الفصل بين الشخصية وبين دورها التغييري والإصلاحي:

وبالتالي الفصل بين الإيمان وبين العمل الصالح، وهو مخالف للطرح القرآني الذي يجمع بينهما دائماً، ومن هنا نجد صوراً من الارتباط العاطفي الشديد عند البعض من محبّي أهل البيت عليهم السلام دون التزام منهم بسلوك متّسق مع المعالم الرئيسية لشخصية أهل البيت عليهم السلام، من قبيل الورع والتقوى والصدق والأمانة والاستقامة في السلوك، بل وحتى على مستوى إقامة الصلاة والصيام.

إن العاطفة المتجرّدة عن أي التزام عملي ـ حسب السيد (قده) ـ تخلق انفصاماً في شخصية الإنسان الموالي، ولا تُخرجه من دوائر الانحراف التي تهدّد مسيرته في الحياة، بل تُدخله في حالة من فوضى العلاقة بالولي، وفي هذا **قال سماحته (قُدّس سرّه) وهو يتحدّث عن علاقتنا بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام:**

«إني أزعم أنّ بعض الذين يلتزمون علياً عليه السلام في خطّ الولاية لم يتعلّموا من عليّ شيئاً، بل إنهم نظروا إلى عليّ من بعيد ولم يقتربوا من عقله، ولذلك بقي التخلّف في عقولنا ونحن نهتف باسمه، ولم يتعلّموا من قلبه الذي اتّسع

(١) في رحاب أهل البيت عليهم السلام، إعداد: الدكتور سليم الحسني ـ المقدمة.

للإنسان كلّه، وبسبب ذلك بقيت قلوبنا مغلقة عن كلّ محبّة، ولم نتعلّم من حركته في علمه وفي آفاقه، ولذلك بقينا نلتزم التفاهات ونعيش في الأفق الضيّق ونتخلّف ونزداد تخلّفاً، وربما يفرض البعض من الناس تخلّفه على عليّ عليه السلام ليعطيه صورته، وربما يفرض بعضنا تخلّفه على الإسلام ليعطيه صورته.

إن مشكلتنا ـ أيها الأحبة ـ في هذا العصر، وفي هذه المرحلة بالذات، ليست فقط مشكلة الذين يحاربون الإسلام، بل مشكلة الذين يتحرّكون في خطّ التخلّف الذي يفرضونه على الإسلام، والذين يتحدّثون عن الإسلام من موقع الخرافة إنّما يتحدّثون عن الهوامش بدلاً عن الساحة الواسعة، لذلك فلا بدّ أن نبدأ لنتثقّف ولنعرف منه كيف نصوغ مفاهيمنا ونحدّدها، وكيف ننفتح على الحياة من خلال الإسلام في الصورة التي قدّم بها الإسلام لنا، فليست المسألة أن نزور عليًّا عليه السلام في التاريخ، بل لا بد لنا أن ندعوه إلى أن يزورنا لا زيارة الجسد ولكن أن يدخل «نهج البلاغة» في فكرنا وسياستنا واقتصادنا وإدارتنا وعلاقتنا وأوضاعنا لنسمو في مواقع سموّه، وهو الذي محلّه محلُّ القُطب من الرَّحى ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير»[1].

٣ ــ عدم وضوح الرؤية واتخاذ الموقف الخاطىء بسبب اختلال المعايير:

ففي نهج البلاغة: «**قيل إنّ الحارث بن أحوط أتاه فقال: أتراني أظنّ أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟ فقال عليه السلام: يا حارث إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فَحُرْت، إنّك لم تعرف الحقّ فتعرف أهله، ولم تعرف الباطل فتعرف مَن أتاه! فقال الحارث: فإني أعتزل مع سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر، فقال عليه السلام: إنّ سعيداً وعبد الله بن عمر لم ينصرا الحقّ ولم يخذلا الباطل**» بعد أن ينقل د. طه حسين هذه الكلمات عن الإمام عليه السلام يقول: «ما أعرف جواباً أروع من هذا الجواب الذي لا يعصم من الخطأ أحداً مهما تكن منزلته، ولا يحتكر الحقّ لأحد مهما تكن مكانته» وقد يقال إن أصحاب الجمل لم يكونوا معصومين، ولذا لم يكونوا معياراً للحق والباطل بخلاف المعصومين عليهم السلام... ولكن هل نضمن أن كلّ ما نُقل إلينا من كلمات ومواقف هي فعلاً صادرة عن المعصوم؟ وبالتالي فلا بدّ أن يكون المعيار هو الحقّ كما قال عليه السلام.

---

(١) نشرة فكر وثقافة، النسخة الإلكترونية، العدد ١٦٥.

٤ ــ عدم تحوُّلهم إلى أُسوة عملية:

لأن التركيز على الذات يركّز الفارق في المستوى بين المعصوم وبيننا، وبالتالي يتصوّر الفرد أنّ تكليف المعصوم مختلف عند تجمُّع عناصر اتخاذ الموقف، فإذا تكرّرت الظروف معنا وتجمّعت العناصر فلن يكون لموقفه دلالة عملية.

٥ ــ السقوط في مهاوي الغلوّ:

وهو ما حذّرت منه الآيات القرآنية والأحاديث المروية عن النبي وآله كما جاء في الآية الشريفة ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾[1] فكان الغلوّ ناتجاً عن الاستغراق في ذات النبي عيسى عليه السلام وعناصره الشخصية في ولادته وكلامه في المهد ومعاجزه المتنوّعة بالإضافة إلى بعض العوامل المساعدة ونسيان أصل الرسالة التي دعت إلى التقوى والعمل الصالح، حتى أصبحت الجريمة ـ على مستوى جرائم المافيات الأميركية ـ عند المسيحي الكاثوليكي مبرَّرة ما دام الإنسان مؤمناً بالمسيح المخلِّص، وفي حديث عن الإمام السجاد عليه السلام: «**أحبُّونا حبّ الإسلام، فما زال حبّكم لنا حتّى صار مشيناً علينا**»[2]. يقول العلّامة المجلسي في البحار في معنى ذلك: «**لعلّ المراد النهي عن الغلو، أي أحبُّونا حبًّا يكون موافقاً لقانون الإسلام ولا يُخرجكم عنه، ولا زال حبّكم كائن لنا حتى أفرطتم وقلتم فينا ما لا نرضى به، فصرتم شَيناً وعَيباً علينا، حيث يعيبوننا الناس بما تنسبون إلينا**».

وقد تحدّث المرجع فضل الله (قُدِّس سرّه) في مناسبات عديدة حول إشكاليات المغالاة في حبّ عليّ عليه السلام، الذي يمثّل الارتباط به عندنا ـ كأتباع لمدرسة أهل البيت عليهم السلام قِمّة الارتباط الولائي بهم، ومنها كلماته التالية: «**يقول أمير المؤمنين** عليه السلام: «**هلك فيَّ إثنان: محبٌّ غَالٍ ومبغضٌ قالٍ**»[3]. فقد كان عليّ يحبّ الله تعالى ولا يحب نفسه، ويحبّ رسول الله ولا يحبّ نفسه، ولذلك فإنّ عليًّا كان

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٢) بحار الأنوار ج٤٦ ص٧٣، عن إرشاد المفيد ص٢٧١.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة رقم ١١٧، وفي الخطبة رقم ١٢٥، وفي الحكمة رقم ٤٦٩.

يتواضع لله تعالى فلا يريد لأحد أن يقترب به من مقام الله (عزّ وجلّ) في أي مجال من المجالات، وهو ما عبّر عنه في دعاء كميل «**وأنا عبدك الضعيف الذليل الحقير المسكين المستكين**». إنّه يعتزّ بعبوديته ويرى أنّ عظمته في العبودية الخالصة، عبودية العقل والقلب لله والحركة لله هي سرّ عظمته، لأن الإنسان كلّما كان عبداً لله أكثر اقترب من الله أكثر، وكلّما اقترب منه أكثر عاش العظمة في آفاق الله أكثر، فلا يحسب الذين يغالون في عليّ عليه السلام أو في أبناء عليّ أنّهم يعيشون المحبّة لأهل البيت عليهم السلام، فإنّهم عاشوا للإسلام كلّه، وذلك هو قولهم «**مَن كان وليًّا لله فهو لنا وليّ، ومَن كان عدوًّا لله فهو لنا عدوّ، واللهِ ما تُنال ولايتنا إلاّ بالعمل وبالورع**»[1] ولقد كرّرنا مراراً أنّه ليس لأهل البيت شيء سوى الإسلام، فليس لديهم شيء للذات، لذلك علينا، عندما نريد أن نفتح عقولنا وقلوبنا لحبّهم، أن نحبّهم كما أرادوا لنا أن نحبّهم، أي أن يكون الحبّ في الدائرة الإسلامية، وأن لا يبتعد عن العقيدة الإسلامية في خطوطها القرآنية والنبوية، وبذلك فإنّ علينا أن ندقّق فيما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في ذلك كلّه»[2].

يقول سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه) أيضاً:

«إن الولاية الرسولية أولاً، والإمامية المنطلقة من ولاية الرسول ثانياً، هي الأساس في دور الرسول والإمام، بالمعنى الذي يجعل الرسالة كل شيء في الدور، فهي التي تحكم معنى الذات في وجودهما.

ولذلك لا بد من أن يكون الارتباط بالرسول والإمام من خلال الارتباط بالإسلام كقاعدة أساسية في مضمون الحب، ومعنى الاتّباع، وامتداد العلاقة، بحيث يتحدد مستوى الحب بالحدود التي تضعها الرسالة في ارتباط العاطفة بالرموز الدينية، فلا غلوّ بالدرجة التي تصل إلى الحد الذي يقترب من صفات الألوهية، التي ترتفع بالرمز ليكون إلهاً من الدرجة الثانية.

ولعلنا نستوحي هذا الرفض من هذا التأكيد الحاسم المتكرر في أكثر من آية

---

(١) صفات الشيعة ص٢١، حديث ٢٢ ـ الكافي ج٢، ص٧٢.

(٢) عليّ ميزان الحق، إعداد وتنسيق: صادق اليعقوبي ص٣٥١ والكتاب بمثابة خلاصة للمحاضرات والكتابات التي قدّمها المرجع الراحل (قده) حول أمير المؤمنين عليه السلام.

على بشرية الرسول ﷺ، بحيث تركّز على بعض نقاط الضعف البشرية في الرسول بما لا يتنافى مع موقع العصمة في شخصيته، ولا يسيء إلى مكانة النبوة في دوره.

وقد جاء في الحديث عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «أحبونا حبّ الإسلام»[1].

ومعنى ذلك أنّ الحبّ للرسول والأئمة عليهم السلام، لا بد أن يكون منطلقاً من الإسلام في مضمونه العاطفي فلا يبتعد عن حدوده، ومتحركاً في خط الإسلام من حيث أنهم يمثلون فكره وقيمه وخطه ومنهجه، ليكون الارتباط بهم لوناً من ألوان الارتباط بالإسلام، فلا نفصل بينه وبينهم، ولا نبتعد عنه في التزامنا بهم عليهم السلام.

كيف يمكن أن نتمثّل الولاية في حياتنا العملية المعاصرة:

هل يكفي التشديد على إثارة ذكرياتهم والفرح في مناسبات أفراحهم؟ أو الحزن في مناسبات أحزانهم؟ والتركيز على الحديث عن فضائلهم وكراماتهم والاستغراق في الأجواء العاطفية المرتبطة بهم؛ ليكون ذلك كله هو المظهر الحر لارتباطنا بهم عليهم السلام...؟؟

يقول سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه):

«إننا نتصور أن الولاية في علاقتنا بأهل البيت (عليهم السلام) تتمثل في الالتزام بالإسلام كله، عقيدةً وشريعة، ومنهجاً في حركتنا في الحياة، وذلك باعتباره رسالتنا التي نحملها إلى العالم، لنعمّق الالتزام الإنساني به في مواجهة التيارات المضادة التي تقف من الإسلام موقفاً سلبياً في ساحة الصراع... على مستوى الصراع الثقافي والاجتماعي والسياسي كما تقف من قضايا المسلمين موقفاً استكبارياً محارباً، فذلك هو الذي يمثّله النهج الرسالي للرسول ﷺ وأهل البيت عليهم السلام»[2].

ثم إن هذا الالتزام الفكري والعملي يساوق التزاماً آخر على مستوى العاطفة والروح، فلا يُراد للإنسان المسلم أن يتجرّد من عاطفته ومشاعره، بل

---

(١) بحار الأنوار ج٤٦ ص٧٣، عن إرشاد المفيد ص٢٧١.

(٢) في رحاب أهل البيت عليهم السلام، إعداد: الدكتور سليم الحسني ـ الجزء الأول.

أن يجعلها متناغمة مع عقله وسلوكه، بل إنّ للعاطفة المعقلنة دوراً إيجابياً وفاعلاً في التمسُّك بالخطّ الولائي، ولذا قال (قُدّس سرّه):

«إنَّ الالتزام بالعقيدة لا يتمثّل في الالتزام الفكري الذي يمثّل الموقف الفكري للإنسان بل يمتدّ إلى الالتزام العاطفي والروحي مع خطّ الفكر في حركة الحياة إزاء العلاقات الإنسانية الموافقة أو المضادّة، فإنّ التقاء الجانب العاطفي بالجانب الفكري في شخصية الإنسان المسلم يمثّل وحدة الشخصية، بينما يكون اختلافهما مظهراً من مظاهر ازدواجيّتها وتمزقها الذاتي، ما يترك آثاراً سلبية على استقامتها على الخط الإسلامي المستقيم، وإذا كانت العواطف غير الإسلامية تنطلق من مفاهيم غير إسلامية، باعتبار أن العاطفة هي نتيجة المفهوم الكامن في الذات، فإنّ ذلك يؤدّي إلى التناقض بين الالتزام الفكري الذي يوحي بعاطفة إيجابية، والعاطفة السلبية الناتجة عن مفهوم مضادّ، فكيف يمكن اجتماعهما في الذات في الوقت الذي ينفي فيه أحدُهما الآخر؟!

إن الحب في المفهوم القرآني لا يتمثّل في العاطفة المجرّدة ومظاهرها الساذجة، بل يتمثّل في العاطفة التي تتحول إلى مواقفَ عملية في اتجاه خطّ الحب، وقد يتطوّر المفهوم في اعتبار المواقف العملية المضادّة دليلاً على ضعف الحبّ أو عدم جديّة العاطفة وصدقها»[1].

وقال (قُدّس سرّه) في بيان نماذج من التطبيقات العملية لِصُوَر الانتماء الحقيقي لمدرسة النبيّ وآله عليهم السلام:

«ولهذا، فإنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام أكّدوا أن مسألة التشيُّع ليست حبًّا ساذجاً، ليست مجرّد خفقة قلب، أن تقول أحبّ عليًّا وتأخذ حريّتك مع كلّ الذين حاربهم عليّ؟! لقد حارب عليّ (عليه السلام) الظالمين والكافرين والمتمرّدين على الله، فكيف تحبّ علياً وأنت تؤيّد كل أولئك أو تدعمهم أو تسير معهم، وكأنّك وفّيت قسطك لعليّ، لأن البعض قال لك: حبّ علي حسنة لا يضرّ معها شيء؟ عليّ عانى ما عانى من أجل الإسلام، والأئمة من بعده أكّدوا ذلك، فالتشيُّع إذاً خطّ للفكر، بأن يكون فكرك فكر الحقّ في خطّ

(١) من وحي القرآن، تفسير سورة البقرة، الآيات ١٦٥ ـ ١٦٧.

الإسلام، والتشيُّع خط للعاطفة، بأن تكون عاطفتك ممزوجة بالإسلام، والتشيُّع خطّ العمل، بأن يكون عملك منفتحاً على الإسلام كلّه...».

وفي جانب آخرَ، نلاحظ كيف يتعامل المسلمون ـ والشيعة بشكل خاص ـ مع بعضهم بعضاً، وقد سأل الإمامُ رجلاً عمّن خلّف من إخوانه، فأجابه بحسن الثناء والتزكية والإطراء، فقال: «**كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم؟ قال: قليلة، قال: وكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟ قال: قليلة، قال: كيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟ فقال: إنك تذكر أخلاقاً قلّ ما هي فيمن عندنا!! فقال عليه السلام: فكيف تزعم عن هؤلاء أنهم من الشيعة؟**»[1]

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**يا معاشر الشيعة، كونوا لنا زَيْناً، ولا تكونوا علينا شَيْناً، قولوا للناس حسناً، احفظوا ألسنتكم وكفُّوها عن الفضول وقبيح القول**»[2] وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**يا شيعة آل محمد، إنّه ليس منا مَن لم يملك نفسه عند الغضب، ولم يُحسن صحبة مَن صاحبه، ومرافقة مَن رافقه، ومصالحة مَن صالحه، ومخالفة مَن خالفه**[3]»[4].

وهناك نقطة حيوية أخرى، وهي أن علينا أن ننفتح على أصالة التراث الإسلامي الفكري الذي تركه أهل البيت عليهم السلام لنقوم بدراسته وتوثيقه وتنقيته من كل الشوائب العالقة به مما وضعه الوضّاعون، وكذب فيه الكذّابون، فلعل بعضها يكون مكذوباً عليهم من قبل بعض الناس الذين كانوا يضعون الأحاديث على لسانهم، فينسبونها إليهم زوراً وبهتاناً.

وقد حذّرنا الأئمة عليهم السلام من ذلك ودعونا إلى عرض الأحاديث على كتاب الله، وقالوا: إنّ ما خالف كتاب الله فهو زخرف، لأن القرآن هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم يقترب إليه التحريف، ولم يستطع المحرّفون أن يفرضوا كلمة واحدة عليه في مدى التاريخ، لذلك نرى القرآن

---

(١) صفات الشيعة ص١٦٦ ـ ١٦٨.

(٢) أمالي الطوسي ج٢ ص٥٥.

(٣) تحف العقول ص٣٨٠.

(٤) خطبة يوم الجمعة، مسجد الإمامين الحسنين عليهما السلام بالضاحية الجنوبية لبيروت في ٢٣ ربيع الثاني ١٤٢٥هـ.

واحداً لدى المسلمين جميعاً، فليس لأية طائفة من المسلمين قرآن مختلف عن قرآن طائفة أخرى، فهو مظهر الوحدة الإسلامية في الكتاب الواحد، بالإضافة إلى الرب الواحد والرسول الواحد والعقيدة التوحيدية والشريعة الشاملة[1].

الدور الموكَل إلى أهل البيت عليهم السلام:

يقول سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه):

«دورهم (عليهم السلام) هو تأصيل القواعد الإسلامية وحراسة المفاهيم الإسلامية من الانحراف، وقيادة الواقع الإسلامي لتحقيق الأهداف الكبرى، وهذا ما عبّر عنه أمير المؤمنين علي عليه السلام: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّا منافسةً في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك ونُظهر الإصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعَطَّلة من حدودك»[2].

ويقول إمام الحق والهدى أيضاً: «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألاّ يقاروا على كظة ظالم ولا شغب مظلوم، لألقيتُ حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[3].

وقال عليه السلام في كلمة أخرى: «أيها الناس، ليس أمري وأمركم واحداً، إني أريدكم للّه وأنتم تريدونني لأنفسكم»[4]... وقال أيضاً: «والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جورٌ إلا عليَّ خاصة»[5].

إنهم أئمة الإسلام وقادته، ولذلك لا يريدون للناس أن يتشيعوا لهم من خلال الحب الذاتي وحسب، فليس التشيُّع خطاً مزيداً في الإسلام، بل هو في طول خط الإسلام، يتحرك الأئمة عليهم السلام فيه من خلال رسول الله صلى الله عليه وآله في أقوالهم

(١) مقتبسة من كتاب (في رحاب أهل البيت عليهم السلام ـ الجزء الأول).
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٨، باب ١٣١، ص٢٦٣.
(٣) المصدر نفسه، ج١، باب ٣، ص٢٠٢.
(٤) المصدر نفسه، ج٩، باب ١٣٦، ص٣١.
(٥) المصدر نفسه، ج٦، باب ٧٣، ص١٦٦.

وأفعالهم ومواقفهم. . . وينطلقون على أساس الإسلام كله لا يزيدون فيه حرفاً ولا يُنقصون منه حرفاً»[1].

العصمة برأي سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه):

يقول سماحته (رضوان الله عليه):

«الواقع أنني ليس لي رأيٌ سلبيٌّ في العصمة بل إني أتصور أن نهجي في الاستدلال على العصمة أكثر سلامة ودقّة من المنهج الذي اعتمده الآخرون. فنحن نلاحظ أن من أدلة القدماء على العصمة أن غير المعصوم يفقد ثقة الناس به، فلا يقبلون عليه ولا يستمعون إليه مما يلغي دور النبي أو دور الإمام إذا لم يكونا معصومين، إذاً فالعصمة تكون لاحتواء واقع الناس لأن الناس تتبع مَن تثق به ولا تتبع مَن لا تثق به، فلو أن الله أرسل أنبياء غير معصومين أو أن النبي عُيّنَ بأمرٍ من الله أئمة غير معصومين، فإن الناس لا تثق بهم وبالتالي فإن أثر النبوة أو أثر الإمامة يكون قد فُقِد.

إننا نتصور أن هذه المسألة لا تسلم أمام النقد، لأن العقل إنما يحكم في هذا الاتجاه من العصمة في حالة التبليغ لأنه لا معنى لأن يرسل الله نبياً أو أنه يعين إماماً لا يستطيع أن يضمن استقامته في خط الصدق أو في خط الوعي والالتفات إلى ما يبلغه عن الله وعن رسوله لأن الناس إذا فقدت ثقتها بكلام الولي باحتمال أنه ينسى أو يسهو أو يحرِّف الكلم عن مواضعه أو يغفل أو ما إلى ذلك فإن الناس لا تثق بأن ما يقوله هو من عند الله ﷻ، وبذلك تفقد الرسالة وثاقتها في نفوس الناس فلا يعود لها معنًى في عملية الإيمان وفي عملية الهداية.

أما بالنسبة إلى العصمة في غير هذا الجانب كما لو فرضنا أن النبي ﷺ أو الإمام عليه السلام يخطىء في أمور حياتية أو أنه ينسى بعض الأشياء العادية، يسهو في صلاته، فإن العقل لا يحكم بامتناع الخطأ أو النسيان أو السهو في هذا المجال، بل إننا نرى أن بعض فقهاء الشيعة وهو الشيخ الصدوق أو أبوه أو شيخه (رض) يرون أن أول علامة من علامات الغلو هو نفي السهو عن الأئمة، ونرى أن بعض علمائنا

---

(١) من كتاب فقه الحياة حوار مع سماحةالسيد فضل الله (قده) (أجراه أحمد أحمد ـ عادل القاضي) ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، ط٥، ص٢٧٧، ٢٧٨.

ومنهم السيد الخوئي (رحمه الله) يتحدث بأنه ليس من الممتنع أن يسهو النبي ﷺ أو الإمام عليه السلام في غير موقع التبليغ ولكن الممتنع فقط هو أن يسهو في التبليغ.

وعلى ضوء هذا، فإن العقل لا يحكم بضرورة أن يكون معصوماً في القضايا الأخرى، كما أن النبي ﷺ أو الإمام عليه السلام لا يفقد ثقة الناس به لمجرد خطأ هنا أو خطأ هناك، مما لا يتصل بالقضايا الحيوية الأساسية التي تمس خط الاستقامة في الإيمان والإسلام وما إلى ذلك، ونحن نلاحظ في الواقع الخارجي أن الناس ترتبط بكثيرين في المسألة السياسية والمسألة الدينية والاجتماعية فتنجذب لأشخاص بشكل فوق العادة مع إيمانها بأن هؤلاء الناس يخطئون في غير الموقع الذي يتبعونهم فيه أو أنهم لا يتعمدون الخطأ حتى في المواقع التي يتبعونهم فيها بحيث يتراجعون عن الخطأ في حال اكتشافه، فإن الناس لا تفقد ثقتها فيهم.

ومن هنا، فإننا حاولنا ولا ندري كم تصدق هذه المحاولة من الناحية الفكرية أن ندرس طبيعة النبوة، فإن النبوة ليست مهمة (ساعي بريد) ينقل الرسالة ليبلّغها للناس وتنتهي مهمته عند هذا الحد بل نحن نقرأ في قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾[1] ونحن نقرأ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾[2] فهو بالإضافة إلى كونه مبشّراً ونذيراً يمثّل الشاهد على الناس كما يمثّل السراج الذي يضيء للناس، ومن المعلوم أن المقصد أنه يضيء للناس درب الحق وهكذا كان موقع النبي ﷺ أن يحكم بين الناس بالحق وأن يقيم الحياة على أساس الحق، ومن الطبيعي أن الإنسان الذي يراد له من خلال موقعه أن يغير العالم على أساس الحق لا يمكن أن يكون في عقله شيء من الباطل، والإنسان الذي جاء ليكون السراج المنير لا يمكن أن يكون في عقله شيئاً من الظلمة أو في إحساسه أو في حركته شيئاً من الظلمة، الأمر الذي يجعل مسألة النبوة هي مسألة نور يشرق في عقول الناس وقلوب الناس وحياة الناس، لا سيما أن الله

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان ٤٥، ٤٦.

جعل الكتاب الذي يحمله النبي ﷺ نوراً واعتبر النبي ﷺ تجسيداً للكتاب فهو القرآن الناطق إلى جانب القرآن الصامت.

إننا نعتقد بأن فهمنا لدور النبوة وهو دور المهمة التي يراد لها أن تغير العالم على أساس الحق يفرض أن يكون النبي حقاً كله وأن لا يكون فيه شيء من الظلمة، والإمامة هي امتداد للنبوة من دون نبوة «**يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي من بعدي**» لذلك لما كان دور الإمام هو دور حارس الشريعة ودور الإنسان الذي يعمل على امتداد خط النبوة في حياة الناس على أساس تركيز الحق في الفكر وفي العمل والقول وفي حركة الواقع فلا بد أن يكون معصوماً تماماً كما هو النبي ﷺ في هذا المجال»[1].

«إن رأينا في عصمة أهل البيت عليهم السلام بما فيهم الزهراء عليها السلام هو أنّ الله (سبحانه وتعالى) أودع فيهم من عناصر العلم والروح وخصائص القدس ما يذهب به الرجس عنهم ويحقق الطهارة فيهم، لقد أعطاهم نوراً يتحركون فيه من خلال وعيهم لكل خطوط النور وآفاقه، وأعطاهم العلم والروحانية التي تلتقي بوعي الله (سبحانه وتعالى) ومعرفه، ووعي الإسلام في عمقه وامتداده، بحيث يتحركون بالطهر بوعي، ويبتعدون عن الشر بوعي، لأن هذه العناصر التي أعطيت لهم هي التي تعمّق الوعي والإرادة فيهم، ولكنها لا تحرّكهم تلقائياً وبغير اختيار، فلا يقولنَّ قائل إن معنى العصمة التكوينية المستفادة من الآية الشريفة: ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[2] تعني أن الله (سبحانه وتعالى) يسلبهم الاختيار فيكونون الطاهرين بغير اختيارهم والبعيدين عن الرجس بغير اختيارهم بحيث يتحركون بالطهر تحركاً آلياً كما تتحرك الآلة من دون وعي، فإن هذا التوهُّم فاسد، لأنّا وإن قلنا أن الله هو الذي أودع فيهم عناصر القداسة والروحانية والعلم، لكن هذا لا يستلزم سلبهم الاختيار وأن يصيروا كالآلة الجامدة أو العصا في يد صاحبها، لأن هذه العناصر الآنفة تعمّق الوعي فيهم كما أسلفنا، لا أنها تسلبهم الاختيار»[3].

---

(١) من كتاب فقه الحياة (حوار مع سماحة السيد فضل الله (قده) أجراه أحمد أحمد ـ عادل القاضي) ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، ط٥، ص٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) من كتاب (الزهراء القدوة) إعداد الشيخ حسين الخشن (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م) ط١، دار الملاك، ص١٦٣، ١٦٤.

الفصل التاسع

الشعائر الحسينية

- إصلاح الشعائر الحسينية عند سماحة السيد فضل الله (قده)
- نبذة عن السيد محسن الأمين (قُدِّس سرّه)
- حركة الإصلاح الديني عند السيد محسن الأمين (قُدِّس سرّه)
  ١ ـ الإصلاح عن طريق الممارسة
  ٢ ـ الإصلاح في المعتقد الديني وهي على قسمين:
  القسم الأول: إصلاح أخطاء مجالس العزاء
  القسم الثاني: مسرحية عاشوراء التمثيلية
- رد البدع والخرافة
- وجهة نظر السيد محسن الأمين (قُدِّس سرّه)
  ١ ـ دور إبليس
  ٢ ـ ملاحظات السيد محسن الأمين (قده) حول الممارسات
  ٣ ـ خلاصة خطوات هذا الخلاف
- بين العقل والخرافة
- كيف نُحيي أمرَ أهل البيت عليهم السلام
- رأي الشيخ الوائلي (رحمه الله) فيما يسمّى شعائر الإمام الحسين عليه السلام
- رأي الشهيد مرتضى مطهري
- الأسلوب العاشورائي المشرق
- كيف تكون عاشوراء بنظر سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قده)

الفصل التاسع

الشعائر الحسينية

إصلاح الشعائر الحسينية عند سماحته (قُدّس سرّه):

كان من أساسيات رسالة سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه) إصلاح الشعائر الحسينية من ضرب الرأس (التطبير) وضرب الظهر بالسلاسل وغيرها، من عاداتٍ دخيلة على مذهب التشيُّع وخط أهل البيت عليهم السلام ومنهجهم.

كان يسعى دائماً لإبعاد الأكاذيب والخرافات عن المنبر الحسيني مما لا تستسيغه العقول أو لا يثبُتُ بشكل موثوق، لأنه كان يرى أن في سيرة النبي صلى الله عليه وآله وفي سيرة الأئمة عليهم السلام من أهل البيت عليهم السلام مما هو حق وصدق، ما يغني المنبر والكتاب والخطاب، دون حاجة إلى أن نكذب لنزيد من مآسيهم مآسي أو نكذب لنزيد من فضائلهم فضائل أو نكذب لنثير الحقد والكراهية للذين كانوا يعارضونهم.

الحق أكبر من ذلك، للإمام الصادق عليه السلام كلمة، كان عليه السلام في مجلس يضم أصحابه وكان هناك شامي قادم ليناقش الإمام الصادق في مسألة الإمامة، وَعَهَدَ الإمام عليه السلام إلى بعض تلاميذه أن يناقشوه، لأنه كان يريد لتلاميذه أن يتحدّثوا ويحاوروا ويجادلوا أمامه لينقدهم بعد ذلك نقد الإيجاب في ما ينجحون فيه ونقد السلب في ما يخطئون فيه، وانطلق هذا وذاك ليناقشه، وبدأ الإمام عليه السلام يرصد تجربتهم، وبعد انتهاء النقاش وذهاب الشامي قال الإمام عليه السلام لبعضهم: «إنك أخذته بالحق والباطل، ناقشته بالحق وبالباطل لتتغلب عليه، مستغلاً غفلته عن أن يكتشف الباطل فيما حدثته من الباطل» وقال له: «**قليل الحق يكفي عن كثير الباطل**»[1].

---

(١) البحار ج٢٣ ص١٣ رواية ١٢ باب ١.

يقول سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه):

«إن للحق قوة في ما يملكه من عنصر قهر الباطل ومواجهته لا يحتاج فيها الحق إلى أن تضيف له شيئاً من الباطل، فالحق لا يحتاج إلى بهارات بل هو لذيذٌ في عمقه.

ولذلك فإن القصة هي أن نثير تاريخنا، لننقده، ولنكتب من خلال النقد تاريخاً جديداً، لأن التاريخ كان يُكتب للسلاطين ولم يُكتب تاريخ الشعب، وقد يختلط تاريخ السلاطين بتاريخ الشعوب، وقد ينطلق بعض الناس ليبالغوا بأشياء كثيرة.

يُنقل أن «بعض الرواة كان يروي أنه مَن قرأ سورة الفاتحة فله سبعون ألف غرفة في الجنة، وله سبعون ألف حورية، وله سبعون ألف نهر، وهكذا... قيل له: إنك تكذب على رسول الله، أوَما سمعت قول رسول الله ﷺ: «مَن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار قال: سمعته لكني كذبت له لا عليه»[1]. باعتبار أنه يشجع الناس على قراءة القرآن، بعض الناس يقولون: نحن لا نكذب على أهل البيت عليهم السلام ولكن نكذب لحسابهم»[2].

أهل البيت عليهم السلام يقولون برواية عن الإمام الباقر عليه السلام بعدما بيَّن مَن هم أتباع آل البيت وشيعتهم: يا جابر يكتفي مَن اتخذ التشيُّع أن يقول بحبنا أهل البيت عليهم السلام، فوالله ما شيعتنا إلا مَن اتقى الله وأطاعه، وكانوا يُعرفون بالتواضع والتخشُّع وصدق الحديث وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء... حسبُ الرجل أن يقول أُحبُّ علياً عليه السلام وأتولاه، فلو قال: إني أحب رسول الله ﷺ ورسول الله خيرٌ من علي ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنّته ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة»[3].

فنستخلص عدة أمور من هذه الرواية وهي:

---

(١) العلاّمة المجلسي، البحار، ج٢٠ ص١٦٠ رواية ١٠ باب ٢١.

(٢) من كتاب حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع، ص٥٨٥، دار الملاك ١٩٩٧م، ط١.

(٣) صفات الشيعة ص٢١ حديث ٢٢.

١ ـ أن شيعة أهل البيت عليهم السلام ومحبيهم لا يكذبون، وصفاتهم صدق الحديث، فالذي يكذب ببعض مضامين العزاء أو على المنبر أو في أي أمر يتعلق بهم فهو ليس موالٍ ومُحِب.

٢ ـ مَن يحب أهل البيت عليهم السلام فعليه أن يترجم ذلك لا بضرب الرؤوس والحزن والبكاء والعزاء فقط بل باتباع ما حثُّوا عليه من تقوى وطاعة للّه، والتواضع وأداء الأمانة وصدق الحديث وكثرة ذكر الله وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس وغيره، فالحب يترجم أفعال وسلوك مستقيم وسَوِيْ في المجتمع.

٣ ـ أنهم عليهم السلام أحالونا إلى الله (تعالى) فخطهم خط الله وهم وسيلة إلى الهدف الأساسي وهو عبادة الله، وليسوا هم الهدف كما هو الحاصل في زماننا من استغراق في زيارتهم والغلو في محبتهم عليهم السلام وابتعادنا عن القرآن والمسجد وخط الإسلام الحقيقي.

٤ ـ مَن يعتقد أن محبة أهل البيت عليهم السلام تكفيه إن كان مذنباً أو عاصياً كما يروّج لها بعض المعمّمين وخطباء المنابر فيشفع أهل البيت عليهم السلام له لمجرد أنه موالٍ لأهل البيت عليهم السلام ومُحِبٌ على قاعدة (سودتُ صحيفة أعمالي ووكلتُ الأمرَ إلى حيدر) فهو مخطىء، فأهل البيت عليهم السلام لا يوجد بينهم وبين الله قرابة إنما المعيار هو معيار التقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

أما شفاعة أهل البيت عليهم السلام تأتي لمَن أطاع الله ولكنه أذنبَ في بعض المواقع ويحتاج إلى شفاعة أهل البيت عليهم السلام فبكرامتهم وموقعهم المتقدم بالتقوى والإيمان يقبل الله هذه الشفاعة. وطبعاً هذا كله في يوم القيامة.

لم يكن سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه) أول مَن رفض هذه الشعائر واعتبرها دخيلة ومسيئة إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام بل كان هناك العديد من العلماء المخلصين مَن سعى إلى الإصلاح في شعائر عاشوراء ومعظم الشعائر الحسينية ونبذ الخرافة والبدعة، ومن هؤلاء العلماء المرجع الفقيه السيد محسن الأمين (قُدّس سرّه)، فمَن هو السيد محسن الأمين (رضوان الله عليه)..؟

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

نبذة عن السيد محسن الأمين (قُدّس سرّه)[1]:

السيد محسن الأمين (قُدّس سرّه) الفقيه والمرجع الكبير، لبناني الأصل من بلدة شقراء من قرى جبل عامل الجنوبية، ولد سنة ١٢٨٤هـ الموافق (١٨٦٧م) انتقل إلى مدينة النجف سنة (١٣٠٨هـ ـ ١٨٨٥م) فدرس السطوح ثم الخارج وأصبح مجازاً في الاجتهاد وغدا من كبار المدرسين والتفّ حول منبره الكثير من الطلاب وذاعت شهرته حتى ملأت النجف ثم انتقلت سريعاً فغطت سائر أنحاء العراق فإيران والهند فباكستان، فسوريا ولبنان، وتحدّث عنه الناس في كل قطر وكثر مقلدوه وأصبح إماماً يرجع إليه الكثيرون ـ من بلاد مختلفة ـ وفي حل قضاياهم الدينية والحيوية.

استمر السيد الأمين (قُدّس سرّه) في العراق يطالع ويكتب ويدرّس حتى عام (١٣١٩هـ ـ ١٩٠١م) حيث كتب أبناء الشيعة في دمشق إلى المرجع الأعلى للطائفة في النجف الأشرف السيد محسن الطباطبائي الحكيم يطلبون منهم معلماً ومرشداً دينياً، فانتقل السيد الأمين (قُدّس سرّه) إلى مدينة دمشق مرجعاً وعالماً للمسلمين الشيعة فيها وسكن في أحد أحيائها في دخلة الشرفاء في الشارع والمحلة التي حملت اسمه فيما بعد «حي الأمين» ومن المتواتر عن السيد الأمين (قُدّس سرّه) أنه كان بعيداً عن العصبية الدينية وأنه كان فوق الطائفيات فاستطاع أن ينشىء مدرستين، الأولى: المدرسة العلوية للذكور وسميت لاحقاً بالمدرسة اليوسفية نسبة للحاج يوسف بيضون لعطاءاته الكريمة المتكررة التي قدمها في سبيل إنشاء المدرستين، ثم أُستبدل هذا الاسم من جديد بعد وفاة السيد الأمين (قُدّس سرّه) فأصبح المدرسة المحسنية ولا يزال.

أما المدرسة الثانية: إسمها المدرسة العلوية، أدخل إلى برامجها العلوم الحديثة ولوبشكل ضعيف ثم استأجر إلى جانبها داراً أخرى فجعلها مدرسة لتعليم البنات وكان تعليمهنّ ـ في ذلك الوقت ـ بنظر الكثرة من رجال الدين الشيعة منكراً.

وهكذا نجد السيد الأمين (قُدّس سرّه) كان من أوائل العلماء الشيعة الذين

---

(١) مقتبسة من كتاب السيد محسن الأمين ـ سيرته ونتاجه للدكتور علي مرتضى الأمين ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، دار الهادي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

شيّدوا المدارس وحرّضوا على اقتباس ما عند الغرب من معرفة في وقت كان غيره من رجال الدين الشيعة يتقوقعون ضمن دائرة ضيقة لا يحاولون الخروج منها بل كانوا يعتبرون أية محاولة للخروج منها شذوذاً وتمرداً وكفراً. وقد تمادى بعضهم في حكمه فقال: إن تعليم الفتاة هو من الكفر.

وقد صوّر الشاعر موسى الزين شرارة فعل هؤلاء المعمّمين بقصائد ساخرة[1] نذكر بعض أبياتها على سبيل المثال:

١ ـ «أرَأيْتَ أسوأَ حالةً من موطنٍ ... علماؤُهُ والدهرُ من أعدائِهِ»

٢ ـ «ما للفتاةِ وما للشعرِ في بلدٍ ... لو أمكنَ البعضُ فيهِ حجّبَ[2] الذاكرا»

٣ ـ «إن شَعْباً يرى التطورَ كُفراً ... ويُداوي عليلهُ بالنذورِ»

٤ ـ «ويرى العلمَ والفنونَ فساداً ... لهو أولى الورى بسُكْنى القبورِ»

نهض السيد الأمين (قُدّس سرّه) بالشيعة فكرياً من خلال كتاباته التي تجاوزت المائة مؤلّف في العقيدة والتاريخ والحديث والمنطق والأصول والفقه والنحو والصرف والشعر والأدب والقصة وغيره.

ومن أشهر مؤلفاته «أعيان الشيعة» و«رسالة التنزيه» التي حارب بها العادات والتقاليد البالية، منها إصلاح المنبر الحسيني وغيرها ليحل محلها التشاريع الإسلامية الصحيحة.

ـ كان من دعاة التقريب الفقهي والوحدة الإسلامية، حارب الخرافات والبدع وحمل هم التخلّف الحضاري والتمزق الاجتماعي للأمة.

ـ كان يزور مسقط رأسه شقراء كل صيف تقريباً حيث مربع الصبا وشوقه لأبناء العمومة.

---

(١) يقول الشاعر أن حادثة جرت بحضوره في أثناء زيارة قام بها هو لصديق في إحدى قرى الجنوب، وتفاصيل الحادثة كما يلي:
شاهد رجل دين عاملي في قرية عاملية كتباً أجنبية لابن صديق له كان يزوره برفقة الشاعر، فاستنكر رجل الدين أمر وجود هذه الكتب وأقنع والد الطفل بوجوب تمزيقها بدعوى أنها الكفر. وبالفعل فقد مزّق الشيخ والوالد كتب التلميذ، ولم يستطع الشاعر منعهما ولكنه صوّر تلك الحادثة بأبيات ضمّنها رأي الشيخ، نعرض منها:
«حسبت عامل في بلواه منفرداً ... إذ حرّم الشيخ فيه رؤية الصحف»

(٢) حجّب: ألبس الحجاب.

ـ هو من أعلام المدرسة التي ربطت عملية الاجتهاد بالإصلاح ورأت الاجتهاد الموصل إلى الإصلاح حالة من حالات الجهاد والفريضة.

ـ كان له دور مهم ومشاركة فاعلة في الثورة السورية الكبرى.

توفي في بيروت سنة (١٣٧١هـ الموافق ٣٠ آذار ١٩٥٢م) نقل جثمانه بتشييع مهيب إلى دمشق، بعد جهادٍ كبيرٍ وعمرٍ مديد صرفه في خدمة الإسلام والمسلمين.

دفُن عند المدخل الرئيسي لحرم السيدة زينب عليها السلام بنت أمير المؤمنين عليه السلام في قرية راوية، أو ما يعرف اليوم بالست، إحدى ضواحي دمشق إلى جانب دواته وأقلامه، بعد حياة مليئة بالإصلاح والعطاء.

حركة الإصلاح الديني عند السيد الأمين (قُدّس سرّه):

١ ــ الإصلاح عن طريق الممارسة[1]:

كان يؤمن السيد الأمين (قُدّس سرّه) أن الإصلاح لا وطن له ولا حدود دون الالتفات إلى أصوات النشاز المتعالية من هنا ومن هناك. وفوق ذلك فإنه لم يسمح لتلك الأصوات أن تدخل أذنيه أو أن تؤثر على مساره.

لقد مارس السيد الأمين (قُدّس سرّه) عمله الإصلاحي أمام الملأ... فهو يبني جدار أرضه بيده مع العلم أنه لو أراد لوجد الكثيرين من مواطنيه يتبرعون بالقيام بهذا العمل نيابة عنه، وهو يعلّم الناس أن لا مانع من تناول الطعام أو الشراب من يد الكتابي (غير المسلم) لذا فهو يشرب اللبن ويأكل العنب وعلى قارعة الطريق ليراه الناس فتزول شكوكهم وتتبدّد ظنونهم وهو يشارك أبناء بلدته شقراء في تنظيف البركة، فيحمل التراب ويمارس أعمال الحفر دون أن يمنعه من ذلك موقعه الاجتماعي أو كونه مرجعاً دينياً.

كان الداعي للإلفة والمحبة بين أبناء مختلف الطوائف، المحارب للبدع والأضاليل، السبّاق من بين أقرانه المجتهدين للعمل بطهارة أهل الكتاب وإن لم يُصدر بذلك فتوى خطية لأنه كان يعلم أن السر يكمن في النفوس لا

---

(١) نقلاً عن كتاب السيد محسن الأمين (سيرته ونتاجه) تأليف الدكتور علي مرتضى الأمين ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ص٧٧، ٧٨، ٧٩، دار الهادي، الطبعة الأولى، بيروت ـ لبنان

بالنصوص، وقد أكد السيد محسن الطباطبائي الحكيم ـ المرجع الأعلى للطائفة الشيعية في النجف الأشرف آنذاك ـ هذه الفتوى العملية التي نادى بها السيد محسن الأمين (قُدّس سرّه) ومارسها بفتوى خطية حيث قال: «أما الكتابي فطاهر في نفسه ويتنجّس بالنجاسات التي يلاقيها فإذا طهّر نفسه منها فسؤره طاهر ويجوز أكل الطعام الذي يباشره»[1].

اعتبر أن الإصلاح الاجتماعي يجب أن يتم عبر ممارسات يومية يقوم بها المجتهد أمام مواطنيه فيعلّمهم كيفية التعامل مع الآخرين عن طريق الوعظ والإرشاد تارة وعن طريق الممارسة العقلية تارة أخرى.

هكذا كان دأب السيد الأمين (قُدّس سرّه) في مزاولة الإصلاح أنّى وجد مستعملاً في سبيل ذلك أساليب شتى تتناسب مع كل مقام وتتماشى مع مستوى السائل الفكري، فهو الجاد تارة والممازح طوراً والمحاور أحياناً. وفي كل حال من هذه الحالات يظهر ذكاؤه جلياً وسرعة بديهته (قُدّس سرّه).

على أن العمل الإصلاحي عند السيد الأمين (قُدّس سرّه) لم يكن مقتصراً على الممارسات اليومية، بل تعداه إلى إصلاح مسائل أكثر تعقيداً فعالجها بالوعظ والإرشاد حيناً وبالكتابة أحياناً إذ كان يسهر الليالي الطوال يبحث في أمهات الكتب ويناقش أصحاب البدع وباعثي الفتن عبر مؤلّفات أو مقالات تهافت عليها القرّاء ممن جذبتهم تلك المواضيع لكونها تتناول جوانب هامة من جوانب حياتهم ومعتقداتهم.

٢ ــ الإصلاح في المعتقد الديني[2]:

وتتضّن قسمين مهمين:

القسم الأول (إصلاح أخطاء مجالس العزاء):

يجتمع المسلمون الشيعة لإقامة العزاء لسيد شهداء كربلاء الحسين بن علي عليه السلام في مناسبات تكاد تكون مستمرة، فمن عادة الشيعة أن يجتمعوا كلّما

---

(١) السيد محسن الطباطبائي الحكيم، منهاج الصالحين ج١، مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م، ط١٥ ص٩٣.

(٢) نقلاً عن كتاب السيد محسن الأمين (سيرته ـ ونتاجه) تأليف الدكتور علي مرتضى الأمين، بيروت ١٩٩١م، ط ١ ـ دار الهادي ـ بيروت ـ لبنان، ص٥٨، ٥٩، ٦٠.

مات لهم عزيز ويقيموا عزاء الحسين عليه السلام تأسياً، هذا بالإضافة إلى الأيام العشرة الأول من شهر محرّم وفي مناسبات أخرى. وفي كل مناسبة يعلو أحد الذاكرين المنبر المعروف (بالمنبر الحسيني) ويبدأ بتنغيم الوعظ وسرد الأخبار التي حفظها عن ظهر قلب من دون أن يعمل عقله في تنقيتها من المعقول واللامعقول، وفي غالب الأحيان لا يكون عند هذا الذاكر ذرةٌ من علم ولا معرفة فأكثرهم من العوام.

والأيام السوداء التي مرّت على الطائفة الشيعية عبر التاريخ سمحت لكثيرين ـ عن قصد وعن غير قصد ـ فنمّقوا كلمات مسجّعة حيناً أو تثير الشجون أحياناً وأقحموها ضمن روايات صحيحة نقلها الخلف عن السلف فشوّهوا تلك الروايات بما أدخلوا عليها من أخبار مكذوبة وأغلاط شائنة، ورددها هؤلاء الذاكرون من فوق المنابر واستمع إليها بعض أصحاب المعرفة ولكنهم لم يجرؤوا على الوقوف في وجه الذاكرين.

إلا أن السيد الأمين (قُدّس سرّه) لم يرضَ لنفسه أن يكون شاهد زور ومستمع خرافات فانبرى إلى تلك النصوص يخلّصها من تلك الزيادات، فجمع ما سلم من كلماتها بعد أن نسّقها ورتّبها فكانت كتاباً دعاه (لواعج الأشجان في مقتل الحسين عليه السلام) ثم أردفه بكتاب آخر هو: (أصدق الأخبار في قصة الأخذ بالثار) ثم خرج من بين يديه كتاب (الدر النضيد في مراثي السبط الشهيد) مطبعة الإتقان ـ دمشق (١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م).

ولم يكتفِ السيد الأمين (قُدّس سرّه) بإصدار هذه السلسلة من الكتب التي أقبل الناس على قراءتها بشغف، بل عمِدَ إلى تدريب بعض الذاكرين على القراءة الصحيحة وجعل من نفسه رقيباً يقف في وجه المسترسلين في التهويل فكان إذا سمع من أحدهم ـ وهو على المنبر ـ كلمة لم تُرضه فإنه لن يتوانى عن أن ينبهه في الحال وذلك بأن يقطع عليه خطابه ثم يُصلح له الخطأ ثم يطلب إليه التكرار والإعادة، ولم يكن السيد الأمين (قده) من مواقفه هذه، يُنشد التشهير بشأن جهل هذا الخطيب وإنما كان يبغي من كل ذلك تصحيح الخطأ في أذهان الجمهور المستمع.

وأخيراً رأى السيد الأمين (قُدّس سرّه) أن ذلك كله لن يستقيم طويلاً إلا

بوضع كتاب مفصّل مبوّب فكان كتاب (المجالس السنيَّة) دار التعارف، بيروت (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، ص٦).

أثارت كتابات السيد الأمين (قُدّس سرّه) هذه معارك كلامية بين رجال الدين أنفسهم، وانقسم العوام حولها بين مؤيد ومعارض، وتناقلت الصحف أخبار هذه المعارك التي امتدت حتى شملت الأقطار المجاورة لسورية فكانت ضجة كبيرة، وعرفت هذه المحاولة باسم (الحركة الإصلاحية الكبرى).

القسم الثاني (مسرحية عاشوراء التمثيلية)[1]:

في اليوم العاشر من المحرّم كان الناس ـ كلهم تقريباً ـ في المدينة وفي القرية يخرجون منذ الصباح الباكر إلى الحسينيات لسماع الخطيب وقراءة «المصرع» وهو تفاصيل ما جرى مع الحسين عليه السلام ومع أنصاره فرداً فرداً في ذلك اليوم. وبعدها يخرج الجميع بمظاهرة استنكار إلى الشوارع يلطمون صدورهم ويبكون.

أضف إلى هذا، ما درجت عليه مجموعات من أبناء الشيعة من إقامة مسرحيات تمثيلية توزع فيها الأدوار: فهذا حسين وهذا شمر وهذه زينب وتلك أم كلثوم وهذا الحر وهذا ابن زياد....

وكانت هذه التمثيليات تقدَّم على أرض فسيحة في مناطق مختلفة حيث يكثر تواجد أبناء الطائفة الشيعية.

لم يكن من الصعب على المتتبع الواعي لما كان يمثَّل على المسارح أن يلاحظ أن الأشخاص الذين توزَّع عليهم الأدوار كانوا بعيدين كل البُعد عن الإيمان فغالبيتهم لا يلتزمون بشعائر الإسلام، فهم مسلمون فقط لأنهم ولدوا مسلمين.

ولهؤلاء الممثلين دافعان للقيام بهذه الأدوار هما:

١ ـ حب الظهور والشهرة: عن طريق ممارسة هواية التمثيل.

٢ ـ الكسب المادي: فالمتواتر أنهم كانوا يتقاضون لقاء عملهم هذا أجراً مقطوعاً.

---

(١) نقلاً عن كتاب (السيد الأمين ـ سيرته ونتاجه) تأليف الدكتور علي مرتضى الأمين، بيروت ١٩٩١م ط١، ص٨١، ٨٢، دار الهادي ـ لبنان.

رد البدع والخرافة:

شهد الناس تقديم هذه التمثيليات بتفاصيلها التي كانت تتضمن الصحيح وغير الصحيح، وكان إقبالهم على مشاهدتها منقطع النظير، تشدهم إلى ذلك عاطفة دينية عارمة لم يجرؤ أحد ممن تقدّم من العلماء المجتهدين وغير المجتهدين أن يجهر منادياً بوجوب تخليص هذه الشوائب، فاستمر تقديمها على على هذه الصورة حتى مطلع العشرينات من هذا القرن حيث بعث السيد الأمين (قُدّس سرّه) حركته الإصلاحية فانبرى معارضوا هذه الدعوى بذكاء وربطوا بين انتقادات السيد الأمين (قُدّس سرّه) وأعمال هدم قبور أئمة الشيعة في مكة المكرمة (التي قام بها أتباع الحركة الوهابية) وهذا الاتفاق المغلوط من حيث الأهداف والنتائج كان ظرفاً مؤثراً عكسياً على حركة السيد الأمين (قُدّس سرّه) إذ اعتبرها كثيرون ـ وبنوايا مختلفة ـ محاولة جديدة كمحاولة الوهابيين، تعمل لطمس ذكرى الحسين عليه السلام، وقد أعمى ذلك الشعور أبصارهم وصمّ آذانهم فلم يلتفتوا إلى موقف السيد الأمين (قُدّس سرّه) من الحركة الوهابية ولم يوقظهم صراخه وهو يفنّد عيوبها ويدحض مزاعمها عبر كتابه (كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب) الصادر عن مطبعة ابن زيدون عام ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٧م، ولم يكتفِ السيد الأمين (قُدّس سرّه) بوضع هذا الكتاب وإنما أتبعه بقصيدته (العقود الدرية)[١] لعلمه أن الشعر أقرب للمحافظة من النثر[٢].

وجهة نظر السيد الأمين (قُدّس سرّه)[٣]:

استهل السيد الأمين (رضوان الله عليه) (رسالة التنزيه) وهي رسالة تقع باثنتين وثلاثين صفحة من الحجم الوسط تتضمن الكلام على ما يدخل في إقامة العزاء للإمام الحسين بن علي عليه السلام والتحذير منها تحت عنوان:

---

(١) العقود الدرية: قصيدة تقع في أكثر من أربعمائة بيت شعر ضمّنها السيد الأمين كل ماجاء في كتابه كشف الارتياب وألحقت هذه القصيدة في آخر الكتاب.

(٢) نقلاً عن كتاب السيد محسن الأمين (سيرته ونتاجه) تأليف الدكتور علي مرتضى الأمين، بيروت، دار الهادي، ط ١، ١٩٩١م ص٨٢، ٨٣.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٨٣.

١ ــ دَورُ إبليس:

يقول السيد الأمين (قُدّس سرّه): «فإن الله (ﷻ) أوجبَ إنكارَ المنكرِ بقدرِ الإمكانِ بالقلبِ أو اليدِ أو اللسانِ، ومن أعظمِ المنكراتِ اتخاذُ البدعةِ سنّةً والسنّةُ بدعةً والدعايةَ إليها وترويجَها، ولما كانَ إبليسُ وأعوانُه إنما يُضلّونَ الناسَ من قبلِ الأمرِ الذي يرّوجُ عندَهم، كان كثيراً ما يضلون أهلَ الدينِ من طريقِ الدين، بل هذا من أصرَّ طرقِ الإضلالِ وقلّما تكونُ عبادةٌ من العباداتِ أو سنّةٌ من السننِ لم يدخُلْ فيها إبليسُ وأعوانُه ما يفسدُها، فمِنْ ذلك شعائرُ الحزنِ على سيدِ الشهداءِ أبي عبد اللهِ الحسين بن علي (عليه السلام) التي استمَرّتْ عليها طريقةُ الشيعةِ من عصرِ الحسين عليه السلام إلى اليوم، ولما رأى إبليسُ وأعوانُه ما فيها من المنافعِ والفوائدِ وأنه لا يمكنُهم إبطالُهَا بجميعِ ما عندَهم من الحيلِ والمكائدِ، توسلوا إلى إغواءِ الناس بحملِهم على أن يُدخلوا فيها البدعَ والمنكراتَ وما يشينُها عند الأغيارِ قصداً لإفسادِ منافعِها وإبطالِ ثوابها، فأدخلُوا فيها أموراً أجمعَ المسلمون على تحريم أكثرها وأنها من المنكراتِ وبعضُها من الكبائرِ التي هدّدَ اللهُ فاعلَها وذمَّه في كتابِه العَزيزِ»[1].

ثم بدأ بتعداد ملاحظاته (قُدّس سرّه) واحدة بعد أخرى، وكان خلال عرضه لهذه الملاحظات يرد على معارضيه يفنّد أقوالهم جملةً وتفصيلاً ويدعّم أقواله بسندها إلى أمهات الكتب أو يعيد بعضها إلى حكم العقل، وكان يرد بدع معارضيه فيتحداهم أن يذكروا له كتاباً واحداً تشير صفحاته إلى حقيقة زعمهم ولكن هيهات فقد كانوا من دعاة التظاهر الغوغائي يعتمدون في كل صيحة يطلقونها على مدى تأثر الجماهير عاطفياً فيتباكون حيناً ويحثّون الناس على شجّ رؤوسهم بالمِدى (التطبير) وعلى ضرب جسومهم بالحديد فيثيرون بذلك عواطف الصبيان والنسوة ويخرجون إلى الشارع معولين يهددون بالويل والثبور وبعظائم الأمور، ويتبعهم الرجال مزمّرين مطبّلين ضاربي على الصنوج، ويدور الجميع في الطرقات في مظاهر صاخبة[2].

---

(١) محسن الأمين: التنزيه، دار الغدير، بيروت، منشورات دار الهداية للطباعة والنشر، بيروت ١٨ محرم ١٣٤٦هـ، ط٢ ص٧.

(٢) نقلاً عن كتاب (السيد الأمين ـ سيرته نتاجه) تأليف الدكتور علي مرتضى الأمين، بيروت ١٩٩١م، ط١ ص٨٣، ٨٤.

وقد وقف إلى جانب السيد محسن الأمين (قُدّس سرّه) في اعتراضاته وملاحظاته، السيد أبو الحسن الأصفهاني (قُدّس سرّه)، والسيد مهدي القزويني (قده) في البصرة، والسيد البروجردي (قُدّس سرّه) في أحاديثه الخاصة.

٢ ــ ملاحظات السيد الأمين (قُدّس سرّه) حول الممارسات[١]:

لم يرضَ السيد الأمين (رضوان الله عليه) عن هذا الأسلوب الغوغائي في التعبير عن المشاعر وكانت له على تصرفات ممارسيه في إقامة عزاء الحسين عليه السلام ملاحظات أهمها:

١ ـ الكذب: هو من الكبائر في الإسلام، وكان يختص بذكر الأمور المكذوبة المعلوم كذبها وعدم وجودها في كتاب (وكانت هذه الأكاذيب تتلى على المنابر الحسينية وفي المحافل دون أن تجد وازعاً).

٢ ـ إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها: يتمثّل ذلك بضرب الرؤوس وجرحها بالمِدى وبضرب الظهور بالسلاسل الحديدية، فتحريم ذلك ثابت بالعقل والنقل وذلك بقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[٢].

٣ ـ استعمال آلات اللهو: كاستعمال الطبل والزمر والصنوج.

٤ ـ تشبيه الرجال بالنساء في أثناء التمثيل: الصياح والزعيق بالأصوات المنكرة القبيحة وكل ما يوجب التهتك والشنعة.

٥ ـ إركاب النساء الهوادج حاسرات الرؤوس (وتشبيههم بنساء حرم سيد الشهداء).

٦ ـ صياح النساء بمجمع من الرجال الأجانب.

٧ ـ التلحين بالغناء والصياح في العزاء الحسيني.

وحول هذه الطروحات الجديدة انقسم علماء الدين والمفكرون وعامة الناس إلى فئتين ونشأ في العالم الإسلامي الشيعي مدرستان: قديمة وحديثة، وهكذا اتسعت رقعة الخلاف بين أبناء الطائفة الشيعية فشملت كلاً من لبنان

---

(١) محسن الأمين (أعيان الشيعة) مطبعة العرفان، صيدا ١٩٥٧، ج٤٠، ص١٠٣، ١١٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦.

وسوريا والعراق وإيران والهند وباكستان، وهذا الخلاف لم ينتهِ بعد وإن هدأت رياحه وخفّت حدّته بعد وفاة السيد محسن الأمين (قُدّس سرّه).

٣ ــ خلاصة خطوات هذا الخلاف[١]:

أولاً: إن السيد الأمين (قُدّس سرّه) كان يحب الحسين بن علي عليه السلام إلا أنه كان يريد أن يكون حبّه منزّهاً عن الهوى والمغالاة بعيداً عن الشوائب المكذوبة المدسوسة التي جعلها واضعوها منسجمة مع القول الصحيح بحيث لا تبيِّن ولا تبدو نافرة المظهر، تدفعهم إلى ذلك غايات ومغريات، وقبِلَها الناس ـ عامة الناس ـ بعفوية حتى أصبحت ـ مع التكرار ـ جزءاً من معتقداتهم يسمعونها كل يوم فيعجبون بحسن صياغتها وصدى جرس كلماتها فيزداد تعلقهم بأخبارها، ولم يدركوا أنه اختلط عليهم حلالها بحرامها فأصبحوا آثمين.

أما أصحاب المعرفة فقد جبنوا عن التدخل لدفع المنكر مُغفلين أو متناسين قول الإمام علي عليه السلام: «أيها الناس إنه مَن رأى عدواناً يُعمل به ومنكراً يُدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرىء، ومَن أنكره بلسانه فقد أُجِر، وهذا أفضل من صاحبه، ومَن أنكره بالسيف فذلك الذي أصاب الهدى وقام على الطريق ونوَّر قلبه اليقين»[٢].

أما السيد محسن الأمين (قُدّس سرّه) فلم يستطع قبول مخالفة إمامه فجهر بصوته وعمل دائباً لتخليص تلك الذكرى العطرة مما يشينها وآمن أن إقامة شعائر الحزن بذكر صفات الحسين عليه السلام ومناقبه ومآثره ووصف شجاعته وإبائه للضيم وفظاعة ما جرى عليه وذكر المواعظ والخطب والآداب ومستحسن أخبار (الطف) وغير ذلك والتخلص إلى فاجعة كربلاء على النهج المألوف مع تهذيبها عن المنافيات والمنكرات من أنفع المدارس وأقوى أسباب التبشير بالدين الإسلامي وطريقة أهل البيت عليهم السلام، وجعل القلوب إلى حبهم والسير على طريقتهم والاتصاف بتكريم صفاتهم، كما أن إقامتها على غير ذلك من أقوى أسباب التنفير عن دين الإسلام وطريقة أهل البيت[٣].

---

(١) السيد محسن الأمين (سيرته ونتاجه) تأليف الدكتور علي مرتضى الأمين ١٩٩١م، ص٨٦ ط١.

(٢) نهج البلاغة، شرح الإمام الشيخ محمد عبده، دار التعارف، بيروت، ج٤ ص٢٨.

(٣) السيد محسن الأمين: التنزيه، دار الغدير، بيروت، ط ثانية ص١٨.

ثانياً: إن السيد الأمين (قُدّس سرّه) قام بحملته هذه بدافع الغيرة الدينية. وقد عرف عنه أنه كان من دعاة الوحدة الإسلامية، يؤكد ذلك ما جاء في مقال للدكتور علي الوردي تحت عنوان (مهزلة العقل البشري):

«يعجبني من المصلحين في هذا العصر رجلان هما الشيخ محمد عبده في مصر والسيد محسن الأمين في الشام، وإني لا أزال أذكر تلك الضجة التي أثيرت حول الدعوة الإصلاحية التي قام بها السيد محسن قبل ربع قرن ولكنه صمد لها وقاومها باسلاً فلم يلن ولم يتردد»[1].

وهكذا فقد كان السيد الأمين (قُدّس سرّه) يرى في أعمال التمثيل تلك عاملاً ينفّر أبناء الطوائف الأخرى، ومن ثم فإنه يزيد في اتساع شقة الخلاف بين أبنائها وبين أبناء الطائفة الشيعية.

ثالثاً: **إن أصحاب المدرسة المحافظة** (وهم الذين وقفوا بوجه هذه الدعوة وطالبوا بضرورة المحفاظة على القديم) **مارسوا ما يلي**:

أ ـ شوّهوا حقيقة هذه الدعوة فزعموا أن الدوافع هي دوافع شخصية، ونعتوا أصحاب المدرسة الجديدة بالزندقة وبالخروج على الدين، وبلغت حد التكفير، وأن مثله كمثل الوهابيين الذين هدموا قبور أئمة الشيعة وقد بذلوا في سبيل نشر هذه الأخبار مبالغ طائلة حتى أن بعضهم اضطر إلى بيع داره أو رهنها في سبيل ذلك[2].

ب ـ أن أصحاب المدرسة المحافظة استعملوا ضد أنصار المدرسة الحديثة كل وسائل الترغيب والتهديد، فكثيراً ما وجد بعض الأنصار كتباً ملقاة داخل بيوتهم أو مكاتبهم تنذرهم إن استمروا يعاضدون السيد الأمين (قُدّس سرّه) بالويل والثبور وتهددهم بالتصفية الجسدية أحياناً[3].

---

(١) الدكتور علي الوردي: في مهزلة العقل البشري عن كتاب: السيد محسن الأمين بقلمه وقلم آخرين، مطبعة العرفان، صيدا ١٩٥٧ ص١٢٤.

(٢) محسن الأمين، أعيان الشيعة ج٤٠، مطبعة العرفان، صيدا ١٩٥٧م ص١١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص١١٧.

ومما جاء برد للسيد محسن الأمين (قُدّس سرّه) شعراً على منتقديه فصوّر تخلُّفهم ووصفهم بأنهم باعثو فتنة مشيراً إلى أن التاريخ قد يعيد نفسه فلكل عصر حسينه ويزيده وفي كل وقت يمكن رفع قميص عثمان فيعلو نداء المتاجرين وهم أبعد ما يكونون عن قول الحقيقة أو العمل لأجلها:

أَبعدَ اللهُ أناساً ... قولُهم حبٌّ ومَينِ[1]
ألصقوا بالدينَ ممّا ... قد أتوه كلّ شينِ
أظهروا للدينِ حباً ... وهو حبُّ الدرهمينِ
قَطرٌ ما سالَت عليه ... منهُم قطرةُ عينِ
قد أعادُوا عصرَ عمرو ... يومَ نصبِ الحكمينِ[2]
ولكمَ سُبَّ عليُّ المرتضى ... في الخافقينِ
بعليٍّ لبنيه ... شبهٌ في الخافقينِ
ولعثمانَ قميصٌ ... لم يزلْ في الزمنينِ
أنا لا أطلبُ فيهم ... أثراً من بعدِ عينِ
كلُّ عصرٍ في الورى ... فيه يزيدٌ وحسينِ[3]

سئل العلّامة محمد جواد مغنية (رضوان الله عليه) عن رأيه حول الشعائر الحسينية في جريدة الصفاء في ١/أيار/١٩٦٥م فقال:

«إن العادات والتقاليد المنبعثة عند العوام لا يصح أن تكون مصدراً للعقيدة، لأن الكثير منها لا يقرّه الدين الذي ينتمون إليه حتى ولو أيّدها وساندها شيوخ ينتسبون بسمة الدين، ومنها ما يفعله بعض عوام الشيعة في لبنان والعراق وإيران من لبس الأكفان وضرب الرؤوس والجباه بالسيوف في اليوم العاشر من محرم، فإن هذه العادة المشينة بدعة في الدين والمذهب،

---

(١) مَين: الكذب.

(٢) إشارة إلى التحكيم يوم وقعة صفّين.

(٣) محسن الأمين بقلمه وقلم آخرين، مطبعة العرفان، صيدا ١٩٥٧ ط أولى ص١٢٢.

وقد أحلُّوها لأنفسهم أهل الجهالة دون أن يأذن بها إمام أو عالم كبير كما هو الشأن في كل دين ومذهب حين توجد به عادات لا تقرّها العقيدة التي ينتسبون إليها، ويسكت عنها مَن يسكت خوف الإهانة والضرر، ولم يجرؤ على مجابهتها ومحاربتها أحد في أيامنا إلا قليل من العلماء وفي طليعتهم المرحوم السيد محسن الأمين العاملي، الذي ألّف رسالة خاصة في تحريم هذه العادة وبدعتها وأسمى الرسالة (رسالة التنزيه) والذي أعتقد أنها ستزول بمرور الأيام».

نعم أيها السيد الأمين (قُدّس سرّه) لقد كُنتَ قولاً وعملاً أميناً على دينك وإنه التاريخ أعاد نفسه في زماننا، زمن السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه) ورُفِعَ قميص عثمان بوجهه كما رُفع بوجهك، وعلا نداء المتاجرين بدم الحسين وأهل بيته عليهم السلام.

إن أصحاب النظرة الفقهية إلى التقريب يدركون ما تتركه الخرافة من آثار سلبية في المجتمع، ومن هذا المنطلق تصدى لها المخلصين من العلماء على مَرّ التاريخ بشجاعة كبيرة رغم العقبات التي واجهوها وما خلّفته من متاعب جمّة. وليس هذا بجديد على الفقهاء والباحثين والمصلحين والمحققين والمخلصين للّه وللدين، فقد اكتسحوا الخرافات ورموها عرض الحائط وأسّسوا مكانها مواقع عمل مشتركة جعلت تملأ الفراغات الحاصلة جرّاء محاربة الخرافات والخزعبلات التي عشعشت في أذهان الكثير من الناس.

وإذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه حتى لا تتحول هذه البدعة إلى جزء من الدين وهي ليست منه، وإلا فإنه يتحمل مسؤولية تركه لمهماته وحينئذٍ سيكون مطروداً من رحمة الله، حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا ظهرت البدعة في أُمتي فليظهر العالم علمه فإن لم يفعل فعليه لعنة الله»[1].

(١) بحار الأنوار، ج٢، ص٧٢.

بين العقل والخرافة

السؤال: هناك حدود واضحة وفاصلة وحاسمة في الإسلام بين العقل والخرافة، ورغم ذلك، فإننا نرى أن الخرافة تطغى على سلوك كثير من الإسلاميين فلماذا..؟

في الجواب على ذلك يقول سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه):

«لعل المشكلة الأبرز في التصور الإسلامي تجاه الكثير من القضايا. ومنها نظرته إلى الشخصيات المقدّسة أو للأوضاع العامة، هي أن هناك اتجاهاً لإعطاء الغيب مساحةً واسعةً، أوسع بكثير مما ينطلق به الإيمان بالغيب، فالله (ﷻ) خصّ نفسه بالغيب، قال سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[1] وقد تحدّث القرآن الكريم عن إقرار النبي ﷺ وكل الأنبياء عليهم السلام بعدم علمهم بالغيب، وذلك كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[2]، ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[3]، ﴿...وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾[4] ولكن الله قد يُطلع بعض أنبيائه على بعض الغيب مما يتصل برسالاتهم في عملية التبليغ، وهذا ما نقرأه في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾[5] إلا أن الناس حاولوا أن يعطوا

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٩٠.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

الغيب مساحةً واسعة، فحوّلوا الشخصيات المقدّسة إلى شخصيات غيبية، وراحوا يفسّرون كل ما يصدر عنهم تفسيراً غيبياً، مع أن أكثر الآيات التي يتحدث فيها القرآن عن الأنبياء وعن النبي محمد بالذات، تشير إلى بشريته، فهو يفرح ويحزن، كما في قوله تعالى له: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[1] وفي الحديث عن عيسى عليه السلام: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾[2] فالله تعالى ركّز في كتابه على الجانب البشري عند الأنبياء، وقد كان يوجّه النبيّ إلى أن يخبر الناس بذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[3]، ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾[4].

لذلك عندما تفسّر الأوضاع الدينية تفسيراً غيبياً، فإن الخرافة سوف تدخل في هذه التفسيرات، لأنها لا تنطلق من قاعدة علمية ترتكز على الكتاب والسنة بل إنها تخضع للكثير من تصوُّرات الأشخاص وتحليلاتهم التي يسمعونها ويبثُّونها بين الناس، وبذلك تنتشر الخرافة بين الناس بشكل قوي وتتجذّر في العقل الشعبي العام إلى مستوى تصبح معه من المقدسات بحيث يُكفَّر مَن يناقشها مناقشة علمية موضوعية، ومع الأسف، فإن الكثير من المسلمين، سواء من السنّة أو الشيعة، يشتركون بهذه الذهنية التي تنفتح على كثير من خطوط الخرافة، وخصوصاً فيما يتعلّق بالشخصيات التي يحترمونها ويقدّسونها»[5].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٥.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

(٥) نقلاً عن كتاب ١٠٠ سؤال وجواب (سلسلة حوارات عقائدية وفقهية وقرآنية ومفاهيم عامة ـ رقم ٥٠) للسيد محمد حسين فضل الله ص٩، ١٠، ١١. ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م، إصدار المركز الإسلامي الثقافي في لبنان، حارة حريك.

كيف نُحيي أمرَ أهل البيت عليهم السلام

الجواب عند الإمام الرضا عليه السلام:

يقول: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا، قالوا له: وكيف نحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلّمها الناس، فإن الناس لو علِموا محاسن كلامنا لاتبعونا»[1].

يقول سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه) في التعليق:

«نعم على الذين يحبون أهل البيت عليهم السلام ويريدون إحياء أمرهم أن يتعلموا علوم أهل البيت عليهم السلام في كل ما قالوه في العقيدة والشريعة وفي جانب الأخلاق وفي جانب المنهج وفي كل ما يرفع مستوى الإنسان وفي كل ما يقوّي موقع الإسلام في العالم ويثبّت حضارية الإسلام من خلال ما ركّزه أهل البيت عليهم السلام من الخطوط الحضارية في كل مواقع العالم»[2].

رأي الدكتور الشيخ الوائلي (رحمه الله) فيما يسمى شعائر الحسين عليه السلام:

اعترضَ سماحة الدكتور الشيخ أحمد الوائلي (رحمه الله) في إحدى المحاضرات عما يُدّعى أنه شعائر الحسين عليه السلام فيقول:

«هذا الموضوع مهم وأنا أدري أنه سيجرح بعض الجماعة، وأنا أعيش المأساة بمشاعري، هذه السنة بـ(لندن) جابوا لي كتاب مكتوب فيه أنَّ سبب من أسباب قيام الدين وشريعة رسول الله صلى الله عليه وآله أن تستعمل (القامة)... تنبّه جيداً...!!! هذا الدين متوقف على استعمال (القامة)...؟!

---

(١) بحار الأنوار ج٧١ ص٣٥٢.

(٢) من محاضرة لسماحة السيد فضل الله (قده) بمناسبة ذكرى وفاة الإمام الرضا عليه السلام في مسجد الحسنين عليهما السلام، حارة حريك. وهي مؤرشفة لدينا لمن يريد الإطلاع عليها.

وأن نسَوّي نار يعبرون عليها مثل ما يفعل الهنود وأنَّ النار لا تحرق أرجلهم، فالقامة والشبيه والنار، هذه يتوقف عليها إحياء الدين...؟!

ومَن؟ السيد الفلاني، ومَن؟ الشيخ الفلاني... وحاطين توقيعهم...!!

وأكثر من ذلك، أنه كان عندهم عزم، وهم مصرِّين هذه السنة أن يشتروا بعيره ويركِّبون عليها واحد، يسوه عليل ويمشون فيه بي (هايدبارك) بلندن...!! تنبّهلي زين، أنا موجاي أحكيلك قصة أو جاي أحكيلك لطيفة (نكتة)...!!؟

هل تتصوّر أن هؤلاء على رسلهم (أي على طبيعتهم)...؟؟

أبداً مو على رسلهم، هذا الذي يريد أن يحوِّلي الحسين عليه السلام إلى مسخرة ومهزلة...!!

يريد يحوِّلي الحسين عليه السلام فرد قاسم ملبسيه ومادري شنو؟ وامرأة تهلهل وأربعة يذبّن ملبّس...!!!

ولك نعاج...؟!

إنتم بأي عصر، بأي تاريخ إنتم...!!؟؟

إنتم ترقصون على جراحنا...!! تلعبون على جراحنا...!!

نحنا وين؟ بأي حال الآن...؟

مَن وراءكم أنتم...؟!؟

قلتُ له: والله لو أظفر بهؤلاء لأدفنهم في (بلُّوعة) وهم أحياء شنو هالعالم هذه...؟؟

تعالوا، تأدّبوا بآداب الحسين، تخلّقوا بأخلاق الحسين عليه السلام، إحملوا عزيمة الحسين عليه السلام، واحملوا فكرَ الحسين عليه السلام، اتبعوا مبادىء أهل البيت عليهم السلام، ألم يأتِ أحدهم إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول له: سيدي، هؤلاء يعيِّروننا بقولهم يا جعفري.

قال له الإمام عليه السلام: ما أقل ما يتبع جعفر بن محمد منكم، ولا فيكم واحد يتبعُنا، ما عندكم أخلاقنا ولا آدابنا، ولا عزمنا...!!

بدل هذي، خلي يصير عندكم عزيمة الحسين، عندكم صلابة الحسين، عندكم خُلق الحسين، عندكم آداب الحسين...!!

مو جايينلي، تحاولون أن تخلُّونا أن نصل إلى مستويات نتحول فيها إلى مخرفين في أنظار الناس...!!

الحسين خُلق، الحسين فكرة، الحسين عزيمة، الحسين دين، تأدّب بآدابه، تخلّق بأخلاقه، قدِّسه، قدِّس ذكراه، حاول أن تحلل شخصيته، تحلل موقفه، قمّ لي بعمل علمي، تجيبلي عمل (غوغائي مهرّج) يحولني في نظر الناس إلى تافه...؟!!

أهل هذه نهضة الحسين...؟!! لا... الحسين ليس كذلك...

الحسين لم يأتِ حتى الناس يعيشون بالخرافات أو يعيشون بالتوافه...

الحسين لم يأتِ ليتحول إلى وسيلة من وسائل الابتزاز والسخف والخرافات...

وإللي يقول هذه عبارة عن إحياء شعائر! أقول له: أرجوك خلي علمك ببطنك واسكت...!

لا.. هذه ليست إحياء شعائر...!! مو هاي الشعائر... الشعائر تحيى بالدين، بالأخلاق، بالقيم، بالمسائل المشروعة، بالوسائل العلمية...

هذه كلها ترى محاولات من ورائها أيدٍ مشبوهة...!

لازم تعرف أن الحسين فكر، أن الحسين عطاء، أن الحسين جهاد في سبيل الله...

إجي أحتفل فيه كمأتم، أنصب له مأتم ميخالف (لا مشكلة)، أحلل شخصيته، أحلل نهضته، أكون منطقي في تحليلي للحسين، وسأضرب لكم مثل:

هناك مؤلف يقول أن الحسين قتل إثني عشر ألف يوم العاشر من المحرّم، فالتقيت بهذا المؤلف وسألته:

شيخنا لو جبتُ لك إثني عشر ألف دجاجة، أنظفها لك، وأعلقها لك، وجاهزة، وعليك فقط أن تذبحها، فكم من الوقت تأخذ ذبح كل دجاجة؟ فقال الشيخ المؤلف: نصف دقيقة، فقلت له: يعني إثني عشر ألف دجاجة تقسيم نصف دقيقة يصبح عندنا ستة آلاف دقيقة، يعني ما يقارب الثلاثة إلى الأربعة أيام، إذا مارر على الدجاج تقطّع فيه فقط...!!

مو عيب عليك شيخنا تكتب هذه الكتابة...؟؟

أولاً الحسين لم يقاتل بمعجزة، لو يقاتل بمعجزة يقتل أكثر من هذا العدد... ولكن مومسألة معجزة، المسألة طبيعي لما شي طبيعي، إنت تريد أن تخدم الحسين، لو تريد تخلي الناس يرمون فكرنا بالخرافة...؟؟

تخلي الناس يرمون فكرنا بالتفاهة، شو الداعيك إلى هذا...!!؟ إنت يكفيك أن تقول أن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام... كافي...!! إبن الشاهق الذي إذا نزل إلى الحرب تحاشته الأبطال، أعطي نعته الصحيح، لا تجي تضع إلنا ألفاظ من هذا النوع، تخليها تصير سُبَّة وعار علينا...!!

هذا اللون من العمل أو اللون من الكتابة، لا تتصوّر أنه وحده...!! من ورائه يد أثيمة منكرة تلعب دورها، قد يجيك يتباكى، تراهُ، لحية وعمامة، فتقول: إن هدفه مشروع، لا...!! هدفه غير مشروع، تنبَّه، من ورائه يد تديره، وجودنا أهم من هذا اللون من التراهات، ونهضة الحسين أكبر من هذه التوافه...!!

تعال... حلل مواقف الحسين، حلل عطاء الحسين، كل موقف من مواقف الحسين يوم الطف هو دنيا ضخمة...

تتصور إللي يقف ويعاين أعدائه إللي طالعين يقاتلوه، ويبكي عليهم، السيف إللي يقطع ودجه...، الرمح إللي يصير بجسمه... النبله إللي تشقّ خاصرته، يبكي لها الحسين عليه السلام، ليش...؟!

هذا العمل الضخم، هذا الجانب الضخم في حياة الحسين عليه السلام... هذه الروح الإنسانية الكبيرة...

هذه الروح العظيمة، إللي تخليه لم يكن حتى على مَن قاتلوه حقود...

هذا الحسين في عظمته، هذا الحسين في ضخامته... هذا الحسين في عطاء يوم الطف...

الحسين لم يأتِ ليملأ قرائح بعض المخرِّفين... المرتزقة... التافهين!!.

الحسين أكبر من هذا... الحسين أجَلّ من هذا...

إذا هذه المحاولات للتغطية على عطاء الطف، ولكن عطاء الطف أكبر من ذلك، سيبقى الطف... وستبقي تربة الطف عملَ ذلك الدم مشعلاً تحمله صوتاً هادراً في وجوه الظالمين...»[1].

رأي الشهيد مرتضى مطهري (رضوان الله عليه):

وفي هذا الصدد يقول المفكر الإسلامي الكبير الشهيد مرتضى مطهري (رحمه الله) حول التحريف في واقعة كربلاء:

«إننا للأسف الشديد قد حرّفنا حادثة عاشوراء ألف مرة ومرة أثناء عرضنا لها ونقل وقائعها!

حرّفناها لفظياً أي في الشكل والظاهر أثناء عرض أصل الحادثة، مقدّمات الحادثة، متن الحادثة والحواشي المتعلقة بالحادثة...

كما تناول التحريف تفسير الحادثة وتحليلها، أي أن الحادثة مع الأسف قد تعرّضت للتحريف اللفظي كما تعرضت للتحريف المعنوي».

واستطرد الشهيد المطهري (رحمه الله) قائلاً: «بل إن التحريف ينسف أصل القضية ويمسخها تماماً ويخرجها بشكل مضاد للأصل بالكامل، وأقول بكل مرارة:

---

(١) هذه المحاضرة موجودة لدينا وهي مؤرشفة لدينا لمن يريد الإطلاع عليها وهي موجودة أيضاً على (اليوتيوب) تحت إسم الشيخ الوائلي وشعائر الإمام الحسين).

إن التحريفات التي أصابت هذه القضية على أيدينا كانت كلها باتجاه التقليل من قيمة الحادثة ومسخها وتحويلها إلى حادثة لا طعم لها ولا معنى».

وفي حديثه عن ضخامة تلك التحريفات في الجانب اللفظي لهذه الواقعة يقول الشهيد مطهري (رضوان الله عليه):

«إن المادة المزورة والمدسوسة كثيرة للغاية ولا يمكن حصرها بسهولة وإذا ما أردنا جمع كل المآتم الكاذبة فإننا ربما سنحتاج إلى عدة مجلدات ضخمة»[1].

إن التحريفات التي وقعت في واقعة كربلاء لم تكن وليدة اليوم بل هي قبل مئات السنين وعندما لم يتصد لها أحد تفاقمت وتوالدت وفرّخت وأصبحت من الأمور المسلّمة التي يصعب الحديث عنها ويحتاج إلى غسلها وقلع درنها إلى جهود جبارة ومتضافرة من الجميع.

في هذا الصدد يقول سماحة السيد فضل الله (قدّس سرّه):

«كانت كربلاء المنطلق ولم تكن النهاية ونيرد لها أن تتحرك في حياتنا من خلال حركتها في وعينا، أما أن ننظر إلى كربلاء في التأريخ في سنة ٦١ هـ فذلك لا يكلّفنا شيئاً سوى مقدار الدموع والسُلكيات، وفي كل يوم ننتج ألعوبة جديدة تستهلك الزخم الجماهيري في الأساليب التي لا توظّف طاقة الأمة في خدمة أهدافها بل تصرفها عنها وتوحي لها أن هذه هي مسؤوليتها!

أيها الأحبة: حدّثوا الناس بكربلاء الحق، ولا تضيفوا إلى الحق شيئاً من الباطل، وحدّثوا الناس بكربلاء القضية ولا تقتصروا على كربلاء المأساة اخرجوا من المأساة كهدف إلى القضية، واخرجوا من الماضي إلى المستقبل فقيمة الماضي حددها القرآن ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[2]، فلنأخذ العبرة ولنتحمّل مسؤوليتنا في المستقبل»[3].

---

(١) الملحمة الحسينية، ج١ ص١٢.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٣) مقتبسة من كتاب الندوة (سلسلة ندوات الحوار الإسبوعية بدمشق) ج٧، إعداد عادل القاضي، ط١ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، ص٢٨٨.

الأسلوب العاشورائي المشرق

يقول سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه):

«وكان أستاذ هذا الجيل، السيد محسن الأمين، يؤكد أن علينا عندما نريد تقديم عاشوراء إلى الناس، أن نقدمها بالأسلوب المشرق الذي يمثلها قوة في ساحة الصراع، وحركة في طريق الجهاد، ووعياً لقضية الإسلام، أن نقدمها على أساس أننا إذا أردنا التأسّي بالإمام الحسين عليه السلام لنجرح أو لنقتل، فإن علينا أن نعمل على أن نجرح في الخط الذي نواجه فيه أعداء الله، أن نواسي الحسين عليه السلام لنتألم كما تألم، لنُجرح كما جُرح، ليس أن تحمل السيف بيدك لتضرب رأسك بعقل بارد لتثير انتباه الناس، بل أن تحمل السيف (البندقية) والسيف (المدفع) العبوة... لتنطلق، لتُجرح في المجال الذي جُرح فيه الإمام الحسين عليه السلام، جُرح وهو يطلب الإصلاح في أمة جده، جُرح وهو يرفض الذلة من الآخرين، جُرح وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر... ولذلك إذا أردت أن تواسيه، فليست مواساته باليد الباردة، والسيف البارد، والرأس البارد، والدم البارد... ولكن باليد الحارّة التي تعرف كيف تطلق الرصاصة بكل طاقتها في وجه الذين يحاولون إسقاط عزة الأمة وعنفوانها ورسالتها كما يحدث في فلسطين.

إذا أردت أن تواسي السيدة زينب عليها السلام في مأساتها، لأنها جُلدت بالسياط، فليس عليك أن تحمل السياط بيدك، لتجلد ظهرك، لتوحي إلى نفسك أنك واسيتها، بل جاهد ليعتقلك العدو، ليجلدك في الزنزانات، إنك بذلك مع زينب في طريق واحد.

وكان السيد محسن الأمين (قُدّس سرّه) يريد أن يجعل الوجه العاشورائي،

في أسلوب الاحتفال به، وفي أسلوب الذكرى، وجهاً لو انطلق الزمن كله في حركة أساليبه لاستطاع أن يظل خالداً مع الزمن لا أن يكون أسلوباً يتحرك اليوم ليمثّل التخلّف.

قد تكون بعض الأساليب التي تعارف عليها الناس ذات فائدة في مرحلتها ولكنها ذات ضرر كبير جداً في المراحل التي نعيشها من المستقبل، ولذلك وقف السيد محسن الأمين (قُدّس سرّه) ليحارب ذلك، وأثار الكثيرين من المتخلفين ومن الطيبين الساذجين، حتى كفّروه وزندقوه، ولكن أين هؤلاء وأين السيد محسن الأمين؟! انتصرت قضية الحق وتساقطت كل الكلمات.

وهكذا انطلق، ربما جاء بعض الناس من بعده يحاولون أن يُحيوا المسألة ولكنه استطاع أن يطلق القضية. والقضية عندما تكون قضية حق سوف تمتد وتبقى حتى لو زرعت في طريقها مئات الألغام، وحتى لو رسمت كل الحواجز أمامها. إن قضية الحق نتمثّلها في رسول الله ﷺ، كان وحده وكان العالم كله ضده، وقالوا عنه إنه مجنون وساحر وكاذب وكاهن وشاعر... وقالوا عن القرآن ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾[1] وقالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾[2] وقالوا.. وقالوا.. أين الذين قالوا وأين محمد ﷺ...؟!

لذلك، القضايا الكبرى تحتاج إلى إنسان كالسيد محسن الأمين (قُدّس سرّه)، يتأسى بأجداده، يكون قوياً في عقله، وقوياً في قلبه، قوياً في كلمته ومواقفه، حتى لو تساقطت كل الكلمات السلبية على رأسه، لأن رأسه أصلب من كل تلك الكلمات...».

نتذكره، عندما نرى الكثيرين ممن يريدون أن ينتجوا مثل هذا التخلّف في واقع الذكريات، نتذكره وهو يدير مسألة الوحخدة الإسلامية بحكمته ووعيه للإسلام كله وللمجتمع من حوله»[3].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٣.

(٣) من كتاب (حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع)، إعداد وتنسيق السيد الدكتور نجيب نور الدين ١٩٩٧م، ط١، ص٥٨٧، ٥٨٨، دار الملاك، بيروت..

كيف تكون عاشوراء بنظر سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه)

«إن ما نريده هو أن نكبُر بعاشوراء، فلا نرى فيها مجرد قيادة تنزف الدماء منها، دماء الكارثة، دماء المصيبة ودماء الجسد، ولكننا نريدها أن تكون قضية فنتمثل الشخص وجه القضية وروح القضية، لا أن ننفذ إلى الشخص وننسى القضية وهذا ما نفعله الآن، والزمن في مسيرته قطع الأجيال ووصل إلينا فأصبحت المسألة: كيف نبكي الحسين عليه السلام بالتاريخ أكثر مما نبكي الإسلام في الواقع، وأصبحت المسألة هي كيف نبكي هؤلاء الذين استشهدوا مع الحسين عليه السلام قبل أن نبكي المجتمع الذي يتخبط في واقعنا.

إننا عندما نستمع إلى أكثر مجالس العزاء في العالم الإسلامي فماذا نجد؟ نجد أن المسألة هي كيف نستنزف الدمعة ولو بالخرافات؟ لقد حوّلنا الخرافة إلى ما يشبه الحقيقة التي نُدخلها في عقول الأجيال على أنها هي التاريخ، والتاريخ لا علاقة له فيها لا من قريب ولا من بعيد.

لذلك نحن بحاجة إلى أن نستغني عن كل هذا الركام، ومن المؤسف جداً أننا لا نرى إلا بعدد أصابع اليد في كل هذا الواقع من الذين يتلون السيرة (الحسينية) يملك رحابة السيرة وأفقها في القضية الكبرى ولا نملك الإنسان المثقّف الذي يملك ثقافة الفكرة وثقافة إدارة العاطفة، نحنُ نعرف أن الإنسان تطور، فأساليبنا في الشعر الآن تختلف عن أساليبنا في أيام امرىء القيس، وأساليبنا في النثر تغيرت، وأساليبنا في التعبير عن العاطفة اختلفت، لأن الصورة التي عاشها الإنسان في تطوره الفكري تختلف عن الصورة التي عاشها أولئك.

كانت المسألة هناك أن الخيم تمثّل الموقع ولكن في عالم المدينة ماذا تمثل الخيم...؟!

كانت المسألة هناك أن المرأة عندما تكشف وجهها تمثّل مأساة للعفة وما إلى ذلك، أما الآن فأصبحت مسألة طبيعية.

لذلك لا بد أن نثقّف الأسلوب، لأن القضية تبقى في عناصرها الطبيعية.

نحن لا نريد أن نطوّر القضية فنبتعد بها عن عناصرها الطبيعية، لأن علينا أن نُبقي التاريخ صادقاً، ولكن لا بد لنا أن نطوّر الأسلوب. إن الكثير من الناس أسقطوا تفكيرهم الأصيل بأساليبهم المتخلّفة.

نحن بحاجة إلى خطباء كما إلى علماء يعيشون عصرهم لأنهم إذا لم يعيشوا عصرهم فإنهم لا يفهمون ذهنية الجيل الذي يعيشون معه مما يجعل هوة عميقة بين الدين وبين الأجيال القادمة»[1].

«لماذا يتعصّب بعضنا لموروثاته؟ الفكر ليس نحن، الفكر شيء ورثناه أو شيء اقتنعنا به، عندما تقتنع بشيء ويقتنع الآخر بشيء إذا كنت واثقاً أنك على الحق، لماذا تخاف أن تلتزم قناعتك الجديدة؟ إن قضية العقيدة لا بد أن تنطلق من عمق القناعة، ولذلك كما كنّا موضوعيين أكثر وكلما كنّا عقلانيين أكثر، وكلما كنّا مسؤولين عن سلامة الإنسان أكثر، عرفنا كيف نتحاور بالحكمة والعقل والحجة والبرهان، وكلما عشنا المسؤولية، استطعنا أن نقدم التنازلات عندما تكون الأزمة تسقط الأمة»[2].

---

(١) محاضرة بقاعة الجنان، السيد محمد حسين فضل الله (قده)، بيروت، ٧ من محرم ١٤٢٣هـ ـ ٢٣ آذار ٢٠٠٢م. نقلاً عن الموقع الرسمي لسماحة العلاّمة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قده)، (بيّنات).

(٢) من كتاب (حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع) إعداد وتنيسق السيد الدكتور نجيب نور الدين ١٩٩٧م، ط١ ـ دار الملاك، بيروت، ص٥٩٠.

الفصل العاشر

ملف الرحيل

- العلّامة المرجع السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) يؤبِّن نفسه
- لحظات السيد (قده) الأخيرة في المستشفى (يوم الرحيل)
- بيان مكتب آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) في نعيه
- يوم التشييع
- صدى رحيله داخلياً وعالمياً
- تعليقات كتّاب ومفكرين
- رسالة من مجاهد في المقاومة الإسلامية إلى سماحته (قُدِّس سرّه)
- علّمتنا يا سيدي
- قالوا فيه:

١ ـ سياسيون

٢ ـ شعراً

٣ ـ كتابةً ونثراً

الفصل العاشر

العلاّمة المرجع السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) يؤبّن نفسه

«إذا كان البعض لم يفهموني في حياتي بسبب بعض التعقيدات، فآمل أن يفهموني أكثر ويستفيدوا من تجربتي بعد رحيلي».

في مقابلة أجريت مع سماحة العلاّمة المرجع، السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) قبل سنوات، طرح أحد الصحافيين سؤالاً على سماحته (قُدِّس سرّه) حول ما يمكن أن يقوله فيما لو طلب منه أن يؤبِّن نفسه، ولم ينشر هذا القسم من المقابلة في حينه. وفي ما يلي نضع بين أيديكم جواب سماحته (قُدِّس سرّه).

لو قدِّر لك أن تلقي كلمة في الحفل التأبيني الذي يقام لسماحتكم ـ بعد عمر طويل إن شاء الله ـ ماذا يمكن أن تقول؟

ـ من الممكن أن أقول:

«إن هذا الإنسان عاش حياته منفتحاً على الرسالة منذ أن فتح عينيه على الحياة، وعمل على أن يتحرك في خطوطها حتى في بداية طفولته أو في مقتبل طفولته وشبابه، وعانى وتألّم في درب الرسالة، وكان يحاول أن يكون صادقاً وأن يكون مخلصاً، وربما كانت النفس الأمّارة بالسوء تأخذ عليه ما يأمله، ولكنه أكمل الرسالة بحسب طاقته، وواجه الكثير من العنت والتعسُّف مما يواجه الرساليين.

وكان في كل حياته منفتحاً على الله ويأمل برحمة الله.

كنت ساقول للناس:

إنّ عليهم أن يدرسوا تجربته، لأن تجربته كانت تجربة واسعة عميقة ممتدة في خطوط الرسالة، كانت تاريخاً قد يحمل السلب والإيجاب، ولكنه لم يكن فيه شيء لغير الرسالة. وربما لا يلتقي الناس بتاريخ معاصر في شخص معاصر بمثل هذا الغنى وبمثل هذه الصَدمات.

لذلك، فإنني في حديثي هذا أقول للرساليين: حاولوا أن تفهموني جيداً، فإذا كان البعض لم يفهمني في حياتي، لأن التهاويل والانفعالات والتعقيدات قد حجبت وضوح الرؤية، ولكن عندما يغيب الإنسان عن الساحة، ويشعر الآخرون بالأمن من تعقيدات وجوده عليهم، فإنه يمكن أن يفهموه أكثر، وأن يستفيدوا من تجربته أكثر»[1].

(١) نقلاً عن جريدة (بيّنات) العدد ٣٧٩ الأحد ٤ شعبان ١٤٣١هـ ـ ١٥ تموز (يوليو) ٢٠١٠م.

لحظات السيد الأخيرة في المستشفى (يوم الرحيل):

«أُدخل سماحة العلّامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) إلى المستشفى نهار الأحد، الواقع فيه ٨ رجب ١٤٣١هـ/ ٢٠ ـ ٦ ـ ٢٠١٠م بشكل طارىء، إثر تدهور في صحّته، وقد ظلّ (رضوان الله عليه) في «مستشفى بهمن» في قسم العناية المشددة طوال إثني عشر يوماً، وقد تمكن الأطباء من محاصرة المشكلة المستجدّة ومعالجتها، وكان من المقرّر أن يخرج سماحته (قُدِّس سرّه) من المستشفى صبيحة يوم الجمعة ٢٠ رجب ١٤٣١هـ/ ٢ ـ ٧ ـ ٢٠١٠م، إلا أنّ نزيفاً داخلياً حادًّا ألمّ بسماحته (قُدِّس سرّه) فاجأ المحيطين، أوجد مضاعفات واشتراكات، وتدهور على الإثر وضعه الصحي بشكلٍ سريع جداً، ما أدى إلى وفاته بعد يومين.

فماذا حصل ليلة الجمعة؟

يجيب أحد أبناء سماحة السيد (قُدِّس سرّه) بأنه لم يرَ سماحة السيد بمثل هذا الإشراق والحيوية منذ فترة طويلة من مرضه، حتى ظننّا أنّ سماحته (قده) سيستأنف أداء صلاة الجمعة وخطبتيها بعد وقتٍ طويلٍ من الانقطاع بسبب معاناته مع المرض ومضاعفاته من وهن وأوجاع، وقد حدّثنا سماحته (قده) باهتمام كبير: لقد عملت من أجل الوحدة الإسلامية على مدى أكثر من خمسين عاماً. وتحدّث مطولاً مع شقيقيه عن ديوانه الشعري الجديد «في دروب السبعين» وعن بعض قصائده، وعن ذكرياته في النجف الأشرف، وفي تأبين السيد محسن الأمين (قُدِّس سرّه).

وتابع قائلاً: «طلب سماحته (قُدِّس سرّه) أن يتحدث مع الوالدة على الهاتف، وأثناء كلامه معها، اقترحتُ عليه مرتين أن يقول لها أنه سيخرج من

المستشفى ويعود إلى المنزل صباح الغد، فلم يجبني، وعندما أنهى المكالمة، وجّه كلامه إليّ ورفع أصبعه قائلاً: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1] ثم أطرق قليلاً وقال لي: «أخبر إخوانك أن يتابعوا موضوع المسجد» قاصداً أن يُدفن في مسجد الإمامين الحسنين عليهما السلام، ثم كبّر ثلاثاً، وتمتم بصوتٍ خافتٍ بالدعاء بين التكبيرات الثلاث، ثم ابتسم ابتسامة مشرقة، وتهلّل وجهه، وكان ينظر إلى الباب وقال: أريد أن أنام، أريد أن أنام. ومن ثم بدأ التدهور السريع والخطير في صحة سماحته (قده)، وقد أفاق بعد الثالثة فجراً وقال: أريد أن أصلي... فقلنا له: إن وقت صلاة الصبح لم يحن بعد، فصلّى ركعتين، وكانت الصلاة آخر عمل فعله في حياته الشريفة. وقد تدهور الوضع الصحي لسماحته (قُدِّس سرّه) بعدها بشكل متسارع وخطير جداً، إلى أن كانت الوفاة حيث ارتفعت روحه المقدسة إلى بارئها صبيحة يوم الأحد ٢٢ رجب ١٤٣١هـ الموافق ٤ ـ ٧ ـ ٢٠١٠ الساعة التاسعة وخمس عشرة دقيقة بتوقيت بيروت».

يذكر أحد الممرضين أنه طلب من سماحة السيد (قُدِّس سرّه) أن يرتاح في جلسته، فأجابه: «**لن أرتاح حتى تزول إسرائيل**».

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، وسلامٌ عليك يا سيِّدنا، يوم ولدت، ويوم توفيت، ويوم تُبعث حياً»[2].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٣.

(٢) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٩ ـ الأحد ٤ شعبان ١٤٣١ هـ ١٥ تموز (يوليو) ٢٠١٠م.

بيان مكتب آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) في نعيه:

تلاه سماحة آية الله السيد عبد الله الغريفي:

رحل السيّدُ الجسد، وسيبقى السيّدُ الروح والفكر والخط.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[1].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾[2].

«إذا مات العالِم ثُلِم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء»[3].

في زمن أحوجَ ما نكونُ فيه إليه..

رحل هذا الكبيرُ زارعاً في قلوب المحبّين أحزاناً جمعت كلَّ أحزانِ التاريخ...

رحلَ الأبُ القائدُ الفقيهُ المرجعُ المجدِّدُ المرشد والإنسان...

رحلَ والصلاةُ بين شفتيه وذِكرُ الله على لسانه وهمومُ الأمة في قلبه..

وأخيراً توقّف نبضُ هذا القلب على خمسةٍ وسبعين من الأعوام... قضاها جهاداً واجتهاداً وتجديداً وانفتاحاً والتزاماً بقضايا الأمة ومواجهةً لكلّ قوى الاستكبار والطغيان..

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

(٣) بحار الأنوار: حديث ٤٥ باب ٨ من كتاب العلم: ١، ٧٦.

رحل السيّدُ وهمُّه الكبير، هو الإسلامُ، فكراً وحركةً ومنهجاً والتزاماً في جميع مجالات الحياة مردّداً على الدوام: هذه هي كلُّ أُمنياتي، وليس عندي أمنياتٌ شخصيّةٌ أو ذاتيّة، ولكنَّ أمنيتي الوحيدة التي عشتُ لها وعملتُ لأجلها هي أن أكونَ خادماً للّه ولرسوله ﷺ ولأهل بيته عليهم السلام وللإسلام والمسلمين...

لقد كانت وصيّتُه الأساس حِفْظَ الإسلام وحِفْظَ الأمّة ووحدتها، فآمن بأنّ الاستكبار لن تنكسر شوكتُه إلا بوحدة المسلمين وتكاتفهم.

وبعقله النيِّر وروحه المشرقة كان أباً ومرجعاً ومرشداً وناصحاً لكّل الحركات الإسلامية الواعية في العالم العربي والإسلامي التي استهدت في حركتها خطَّه وفكرَه ومنهجَ عمله...

وانطلاقاً من أصالته الإسلامية شكّل مدرسةً في الحوار مع الآخر على قاعدة أنّ الحقيقة بنتُ الحوار، فانفتحَ على الإنسان كلّه، وجسّد الحوارَ بحركته وسيرته وفكره بعيداً عن الشعارات الخالية من أيّ مضمون واقعيّ.

ولأنّه عاشَ الإسلامَ وعياً في خطّ المسؤولية وحركةً في خطّ العدل، كان العقلَ الذي أطلق المقاومة، فاستمدّت من فكرهِ روحَ المواجهة والتصدّي والممانعة وسارت في خطّ الإنجازات والانتصارات الكبرى في لبنان وفلسطين وكلِّ بلدٍ فيه للجهاد موقع..

على الدوام، كانت قضايا العرب والمسلمين الكبرى من أولويات اهتماماته.. وشكّلت فلسطينُ الهمَّ الأكبرَ لحركته منذ رَيعان شبابه وحتى الرمق الأخير قائلاً: «لن أرتاح إلاّ عندما يسقط الكيانُ الصهيوني».

لقد شكّل السيّد علامةً فارقةً في حركة المرجعيّة الدينية التي التصقت بجمهور الأمة في آلامها وآمالها.. ورسمت لهذا الجمهور خطَّ الوعي في مواجهة التخلُّف، وحملت معه مسؤولية بناء المستقبل... وتصدّت للغلو والخرافة والتكفير مستهديةً سيرةَ رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

لقد وقف السيد بكل ورع وتقوى في مواجهة الفتن بين المسلمين رافضاً أن يتآكل وجودُهم بفعل العصبيات المذهبية الضيقة، طالباً من علماء الأمة الواعين من أفرادها أن يتّقوا الله في دماء الناس، معتبراً أنّ كل مَن يثير فتنةً بين

المسلمين ليمزّق وحدتهم ويفرّق كلمتهم هو خائنٌ لله ولرسوله وإن صام وصلّى..

حرص على الدوام أن تكون العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في لبنان والعالم قائمةً على الكلمة السواء والتفاهم حول القضايا المشتركة، وتطوير العلاقات بينهم انطلاقاً من المفاهيم الأخلاقية والإنسانية التي تساهم في رفع مستوى الإنسان على الصُعُد كافة، وارتكازاً إلى قيمة العدل في مواجهة الظلم كلّه.

وأمّا منهجيتُه الحركيّةُ والرساليّةُ وحركتُه الفقهيّة والعقائديّة، فإنّه انطلق فيها من القرآن الكريم كأساس... وقد فهم القرآن الكريم على أنه كتابُ الحياة لا يفهمه إلا الحركيون..

امتاز بتواضعه وإنسانيّته وخُلُقه الرساليّ الرفيع، وقد اتّسع قلبُه للمحبين وغير المحبين مخاطباً الجميع: «أحِبُّوا بعضَكم بعضاً، إنّ المحبة هي التي تُبدع وتُؤصّل وتُنتج... تعالوا إلى المحبة بعيداً عن الشخصانية والمناطقية والحزبية والطائفية... تعالوا كي نلتقي على الله بدلاً من أن نختلف باسم الله»...

وهو بهذا أفرغ قلبَه من كل حقد وغِلٍّ على أيٍّ من الناس، مردّداً «أنّ الحياةَ لا تتحمّلُ الحقدَ فالحقدُ موتٌ والمحبّةُ حياة»...

ولقناعته بالعمل المؤسّسي آمن بأنّ وجود المؤسّسات هو المدماك الحضاري الأساسي لنهضة كلّ أمّة ومجتمع.. أقام صروحاً ومنارات للعلم والرعاية، فكانت ملاذاً لليتيم وللمحتاج. ووجد فيها المعوّقُ داراً للطموحات والآمال الكبار، ووجد المتعلّم فيها طريقاً نحو الآفاق المفتوحة على المدى الأوسع، وهكذا المريض والمُسِنّ وجدا فيها أيضاً واحةً للأمان والصحة..

لقد كانت دارُكَ أيها السيّدُ السيّدُ وستبقى مقصداً لكلّ روّاد الفكر وطالبي الحاجات، فلطالما لهج لسانُك بحب الناس.

كان الفقراء والمستضعفون الأقرب إلى قلبك، ولقد وجدتَ في الشباب أملاً واعداً إذا ما تحصّنوا بسلاح الثقافة والفكر..

لقد سكن هذا القلبُ الذي ملأ الدنيا إسلاماً حركياً ووعياً رسالياً وإنسانية فاضت حباً وخيراً حتى النفَسَ الأخير...

يا سيِّدنا، لقد ارتاحَ هذا الجسدُ وهو يتطلّعُ إلى تحقيق الكثير من الآمال والطموحات على مستوى بناء حاضر الأمة ومستقبلها..

رحلتَ عنّا، وقد تكسّرت عند قدميك كلُّ المؤامرات والتهديدات وحملات التشويه ومحاولات الاغتيال المادي والمعنوي، وبقيت صافي العقل والقلب والروح صفاء عين الشمس...

يا أبا علي، رحلت وسيبقى اسمُك محفوراً في وجدان الأمة، وستبقى حاضراً في فكرك ونهجك في حياة أجيالنا حاضراً ومستقبلاً..

رحل السيّدُ الجسد، وسيبقى السيّدُ الروحَ والفكرَ والخطّ... وستُكمل الأمّة التي أحبّها وأتعبَ نفسه لأجلها، مسيرة الوعي التي خطّها مشروعاً بعَرَق سنيّ حياته...

أيها الأخوة.. إنّنا إذ نعزّي الأمة كلَّها برحيل هذا العلم المرجعيّ الكبير، وهذه القامة العلمية والفكرية والرسالية الرَّائدة، نعاهدُ الله، ونعاهدُك يا سماحة السيّد، أن نستكمل مسيرةَ الوعي والتجديد التي أرسَيتَ أصولَها وقواعدَها، وأن نحفظ وصيّتك الغالية في العمل على حياطة الإسلام، ووحدة الأمة، وإنسانية الرسالة.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾[1].

(١) سورة الفجر، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠.

يوم التشييع

الساعة تشير إلى الواحدة والنصف ظهراً في يوم الثلاثاء ٢٤ رجب ١٤٣١هـ الموافق ٦ تموز ٢٠١٠م، يصطف الجميع (رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً) أمام دارة سماحة السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) دقائق ولكننا أحسسناها ساعات، ويخرج النعش للمرة الأولى والأخيرة من دار سماحة السيد (قُدِّس سرّه) الذي أعيد إعماره بعدما دمّرته صواريخ العدو في حرب ٢٠٠٦م، كانت صور سماحته (قُدِّس سرّه) تملأ الأزقة والواجهات في كل حدبٍ وصوب، تراه يحدق بك من كل زاوية في المكان، في تلك البسمة الرقيقة والضحكة الملائكية التي غمرت كل المحبِّين، وتلك النظرة الثاقبة التي مشى في خطاها العديد والتي أثمرت كل ذلك الحشد والتأييد دون مِنّةٍ من أحد..!

تعلو الصرخات من أفواه الرجال ويعلو النحيب من بكاء النساء وحزن الأطفال، تطلب سيدة من الخلف أن يُرفع جثمان سماحة السيد فضل الله (قُدِّس سرّه) لتتمكنَّ النسوةُ من رؤيته... لآخر مرة... الجميع يبكونه (عالماً، فقيهاً، مرجعاً، مجاهداً، عطوفاً، إنساناً...) النساء والأطفال يرفعون أياديهم اليمنى، لأن اليسرى تحمل صورة سماحته (قُدِّس سرّه) ويودّعونه، ويهتفون ويصرخون (وداعاً يا أبا الأيتام، فقدناك أباً رحيماً... يا أبا المجاهدين والأحرار... وداعاً يا سيدنا...)..!!

يموج النعش بين الحشود وكأنه قارب يتلاطم بأمواج البحر العاتية، ذكّرني هذا المشهد بوفاة مؤسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية الإمام السيد الخميني (قُدِّس سرّه) في يوم تشييعه حيث لم نشهد بعد وفاة السيد

الخميني (قُدِّس سرّه) هكذا حشود في عصرنا الحالي... في ظاهرة غير مسبوقة، تمثّل استفتاء على صوابية منهج وفكر السيد فضل الله (قُدِّس سرّه).

إنطلق موكب التشييع نزولاً إلى المحطة الأولى، إلى مسجد الإمام الرضا عليه السلام في بئر العبد حيث كانت انطلاقة سماحته (قُدِّس سرّه) الجهادية مع شبابٍ آمنوا بالجهاد والمقاومة في سبيل تحرير الأرض، ولما لهذا المسجد من أدوارٍ تاريخية مهمة كإسقاط اتفاق ١٧ أيار وبلورة مشروع المقاومة والتصدي والتحدي لعدو لا يعرف إلا لغة القوة والسلاح وترسيخ نهضة أسست لحالة إسلامية كبيرة، وغيرهِ، حيث يُسمع القرآن في أنحاء المكان مع صرخات الوداع (يا حبيبنا يا سيدينا.. الله معك يا أبا الفقراء والمساكين...).

تستمر الحشود بالتدافع، الطرق ممتلئة تغص بالمحبين... المؤيدين... المريدين... من كل الطوائف والأحزاب والتيارات السياسية.

نعم يا سيدي.. إنه الحب الذي سكن قلبك الكبير، وأسكنتَهُ قلوبنا.

نعم يا سيدي.. إنها سلطة العقل التي أرسيت معالمها في نفوسنا...

توجهت الجموع إلى المحطة الثانية حيث كانت متفجرة بئر العبد التي استهدفت عطاءك وجهادك ومواقفك التي ستخلَّد في التاريخ وستبقى شعلة تنير درب المجاهدين المخلصين، وموقفك الخالد «**أتهددوننا بالموت...، القتلُ لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة...!!**».

صرخة أطلقها الإمام الحسين عليه السلام قبل ألف وأربعمائة عام في كربلاء، وها أنت أطلقتها مرة أخرى بعد ذاك الانفجار في بئر العبد... بعد ذلك توجهتْ الحشود ومعها النعش المقدّس بطهارة الإيمان والتقوى نحو مسجد الإمامين الحسنين عليهما السلام ليصلي عليه السيد محمد علي فضل الله[1] بين جموعٍ غفيرة ومن إخواننا السنّة خاصة وكل الطوائف عامة...

رحل المرجع التنويري ليبقى جثمانه في صحن المسجد، هناك حيث تتجسد خطاباته لتكون مدرسة لكل مَن يقلّده علمياً ودينياً...

---

(١) شقيق سماحة السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه).

لقد كان متواضعاً في حياته وفي مماته أيضاً، حيث لم تُبنَ وتُشيّد له الزخارف والقصور...!

لقد رحل سماحته (قُدّس سرّه)...

لكنه ترك للعلم نبراساً، وللجهاد متراساً، ولكلمة الحق جهاداً صالحاً، وللصبر علماً مستنيراً...

ترك أجيالاً ربّاها بفكره ومشاعره، وأُخرى هزمت أقوى طغاة العالم وهو ما يخفف وطأة الألم والحزن...

إن السيد محمد حسين فضل الله (رضوان الله عليه)، منهج وخيار فكري، لن يموت برحيله (قُدّس سرّه).

إن الحشود الهائلة بيّنتْ مدى عمقه وتجذُّره في الوسط الجماهيري، سواء على مستوى عامة الناس، أو على مستوى النخب، متدينين وغير متدينين، مسيسين وغير مسيسين، مثقفين أو من عوام الناس...

نعم إنه يوم رحيل أحد أعمدة الفكر ومنبع الثقافة والفقه...

كان يوماً استثنائياً بفقدان الأمة الإسلامية للشخصية الأكثر حضوراً وتأثيراً في واقعها الديني والسياسي والاجتماعي.

صدى رحيله (قُدّس سرّه) داخلياً وعالمياً

قناة العالم (الإيرانية) أعلنت أن السيد (قُدّس سرّه) الذي مثّل مرجعية بارزة في المذهب الشيعي منذ ثلاثين عاماً قد فارق الحياة...

قناة الجزيرة القطرية بدأت بتغطية الحدث في نشراتها الإخبارية فيما أنشأت قسماً خاصاً على موقعها الإلكتروني حول شخصية فضل الله (قُدّس سرّه) باعتباره من أبرز الشخصيات الدينية في العصر الحاضر، وكذلك فعلت القنوات المحلية والعالمية التي تابعت النبأ باهتمام بالغ...

تلفزيون المنار أوقف برامجه المعتادة وبدأ يبث القرآن الكريم وينقل مباشرة أجواء رحيل سماحته (قُدّس سرّه)، وتلاوة البيانات الصادرة عن مكتب سماحة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه) مع حذف صفة وكلمة (المرجع) من كل البيانات...؟!!

وكذلك تلفزيون الـ NBN أوقف برامجه وأخذ ينقل مباشرةً كل الوقائع، وللأمانة فهو لم ينقطع أبداً عن النقل الحي المباشر ونقل البيانات الصادرة مثل ما هي، ولهم الشكر الجزيل والأجر العظيم.

أُعلن رسمياً في لبنان الحداد ونُكّست الأعلام واكتسح السواد شوارع العاصمة والجنوب والبقاع وكل لبنان، فيما ساد الحزن بقية البلدان العربية والإسلامية والجاليات الإسلامية في بلدان الاغتراب...

لم يكن المرجع الراحل (قُدّس سرّه) رجل دين وحسب، حتى ينحصر صدى رحيله داخل الحوزات والمدارس الدينية، بل كان المرجع الفقيه والمفكّر الأديب والسياسي المحنّك والمرشد الروحي لحركات التحرر والمقاومة في لبنان وشتى أصقاع الأرض...

فقد أصدرت المرجعيات الدينية والزعامات السياسية من كافة الطوائف والأديان ورؤساء الدول والأحزاب والحركات الإسلامية بيانات النعي والعزاء، فمن الحوزة العلمية في النجف الأشرف إلى الحوزة العلمية في قمّ إلى الأزهر الشريف في القاهرة، مروراً بالخليج العربي وسوريا والأردن والجزائر والمغرب العربي وموريتانيا والسودان إلى إفريقيا وتركيا وأستراليا وكندا وأمريكا الجنوبية، كانت كلمات الإشادة والتقدير للمرجع الراحل (قُدِّس سرّه)[1].

لم يقتصر الأمر على المسلمين الذين عاشوا أجواء الحزن، فلم تستطع سفيرة بريطانيا في لبنان أن تخفي إعجابها بالسيد الراحل (قُدِّس سرّه) وكذلك فعلت مقدّمة برامج قناة (السي إن إن) الأمريكية (أوكتافيا نصر) فيما تحدّث صحفيون عرب وأجانب عن تأثرهم برحيل مرجع الإنسانية...

«الكاتب والصحافي الأميركي «فرانكلين لامب» انتقد بعض وسائل الإعلام الغربية واعتبرها مضلّلة للناس حينما وصمت الراحل (قُدِّس سرّه) بالإرهابي، معتبراً أن هذا اللقب كان وساماً على صدر السيد المرجع فضل الله (قُدِّس سرّه)»[2].

روبرت فيسك[3] صحفي بريطاني كتب مقالاً تحت اسم (فضل الله رجل عظيم... وسي.أن.أن. أصبحت أكثر جبناً) فقال:

«لقد خمّنت ذلك «سي.أن.أن» استغنت عن أوكتافيا نصر، وهي واحدة من كبار المحررين في الشرق الأوسط، بعدما كتبت تعليقاً على موقع «تويتر» مدحت فيه المرجع الشيعي آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله في لبنان، ووصفته بأنه واحد من العمالقة الذي تكن له احتراماً كبيراً.

---

(١) نقلاً عن شبكة الفجر الثقافية بتاريخ ٢٢ رجب ١٤٣١هـ الموافق ٤ تموز ٢٠١٠م.

(٢) مقال بتاريخ ٢٣ ذو القعدة ١٤٣١هـ الموافق ١/ ١٠/ ٢٠١٠م، نقلاً عن موقع «بيّنات» الموقع الرسمي لسماحة المرجع السيد فضل الله (قُدِّس سرّه)، (ملف الرحيل).

(٣) هو المراسل الخاص لمنطقة الشرق الأوسط لصحيفة الأندبندنت البريطانية، يعيش حالياً في بيروت ـ لبنان، ويعد أشهر مراسل غربي خلال ٣٠ سنة من تغطيته لأبرز الأحداث منها الحرب الأهلية اللبنانية والثورة الإيرانية، يعتبر من المعارضين لسياسة بريطانيا وأمريكا أو ما أسماها الأنغلوساكسونيون، وهو من القلائل الذين أجروا مقابلة مع أسامة بن لادن (مواليد ١٢ يوليو ١٩٤٦م).

حسناً، لم يكن فضل الله رجل حزب الله، ولكن لا يهم، ولكن بالتأكيد كان واحداً من العمالقة، رجل لديه علم هائل في الفقه ومؤمن بحقوق المرأة، وكاره لـ«جرائم الشرف» وهو إلخ...

حسناً، من الأفضل أن أكون حذراً وأتوقف عن ذكر محاسن المرجع اللبناني البارز لأنني ربما قد أتلقى مكالمة هاتفية من باريسا خسروي ـ نائب رئيس شبكة «سي.أن.أن» تبلغني فيها بإيقافي عن العمل مثلما حدث مع أوكتافيا نصر التي عملت طوال ٢٠ عاماً في شبكة «سي.أن.أن».

يا عزيزي لقد أصبحت شبكة «سي.أن.أن» المسكينة أكثر جبناً منذ هذه اللحظة، ولذلك لم يعد أحد يهتم بها كثيراً، فليس من الممكن أن يقال مثل هذا المدح في حق فضل الله، هذا الرجل الذي يتذكر الأميركيون مباركته للتفجير الانتحاري الذي ضرب قاعدة لمشاة البحرية الأميركية في بيروت عام ١٩٨٣م وأدى إلى مقتل ٢٤١ شخصاً، وقد نفى فضل الله تماماً تأييده لهذا الهجوم، وأنا أصدقه، أعتقد أن الانتحاريين لا يحتاجون إلى مباركة لأنهم مؤمنون بأنهم يقومون بواجبهم تجاه الله من دون الحاجة لأي مساعدة من قِبَل المرجع فضل الله.

والآن نتطرق إلى فرانسيس غاي، سفيرة بريطانيا في لبنان، بعدما كتبت على مدونتها الشخصية أن فضل الله كان رجلاً تحترمه وتشعر بالامتنان أثناء اللقاء معه في لبنان، ولقد تعرضت (غاي) لموجة غضب من وزارة الخارجية الإسرائيلية بسبب ثنائها على الرجل، وقال المتحدث باسم الخارجية الإسرائيلية إنه سيكون «مثيراً للاهتمام» معرفة كيف تفكر وزارة الخارجية البريطانية في تصريحات (غاي).

وأنا شخصياً سأكون أكثر اهتماماً لمعرفة كيف تفكر وزارة الخارجية الإسرائيلية في جوازات السفر البريطانيا التي زوّرتها الحكومة الإسرائيلية من أجل استخدامها في قتل محمود المبحوح قيادي حركة حماس في دبي منذ بضعة أشهر.

وينبغي كذلك إظهار كيف أن فضل الله دعم المقاومة اللبنانية خلال اجتياح إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢م وكان معارضاً شرساً للسياسة الأميركية في

المنطقة ـ مثل أي شخص آخر تقريباً في العالم بما في ذلك داخل الولايات المتحدة نفسها ـ كما طالب بوضع حد لسفك الدماء الذي يحدث إبان احتفالات الشيعة في عاشوراء (عند الشيعة يعتبر حداداً على مقتل حفيد النبي).

وذهبتُ لرؤية فضل الله، قبل أن أتوجه إلى بغداد مع الكثير من الأفكار بشأن الاختطاف تدور في ذهني، حيث التزمت بتوجيهاته لتجنب الاختطاف هناك، واستمع إليّ بلطف وقال لي إنه ينبغي عليّ رؤية صديق مسلم شيعي مقرّب له في العاصمة العراقية، ولقد فعلت هذا.

واصطحبني صديق من المنتسبين إلى فضل الله إلى النجف وكربلاء الذي جلس في الجزء الأمامي من السيارة بملابسه الدينية وظل يقرأ القرن الكريم على طول الطريق.

وخلال كل ساعة قضيتها في المدن العراقية المقدسة، كان لي لقاء مع بعض رجال الدين الشيعة، كل واحد منهم من الطلاب السابقين لفضل الله، وكل واحد منهم مدّ يده لي برزمة كبيرة من الكتابات والوثائق والخطب التي جمعوها على مدى السنوات الـ١٠ إلى ١٥ سنة الماضية، ووعدت كل واحد منهم بعرض أوراقهم على فضل الله، وكذلك فعلت، وبعد شهر من ذلك عدت إلى الضاحية الجنوبية لبيروت مع اثنتين من الحقائب الضخمة، واستقبلني فضل الله بابتسامة كبيرة، وكان يعلم ما في الحقائب الواردة معي.

لا يهمني ـ بصراحة ـ ما تفكر فيه خسروي نائبة مدير شبكة «سي.أن.أن» بشأن هذه القصة، ولا يهمني ما يعتقده مسؤولو وزارة الخارجية الإسرائيلية ولا السفراء البريطانيون، ولكنني أعتقد أن فضل الله كان رجلاً عظيماً ومهماً جداً، حيث ما فَعَلتهُ خطبه الثابتة بشأن الحاجة إلى التجدد الروحي وحُسن الخلق كان أكثر من المتوقع لا سيّما في بلد يغمره فيضان البلاغة والخطابة، ولقد شاركت الحشود في تشييع جنازة فضل الله في بيروت، وإنني لست مندهشاً لذلك»[1].

على الرغم من حجم الفراغ الكبير المفزع الذي تركه غيابه، إلا أن

(١) نقلاً عن جريدة (بيّنات) العدد ٣٧٩ الأحد ٤ شعبان ١٤٣١هـ ١٥ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٧.

حضوره اليوم يبدو أكثر إشراقاً وأشد سطوعاً، فرحيله كان يوم الولادة، ولادة الفكر الصائب والرأي القويم والنهج الصحيح، لأن «**العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة**»[1].

رحل عنا السيد (قُدّس سرّه)، لكنه سيبقى معنا تراثه الذي سيحيا بيننا ما حيينا... ومَن يعتقد أنَّ بوفاة سماحته (قُدِّس سرّه) انتهى نهجه... فنقول: الآن ابتدأ هذا النهج وهذا العصر...

رحل بعد أن قال كلمته في جيله... وختم أمانته التي أملاها عليه ضميره...

رحل بعد أن رفع راية العلم والإيمان والمحبة، نحمد الله أننا عشنا في عصرك لننهل من معينِ فكركَ وعرفانك أيها السيد الحبيب.

---

(١) نهج البلاغة ـ الحكمة ١٤٤: من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد النخعي.

تعليقات كتّاب ومفكرين

يعلّق الكاتب والمفكر التونسي **يحيى أبو زكريا**: «بالفعل الآن أصبح المسلمون غرباء بغيابه (قُدِّس سرّه) عن دنيانا، وما يخفف الوطء علينا هو بقاء أفكاره كالنجوم التي ترشد المتعطشين إلى فكر بحجم الحياة، فكر العملاق محمد حسين فضل الله»[1].

حسين أحمد بزبوز، كاتب سعودي من مدينة القطيف يقول: «إنه النور يرتحل اليوم عنا والخاسرون هم الباقون في الظلمة، وأي خسارة أعظم يا سيدي من أن ترتحل بنورك العظيم عنّا، فتترك المساكين حيارى في دياجير الظلمة...»[2].

الكاتب الجزائري غريبي مراد عبد الملك: «الحمدُ للّه مُنزل الحِكَم على قلوب الكلم، وصلى الله على مُمِدّ الهمم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد: كم هو جميل ومهم الحديث عن الإنسان، وكم هو أجمل وأهم حديث الإنسان العالم عن الإنسان، وإن شئت فقل: الحديث عن الإنسان الكبير، العالم المجاهد كما دأبنا على تسميته آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه)...

لا أدري ماذا أكتب أو أقول على إنسان كرّس حياته كلها لأجل حياة هذه الأمة ونباهة إنسانها، حياة الفكر والعقل والوعي، حياة الموقف الرسالي والوقفة المسؤولة والحركة المنظّمة الهادفة، لا تسأل الناس هل يعرفوه، من المسلمين وغيرهم بعالمينا العربي والإسلامي والمعمورة ككل، إنه الإنسان المسلم الذي أطلّ بإنسانيته الإسلامية على الأرض كلها وكان يعانق السماء بالابتهال والدعاء، كما أشار في العديد من أشعاره الفريدة والمفعمة بعبق

---

(١) ن. م. العدد ٣٨٠ الجمعة ١١ شعبان ١٤٣١هـ ٢٣ تموز (يوليو) ٢٠١٠م ص٨.

(٢) نقلاً عن شبكة العراق الثقافية الإلكترونية بتاريخ ٦/ ٧/ ٢٠١٠م تحت اسم «رحيل السيد العظيم».

السماء وانفتاح الروح على الله، يكفي أن تتمعن في اسمه الذي انطلق من رحاب النبي الأكرم ﷺ وارتبط بالإمام الحسين الشهيد عليه السلام فتجلى في دنيا الناس فضل من الله، فهل من علمه وأخلاقه من نهل وزهد من زهد. . . العلّامة السيد محمد حسين فضل الله (رضوان الله عليه) الحديث عنه تعب مستتعب لأن هذا الرجل العالم لم تكن معرفتي به بسيطة أو مرتبة ولكن كانت عابرة في مرحلة حساسة من حياتي، حيث ارتبطت منذ نعومة أظفاري بشخصية الإمام علي عليه السلام وحبي العظيم للإمام علي.

عرّفني بالعديد من العلماء العظام ممن عشقوا علياً ونهج علي ممن افتقدتهم منذ سنوات قليلة وكان من بينهم الفقيد العلّامة السيد محمد حسين فضل الله (رضوان الله عليه).

كانت البداية بكتابه «الحوار في القرآن» الذي طبع بالجزائر في الثمانينات، في رحاب هذا الكتاب اكتشفت شخصية مؤلفه التي بهرتني بخطاب إسلامي مميّز وتدبر رائع لآي القرآن، هذا العالم العامل المنفتح على الله وعياله، نقش بكتابه هذا في وجداني شعار: الحقيقة بنت الحوار، فكانت البداية بالحوار، وبقي الحوار يعقلن الثورة على الذات والتخلّف، واستمر المشوار، نعانق كتب السيد فضل الله (رضوان الله عليه)، ونزوره لنسأله اليوم بدمعة حارة: هل نعمل أم نتوقف بعدك؟ صحيح أنك تركتَ لنا الجواب في كتابك «قضايانا على ضوء الإسلام» (المهمة الرسالة ص١٠) لكن رحيلك صدم الأمة كلها، كما صدمها إخوانك من قبل برحيلهم، وكما صدم النبي ﷺ المسلمين برحيله، وكما صدم أئمة الهدى عليهم السلام شيعتهم، هكذا العلماء عندما يرحلون عن دنيا الناس يتركون شرخاً عظيماً لا يملأه إلا مَن جاءه فضلاً من الله وخيراً كثيراً. . ماذا بعد رحيل العلّامة؟ إنها المهمة الرسالة التي رسم معالمها بحسب اجتهاداته ورؤيته للواقع والتاريخ والمستقبل، والتي تؤكد على حقيقتين لا بد من التزامهما كما عرّفها السيد (رضوان الله عليه): النفاذ إلى العمق وصنع الحاضر. . .

ماذا عسانا نقول: إن المسلمين عليك لمحزونون وما نعبّر إلا كما علّمنا ربنا (عزّ وجلّ) ونبينا ﷺ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[1].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

وداعاً أيها الحنون، وداعاً أيها الزكي النقي.. وداعاً أيها الصابر الطاهر.. وداعاً، وداعاً حبيبي العالم المجاهد ولا جعله الله آخر العهد منا إليك، يا مَن علّمتنا أن الإسلام منهج حياة الإنسان السوي وتشريع دولة الإنسان المسؤول.. وداعاً وستبقى الأجيال تذكرك أيها العالم الرباني، والإنسان الرسالي، لأن «العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة»[1].

رحلتَ وتركتَ جيلاً من القاهرين للاستكبار الصهيوني والأميركي، وأوصيت كل المسلمين بتحقيق الوحدة قبل أن تتهاوى الأسوار.

نَمْ هنيئاً سيد الفكر الإسلامي المعاصر، وإمام المقاومة الإسلامية العادلة، ومعلّم الانفتاح على الله بالزهد والعمل.

أسأل الله تعالى لك رفيع الدرجات وعالي المقام في جنات الخلد، بجوار جدك رسول الله ﷺ وآبائك الأطهار عليهم السلام.

وداعاً أبا علي... وستبقى فضل الله... والله من وراء القصد»[2].

الكاتب البحريني قاسم حسين يقول:

«خمسة وسبعون عاماً قضاها المرجع الكبير تعلُّماً وتعليماً وإرشاداً وتنويراً وتحصيناً للمجتمع ورعاية للفقراء... لمثل هذا فليعمل العاملون»[3].

يقول منير شفيق[4] (شبكة الجزيرة):

«عشرات الألوف أو مئات الألوف من الرجال والنساء، من الشيب والشبّان، ومن شيعة وسنّة ودروز ومسيحيين، ومن أطياف علمانية ويسارية وليبرالية، كل هؤلاء شاركوا بحجم أو بآخر في جنازة العلّامة والمفكر والفقيه المجتهد آية الله السيد محمد حسين فضل الله، الأمر الذي يعني أن مثلهم أو

---

(١) نهج البلاغة ـ الحكمة ١٤٤: من كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي.

(٢) نقلاً عن شبكة العراق الثقافية الإلكترونية بتاريخ ٧/ ٧/ ٢٠١٠م تحت عنوان «وداعاً أبا علي وستبقى فضل الله».

(٣) نقلاً عن شبكة الفجر الثقافية الإلكترونية بتاريخ ٤/ ٧/ ٢٠١١م.

(٤) مفكر عربي إسلامي ولد في القدس لأبوين مسيحيين (١٩٣٤م) إنخرط في العمل السياسي والحزب الشيوعي الأردني واعتنق الإسلام في السبعينات، وهو محلل سياسي في قناة الجزيرة.

أكثر منهم شاركوا من بعيد عبر ما أفصحوا عنه للراحل الكبير من حزنٍ ومديحٍ مختلطين بخوفٍ دفين مما يعنيه رحيله من خسارة وفقدان...

العبرة في هذا المشهد النادر بحجمه وتنوُّعه، لم تكن إلا تأييداً أو قبولاً أو إعجاباً لما كان عليه الفقيد من مواقف وسيرة، سواء أكان في مجال الفقه والفتاوى، أم في مجال السياسة والقضايا المحلية الكبرى، فالناس لا تقدّر العلم إلا إذا اقترن بالعمل، فرحمة الله عليه، وأسكنه فسيح جنانه»[1].

يقول الفضل شلق[2]:

«رحل المرجع الإمام السيد محمد حسين فضل الله، كان عملاقاً في فكره ونضاله، مأساته أنه عاش في عالم ينهار، عالم ما بعد الاستعمار الذي يتزلزل فيه الدين، وتعجز الدولة عن تقديم بديل، وتنهار الأسرة، وتعجز الجماعة عن تقديم الحلول لنفسها، ترك ما يجب المحافظة عليه ورعايته وتطويره أهمية المؤسسات بخلاف جميع النشاطات الاجتماعية والخيرية الأخرى أنها قابلة للبقاء، نرجو أن تبقى على ازدهارها.

يستحق الإكبار والاحترام الكلّي، هذا السيد المناضل الذي بناها... نترحّم عليه ونحن واثقون أن ثوابه عند الله أكبر وأفضل وأهم من كل ما يمكننا إسباغه عليه. مع غيابه صرنا أكثر حاجة إلى أفعاله، رحل وترك فراغاً هائلاً، يصعب سدّ هذا الفراغ»[3].

يقول وليد نويهض[4] (الوسط البحرينية):

«ستمضي سنوات حتى يدرك العالم الإسلامي مدى الخسارة التي لحقت به، بغياب المرجع الفقهي، السيد محمد حسين فضل الله (رحمه الله) فالخسارة عميقة في لحظة تاريخية تمرّ بها أمةٌ تعصف فيها رياح الانقسامات الطائفية

---

(١) مقتبسة من جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٩ الأحد ٤ شعبان ١٤٣١هـ ١٥ تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص١٠.

(٢) وزير لبناني سابق، مهندس ميكانيكي، يساري، من شمال لبنان من بلدة كفريا في الكورة، وهو كاتب ومحلل سياسي، رئيس مجلس الإنماء والإعمار سابقاً.

(٣) مقتبسة من جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٥ الجمعة ١٧ رمضان ١٤٣١هـ ٢٧ آب (أغسطس) ٢٠١٠م.

(٤) مفكّر ومدير تحرير جريدة الوسط البحرينية.

والتجاذبات المذهبية الضيقة التي تفطر العقول والقلوب، وتوزّعها على ولاءات عصبية هوجاء تعطل إمكانات الوحدة وتدفعها إلى الصغائر بعيداً عن الصراط المستقيم.

رحيل السيّد فضل الله يعتبر خسارةً شاملة سيكون لها انعكاساتها على مختلف الأفرقاء، لأن فقه السيّد انطلق من الوحدة أولاً، ومن الوحدة ثانياً، ومن الوحدة ثالثاً، ورحيل الفقيه التوحيدي في فترة ترتفع في خلالها نزعات تكفيرية وإلغائيّة وتشطيريّة، تعتبر ضربة لكل تيار يقرأ التاريخ في سياقٍ غير منقطع بين الماضي والحاضر والمستقبل.

سنواتٌ كثيرةٌ ستمرُّ على العالم الإسلامي حتى يدرك مدى عمق الخسارة التي تكبّدها برحيل المرجع الفقهي الفلسفي السيد فضل الله، فالفراغ الذي سيخلّفه السيد، يصعب تعبئة حاجاته ومتطلباته بالسرعة والسهولة المرجوّة، وذلك لاعتبارات كثيرة تتجاوز العلم والمعرفة والاطّلاع والمتابعة والمثابرة والحفر في التاريخ والاجتهاد في النص، فالخسارة أكبر لأنها تتصل بغياب إنسان فقيه فيلسوف، اتصف بتجرُّده عن الانقسامات والاختلافات، حرصاً على الوحدة، وعلى عدم ضياعها في خضمّ فوضى اضطراب العصبيّات والتعصُّب المنغلق على التخلّف الذهني، فالوحدة عنده هي الأساس وغياب الأساس الذي من أجله كان القصد من الدعوة والرسالة، يشكل في رأيه، كارثةً على الإسلام»[1].

يقول الدكتور حسن مدن[2] (الخليج الإماراتية):

«لا جدال في أن رجل الدين والدنيا محمد حسين فضل الله الذي غيّبه الموت هو من أكثر وجوه لبنان والعالمين العربي والإسلامي انفتاحاً على المكونات الفكرية والفلسفية كافة، ناهيك عن الدينية بطبيعة الحال كونه مرجعاً دينياً رفيع المقام، وصاحب الكلمة المسموعة لدى الملايين من مريديه ومقلّديه.

كان رجل دين مقاوماً، وكان أيضاً رجل دين متسامحاً، وطنياً لبنانياً،

---

(١) مقتبسة عن جريدة (بيّنات) العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١هـ ٩ تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص١٤.

(٢) كاتب ومفكر بحريني.

بعيد الأفق، أخذ من لبنان، وهو اللبناني الذي ولد وتعلّم وعاش ردحاً من حياته في النجف، روح التفتح والتعايش المشترك، ويؤكد ما في روح الإسلام من قيم التسامح كونه دين يسر لا دين عسر.

سيمرّ وقت طويل قبل أن تهبنا الحياة رجلاً في وزنه الديني والمعرفي وفي حصافته الفكرية ورصانته المعرفية، وفي شجاعته باجتراح الجديد المستقيم مع روح الإسلام والمتسق مع تعاليمه وتأكيد وحدة المسلمين في زمن تتبارى فيه السهام لتمزيق هذه الوحدة»[1].

الكاتب السعودي طارق النزر يقول:

«حين وصلني خبر وفاة سماحة العلّامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قدس الله روحه الزكية) كان كل ما أتمناه أن يكون الخبر كاذباً، لكنه ومع الأسف لم يكن كذلك هذه المرة، وكان بصحة هذا الخبر وصدقه خبراً مفجعاً ومبكياً ومريراً بكل ما تحمله الكلمة من معنى...

أي فراغ هذا الذي ستتركه بعدك أيها السيد الجليل، وأي ألم هذا الذي سببه خبر وفاتك لمحبيك، لقد علّمتنا أن نصبر على مصائب الزمان، لكن ما لنا لا نحتمل مصيبة رحيلك، لقد شعرنا بالضياع والغربة من بعدك، فأنت الذي كنت لنا أكثر من مجرد مرجع فقهي، أنت الأب الحنون الذي غذيتنا بفكرك وإيمانك وعلمك وأدبك، أنت المعلّم لمكارم الأخلاق، والحاضن لأحلام الشباب والأمة، ربّيتنا روحياً ومعنوياً، كنتَ رمزاً للإنسانية جمعاً من خلال مؤسساتك الخيرية التي تدعو للفخر والاعتزاز على ما تقدّمه من خدمات إنسانية كبيرة ونافعة، ورمزاً للأديان السماوية كافة، بما حَمَلتهُ شخصيتك العظيمة من أخلاق رسلها وأنبيائها، ورمزاً للإسلام عامة بما تحليت به من صفات النبي الأعظم، من صبر على الأذى في سبيل القضية الإلهية، والطيبة والتسامح مع مَن آذاك وأساء إليك، ورمزاً شيعياً خاصاً حيث جسَدتْ سماتك أئمة أهل البيت من حكمة وموعظة وتعامل حسن رغم كل الظلم والتحديات دون أن تأخذك بالله لومة لائم، فكم صبر قلبك الطاهر، وكم تحملت نفسك الزكية، لكنك أبيت إلا

(١) جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٩ الأحد ٤ شعبان ١٤٣١هـ ١٥ تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص١١.

أن تكمل رسالتك وأن تسير في خطك، فكُنتَ محارباً لكل أنواع الجهل والخرافة والغلو، ولا سيما تلك التي تُفعل باسم الدين أو المذهب، وقدوة متميزة للوحدة الإسلامية في ظل الفتن الطائفية والنزاعات المذهبية، ومثالاً للوحدة الوطنية في ظل الحروب الأهلية والإقليمية، فقد زرعت فينا الاعتزاز بأوطاننا وأديانا ومذاهبنا لكن دون أن نلغي الآخر أو نستصغره أو نحاربه. كنت سيد الفكر وسيد الوعي وسيد الرسالة، شخصيتك ومسيرتك مدرسة حقيقية في شتى المجالات ولمختلف أنواع البشر، حقاً إنك حالة استثنائية، وظاهرة بشرية خاصة، نقشتْ اسمها وسطّرت حروفها على صفحات الزمن. لقد دخل اسمك التاريخ الإسلامي من أوسع أبوابه، ليبقى منهلاً للعلم والمعرفة على مدار الأزمنة، وشكّلتَ بعطائك نقلة نوعية للتجدد بالفكر الشيعي وفقهه، جذبتَ العقول، وأسرتَ القلوب، فأحببناك بالله، فحبّبتنا بالله أكثر وعرّفتنا عليه أكثر من خلالك، أنت سيدي الجليل، كثُر هم العلماء، لكنهم قلة مَن يعمل بعلمه، وكثُر هم العاملين، لكنهم قلة المتميزين في كل شيء. كنت فريداً بكل ما تحمله صفاتك الشخصية، وعطاءك المتنوع، وفكرك المنفتح، وعلمك الواسع، وصدرك الرحب. كنتَ ولا زلتَ تعني لنا الكثير أيها الأب الروحي الغالي، فرحلتَ أيها السيد جسداً وستبقى السيد الفكر والخط والروح والرسالة معنا على مَر الزمن. غيّبك الموت عن هذه الدنيا لكنك ستبقى حياً في قلوبنا وعقولنا ووجداننا ما بقينا، وستبقى كذلك للأجيال الواعية القادمة ما بقي الليل والنهار.. رحمك الله»[1].

يقول الكاتب السيد محمد طاهر الحسيني (في وداع فقيه العصر ومنبع الفكر):

«لقد ودّع العالم العربي والإسلامي مرجعاً فقهياً كبيراً ومفكراً إسلامياً رائداً، ومُصلحاً اجتماعياً، وقائداً سياسياً بصيراً قلّما نجد له نظيراً بين أقرانه، فكان آخر العظماء دونما مبالغة أو تحيُّز.

وبرحيل السيد محمد حسين فضل الله يخسر العالم العربي والإسلامي

(١) نقلاً عن شبكة العراق الثقافية بتاريخ ٥/ ٧/ ٢٠١٠م تحت اسم (الرحيل الصعب).

شخصية رائدة، روحية وفاعلة في الأوساط العلمية الدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية في وقت لا يبدو ثمة أمل في ملء هذا الفراغ الذي تركه، من حيث تنوع الأدوار وتعدد الأبعاد التي اتسمت به شخصيته»[1].

الكاتب والصحفي محمد سعد العجلة (غزة):

«العلّامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، الذي توفاه الله، هو عالم دين مسلم من طراز فريد، جمع بين العلم الشرعي ومواكبة العلوم الدنيوية، الفقه والجهاد، الأصالة والمعاصرة، العمل الدّعويّ والسياسيّ والثقافيّ والاجتماعي، وإن كان اكتسب شهرته من خلال مواقفه إزاء الاحتلال الإسرائيلي والدور الأمريكي في المنطقة وتأييده، بل ورعايته للمقاومة في لبنان، إلى درجة أنه بات يطلق عليه في وسائل الإعلام لسنوات طويلة لقب «المرشد الروحي لحزب الله».

امتلك فضل الله إدراكاً عميقاً للواقع المحلي والإقليمي والدولي، وتعامل معه بنظرة ثاقبة، بعيداً عن التعصُّب والانغلاق والجمود.

امتلك فضل الله الجرأة الكافية في التعامل مع العديد من القضايا الحساسة، فنجده في دائرة البيت الشيعيّ، يعيد النظر في أمور جلبت عليه غضب بعض المرجعيات والمراكز التقليدية.

رحل السيد محمد حسين فضل الله، العالم العامل، القارىء، الحالم الثوري الواقعي، واسع الأفق، تاركاً وراءه مؤلفات وأعمالاً واجتهادات ينبغي الاستفادة منها، وعدم السّماح للخلاف المذهبي أو الطائفي أو الفكري الحيلولة دون ذلك»[2].

محمد ماجد (جريدة السفير) يقول:

«هذا هو اليوم الذي طالما هربنا منه، وطالما أجّلنا التفكير به.. يوم رحيلك يوم الحسرة على كل لحظة فوّتناها من دون أن ننهل من دروسك، أو أن

---

(١) مقال بتاريخ ٦ ذو القعدة ١٤٣١هـ الموافق ١٤/ ١٠/ ٢٠١٠م نقلاً عن الموقع الرسمي الإلكتروني لسماحة السيد المرجع محمد حسين فضل الله (قُدِّس سرّه) «بيّنات».

(٢) مقتبسة من جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٠ الجمعة ١١ شعبان ١٤٣١هـ - ٢٣ تموز (يوليو) ٢٠١٠م.

نرتشف من رحيق أدبك، أو أن نراك فحسب، أن نرى الطلعة البهية والوجه الذي نوّرته طمأنينة الحق.

نذكرك في قاعة الدرس تعلّمنا الحوار الموضوعي البعيد عن التعصُّب.

نذكرك على المنبر تربينا على المحبة والفضيلة...

نذكرك في محراب الدعاء تغذّي أرواحنا بمعرفة الله...

نذكرك في الصلوات تعرج بنا إلى أعلى مراتب الإيمان...

لقد علّمتنا الحرية والتمسك بالحق ولو حاربنا العالم، وقد علّمتنا المسؤولية فلا مجال للانكفاء، وكنت تردد أمامنا كل يوم: إن الراحة في هذا الزمان حرام... إلا بالقدر الذي تستعيدون فيه النشاط للعمل من جديد...

لم يسكت قلبك الكبير يا سيّد... سيظل ينبض في أرواحنا عِلماً ومنهجاً وأخلاقاً وعشقاً للحق والعدل والخير والانفتاح...

وكفانا أننا نلنا شرف التلمذة على يديك، وأننا عشنا في زمانك»[1].

الدكتور شفيق ناظم الغبرا[2] يقول:

«غيّب الموت المرجع السيد محمد حسين فضل الله، وكما يحدث عندما يسقط رجل جريء مثله، سرعان ما نكتشف كم مثّل علامةً مضيئةً في واقع إسلامي عربي يتعطش للتجديد والبناء. إن أساس نجاح فضل الله ارتبط بقدرته على الربط بين الإسلام من جهة وتمكين الضعفاء والمهمشين في المجتمع، مقروناً بالمقاومة ومناصرة القضية الفلسطينية من جهة أخرى. وغيابه المفاجيء ترك فراغاً كبيراً، لكنّ اجتهاده وجهاده سيكونان حتماً حافزاً لذوي الرؤى الإسلامية المجدّدة».

---

(١) مقتبسة من جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١هـ ـ ٩ تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص١٥.

(٢) أستاذ العلوم السياسية في جامعة الكويت، المصدر نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٢ الجمعة ٢٥ شعبان ١٤٣١هـ ـ ٦ آب (أغسطس) ٢٠١٠م، ص٦.

الكاتب والمؤلف جلال شريم يقول:

«برحيل العلّامة محمد حسين فضل الله، تُطوى صفحة نوعية من التاريخ الإسلامي المعاصر، فهو لم يكن رجل دينٍ فحسب، بل لقد اجتمعت فيه جملة من المزايا والمناقب حوّلته إلى عَلَمٍ مؤثّرٍ ترك بصماتٍ لن تُمحى بسهولة خلال بضعة عقود من الزمن قضاها في خدمة الشأن الإسلامي العام. وإن كان من لقبٍ يُعطى له يختصر الكثير من عطاءاته وإنجازاته، فهو لقب «جاسر الهوّات» ولعلّ هذه السّمة التي امتاز بها، تعود إلى شخصيته المخضرمة، فهو وليد مدينة النجف وربيبها، بما تحمل من معانٍ ودلالات رمزيّة موغلة في التاريخ، وهناك نهل من العلوم الدينية، وعاش فترةً عُدّت بمثابة المرحلة التأسيسية والتكوينية لشخصيته العلمية، والبيئة الثانية التي ساهمت في «خضرمة» هذه الشخصية الفذّة، جاءت مع انتقاله للإقامة في بيروت، بما تمثّله هذه المدينة من حالة انفتاحية بين الشرق والغرب، وبما تحويه من نسيج متعدّد الألوان دينياً ومذهبياً وفكرياً وثقافياً...

هذا الأمر طبع شخصيّته، وولّد عنده هاجس تقريب المسافات وجسر الهوّات بين مفاهيم قد تبدو للوهلة الأولى متناقضة.

رغم الصراع التاريخي الكبير، وما نتج عنه من قطيعة كبرى بين العلم والدين، فإننا نرى سماحته يستعمل كيمياء خاصة، مقرباً بين هذين المفهومين، محدثاً بينهما علاقة جدليّة متبادلة...

ها قد ارتحل «السيّد» إلى جوار ربّه، فإنّا نأمل أن يعوّضنا الله بمَن يسدّ الفراغ الذي تركه، ويرأب الصدع الذي أصيبت به الأمة والوطن»[1].

الكاتب البحريني محمد عبد الله محمد يقول:

«رحل المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله إلى حياة الخلود، وربما سيكون عصياً على جميع مُريديه اليوم أن يعيشوا بلا ذاكرة «حية» تجمعهم به، فلا أظن أن شاباً منهم لم يتغذّ على إفاضات أفكاره

(١) مقتبسة من جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٥ الجمعة ١٧ رمضان ١٤٣١هـ ـ ٢٧ آب (أغسطس) ٢٠١٠م.

وكتبه الوفيرة والغزيرة طيلة الأربعين عاماً الماضية، سواء في الدين أو السياسة أو الفكر.

لقد كان موضوعه ومصداقه، حالة استثنائية، اتفق على حبها مَن يتغايرون في الدّين، واتفق على بغضها مَن يتنافرون في السياسة، فكان حبّه مدخلاً لأخوة دينية، وكان بُغضهُ مدخلاً لأخوة سياسية.

فيما خصّ الرجل وذاته، فإن كفاية ذلك هي في كونه قد استوى على الساحة طيلة أربعين عاماً. يحدث هذا في وقت أصبح يتربّع فيه جهابذة القداسة وأبطالها على جبل السلطة الدينية التي لا يوازيها شيء بعد الله، وكان التمرُّد عليها (أو مغايرتها حتى) سبباً لإخراج أولئك المتمردين من الملّة. كان السيد فضل الله في آتونها يضع قدمه وسط ذلك الزحام والركام، ويتخطى رقاب الجميع ليصل إلى قلب مَن يسعى الجمعَ إلى حيِّزه في معركة كسب العقول والقلوب، وهو ما جعله خارج السياق لدى البعض، وفي قلب السياق بالنسبة لآخرين، لكن الغريب أن فضل الله قد انتصر في السياقين معاً وبنصر مُؤزّر»[1].

الإعلامي التونسي غسان بن جدو[2] يقول:

«إن المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله، كان بمثابة الأب والأستاذ والصديق.

السيد فضل الله هو الذي عقد قراني، وأُقسم أنني بكيت على السيد فضل الله أكثر مما بكيت على والدي...

وأن يُحترم رجل دين في بيئة تكره رجال الدين أمر في غاية الأهمية، وهذا كان من مميزات السيد فضل الله (قُدِّس سرّه). لقد خسرنا وجهاً منفتحاً وعالماً ومرجعاً لا يتراجع عن المبادىء، ويتمتع بنخوة واستقلالية عالية جداً...

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٨٢ الجمعة ٢٥ شبان ١٤٣١هـ ـ ٦ آب (أغسطس) ٢٠١٠م، ص٧.

(٢) مدير قناة الجزيرة في لبنان سابقاً، إعلامي وصحفي متميز ـ شخصية فكرية حرّة ـ مؤيد لحركات المقاومة.

لقد تعرض سماحته(قُدِّس سرّه) للظلم من الشيعة أنفسهم ومن بعض المراجع الشيعية في ما يتعلق بالكلام الذي كان يوجَّه إليه من كافة المراجع الذين اختلفوا معه ومنها «حزب الله» و«إيران» ولكن من الإيجابيات التي قام بها السيد نصرالله هي منع كل الكلام المسيء تجاه السيد فضل الله، الذي كان يصدر من بيئة حزب الله»[1].

رحل عملاق الفكر الإسلامي المعاصر صاحب المرجعية الحركية الوحدوية الأصيلة والمعاصرة والمنفتحة، ليولد من جديد في قلوب وعقول كل المسلمين الرساليين والموالين الحقيقيين المخلصين وكل الباحثين عن الحقيقة والإبداع وليس البدع...!!

بعد رحيله، سيدرك الخيِّرون والعقلاء من أبناء هذه الأمة مقدار الخسارة التي خلّفها رحيله، وهو الرحيل الذي يكشف كم نحن بحاجة إلى أصوات الاعتدال والقامات المتفانية في خدمة الناس والانتصار لقضايا الشعوب في مختلف البلدان والمذاهب والتيارات.

أعتقد أننا في مرحلة ما بعد السيد (قُدِّس سرّه)، لسنا بحاجة إلى مَن يتابع المسيرة بقدر حاجتنا إلى مَن يكتشف معالم سيرته الإبداعية في غير مجال وميدان. ولا شك في أن إنجازات سماحته (قُدِّس سرّه) الفكرية ستتقاطع مع جهود العديد من علماء الإصلاح لوضع الفكر الإسلامي عامةً ومذهب التشيُّع على السكة الصحيحة بعد أن ضاعت الوجهة...!!

عند هذه النقطة تحديداً، لن يعود سؤال «مَن خَسِرَ السيد» منطقياً بما فيه الكفاية، بل سيفسح المجال لسؤال أكثر قدرة على محاصرة إجابته، ألا وهو «مَن لم يخسر السيد» وسيكون الرهان الأساس هو مدى قدرتنا على مقاربة الجواب، وبالأحرى مدى قدرتنا على تلمُّس وتشخيص مكامن الاهتراء في مواقع التفكير أو التبصير في واقعنا المعاش والمأزوم...

حقاً كان (قُدِّس سرّه) رجل في أُمة وأُمةٌ في رجل...

رحم الله سيدنا وأسكنه فسيح جنانه...

---

(١) حوار مع جريدة السفير اللبنانية أجراه هاشم الصالحي ـ ونقلاً أيضاً عن شبكة الفجر الثقافية (الإلكترونية) تحت اسم رحيل الإمام فضل الله.

رسالة من مجاهد في المقاومة الإسلامية إلى سماحة العلاّمة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه)

بسمه تعالى.

إلى سماحة المجاهد المخلص السيد محمد حسين فضل الله...

لستُ أدري كيف أبدأ أحزان كلماتي، على أعتاب سطر حياتك الأخير...

لست أدري من أين تبدأ رحلة الوقوف بين يدي رحيلك الفاجع المهيب...

كيف يمكن للكلمات أن تقولك مرثياً، وأنت فينا حيٌّ لا تموت...

تملأ الحياة فعل وعطاء، فليس للموت إليك سبيل...!!

كيف يمكن تخيُّل مسجدك دونك ومنبرك الذي يطوق لحضورك... فقد كنتَ ملء الأسماع والأبصار والقلوب والعقول...

كنتَ لنا نحنُ المجاهدين القدامى الذين تنشقوا عبير أريجك وريحانك، محبُّوك وعارفو فضلك وقدرك والمتفيئون ظل حبك وعطفك ومودتك...

كنتَ لنا الأبَ والأخَ والصديق... قبل أن تكون المُرشدَ والمعلّمَ والمرجع...

لقد ساقتنا عقولنا وقلوبنا إلى ضفاف واحتك الغنّاء... فكان عذب مائها شفاءً لآلام نفوسنا، وكانت يدك الطاهرة الحانية تمسح الدم والتراب عن جبهات جراحنا يوم كنّا نعود من الجبهة، من تراب العزة والكرامة، تراب جبل عامل، الذي يعرفك جيداً وتعرفه جيداً...

كنتُ أراكَ في غيوم جبل صافي وصخور اللويزة وأشم عبقك في سنديان مليتا وبيوت مليخ ومقام سجد واستراحة كل مجاهد في (بوركاب) ونقطة الشهيد والنبعة...

كنتُ أراك في كل دمِ شهيدٍ سقط من أجل جنوبنا العزيز...

لم ننسَ كلمتكَ التي وصفت بها المجاهدين من أبطال المقاومة الإسلامية في إقليم التفاح بأنهم أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء..!!

لم ننسَ تلك الأناشيد وهي تصدح باسمك «فضل الله يا بن محمد» و«السيد في الصلاة يلبسُ ثوب محمد»...

لم ننسَ متفجرة بئر العبد وقد كانت تستهدف اغتيالك جسدياً بعد أن حاولت اغتيالك معنوياً حين وصفتك بالإرهابي...

كُنتَ الأملَ الواعد بالنصر القادم على صهوة الرسالة السماوية المفعمة بالحب والوفاء وكرامة الإنسان...

رسالة مفعمة بأناشيد النصر والإباء، أناشيد صاغها قلبك قبل أن تصيغها الأقلام شعراً من يديك...

رَتّلتها نظرات عينُك قبل شفاهك...

كُنتَ الأبَ الحنون، فحضنتنا برداء الرحمةِ والحُبِ والحنان...

كنتَ تفرش لنا كلماتك الجهادية الثورية، عندما كان الشوك في أقدامنا...

كنتَ تستقبلنا استقبال الفاتحين لتضمنا بين حناياك، ولسان حالك الناطق «أيها المجاهدون الذين انفتحتم على الله فانفتح الله عليكم».

نشتاق إلى وجهك النيِّر الذي عشق الله (تعالى) فأنار دربنا ومشينا على هديك ودربك... أيها السيد العلّامة.

رحمك الله أيها القلب الذي لم يعرف إلا الحب...

رحمك الله أيها المجاهد الذي لن ينطفىء نوره، والذي سيضيء درب جهادنا بعون الله وعنايته... رحمة الله عليك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مجاهد من المقاومة الإسلامية

ثائر

علّمتنا يا سيدي

علّمتنا يا سيدي كيف نحرّك عقولنا لنغربل ما نسمعه وما نقرأه، فليس كل مكتوب صحيح وليس كل مسموع صحيح وليس كل تقاليدنا وعاداتنا مقدّس... لذا أمسيتَ فينا إشراقة العقل...!

علّمتنا أن نقول الحقيقة ولا نخاف في الله لومة لائم، وألاّ نهنْ... فكنتَ تردد علينا كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به أهل البادرة، فمَن استثقل الحق أن يُقال له والعدل أن يعرض عليه كان العمل بهما عليه أثقل»[1].

فلا قيمة للحقيقة إن كانت مخفية في سراديب النفوس والمصالح المادية والشخصية.

علّمتنا كيف نتقبّل الآخر ونحاوره، ورفضتَ نهج التضليل والتكفير والمغالاة وقلتَ لنا أن القوي هو الذي يناقش، لأن الحقيقة هدفه، أما الضعيف المتعصب فيلجأ إلى الشتم والتكفير...

علّمتنا كيف نكون أحراراً، الحرية التي قد لا يعرفها الكثيرون، وكنت تردد علينا قول أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً»[2].

علّمتنا المحبة للآخر... كيف لا وأنت المردد دائماً «أيها الأحبة» لم نسمعها إلا منك.. ولم نفهمها إلا منك.. ولم تدخل قلوبنا إلا منك.. لأنها صادقة.. نابعة من القلب إلى القلب...

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٢١٦، الكافي ج٨ ص٢٩٣، وبحار الأنوار ج٧٤ ص٣٥٨ ـ ٣٥٩.

(٢) بحار الأنوار ج٧٤ ص٢٢٨.

علّمتنا التسامح.. كيف لا وقد رأينا أبشع الحَمَلات تُدار لإسقاطك وتشوه صورتك.. ومنزلتك، وأنت تقول لهم كما قال رسولنا الأكرم ﷺ: «**اللهم اغفر لقومي إنهم لا يعلمون**»[1] ولم نسمع منك ولا كلمة واحدة تسيء لهم...

علّمتنا كيف نفتح قلوبنا للآخرين، وكيف نحاور الجميع ونفهم منطلقاتهم، وكيف نحاور أنفسنا أيضاً ونفهمها قبل أن نحاور الآخرين...

علّمتنا كيف تكون الحكمة والانفتاح الأسلوب الأنجع، والعقل وميزان الحق والعدل هو ما تقاس عليه الأمور، بعيداً عن المصلحة الذاتية والاجتماعية وحب الأنا...

علّمتنا التواضع بحُسن تعاطيك مع الصغير والكبير والغني والفقير والعالم والأمي... وأنت تقول لنا: «أنا تلميذُ كل مَن أجلس إليه» وما نحنُ وما أنتَ.. يا سيدنا يا حبيبنا...

علّمتنا أنه كما أن التوجه للّه يكون عامودياً في عباداتنا، فإن التواصل مع الناس أفقياً هو من أفضل الأعمال وأصلحِها...

علّمتنا كيف نعشق الله وكيف نحبه وكيف نعبده عبادة العارفين لا عبادة الجاهلين... كيف نكون عباده الصالحين وكيف يكون التأسي بالنبي ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2] وكيف يكون التولي للأئمة عليهم السلام...

علّمتنا كيف نكون خاشعين للّه معك.. في صلواتك ودعائك إلى الله...

كنا معك، مع نهجك، لأننا رأينا فيك الصدق والإخلاص متجسداً فكراً وكلمةً وموقفاً وجهاداً وتطبيقاً...

كنا معك وسنبقى.. لأنك أتقية الله (تعالى) فعملتَ على أن تكون كلمة الله هي العليا وأصرّيتَ أن تكون إسلامياً منفتحاً على العصر.. لا منغلقاً ولا تقليدياً، وعهداً أننا سنكمل الرسالة كما أوصيتنا وعلّمتنا، بإذن الله... والله ولي التوفيق..

---

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج٦ ص١١٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

قالوا فيه

١ ـ سياسيون:

الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد:

«الشعب الإيراني تلقى ببالغ الحزن والأسف نبأ رحيل العالم المجاهد والداعي إلى الحرية، والخدمات الجليلة التي أسداها، ذلك الفقيه الكبير طوال حياته الزاخرة بالخير والبركة في سبيل تعزيز الوحدة الوطنية في لبنان، والتمسك بمحور المقاومة، ستبقى خالدة»[١].

حمد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر:

«تلقينا ببالغ الأسف والتأثر نبأ وفاة المغفور له إن شاء الله تعالى، سماحة العلّامة السيد محمد حسين فضل الله، الذي فقد لبنان بوفاته واحداً من أبرز العلماء الداعين لوحدة الصف اللبناني والداعمين للصمود والمقاومة ضد أعداء لبنان والعرب والمسلمين.

إننا إذ نعرب لكم عن خالص التعازي في هذا المصاب الأليم، لندعو الله العلي القدير أن يتغمد الفقيد الجليل بواسع رحمته ويجعل مثواه فسيح جناته ويجزيه خير الجزاء عما قدّم لوطنه وأمته وأن يلهمكم الصبر وحسن العزاء»[٢].

نائب الرئيس السوري فاروق الشرع:

«العالمان العربي والإسلامي، فقدا بغياب العلّامة، قامة من قامات الفكر الديني والسياسي، التي اتسمت بصفاء الذهن، وبُعد النظر»[٣].

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١هـ ـ ٩ تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص٦.
(٢) المصدر نفسه، ص١٠.
(٣) المصدر نفسه.

رئيس مجلس النواب الأستاذ نبيه بري:

«الآن كلّ شيء يميل إلى الحزن الشديد، ليس اعتراضاً على قضاء الله وقدره، وهو سبحانه يعطي ويأخذ، ولكن لأنّ الكبار يتعبون أيضاً وينزلون عن أفراسهم، ويغادرون الميدان إلى نعسهم المزمن، ويمضون أعينهم على جروح العطش الذي لا يندمل، وعلى التراب العليل، وهم يعرفون أنّ تراب أجسادهم وحده يعيد إلى الأرض ألقها لتصعد أشجار الحياة الكثيرة والمزدهرة.

لأن اللغة الهادئة الهادفة الرصينة، الناضجة القوية المتدفقة كشلال لغة المجد الكربلائي، لغة الحواريين والحسينيين الأوائل الذين خرجوا ليكرزوا في القرى، والذين خرجوا إلى شهادتهم من أجل أن يستقيم الدين ـ الآن ـ هذه اللغة تبحث عن مفردات للرثاء، وعن تعبيرات الحزن الجميل في الابتسامة الواثقة.

الآن، كل مَن في الشرق من المسلمين والمسيحيين سينتبهون إلى أنهم فقدوا مرجعاً كان يحرسهم من هوجاء التعصُّب والتمذهب، وسينتبهون غداً إلى أنهم أشد حاجةً إليه في اللحظات العصيبة الضاغطة على عالمنا الإسلامي، من حدوده عند سور الصين العظيم إلى غرب أفريقيا.

الآن، كلّ اللبنانيين بكل طوائفهم ومذاهبهم وفئاتهم وجهاتهم، كل أجيالهم وجبالهم وتاريخهم وأرزهم وزيتونهم، سينتبهون إلى العمر الذي يستنزف أرواحهم ويأخذ عناصر قوّتهم لولا المقاومة التي تقيم شجرتها جذوراً في أعماق تراب أجسادهم.

الآن، فلسطين من النهر إلى البحر، بقدس أقداسها، وغزّة هاشم، ومساجدها وكنائسها، وأطفال حجارتها، والأسرى والمعتقلين والشهداء والجرحى، ودائماً الأحياء، سينتبهون إلى وصيته أنّ أمانيّهم تتحقق بسلوك الطريق إلى وحدتهم.

الآن، كلّ الجغرافيا في الشرق، كلّ الأفكار المتحاورة أو المتشاكسة، كلّ المقاومات، ستفقد العلّامة العلم، آية الله العظمى السيد محمد حسين

فضل الله العاملي، الذي كان منتبهاً إلى خطوط التماس بمواجهة حرب السيطرة، لرفع راية الإسلام الذي يمثّل خط النهضة المستقبليّة.

الآن، أنا أفتقد حضوره النبيل المترف بالأفكار المزدهرة بالمعرفة، المجرّب، الخبير، وخير خلف لخير سلف، سيّد الكلمة، فقيه الانفتاح.

عزاؤنا في حركة الخط الذي مثّله على الدوام: شجاعة الفكر في مواقف التحدي وفي تأكيده ضرورة الدولة التي سعى إلى أن تكون للجميع، وفي المقاومة التي هي حاجة وضرورة لردّ العدوّ، وفي التعايش، ودائماً الوحدة الوطنية في لبنان، ووحدة المسلمين في العالم»[1].

فرانسيس غاي (سفيرة بريطانيا في لبنان):

«إحدى المزايا التي يتمتع بها الدبلوماسي، أنه يحظى بمقابلة الكثير من الأشخاص، من الكبار والصغار، الشغوفين منهم والغاضبين، والناس في لبنان يحبُّون دائماً أن يسألوني عن السياسي الذي أُعجب به أكثر من سواه. إنها مسألة غير عادلة، ومن الواضح أن العديد منهم يسعون لإيجاد أجوبة سياسية خاصة بهم، عادةً أتجنّب الرد، من خلال الإشارة إلى أولئك الذين أستمتع بلقائهم، وإلى الذين يبهرونني أكثر من سواهم.

حتى الأمس، كان جوابي المفضّل هو الإشارة إلى سماحة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، أعلى مرجع شيعيّ في لبنان، وزعيم هو محطّ إعجاب العديد من المسلمين الشيعة في أنحاء العالم، وعند زيارته، يمكنك أن تكون متأكداً من حصول نقاش حقيقي يرافقه جدال محترم، ومن أنّك عندما تتركه سيبقى لك منه شعور بأنّك أصبحت شخصاً أفضل، هذا بالنسبة إليّ هو الأثر الفعلي لرجل الدين الحقيقي الذي يترك أثراً في جميع مَن يلتقيهم بغض النظر عن دينهم.

بالأمس، توفي السيد فضل الله، ولبنان اليوم لن يكون كما لبنان الأمس، ولكنّ غيابه سيتجاوز شواطىء لبنان.

---

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١هـ ـ ٩ تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص١٠.

ما زلت أتذكّر جيداً عندما رشّحت لمنصب سفيرة في بيروت، اتصل بي أحد معارفي المسلمين ليقول لي:

كم أنتِ محظوظة لأنكِ ستحصلين على فرصة لقاء المرجع السيد محمد حسين فضل الله. وكم كان فعلاً على حق.

وإذا كنت أنا حزينةً لسماعي نبأ وفاته، فإني أدرك أنّ حياة الكثير من الناس سوف تنحو نحو الأسوأ.

فالعالم بحاجة إلى المزيد من الرجال المستعدّين للانفتاح على الديانات الأخرى، مقرّين بواقع العالم المعاصر، ومستعدّين لمواجهة القيود ـ الحدود القديمة... فليرحمه الله»[1].

(١) نقلاً عن جريدة «بيّنات» العدد ٣٧٨ الجمعة ٢٧ رجب ١٤٣١هـ ـ ٩ تموز (يوليو) ٢٠١٠م، ص١٠.

٢ ـ شعراً:

يا عالِماً مِعْلَماً علاَّمةً عَلَماً

أَلـلـصـلاةِ وفـيـهـا كـلُ مـا فـيـهـا ... أَنـعـاكَ روحـاً بـراهـا عِـشْـقُ بـاريـهـا

أَمْ لـلـكـتـابِ وقـدْ جـاءتْـهُ نـاعـيـةٌ ... مِـنْ آيـةٍ فَـقَـدَتْ لـلـتـوِّ تـالـيـهـا

أم لـلـثـغـورِ ومَـنْ يَـحـمـونَ هَـيْـبَـتَـهـا ... وهُـمْ لـقـلـبِـكَ تـاجٌ مِـنْ دَراريـهـا

أنـعـاكَ لـلـبـيـتِ والـمـحْـرابِ مُـفـتـرشـاً ... قلباً على الفِطْرةِ الأولى يُشاكيها

أنـعـاكَ لـلـوطـنِ الـغـالـي، لأُمَّـتِـنـا ... وكُـنْـتَ مَـعْـنـاهُ بَـلْ أَصفى مَعانيها

أنـعـاكَ لـلـقُـدْسِ في أحـزانِ غُـرْبَـتِـهـا ... وكـنـتَ فـي قـومـهـا مِـمَّـنْ يُـؤاخـيـهـا

لِـكَـوْكَـبٍ طـالَـمـا أَبْـلَـغْـتَ مُـجْـتَـرِحـاً ... لـهُ الـمـواعِـظَ والـغـافـي يُـجـافـيـهـا

لـلـديـنِ لِـلـعـلـمِ والأخـلاقِ أعْـضُـدُهـا ... لـلـعـقـلِ لـلـعـدْلِ والـتـقـوى أُواسـيـهـا

يـا عـالِـمـاً مِـعْـلَـمـاً عـلاَّمـةً عَـلَـمـاً ... كـلُ الـفـضـائـلِ تَـكْـلَـى مَـنْ يُـعـزِّيـهـا

يـا سَـيِّـداً عـاشَ حُـراً لَـمْ يُـعِـرْ بَـصَـراً ... لِـلْـمُـغْـرِيـاتِ ولا سَـمْـعـاً لِـداعـيـهـا

يَـمَّـمْـتَ وَجْـهَـكَ شَـطْـرَ الـضـوءِ فـانـبَـجَـسَـتْ ... مـنـابـعُ الـنـورِ مـن كـفَّـيـكَ تُـجْـريـهـا

كَـم إسـتـضـاءَ بـهـا الـعُـبَّـادُ فـاحـتـشـدوا ... عـلـى صُـفـوفِـكَ والـرحـمٰـنُ يُـرْبـيـهـا

كَـم إسـتَـنَـارَ بـهـا الـثـوارُ فـانْـقَـشَـعَـتْ ... أمـامَـهُـمُ ظُـلْـمَـةٌ واغـتـاظَ حـامـيـهـا

مـا أروعَ الـديـنَ والإيـمـانَ إنْ رشَـحَـتْ ... بـالـوحـيِ أعـمـالُـنـا بـالـصـدقِ نَـأتـيـهـا

لا يُـعْـرَفُ الـديـنُ إلا حـيـنَ يَـنْـظُـمُـهـا ... كـالـعِـقْـدِ أيـامَـنـا بـالـمـاسِ يُـغْـنـيـهـا

لا لـيـسَ ديـنـاً إذا صُـمْـنـا ومَـزَّقَـنـا ... عَـصْـفُ الـهـوَى يُـبْـعِـدُ الـقُـرْبـى ويُـدْنـيـهـا

لا لـيـسَ ديـنـاً إذا أسـلافُـنـا شَـرَحـوا ... نَـصّـاً غـداً شِـرْعَـةً نَـضْـرَى ونَـحْـمـيـهـا

لا لـيـسَ ديـنـاً إذا صـارتْ مـذاهِـبُـنـا ... أَوْلـى مِـنَ الـديـنِ نَـنْـسَـاهُ ونَـفْـديـهـا

الـديـنُ وَحْـيٌ صَـفـا لـلـحُـرِ مَـشْـرَبُـهُ ... وَيَـشْـرَبُ الـعَـبْـدُ مَـنْ أردى مَـجَـاريـهـا

الـديـنُ كَـنْـزٌ تَـعِـي الأجْـيـالُ جَـوْهَـرَهُ ... جِـيـلاً فـجـيـلاً يُـمـاشـيـهـا ويُـعْـطـيـهـا

لا يُحْبَسُ الدينُ في جيلٍ ولا جَدَثٍ ... ولا يُحكَّمُ بالأجيالِ ماضيها

مُضارِعُ الناسِ أولاها وأوْكَدُها ... إذا تزاحَمَ بالِيْها وباقيها

يا مَرْجِعَ الدينِ ما هانَتْ قَواعِدُهُ ... عليكَ بَلْ ظَلَّ دِيناً في رَواسيها

عقيدةٌ سَلِمَتْ ما شابَها وَطَرٌ ... ولا هوًى زادَ فيها ما يُحَلِّيها

شريعةٌ سَمْحةٌ غَرَّاءُ صافيةٌ ... يَحْيَا بها مَنْ رَعَوْها في سَواقيها

لمْ تَجْتَزِىءْ لَمْ تُبَدَّلْ لَمْ تَجِدْ أَبَداً ... عَنْ سُنّةٍ في عُراها أوْ مَرَاميها

لمْ تَقْتَبِسْ لَمْ تُزَيِّنْ وَجْهَ شِرْعَتِنا ... وكادَ مَنْ كَحَّلَ الحَسْناء يُعْميها

لمْ تَرْتَزِقْ لَمْ تُمالِىءْ في التُقَى أَحَداً ... وَلَمْ تَبِعْ وقْفَةً بَلْ كُنْتَ تَعْنيها

لمْ تَجْنِ إلا الرِّضا لَمْ تَبْغِها عِوَجاً ... وَلَمْ تُوَرِّثْ سِوَى الرَّضْوى لِرَاضيها

ولَمْ تُداهِنْ رعَاعَاً دِيْنُهُمْ بِدَعٌ ... وَلَمْ تُهادِنْ شُروخاً أَوْغَلُوا فيها

ولَمْ تُهِنْ عَقْلَنا بَلْ كُنْتَ أَحْرَصَنا ... في المَنْطِقِيَّاتِ إنْ صِيْغَتْ مَبانيها

لم يَفْهَموكَ ولنْ حَتَّى نُحَرِّرَهُمْ ... مِنْ عُقْدَةٍ لا تُداري مَنْ يُداريها

تَوارثُوها عَنِ المَوتى فَأَعْقَبَهُمْ ... نَزْعاً مَدَى الدهرِ في الحُلْقومِ يُبْقيها

ماتُوا وقَدْ حَبَكُوها في مَعَابِرِنا ... وأَوْرَثُونا مِنَ الأَلْغام خَافِيها

ما بالُنا انْفَجَرَتْ فينا قنابِلُهُمْ ... ولا نزالُ نُحابيها ونَرْويها!

الأستاذ الشاعر

موسى فحص

بحرٌ من الحب والإبداع

أيُّ الدموع وقلب الشوق يعتصر ... ليست تفيض، وسيل الحزن ينهمرُ
اثكلت نهج السنا في عتمةٍ حلكت ... أنت الضياء فأنىٰ يخسف القمرُ
في هدأة الليل والآيات تؤنسها ... أنت السميمر لها والعشق والسمرُ
يبكي الكتاب فما عادت تقلّبهُ ... منك الكفوف لتبني وحيها السورُ
أنطقتها بالهدى فيضاً لمن بصروا ... فما عليك بمن قد خانهُ النظرُ
إن أجدب الفكرُ يوماً يستقي رغداً ... من راحتيك فأنت السحب والمطرُ
كنت الجناح الذي في ظلّه نبتت ... أغراس فكرٍ فلاح الغصن والثمرُ
غذيتنا رؤيةً صائبةً ... فلا تتيه الرؤى أو يخطيء البصرُ
مدوا الجذور فأرض اللّه واسعةٌ ... واستخلصوا العذب ما تصفو به الفِكرُ
من يُحسن الزرع فالأزهار جنتهُ ... ومن يسيُ فلا زرعٌ ولا شجرُ
فضل من اللّه قد أعطاكه مدداً ... أنت المحب ومنك الحب ينتشرُ
بحرٌ من الحب والإبداع تسكنه ... عبر الزمان كنوز العلم والدررُ
نادي الأحبة فالأحبابُ في ولهٍ ... مذ غبت يعبث في أعماقهم كدرُ
قد عشت فينا كنبض القلب متصلاً ... إن يُقطع النبض فالأرواحُ تحتضرُ
لو يعلم الموت كم للفقد من وجعٍ ... لأستغفر الذنب مخجولاً ويعتذرُ
ترعى اليتيم وتحنو حين تغمره ... كأن عطفك في أيتامنا أسرُ
ليصرع الموج في الأنواء مستلماً ... شط الأمان وينُسى دربُه الوعرُ
تسقي الفقير إذا ما ناله ظمأٌ ... يا أيها النبع بالخيراتِ تنفجرُ
كنت المؤيدَ والتوفيق إشرعةٌ ... تطوي البحار بها والدربِ تختطُ
ما وفق الله في الإسلام من عبثٍ ... إلا بوحي السما ما كنت تأتمرُ

لولا رضاهُ لكان السعي في فشلٍ ... وما بناؤُك في الإسلام يزدهرُ
قد مدَّك اللهُ بالتسديد فأرتفعت ... رايات حق لدين النور تنتصرُ
الشمس طه ونور الحق منبعثٌ ... نحو العباد وأنت الدفء والأثرُ
لوأنكر البعضُ نور الشمس عن عمهِ ... لا يدرك النور من للنورِ يفتقدُ
قد قزّم الدينَ أقزامٌ كقامتهم ... لكن سموت وفيك الدين يفتخرُ

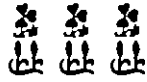

الأستاذ غسان علي ترحيني

إمامُ الرؤى

عُيُونَ المَدى، هل زارَ أهدابَكِ السُّهْدُ؟!
فَأشْعَلْتِ نارَ الفَقْدِ، وَانْطَفَأ الوَعْدُ
ثقيلٌ هو الإفْصاحُ، يَدنو مُلمْلِماً
بَقايايَ، أرْجُوهُ، فَيَعْدو وَيَرْتَدُّ
إذا الرِّيشَةُ اسْتَهوَتْ كَلاماً بِذِكْرِهِ
أَجَنَّ رُؤاها الخُلْقُ، وابْتَعَدَ القَصْدُ
فَيا حجَّةَ الإسلامِ، هل يُغْمِضُ الّذي
لَهُ مِنْ رَسولِ الله، والمُرتَضى رِفْدُ؟!
سَلِيلَ رَسولِ الله، أُوْرِثْتَ إسْمَهُ
لِيَخْتالَ مَزْهُوًّا على عِلْمِكَ البُرْدُ
فَفِيكَ رَنينُ الحَرفِ، يغفو كأنّما
يَداكَ على وَقْعِ القوافي له مَهْدُ
وفِيكَ شِراعُ الفِكْرِ، تُذْكيهِ حِكْمَةٌ
وفيكَ كَمالُ العِلمِ، والفطنةُ الوَقْدُ
وحِلْمٌ عَظيمٌ قد سَمَوْتَ بِنُورِهِ
تُدانيهِ، تَشْتَدُّ الليالي، فَيَشْتَدُّ
تُباري نسيمَ الرّوضِ في طَلَعاتِهِ
لِيُنْشَرَ من أهداب أعْيُنِكَ الوِدُّ
هل الماء يدري؟ مِنْ صَفائِكَ لونُهُ
هل الوردُ يدري؟ مِنْ نَسائِمِكَ الوَرْدُ

أَضِيء مِثلما قد كُنتَ تَروي دُرُوبَنا
ضِياءً كَنُورِ الشَّمسِ يَغفو، وَهَل بَعْدُ؟!
إمامَ الرُّؤى، ها قد فَقَدْنا ذَواتَنا
متى غِبْتَ يا بَدراً، فَهَذا هو الفَقْدُ!
بِماذا نُعَزِّي الشِّعْرَ إنْ جَفَّ وِرْدُهُ
وَأَحْزانُنا في بَحرِ آلامِنا مَدُّ
غَفَوْتَ، وما الإغْفاءُ مِنْ مِثْلِكُم سوى
خُشُوعٍ كَهَمْسِ الوَحي، يَدنو وَيَرْتَدُّ
وَمَا مَجدُ مَنْ يَحيا إذا لم يَكن به
مُحَمَّدُ، فضل الله، هل بَعْدَهُ مَجدُ؟!
يَنام قريرَ العين، يَرحلُ واثقاً
كذاك سُموّ النّفس، مَنْ طَبْعُهُ الزُّهدُ
إلى جنّةِ الرّضوان، مع آل أحمدٍ
هنيئاً جنانَ الخُلد، قد زارك السَّعْدُ

الشاعر داوود مهنا

خطبكَ

خَطْبُكَ الخَطْبُ، هدّنا إيلاماً ... وأجَنَّ العقولَ والأفهاما
رُبّ خطبٍ إن حلّ يورِثُ أحدا ... ثاً جِساماً، ويَثلُمُ الإسلاما
أيها السيّدُ المُعَمَّمُ بالضّوءِ ... سلاماً على سَناكَ سلاما
نحنُ في ليلنا نُقلِّدُ فجراً ... أنتَ كَوّرتَ شمسَهُ فترامى
قد جعلناكَ قِبلةَ الضّوء فينا ... واتخذناكَ للعقول إماما

سيّدَ الحُبّ، رُدّ للحب والإسلام ... شأناً وذَهّبِ الأحلاما
يا لأحلامِ سيدٍ كان يسعى ... ليداوي الآلامَ والأسقاما
يُبرِىءُ اليُتْمَ حين يَغرُسُ فيه ... كلَّ حبٍّ ليُسعِدَ الأيتاما
همَّهُ أن يَهلّ في قَفْرِنا الغَيثُ ... ولا ضَيرَ أن يكونَ الغماما
ذاكَ تاريخُنا فما مرّ يومٌ ... لم نَكُنْ فيه باذلين كِراما

نحنُ مَنْ عَلَّمَ القرائحَ أن تُزهِرَ ... والعقل أن يُميطَ اللّثاما
ولنا مرجعٌ أضاء المقُولاتِ ... وأحيا الآراءَ والأحكاما
كان للحَرْفِ سيِّداً يَتَّمَ المعنى ... وخَلاّهُ مُذْنَفاً مُستهَاما
أنا في فَقْدِهِ أُؤبِّنُ فجراً ... صَفَّدَ العَتْمَ واستَرَقّ الظّلاما

سيّدُ الشّرْعِ حينَ يَسْطَعُ رأياً ... سيّدُ الشّعر إذْ يطيبُ كلاما
سيّدٌ وابنُ سيّد، وابن إرثٍ ... من مقامِ الرّسول حازَ مقاما
قَدَّسَ اللّهُ سرّ مَنْ هام عُمْراً ... بعليٍّ ولايةً واعتصاما

الشاعر فاروق الشويخ

إنَّ لفضلِ الله فضلُ

ألا أيها الناعي ترفّق بمهجتي ... فإن لفضلِ الله في مهجتي فضلُ
تعلّمتُ منه للفصاحة أوجهاً ... إذا قالها قد كان في قوله الفصلُ
رثيتُ به الأخلاق والعلم والتقى ... بفقده ضاع الحلم وانحسر النبلُ
فأنت وكرّاسات وحي قديمة ... عرفتك فيها أيها العلم الفحلُ
بآلك والقرآن بالنهج سائرٌ ... تتابع حتى لو تضيق بك السبلُ
وكنت الذي عاش الحياة بعقله ... وكنت الفقيه الحرُ يحكمه العقلُ
وكنت الذي يأبى من الفكر قشرةً ... ببطن قراطيس يؤرجحها الثقلُ
وكنت الذي لم يخشَ بالله لومةً ... حذار سخيف أو يخوّفه نذلُ
لمعت بإشراق الشريعة معلناً ... سهولتها لم يثنِ همّتك الجهلُ
وآمنت أن الدين يسرٌ ورحمةً ... وما لفقيه في صعوبته شغلُ
فكنت ودين الله والعلم واحداً ... ورائدك الإقناع والمنطق الجزلُ
فأرجَفَ فيك المفترون سفاسفاً ... وقد روّقوها كي بها يعظم القولُ
وقد جعلوا ضلع البتول ذريعةً ... يشنعُ فيه ضدك السقط والحملُ
ولكن ما يشجي الغيور انحطاطنا ... إلى درك لا يستقر له سفلُ
فسمح للأقزام أن يتطاولوا ... لخط رجالات علا منهم الطّولُ
فأربع آلاف يتامى تبرهم ... مبرةُ فضل الله ذلكم الفضلُ
ثلاثون ألفاً في مدارسه انضوت ... فنعم عطاءٌ مثمر المرتجى خضلُ
ليرفع صعلوكٌ عقيرة جهله ... ليحتج في قاماته حيث تنسلُ
ويبلغ أوج الانحطاط تجاهلٌ ... سخيفٌ لحدِّ الموت يا قبح الفعلُ

الشاعر عبد الجبار الداخل

إليك حيث الخلود

عليك يُصلي الحزنُ والدمعُ والشعرُ ... ومن صبرِك الروحيِّ يستلهم الصبرُ
عبَرت تفاصيل الحياة فلم تزلْ ... تدوّنها دهراً ليقرأهَا الدهرُ
أضأت لنا دربا يشعُّ قداسةً ... فأوَّله علمٌ وآخره فكرُ
ملأت العقول البكرَ فِكراً مؤصلاً ... على نهج طه لا يُساومه أمرُ
زرعت بذور الحُب في أرض أحمد ... لتكبُر أغصان الولاء وتخضرُ
عشيةً نادتك الملائك في السما ... رحلت عن الأكوان فانطفأ البدرُ
ولا زال نورٌ منك باقٍ على المدى ... وحين يغيبُ البدر يبقى له ذكرُ
إلى جنة الباري هناك تراهُم ... محمدُ والكرارُ. . . فاطمة الطهرُ
رحيلك عنا يشبه الفقَد كلهُ ... فكل وحيدٌ والحياة له قبرُ
رحيلك نارٌ تشعلُ القلب حُرقةً ... ليشعلنا في كل ناحية جمرُ
رحيلك آلامٌ وحزنٌ مقدسٌ ... ففيك تنامى حُبنا أيها السرُّ
سيشتاقك التوحيدُ في كل موقف ... كذاك «منارُ» الفخر يا أيها الفخرُ
«وندوةُ يوم السبت» ماتت ولم تمت ... سيبقى نداءٌ أو يقوم بنا الحشرُ
سلامٌ على الحزن الذي جاء بعده ... على الدمع سكاباً يشابهه نهرُ
مع الروح «فضل الله» يسكن بينها ... هو الفضل والإحسان بحرٌ به بحرُ
لفا فيني شطران بعضٌ من الرؤى ... إلى سيد قد كان يعرفه الشعرُ
وجدتك في الآفاق نجماً وهادياً ... إلى وحدة الإسلام ذلكم شطرُ
وشطرٌ أخيرٌ أنك الآن بيننا ... فنجمٌ مضيءٌ ليس يُطفئه أمرُ

الشاعر منتظر الموسوي

مُدّ عينيك

أتْعَبَتْنَا الأيّامُ فَامْسَحْ عَنَانَا ... واشفِ أوْجَاعَنَا وأطفِىء ظَمَانا
إنَّنَا ظامئُونَ يا حُزْمَةَ النُّـ ... ـورِ المُحَلّي مَدِينَنَا وقُرَانا
أُفْرُشِ الحُبَّ في بِسَاطِ الأمَاني ... وانشُرِ العِطْرَ حَيْثُ تُمْسِي رُبَانَا
شَاقَنَا صَوْتُكَ الحَنُونُ المُجَلَّي ... يا ابنَ بِنْتِ النَّبيِّ حتَّى شَجَانا
شَاقَنَا وَجْهُكَ الجَلِيلُ المُوَشَّى ... خَلْفَ وَجْهِ الأذَانِ دُرًّا جُمَانَا
شَاقَنَا العِلْمُ يَا صَفِيَّ المَعَاني ... يَمْلأ الرُّوحَ والحِجَى أفْنَانَا
شَاقَنَا الشِّعْرُ في قوافِيهِ البَيْـ ... ـضَاءِ ذَابَتْ بُحُورُهَا أَلْحَانَا
مُدَّ عَيْنَيْكَ إنَّ عَيْنَيْكَ كَوْنٌ ... قَدْ تَجَلَّى مُكَوْثَراً رَيَّانَا
مُدَّ عَيْنَيْكَ إنَّ رَحْمَةَ رَبِّي ... عَيْنَيْكَ أمْسَكَتْ دُنْيَانَا
مُدَّ عَيْنَيْكَ إنَّ دَمْعَ اليَتَامَى ... غَاضَ لَمَّا مَنَحْتَهُ تَحْنَانَا
مُدَّ عَيْنَيْكَ يا لَعَيْنَيْكَ: طُهْرٌ ... أبْلَجَ الحَقَّ فَجْرُهُ فَاسْتَبَانَا

صَوْتُكَ العَقْلُ يَا تَشَيُّعَ وَعيٍ ... قَامَ لَمَّا جَلَوْتَ فِيهِ جَنَانَا
صَوْتُكَ القُدْسُ، شِدْتَ فِينَا هَوَاهَا ... يَا هَوَاهَا تَقَدَّسَتْ أرْكَانَا
صَوْتُكَ القُدْسُ، أنْتَ فِيهَا أذَانٌ ... يَا أذَاناً مَشَتْ إلَيْهِ فَكَانَا
صَوْتُكَ الحبُّ وَحْدَةٌ لا تُدَانَى ... نَجْمَعُ القَوْمَ حَوْلَهَا أوْ عَسَانَا
صَوْتُكَ الحُبُّ رَغْمَ سُمِّ الأفَاعِي ... والضَّلالِ الذي تَرَاءَى دُخَانَا
فَاعْتَنَقْتَ الأذَى لَدَى اللّهِ صَبْراً ... وَاقْتَفَيْتَ الهُدَى فَذِبْتَ افْتِتَانَا

يَا شَهِيداً عَلَى بِحَارِ المَعَالي ... شَاطِئُ الحُبِّ مَدَّ فِينَا هَوَانَا
أنْتَ فِينَا وَلَسْتُ أعْلَمُ حَقًّا ... مَنْ يُعزَّى بِأهْلِهِ يَا أبَانَا
أنْتَ فِينَا نَمَيْتَ فِينَا عَلياً ... وَحُسَيْنٌ والمُجْتَبَى وِجْهَتَانَا
أنْتَ فِيْنَا الزَّهْرَاءُ كَمْ رُحْتَ فِيهَا ... تُمْسِكُ الصُّبْحَ كَيْ نَرَاهَا عَيَانَا
أنْتَ فِيْنَا النبيُّ والنَّاسُ آذَتْـ ... ـهُ اتِّهاماً وَأوْسَعَتْهُ طِعَانَا
أنتَ فِينَا الإسْلامُ والغَرْبُ يَحْدُو ... نَا اغْتِرَاباً وَيَعْتَرِينَا لِسَانَا

غِبْتَ لَمَّا مَلأتُ مِنْكَ القَوَافِي ... فَانْحَنَى الدَّمْعُ وَالقَوَافِي حَنَانَا
حِكْمَةُ اللّهِ أحْكِمَتْ يَا أبَانَا ... وَإلَى اللّهِ قَدْ مَضَيْتَ مُصَانَا
هَانِئاً رَاضِياً بِمَقْعَدِ صِدْقٍ ... مُطْمَئِناً فَأحْيِنَا اطْمِئْنَانَا

الشاعر موسى فضل الله

يا مرجعاً للحبّ

ما غبتَ عن حَدَقِ الهوى لتزولا ... لكن لتبتكرَ الخلودَ هطولا
قدَرُ السّماءِ أحبَّ وجهَكَ يانعاً ... حتّى وإنْ أرخى عليكَ سدولا
يا قادماً من لحظةٍ كونيّةٍ ... ما عادَ موتُ العارفينَ رحيلا
فالصّاعدون إلى الإلهِ بعلمِهِمْ ... كالهابطين إلى اليقين نزولا
يا للنَّدى الحاني، تموتُ دقيقةً ... ويظلُّ لونُ صداكَ جيلاً جيلا
يا مازجَ الأوقاتِ لوحةَ وحدةٍ ... للّهِ تعجنُ بُكرةً وأصيلا

صُحْبَتُكَ في النّجفِ الأغرِّ نخيلُهُ ... وهناكَ لبنانُ اصطفاكَ خليلَ
وتطوفُ ما بينَ الجهاتِ لطائفاً ... وروابياً وعواطفاً وسهولا
ربّيتَ «فضلَ الله» سربَ مآثر ... وندالكَ أصبحَ في القلوب فضيلا
تسمو مع القرآنِ في آفاقهِ ... وتحاورُ التّوراةَ والإنجيلا
من فرطِ ما تهوى الحقيقة جنَّةً ... صَيّرْتَ طاولةَ الحوارِ حقولا
كم أجّلَ الإشراقُ بين نفوسنا ... لكنّ وهْجَكَ يرفضُ التّأجيلا
ونسيجُ ذاتِكَ من خيوطِ فرادةٍ ... أترى سنُبصرُ من مداهُ مثيلا؟!
لم تعشقِ الأكوانَ صمتاً مطبقاً ... ففتحتَ في باب السّؤال قفولا
مهما اختلفنا في رؤاكَ مواكباً ... ستظلُّ في عينِ الجمالِ جميلا
دارَ انتماؤكَ في مدار ولائِهِ ... وبكَ «الحداثة» تعشق «التّأصيلا»
لم تخشَ من دربٍ تخوضُ غمارَهُ ... دربُ الرِّسالةِ كمْ أماتَ رسولا
ويدُ التّقى إذ كرَّمَتْكَ فلمْ تجدْ ... إلا العمامةَ تاجَكَ الإكليلا

يـا عـازفـاً بـالـنّـاي روحـانـيّـة ... في حين أضرمت الحروبُ طبولا
للّه كـمْ تـحصي جراحَ الأرض مذْ ... «قـابـيـلُ» حـزَّ شَـقـيـقَـهُ «هـابـيـلا»
لـن تـسـتـريـحَ مـن الأذى إلا إذا ... انـتـفـضَ الـثّـرى وأزاحَ «إسـرائـيـلا»
إلا إذا عُـدْنـا لـبـسـمـلـةِ الـهـدى ... وتـنـفّـسـتْ أيّـامُـنـا الـتّـهـلـيـلا
لـغـةٌ مـعـاصـرةٌ عـلـى شـفـةِ الـدُّنـا ... يـنـسـابُ مـعـجـمُـكَ الـثّـريُّ جـزيـلا
تـسـتـلُّ مـا بـيـنَ الأضـالـعِ والـحـشـا ... قـلـماً شـحـذتَ بـه الـنّـفـوسَ صـقـيـلا
حـتّـى إذا مـارسـتَ أقـدسَ حـرفـةٍ ... فـاضـتْ كـتـابـاتُ الـرَّشـادِ سـيـولا
لـتـخـطَّ فـي «دنـيـا الـشّـبـابِ» مـصـائـراً ... وتـديـر مـن «فـقـهِ الـحـيـاةِ» دلـيـلا
و«الـبـيِّـنـاتُ» تـبـثُّ أخـبـارَ الـضُّـحـى ... وتـقـارعُ الـتّـزيـيـفَ والـتّـضـلـيـلا
وتـركـتَ غـابـاتِ الـكـلامِ قـطـيـعـةً ... مـذ كُـنـتَ مـن صـيـغِ الـفـعـال فـعـولا
و«مَـبَـرَّةٌ» أعـلـى الـحـنـانِ فـتَـحـتَـهـا ... فـإذا الـيـتـامـى تـسـتـحـيـلُ خـمـيـلا

في خـارجِ الـلّـحـظـاتِ كـنـتَ مـفـكّـراً ... لـتـضـيـفَ فـي عـدد الـسّـنـيـن فـصـولا
فـي مـقـلـتـيـكَ الـفـرقـدان تـأنـسـنـا ... فـذرعـتَ عـرضـاً لـلـخـيـال وطـولا
وكـمـا رأيـتَ مـحـمّـداً فـي حـيـدرٍ ... أبـصـرتَ فـي مـرأى الـورود بـتـولا
يـا مـرجـعـاً لـلـحـبِّ قـلّـدَكَ الـهـوى ... ورأى بـطـيـفـكَ يـومَـهُ الـمـأمـولا
أنـتَ الأبُ الـروحـيُّ، تـزرعُ خـاطـري ... وتـضـيءُ فـي روحـي الـمـدى الـمـجـهـولا
أبـتـي ـ جـعـلـت فـداكَ ـ يـهـمـرنـي الـرّدى ... وتـشـاؤنـي الأقـدار «إسـمـاعـيـلا»
قـبّـلـتَ جـبـهـتـكَ الـعـريـقـة مـبـدأ ... طـبـعُ الـفـراشِ يـقـبّـلُ الـقـنـديـلا
ولأنّ ضـوءَكَ ضـوءُ آلِ مـحـمّـدٍ ... فـلـذا اصـطـفـيـتـكَ . . لا أريـد بـديـلا

❀ ❀ ❀

الشاعر ياسر آل غريب

عِمَامَةٌ وَوَرْدَة

أُسْرُدْ فؤادَكَ أحْرُفاً وسُطُورا ... حتّى تُؤبِّنَ مُعْجَماً مَنشُورا
وافْتَحْ كِتَابَ البحرِ واكْتُبْ غُصَّةً ... حتّى تعظِّمَ للرَّشَادِ أجُورا
حتّى تُشَيِّعَ فِكْرَةً مَضْقُولةً ... صَقْلَ الحياةِ براعِماً وجُذُورا
حتّى تُتَرْجِمَ للفَقَاهَةِ ثَوْرَةً ... كَوْنِيَّةً هاتِ المدى لِيَدُورا
حمَلَ الكِفاحَ فَعَاشَ عُمْراً حافِلاً ... بالمنجزاتِ وأعْجَزَ التَّعْبِيرا
هُو أُمَّةٌ رَجُلٌ وقائدُ أُمَّةٍ ... في جِسْمِهَا حَقَنَ النّدى والنُّورا
داعٍ بحبٍّ لم يكنْ إلا إلى ... فِقْهِ المحبّةِ مُلْهِماً ومُنِيرا
قد حاربُوهُ مُعَلِّماً لكنَّهُمْ ... مَدَحُوا الّذينَ قد اسْتَقَوْهُ نميرا
مدحوا المقاومة الّتي هِيَ بِنْتُهُ ... هِيَ بَعْضُهُ أحْنَوا لها تقْدِيرا
ونَسُوا بأنَّ المجدَ مِنْهُ ونَصْرُها ... لعطائِهِ شَهَرَ السَّمَاءَ مُشيرا
قَطَعَ المسافةَ لا حُدُودَ لمجدِهِ ... فعطاؤُهُ كَسَرَ المدَى المنظورا
ما أخطأ التَّضْلِيلُ نهْلَ فُيُوضِهِ ... مِنْ دُونِ عَمْدٍ نالَ مِنْهُ النُّورا
مَوْسُوعَةٌ، عَلَمٌ، هُدًى لا ينقضي ... جَمَعَ الهدايةَ كوثراً وغَدِيرا
مَزَجَ الإباءَ بحلمِهِ في لوحةٍ ... كَمُلَتْ فكانَتْ شُبَّراً وشَبِيرا
لُغْزٌ هواهُ، لِكُلِّ فَرْدٍ مَوْضِعٌ ... ومساحَةٌ لا تعرِفُ التَّصْغِيرا
لَفَّ العِمَامَةَ وَرْدَةً في رَأسِهِ ... ثَرَثَهُ لوناً زاهياً وعبيرا
لفَّ العِمَامَةَ وَرْدَةً بِرَحِيقِهَا ... قد عالجَ التَّضْلِيلَ والتَّكْفِيرا
لفَّ العِمَامَةَ للحياةِ عِمَامَةً ... رُفِعَتْ هدًى وتَنَزَّلَتْ تَطْهِيرا
العصرُ عَصْرُكَ أنتَ سَيِّدُ عَصْرِهِ ... سُلْطَانُ فكرٍ لا يَكُفُّ هَدِيرا

سلطانُ وعيٍ جَازَ كُلَّ بَصِيرةٍ ... وكأنما قَطَعَ السّنينَ دُهُورا

العَصْرُ عَصْرُ فَقَاهَةٍ تهوى العُلا ... وُلِدَتْ لتَمْتَشِقَ المدى وَتَدُورَا

وُلِدَتْ لتَنْتَشِلَ العقولَ بثورةٍ ... قَبَسٍ تُدِيرُ الوَعْيَ والتَّحْرِيرا

إنَّ الحياةَ تَلَبَّسَتْ بِعَطَائِكُمْ ... رُوحاً فرُوحُكَ لا تَكُفُّ مَسِيرا

يا سيِّدَ الأجيالِ يا حَجْمَ الهُدَى ... حاشا لشَمْسِكَ أن تحاطَ قُبُورا

دُمْ خالداً يا سيّدي فلكَ المدى ... فاقعد عليهِ مَشَارِقاً وبُدُورا

دُمْ في السّماحةِ سيّداً دُمْ في الهوى ... دُمْ في الحياةِ ثقافةً وضميرا

الشاعر احمد الماجد

في وداع إمام التنوير

فُجِعَ الأنامُ بِمَرْجَعِ الإسلامِ ... ومنارَةِ الفكرِ المضيءِ السّامي
هُوَ مرجِعٌ للدِّينِ وَالدُّنيا معاً ... متجاوزاً بالفِقْهِ كلَّ مقامِ
ولئن ذَكَرْتَ الشِّعْرَ فهو محجَّةٌ ... ينسابُ منها دافِقُ الإلهامِ
وبساحةِ الأقلامِ أغنى نثرُهُ ... ما أرسلَتْهُ نوابِغُ الأقلامِ
كَمْ خُطْبَةٍ عبْرَ المَنابرِ ساقَها ... تُنهي عن الآفاتِ والآثامِ
ففي حلْبَةِ الْخُطباءِ كان مجلِّياً ... يُجْلي الخُطوبَ برأيهِ المِقدامِ
كَمْ حارَبَ الجهلَ المقيتَ بعلمِهِ ... حتّى يُصوِّبَ منْهجَ الأفهامِ
وبنى لطلاَّبِ العُلومِ مَعاهداً ... حَفلَتْ بخيرِ فطاحلِ الأعلامِ
وأقامَ للأيتامِ صَرْحَ أُبُوَّةٍ ... فتحرَّروا من مَحْبَسِ الأيتامِ
وسخَى على الفقراَ بفيضِ حنانهِ ... وأمدَّهم بالوعي والإقدامِ
وحَبا الجنوب بكلِّ ما في صدرهِ ... من أُلفةٍ ومحبَّةٍ وهُيامِ
أمضى الحياةَ مدافعاً عن حقِّهِ ... في العيشِ مِمْراعاً، رفيعَ الهامِ
كَمْ حِكمةٍ قد أثمرَتْ أحكامُهُ ... فتجلَّتْ الأنوارُ في الأحكامِ
وأفاضَ في ساحِ النِّساءِ خِطابَةً ... دعماً فكان لهُنَّ خيرَ مُحامِ
أفْتى بما يُعلي مكانةَ قومِهِ ... في الخافقَيْنِ على مدى الأعوامِ
متصدياً لِعَمى الجهالَةِ بالهُدى ... نوراً يخرِّجهُ من الإسلامِ

هبَّتْ جموعُ الناسِ تنعي نأيَهُ ... مفجوعةَ الأكبادِ والأحلامِ
وجرتْ وراءَ النَّعشِ بحراً صاخباً ... دامي العيون منكَّسَ الأعلامِ
فإلى جِنانِ الخُلْدِ يا نجمَ الهُدى ... فاهنأ بها بسكينةٍ وسلامِ

القاضي محمد علي صادق

وَهَبتَ مِن روحِكَ

وهـبـتَ مـن روحـك.. روحَ الـوجـودْ
عـلـمـاً واجـتـهـاداً وجـهـاداً فـي صـمـودْ
إختـرتَ الـحِـلْـمَ جـوابـاً لـلـنـاقـدِ الـحـقـودْ
واهـتـدى بـحـضـرتِـك مَـن كـان ضـالاً جـحـودْ
تَـنفسْتَ الحياةَ رسالةً وفكراً وآيُ القرآنِ شهودْ
مـنـحْـتَ الإسـلامَ مـا فـاقَ عـمـرَكَ الـمـحـدودْ
أنـواراً وبـيـنـاتٍ وصـدقـاتٍ كـحـبـلٍ مـمـدودْ
لـذّاتُ دنـيـاكَ تـرانـيـمُ عـشـقٍ فـي هـوى الـمـعـبـودْ
وتـجـارة إلـهـيـة ذَخـرتَـهـا لـلـغـد الـمـوعـودْ
قـامةُ عـليـائِكَ سِـرُّهـا الـحُـبُّ والـتـواضـعُ والـجـودْ
أيـتـامُ الـمـبـرّاتِ عـلـى ثـرى الـحـزنِ قُـعـودْ
بـعـدمـا حَـلَّـلـتَ بـسـاحـتِـهِـم أبـاً ودودْ
عـجـبـاً تـنـامُ الـعَـظَـمَـةُ كُـلُّـهـا طـيَّ الـلـحـودْ
حزنُ رحيلِكَ جاثٍ على صدورنا بغيرِ حدودْ
والـقـلـبُ يـسـأل: أبـمـثـلِـكَ الـزمـانُ يـجـودْ
طابتْ روحُك سيدي هنيئاً لكَ جَنّاتُ الخلودْ

عديلة مال الله اللواتي
سلطنة عمان

السيد المرجع

(شعر عامي)

خليك شامخ ما حدا قدّك ... يا فكر ما في حدود بتحدك
يا نور شعشع عتمة الديجور ... وحتى الشمس تزيد أكثر نور
نطبعت متل شامه على خدّك

يا عقل واسع منفتح عالكل ... عليك المجد عاطول عم بيدل
وكلما هلال المعرفة بيهل ... بيتعمشق عْلى كتافك وبيحل
تيصير وجهو بدر عايدّك

ما بقول عنّك بحر شو ما جد ... حيث البحر عالبرّ فيلو حدّ
والبحر في عندو الجزر والمد ... وإنت ما عندك جزر يرتد
عاطول طايف بالكرم مدّك

ولو جيت عدد كامل الأوصاف ... اللي فيك غير الخير ما بينشاف
عالم مجاهد حر ما بتخاف ... وبالحس شاعر مرهف وشفاف
بتخلق الصوره مثل ما بدّك

ولو كنت شاعر مبدع وخلاق ... ما نسيت لمعة سيفك البرّاق
بديْك القلم والسيف مشيوا رفاق ... والجاذبية بكوكب الأخلاق
بتشدها أكتر ما بتشدّك

وبين السواد الـ بالعمامة وبين ... وجهك الأنقى من بياض العين
صورة كمالك جمعت الضدّين ... لكن صحاب النقص باللونين
الضدّين وقفوا عن جهل ضدّك

وقفوا عند ما الحقد قلبن عم ... وصار الحسد يسري بعروق الدم
ونحل الفكر لما عليك لْتم ... هجمت أفاعيهم تبخ السم
متل ما سمّت قلب جدّك

وحيات جدّك يا أبو الأيتام ... منبقى معك يا سيد الأحكام
وكونوا مقام العقل أعلى مقام ... وعملاق فكرك خادم الإسلام
العملاق ما بتحجّموا الأقزام ... خليك شامخ ما حدا قدّك

الشاعر نديم شعيب

يا مرجع الحكمة

(شعر عامي)

يا سيد القلبك نبع شوق وحنين — وينك تركت الكل موجوع وحزين
بعدك صلا مع كل صبح بتنذكر — وبتضل نور الشمس لو جسمك دفين
ولما القدر في غيبتك حكمو صدر — اهتزّ الشرق والغرب وشمال ويمين
وتايشيعوك تجمعوا وحار البصر — وكانوا ملائكة السما من الحاضرين
وعيون تذرف عامحبتها عبر — والكل عما يحملوا ومش حاملين
يمكن مسيح الكون تشيعك حضر — والخضر والمهدي اللي كانوا شايلين
والنعش يسبح فوق أعناق البشر — مركب بقلبو حامل الكنز الثمين
يا بحر لنو شوي أخّر هالسفر — موجك غمرنا بالأسى وذاب الفؤاد
وصرنا عابحر من المدامع سابحين

بعدك يا سيدنا المداين والقرى — بهول الفجيعه مألمي ومحسره
كان الخبر صاعق هوى الركن الركين — والناس مذهولي حزينه محيره
والمؤمنين قلوبهن ذابت حنين — ومثل الجداول دمعن الغالي جرى
والكل ذوبهن أسى وقلبن حزين — عكتاب ناطق من حديثك ينقرى
لو رحت فيلك في قلوب المؤمنين — مبايعه وحب وولاء ومفخره
القلوب كانوا في رحيلك خاشعين — ورجعوا اليتامى تيتموا بعدك أكيد
لما اندعيت وصرت ضيف الآخره

يا سيد اللي صرت بالجنة نزيل — العقل تا يجمع صفاتك مستحيل
اسمك إذا بيمر عالبحر الكبير — بتصير منو كل نقطة سلسبيل
وذكرك إذا عالعاصفة جد المسير — بتصير نسمة باردة تشفي العليل
الليل لفلف عتمتو بمشلح حرير — من نور نهجك أشرق الصبح الجميل
يا مرجع الحكمة وكوكبها المنير — تأكد يا سيد مش رح منسى الجميل
حُبك تغلغل بالمبادي والضمير — من اليوم حتى عالأرض ما يضل جيل
منعاهدك وحياة زمزم والغدير — لو غاب جسمك نهجك بيبقى دليل
من نور فكرك رح منبقى نستنير — فروعك كرام وللأصل طلعو الفروع
غاب الأصيل ومطرحو تكلّف أصيل

الشاعر السيد علي داود ترحيني

٣ ـ كتابةً ونثراً:

سنبقى نطوف حول هذا السرّ

من أين يمكن يا سيدي أن أستعيد شريط الذكرى؟ من «أسلوب للدعوة» صغته بدم السّيرة العطرة وبحبر المعاناة قبل أن تصوغه بحبر المحابر..

أم من «خطواتٍ على طريق الإسلام».. خطوتها عملاً وحركةً وجهاداً قبل أن تنسجها بدم الأقلام عصارة التّجارب وموعظة الأيّام... أم من «حوارٍ في القرآن» أضأت حروفه على ضوء الشمعة هناك في «النّبعة» في ليل الحرب اللبنانية الدّامس، لتقدّم إلى اللبنانيين والبشرية نموذجاً آخر في الشخصية التي لا تكون بنتاً لبيئتها، بل التي تصنع بيئتها، فتصوغ للجميع عالماً «يضجّ» بالحوار، بدلاً من أن تتجاذبه قذائف الحرب وسجالات القتل والعنف؟!

من أين يمكن الإحاطة بك سيّدي؟

من متني مؤلّف وكتابٍ صغتها بدمك وعرقك وسيرتك، قبل أن تنثرها كتباً بين يدي القارىء، وصحفاً تترى في صقيع الأيّام وجليد المذاهب؟!

وكيف يمكن يا أبا الجميع أن نطلّ على تراثك الضّخم، والكلّ يشهد أنّه من «نتاجك»... والكلّ يعرف أنّك تختفي خلف كلّ كلمةٍ ينطق بها، أو فكرةٍ يستهدي بها فكّرَك ويستلهم فيها من وحيك، أو كلّ أسلوبٍ «أنشأته» روحاً وموعظةً في ربيع الأجيال المتعاقبة؟!

أشهد يا سيّدي أنّك سرٌّ من الأسرار.. في جهدك الّذي لا حياة فيه للتّعب، ونشاطك الذي لا مجال فيه للراحة، وعطائك الذي لا يعترف بالحدود... حدود الساعات والأيام والسنين.. والأزمنة...

وأقسم سيّدي أنك خصم الراحة الأول.. تماماً كما أنت العدو المثالي لكل أولئك الذين تجرّؤوا على قامة عطائك، وحاولوا النّيل من الاسم

والجسم، ولم يستمعوا إلى نغمات الوعي في كلماتك، ولم ينهلوا من معين عذبها الصافي، ليعرفوا أنّ «الحياة لا تحتمل الحقد».

لا زلت أستمع إليك سيّدي... ولا زالت كلماتك تجوب عقلي ووجداني، وأنت تجيب جيوش المحبّين الذين يقصدون دارك المفتوح سائلين ومستجدين: لماذا لا ترتاح؟ وأنت تجيبهم: «الراحة حرامٌ علينا وعلى أمثالنا»...

ولا زال صدى ذلك الصوت يتردّد في مسامعي للسائلين عن سر هذه الطاقة في جسدٍ تمرّد على «لهاث الستّين» و«دروب السّبعين» فأعيا الأقربين والأبعدين. لقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما ضعف بدنٌ عمّا قويت عليه النيّة»، ليردّد البعض معترفاً:

وإذا كان النّفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

ولا زالت تلك الكلمات ـ المواقف، تحفر في وجداني، وأنت تستحضر شعراً لأحمد الصافي النجفي، عندما سئلت عن سرّ هذا الانتصار على سنيّ العمر المتطاولة:

عمري بروحي لا بعدد سنيني فلأسخرنّ غداً من التّسعين
عمري إلى السبعين يركض مسرعاً والرُّوح باقية على العشرين

أشهد يا سيدي أنني منذ وفّقت لأكون بين يدي خدمتك قبل حوالي ربع قرن، أنك لم ترتح يوماً، ولم تأخذ قسطاً من الراحة التي ينشدها الجميع...

وأشهد يا سيّدي بعد كلّ تلك السنين الذهبيّة التي أتشرّف بالانتماء إلى مدرستها، أنّنا قرأناك في الكتاب الخطأ، فلطالما حاولنا أن نفهمك من خلال ما يمكن لأجسادنا أن تتحمّل من مشقّة وجهد.. ولم نعرف أنّنا أمام جسد من نوع آخر، وأمام جسدٍ فيه ما فيه من طينة رسول الله صلى الله عليه وآله وحركة عليّ عليه السلام وروح الأئمة الأطهار من آل محمد صلى الله عليه وآله...

سيّدي، أنا ما زلت أستمع إليك.. تتلو عليّ وعلى أمثالي كلماتٍ وعظاتٍ هي من «عصير العمر»... لا بل هي عصارة الأيام في خلاصة تجارب لا حدّ لها ولا حصر، وفي أصالة حركة لم أقع على شيءٍ يشابهها في تجارب الآخرين...

وها أنا ذا أحاول استعادة كلماتك، عندما حدّثتني قبل حوالي الأربعين يوماً عن خاطرةٍ عنّت لك في الليل فنسجتها شعراً:

أنا حسبي إن تغشّاني الدّجى في ظلام الليل آهات جروحي
فالتفاتات حياتي فكرةٌ سوف تبقى حلماً فوق ضريحي

سيّدي، أنت سرّ في كل هذا العطاء المتنوع، وهذا الصدق الذي لا حدود له في السياسة وغيرها، وقد تساءل الكثيرون: كيف تستطيع أن تبقى على التزاماتك وثوابتك فيما تشيد كلّ جسور الحوار مع الآخرين... وأنت سرّ في هذه اللمسة الحانية على كلّ النّاس، وفي نقطعة الضعف والقوّة، في هذا الحبّ الكبير للفقراء الذين آثرت أن تكون بينهم وفي حصن مسجدهم حتى بعد الرحيل... وأنت سر في هذا السلام الروحيّ الذي يفيض رحمةً حتى على أولئك «المعتدين».. وسرّ في كلّ هذه المناجاة «الحانية» التي صغتها شعراً رسالياً وأدباً وجدانياً يفيض دعاءً وصلوات... وسرّ في الكثير الكثير ممّا قيل وممّا لم يُقَل، ولا زلنا نطوف من حول هذا السرّ، ونقرأ في كتاب حياتك وعمرك المكدود، لنفهم ونعي ونعمل، وأنّى لنا ذلك!...

علوٌّ في الحياة وفي الممات بحقّ أنت إحدى المعجزاتِ

الحاج هاني عبد الله[1]

(١) المستشار السياسي والإعلامي للعلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه).

فضلَ الله

قالوا رحلت. .
قلتُ أشرقت شمساً على الملأ
قالوا أفلت. .
قلتُ تألّقت نجماً في العلى
قالوا سكنت. .
قلتُ خفقت علماً في المدى
قالوا هدأت عن الكلام
قلتُ صار صوتك أذاناً في الورى
قالوا انكسر منك اليراع
قلتُ صار مدادك نوراً وهدى
قالوا خلا منك المسار
قلتُ صرتَ رصاصاً في صدر العدى
قالوا لفّك ليل الغياب
قلتُ سكنت القلب فينا والحشا
قالوا طواك ريب المنون
قلتُ أبداً صرت شعاعاً وسنا
فكيف يرحل
مَن شيّد للعقل صرحاً لا يبيد
وأطلق الفكر من أسر وقيود
ومَن خطّ للعزم في طريق الأسود
ومَن سطّر للوعي في أسفار الخلود؟

وهل ينكسر قلمٌ
صار مداداً لعصر جديد؟
أم يخلو مضمارٌ
نادى للقدس من خلف الحدود؟
أم هل يغيب مَن صار لحناً
يذيب الصخر والجليد
أم يموت مَن صار ضوءاً
لكل تائهٍ أو شريد؟
أبداً . . عزمك في دربنا حاضر
وشراعك في بحرنا مسافر
وربيعك فينا مشرقٌ وزاهر
وبدرك في سمانا لا يغادر
لا يجهل ضياك طالب حق
ولا ينكر نداك إلا مكابر

السيد يوسف نور الدين[1]

---

(١) كاتب وإعلامي.

يا صانع عصر النور

أحببناك يا سيّدي لأنّكَ أحببتَ الله...

يا مرسوماً فوق شغاف قلوبنا... زرعْتَ في قلوبنا حب الله..

يا قلباً سَكَنَتْ فيه كلّ القلوب.. ففاضَ هذا القلب على مساحات الزّمان والمكان إنسانيّةً وحناناً ومحبة للنّاس.. كلّ النّاس.. وشوقاً ووجداً واستغراقاً في الله...

يا حبيبنا، يا سيدنا، يا والدنا، يا نبض مشاعرنا...

يا انتفاضة الرّوح تسري في كلّ عرق من عروقنا..

يا قامةً شمخت تواضعاً، فنلتَ شرفَ الدّعوة إلى الله على مدى أكثر من ستّين من الأعوام..

يا حقاً مكتوباً على جبين الزّمن...

يا أملاً مشعًّا بكل الإشراق لكل هؤلاء الدعاة والمتعبين والباحثين لإيجاد مكانٍ لهم تحت شمس الحرّية والكرامة..

يا مشعلاً لن تنطفىء جذوتُه في قلوب المجاهدين، كلّ المجاهدين، على امتداد هذا العالم..

إلى منبع رؤاك تتطلّع القلوب العطشى للارتواء.. إلى ذلك الوهج المستمدّ من نور السماء كلمة الحق، نتوجّه يا سيّدي، حيث في كلماتك طمأنينة الرّوح وسعادة النفس..

كنت يا سيّدي تهدهدُ أرواحنا، ونحن نراكَ تذوب بين يدَيْ الله عندما نسمع صوتَك يلهجُ بالدعاء...

غسلْتَ قلوبنا بالنّور، أزلتَ عنّا تعبَ الأيّام.. كنّا نلجأ إليك في كلّ تفصيل، فنجد صدراً رحباً يتّسع ويتّسع ويرسم حلولاً لكل هموم دنيانا..

عندما نجلس بين يديك.. كانت تُشرق أرواحُنا، تعطينا ألَقاً من العزم والإرادة...

بوّاباتُ النّور فتحتَها أمام أعيننا يا سيّدي..

جلجل صوتُك فينا: الأرض تهتزُّ من تحت أقدامكم.. فاثبتوا، فلا تَهِنوا ولا تحزنوا..

علّمتنا يا مولاي أن نرفع رؤوسنا أمام العالم كلّه، وأن نخشع ونتذلّل ونخشى الله...

بادلت الأمة كلها حباً بحب، وعاطفةً بعاطفة.. وجعلت الحبَّ والعاطفة في خط المسؤولية..

في حضرتك، كنّا نعرف ما يعني أن يتواضع العظيمُ العظيمُ، أن يتواضع ارتفاعاً بعين الله...

يا حبيبَ قلوبنا...

أيُّها السيّد السيّد.. سنبقى نردّد خطابك الذي كانت روحُك تحلّق به «اللهمّ اجعلني أحبّك وأحبّ مَن يحبّك، وأحبُّ كلّ عمل يقرّبني منك»... وكم سمعنا منك: إني أحب الله، وأحبُّ النّاس...

يا حبيبَ الله.. يا سيّدنا.. يا حبيبَ قلوبنا.. يا وَجْدَ مشاعرنا.. نراك على الدوام في الإضاءات التي لا تعرف الانطفاء.. نرى يا مولاي حزمة النّور تضيءُ فجر أيامنا...

لنا الفخرُ، كلُّ الفخر، أننا أدركنا عصرك، يا صانع عصر النّور...

سيدي، على مدى ربع قرنٍ... كنتُ عندما أخاطبك بأنّ المنبر لك، كُنتَ ترحمُ طلبي وتلبّي.. وأقولُ لك اليوم: سيدي... المنبر لك، القلب لك، الرّوح لك، حبُّ النبي والزهراء وعلي لك.. وقلوبُ الأمة كلّها لك...

السيد شفيق الموسوي[1]

---

(١) مدير المركز الإسلامي الثقافي، مسجد الإمامين الحسنين عليهما السلام، لبنان، حارة حريك.

سيدي المنير

سيدي الرسالي

نعم آن لجسدك الطاهر أن يرتاح، وآن لنا أن لا نرتاح وأن نعيش القلق الحركي..

آن لنا أن نحزن، وأن نحب، وأن نشتاق..

ستظل مفردات أفكارك، وتكرار كلماتك، تتراقص عذبة على أوتار نفسي، وعقلي، وروحي..

«من هنا وهناك، في هذا المجال، الواقع، الخط، الزّمن، المستقبل، الإنسانية، الرسالة، الانفتاح، الفكر، الأفق، الحق، العدالة، المقاومة، الحب...» عقد من اللؤلؤ الجميل، عقدت حبّاته بإحكام ولففته حول عنقي، لأستمد منه الطاقة والإلهام.

مزجت ألوان طاقاتك بدقة وإبداع، وأفرزتها بقوة وحنكة وتميُّز وانفتاح، بكميائية معقدة وعصارة صافية، وبجهود جبارة مبلورة بالمعاناة والألم، لها موازين ومقاييس قد لا يحتملها أكثرية البشر، وأبرزها كيماء المحبة لديك!...

سيدي المنير...

أبتسم دائماً عندما أشعر بأنك تقرأني أو أقرأك، أو عندما تكشف ما في جعبتي وأكشف ما في جعبتك..

أحب أن ألتقيك فكراً وعقلاً وروحاً عندما تتحدث لمحبيك، وأجد نفسي مبتسمة، وعقلي منفتح، وروحي محلِّقة، حيث تأخذني إلى مستقبل مشرق

ومضيء، أجد نفسي هناك في موقع رسالي دقيق، يتطلب إرادة وإصرار، وجهد ونضال، وصبر ومحبة وانفتاح..

مبراتك في قلبي، ووصيتك محفورة في خاطري، لأحتوي أيتامك يا سيدي...

سأعمل جاهدة لأتخطى المسافات والبلدان، لأصل إليهم وأحتضنهم، لأشم عبق إنسانيتك الفوّاح، وأتذوق طعم الحب الذي منحتهم إياه..

لألتقط فكرة من فوق ضريحك، وأحقق لك حلماً من التفاتات حياتك..

أفهمك جيداً وأفهم ما تريد.. لأنّكَ أفهمتني منذ البداية ما أريد.

كيف لا؟!

وأنا من صلب فكرك، ونسل روحك سيّدي العزيز.

أنت نبض كلّ رسالي.. أنت نبضي أيها الرسالي العظيم..

نسرين علي ــ البحرين

كسفت شمس الفكر يا سيّدي الإنسان..

لست عاتباً على القلم إن اختار الصّمت لغةً.. وارتعاش الرّهبة بَوْحاً.. وانحنى حزناً عليك!..

يا نبض محمّد ﷺ.. يا عطر فاطمة عليها السلام.. ويا ابتهال عليّ عليه السلام..

سيّد الكلام: حريٌّ بنا أن نلبس السّواد ونعلن الحداد، كيف لا؟! وشمسنا قد كسفت.. وابتسامات صباحاتنا أخفاها الذّبول!.. وعصافير الشّرفات ما غنّت كعادتها.. ومناجل الحصّادين لم تقوَ على قطاف الخير في أعراس المواسم.

عزيزٌ عليّ أن أقف في وداع بدرك الذي ما اعتاد الأفول.. وأراني أستعيد كلماتك التي غُرست كنخيلٍ علويّ في ذاكرتي.. وأثمرت وعياً وفهماً وحياة..

سيّدي.. أيُّ المراكب توصلنا إلى مرافىء اللّقيا قبل خطوات الرّحيل.. وكيف نبحر في مساحات قلبك وأنت شراع أمانينا وصهيل الحبّ في سرانا الطويل؟!..

أبا الأيتام: مَن ليتامانا الّذين ألفوا تحنان كفّيك؟ مَن للبراعم التي تفتّحت بسقيا حنانك؟ مَن للجفون التي أطبقت على دفء حبّك حلماً بالغد الواعد؟ مَن لمريديك الّذين تفيّؤوا ظلّ عقلك ونهلوا من معينٍ رافلٍ بالعطاء..

إيهٍ لقلبك الذي وسع الكون حبًّا.. إيهٍ لروحك الكبيرة التي ما عرفت للعتاب سبيلاً، وأنت القائل «علينا أن نحبّ جميع النّاس»، و«إني لا أحمل في قلبي إلا الحب». لقد وسع حبّك الذين رشقوك بسهام جهلهم وحقدهم وتخلّفهم وانطوائهم.. وسع حبّك كلَّ النّاس الذين رأيتهم اليوم وقد جاؤوا

يبادلونك الحبَّ بالحبّ، ويبكونك دموع الصدق، وزفرات أنينهم تسأل: إلى أين يا أبانا؟!..

أيُّها المعلّم: يا مَن علّمتنا احترام العقل وتقديسه، ونبذ الجهل والخرافة، وبنيت فينا العقل النقديّ، يا مَن عرّفتنا ثقافة تقبُّل الآخر والاعتراف به.. وهديتنا إلى الحقيقة التي هي ابنة الحوار..

يا مرجع الإسلام التنويريّ المنفتح على الشباب، المتطلّع إلى المستقبل، المتجسّد حركةً وفعلاً ومؤسّسات..

سيبقى فكرك منارة هدي تأخذ بأيدينا إلى واضح الطّريق.. ونبراس وعي نستعينه في دياجي الدّروب!..

بقلم: الشيخ محمد أسعد قانصو

بك اهتدى جيلٌ كامل

هي لحظات تمر ثقيلة، بطيئة، بانتظار الدفن المقدّس، يخالجني شعور بالهيبة، فأريد لهذه اللحظات أن لا تتسارع، ألا تنتهي.. لأنها عناق مع الحقيقة ومع الحق.. حقيقة أن المُعلّم مات.. وعناق مع الحقّ لأن حياتنا زيفٌ وخداع.. وسراب نلهث خلفه باستمرار في أيامنا، نهاراتنا ولياليا، التي تمر بلا نكهة سوى نكهة الملذات الزائفة أو الصراع من أجل البقاء.. البقاء مع السراب الآفل غداً..

وللسيد، المُعلّم للحالة الإسلامية، نكهته الخاصة وأدبياته، نهجه، سلوكه، طريقه، طريقة تعبيره، في مقاربة كلّ الأمور وكل الميادين... وهذا الفهم للسيد المُعّلم ليس متوقفاً على كون الإنسان من محبيه أو من مريديه أو أتباعه.. بل هو فهم الأصدقاء والخصوم المنصفين كذلك.

للسيد أسلوبٌ ومدرسةٌ، وكثيرٌ من النّاس تعلم أو تتلمذ فيها.. أو اقتبس منها أو ردد شعاراتها وأقوالها.. إنها مدرسة ومنهجية السيد محمد حسين فضل الله في التعبير، وفي التحليل، وفي الخطابة، وفي مقاربة القضايا كلها.

.. رحل السيد!

تعلّمنا منك أيها السيد أنَّ مَن أعطى المؤمنين، ومَن أعطى شعبه، وأهله، وأهل بلده ووطنه.. أعطوه وبادلوه حباً وعزاً، وهيئوا له مقاماً محموداً، وفي تشييعك العظيم برهان وعبرة للمعتبرين.

تعلّمنا منك أيها السيد الراحل اليوم، أن أسلوبك المسجدي الذي كنت تسميه أسلوب رسول الله ﷺ، هو الأسلوب الصحيح الناجع الذي أثمر كلّ هذا العطاء والوعي والثقافة والمؤسسات..

تعلّمنا منك أيها السيد أن نكون قرآنيين في أسلوبنا ومنطقنا وتعبيراتنا واستشهاداتنا واقتباساتنا..

.. سنستذكر بك، أيها السيد الراحل عنّا اليوم، مشاهد القيامة والحوارات التي تدور في أجوائها في القرآن الذي كنت تتلو آياته بهدوء وسكينة ووضوح كان يجعلنا كمَن يرى تلك المشاهد ويلمسها ويشم ريحها وروحها وريحانها، ويخفق قلبه لأجلها ومنها شوقاً ووجلاً..

لقد اهتدى بك جيلٌ كامل.. فحمل الراية وحمل الأمانة وانطلق بالإسلام ديناً وعقيدة وثقافة ومقاومة..

فليأتِ الزّمن بمثلك، فليتكرم الله علينا بمعلم لهذا الجيل الآن.. كما علّمت أنت جيلنا.. فيملأ الفضاء والإعلام والثقافة والكتاب.. من المسجد، ومن القرآن يملؤه.. من الحوزة والمبرة والمدرسة والثانوية والجامعة والإذاعة والمستشفى ومن كلّ نقطة ضوء يملؤه.

سيبقى اسمك متلألئاً...

أيها المعلم المربي، كان وجودك مدرسة، واليوم في رحيلك تتعمق هذه المدرسة المميزة..

لا ينقضي الكلام بين يديك فكيف بنا ونحن نطأطىء الرأس إجلالاً لرحيلك؟

ولكن نستعير خاتمتك القرآنية الشهيرة التي كنت تختم بها خطبك وكلماتك، لنتوقف عن الكلام لا لننتهي منه...

«وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين».

بقلم: الشيخ غالب كجك

شكر

أتوجه بالشكر الخاص إلى:

الأستاذين موسى فحص ، والأستاذ عباس خليل ترحيني، على التدقيق اللغوي لهذا الكتاب، والشكر الجزيل إلى كل من أسهم في إنجاز هذا العمل، ولا سيما أصحاب المقالات التي اقتبسنا منها والشعراء والأدباء الذين أغنوا هذا الكتاب.

محمد حسين ترحيني

المحتويات

الإهداء ٥
المقدّمة ٧

الفصل الأول

(نشأته ـ سيرته في العراق)

١ ـ بطاقة هوية ١٥
* النسب ١٥
* الولادة والنشأة ١٥
٢ ـ سيرته في العراق ٢٠
* نبذة من طفولته ٢٠
* من أهم أساتذته ٢١
* بروزه في الحوزة ٢١
* تلامذته ٢٢
* نظرته المتقدمة للأمور ٢٣
* نشأة حزب الدعوة ٢٤
* اهتمامه بالنشاطات الثقافية والفكرية ٢٥

الفصل الثاني

سيرته في لبنان

أولى زياراته ٢٩
تكرار قدومه إلى لبنان ٣٠
عودته إلى لبنان واستقراره في منطقة النبعة ٣١
جولاته في المناطق اللبنانية ٣١

تأسيس المعهد الشرعي الإسلامي ٣٢
نشاطاته الثقافية والاجتماعية ٣٢
انتقاله من النبعة ـ حي السلم إلى بئر العبد ٣٧
اختطافه من قِبَل الكتائب اللبنانية ٣٩
اتفاق ١٧ أيار ٤٠
المرشد الروحي ٤٠
مقارعة المستكبرين ٤١
متفجرة بئر العبد ٤١
استمرار المسيرة الجهادية ٤٣
طرح المرجعية والحملات الظالمة ٤٤
والنتيجة؟! ٤٨
مرجعية العصر ٥٠
عملية الرضوان وحرب تموز ٢٠٠٦م ٥٢

الفصل الثالث

الثوابت الفكرية والعقائدية لسماحته (قدّس سرّه)

١ ـ القرآن هو الأساس في الاجتهاد والاستنباط ٥٧
٢ ـ خط الإمامة ٦٠
٣ ـ الوحدة الإسلامية ٦١
٤ ـ الوحدة الإنسانية ٧٢
٥ ـ الحوار ٧٦
٦ ـ الدفاع عن الإسلام وقضاياه ٨٢
٧ ـ استمرار الحراك الإسلامي الواعي في الأمة ٨٤
٨ ـ الاستكبار العالمي ـ الكيان الصهيوني والقضية الفلسطينية ٨٤
٩ ـ دعم الجمهورية الإسلامية الإيرانية ٨٦
١٠ ـ حفظ المقاومة الإسلامية ٨٨
١١ ـ محاربة الغلو والخرافة ٩٢
مشروعه النهضوي للأمة ٩٧

الفصل الرابع

الخصائص والصفات التي تميّز بها سماحته (قُدِّس سرّه)

١ ـ الجرأة والشجاعة ٩٩
٢ ـ العالِم العامل والعقل المؤسساتي ١٠٦
٣ ـ الوسطية والانفتاح: ١١١
٤ ـ الحداثة والتجديد ١١٣
٥ ـ الحب والأبوّة ١٢١
٦ ـ الإبداع العقلي والاهتمام بالناس ١٢٨
٧ ـ سياسي من الطراز الأول ١٣١
٨ ـ الصدق والإخلاص ١٤٠
٩ ـ شاعر فذ وأديب مرهف ١٤٣
١٠ ـ سلطة العقل ١٥٥
١١ ـ المرجعية الحرة والشاملة ١٦٠
مشروعه النهضوي إلى الأمة ١٦٧

الفصل الخامس

شهادات مراجع وفقهاء بحقه (قُدِّس سرّه)

أولاً: خارج لبنان ١٧٣

١ ـ العلّامة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري ١٧٣
العلّامة الإنسان ١٧٣
الروح الاجتهادية المتميزة ١٧٤
مواقفه السياسية الرائدة ١٧٥
أبعاد شخصية المرجع فضل الله (قُدِّس سرّه) ١٧٦
لوعة رحيل العلماء الأفذاذ ١٧٨
٢ ـ آية الله العظمى الشيخ يوسف الصانعي (قم المقدسة) ١٧٨
٣ ـ آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (النجف الأشرف) ١٧٩
٤ ـ المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (قم المقدسة) ١٨١

٥ ـ المرجع الديني آية الله العظمى السيد كاظم الحائري (قم المقدسة) ١٨١
٦ ـ آية الله الشيخ محمود الهاشمي الشهرودي (قم المقدسة) ١٨٢
٧ ـ آية الله سماحة الشيخ محمد باقر الناصري: (هذه الشهادة بحياة سماحته) (قده) .. ١٨٢
٨ ـ بيان آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي بوفاة سماحة المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله (النجف الأشرف) ١٨٣
٩ ـ سماحة آية الله الدكتور عبد الهادي الفضلي (السعودية ـ الإحساء) ١٨٤
١٠ ـ آية الله السيد علي الخامنئي ١٨٤
١١ ـ سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ أحمد منتظري ١٨٥
١٢ ـ آية الله الشيخ محسن الآراكي ١٨٥
١٣ ـ آية الله العلّامة السيد ساجد علي النّقوي: (باكستان) ١٨٦
١٤ ـ علماء دين سعوديون: ١٨٦
الشيخ حسن الصفّار: (القطيف) ١٨٦
سماحة العلّامة السيد علي السيد ناصر السلمان: (الدمام) ١٨٧
العلّامة المحقق فضيلة الشيخ حسين الراضي (السعودية ـ الإحساء) ١٨٧
الشيخ فوزي السيف: (القطيف ـ تاروت) ١٨٨
الشيخ نمر باقر: (القطيف) ١٨٨
الشيخ محمد العبّاد: (القطيف ـ العوامية) ١٨٨
الشيخ محمد الصفّار: (القطيف) ١٨٩
الشيخ فيصل العوامي: (القطيف ـ العوامية) ١٨٩
السيد حسن النمر ١٩٠
الشيخ حسين المصطفى: (القطيف) ١٩٠
حوزة دار العلم: (القطيف) ١٩١
لجان الولاية بأم الحمام: (القطيف) ١٩١
رجال الدين في بلدة الجارودية: (القطيف) ١٩٢
١٥ ـ فقهاء وعلماء دين بحرانيون ١٩٢
آية الله العلّامة السيد عبد الله الغريفي ١٩٢
الشيخ عيسى أحمد القاسم ١٩٣
سماحة الشيخ جعفر الشاخوري ١٩٣
١٦ ـ الأستاذ السيد كاظم الحسيني: (النجف الأشرف) ١٩٤

١٧ ـ الحوزة العلمية في قم ١٩٤
١٨ ـ الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ١٩٥
١٩ ـ الأزهر الشريف وعلماء مصر ١٩٥
٢٠ ـ اتحاد الطلبة الأندونيسيين ١٩٧
٢١ ـ الشيخ عبد الملك الحوثي: (اليمن) ١٩٨
٢٢ ـ الكاتب والمفكّر حاقان البيرق: (تركيا) ١٩٨
٢٣ ـ رجال دين سوريين (سوريا) ١٩٩
الدكتور الشيخ أحمد بدر الدّين حسُّون ١٩٩
الشيخ حسين شحادة قال: ٢٠٠
الدكتور الشيخ حسام الفرفور قال: ٢٠٠
العلاّمة السيد عبد الله نظام قال: ٢٠٠
الدكتور الشيخ عبد الفتاح البزم (مفتي دمشق) ٢٠١
٢٤ ـ مرشد المركز العلمي الصّوفي العالمي ٢٠١
٢٥ ـ منظمة المؤتمر الإسلامي ٢٠١
٢٦ ـ الشيخ نفيع الله عشريف(روسيا ـ موسكو) ٢٠٢
٢٧ ـ الشيخ خيام قربان زاده (أذربيجان ـ باكو) ٢٠٢
٢٨ ـ اتحاد علماء المسلمين في العراق ٢٠٢
٢٩ ـ حزب الدعوة الإسلامية: ٢٠٣
٣٠ ـ موسسة أهل البيت عليهم السلام (مدينة هاملتون الكندية) ٢٠٥
ثانياً: داخل لبنان ٢٠٥
٣١ ـ المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان ٢٠٥
٣٢ ـ سماحة السيد حسن نصر الله (أمين عام حزب الله) ٢٠٦
٣٣ ـ سماحة الشيخ نعيم قاسم ٢٠٧
٣٤ ـ سماحة المفتي الجعفري الشيخ أحمد طالب: ٢٠٨
٣٥ ـ السيد هاني فحص ٢١٠
٣٦ ـ السيد محمد حسن الأمين ٢١١
٣٧ ـ فضيلة الشيخ ماهر حمّود ٢١٢
٣٨ ـ سماحة السيد جعفر فضل الله ٢١٥
٣٩ ـ سماحة العلاّمة السيد محمد علي فضل الله ٢١٩

الفصل السادس

المرجعية

١ ـ تاريخ المرجعية ونشأتها ٢٢٥
٢ ـ مدارس الفقه الشيعي (حسب توالي عصور الفقه الشيعي) ٢٢٦
الأولى ـ (مدرسة المدينة المنورة) ٢٢٦
الثانية ـ (مدرسة الكوفة) ٢٢٧
الثالثة ـ (مدرسة قم والري) ٢٢٧
الرابعة ـ (مدرسة بغداد) ٢٢٧
الخامسة ـ (مدرسة الحلة) ٢٢٨
٣ ـ فقهاء جبل عامل ٢٢٩
٤ ـ مفهوم التقليد ٢٣٠
٥ ـ شروط المرجعية ٢٣٢
٦ ـ مفهوم الأعلمية ٢٣٣
٧ ـ موضوع تحديد الأعلم ٢٣٤
٨ ـ الشهادة بالأعلمية ٢٣٧
المرجعية المؤسسة ٢٣٨
١ ـ المرجع ٢٣٩
٢ ـ المؤسسة المرجعية ٢٣٩
٣ ـ الأمة الإسلامية ٢٣٩
عقبات في طريق المؤسسة المرجعية ٢٤١
تقليد المرجع الميت إبتداءً ٢٤٢
فتوى اشتراط الحياة في المجتهد ٢٤٢
فتوى جواز تقليد المرجع الميت ابتداءً عند سماحته (قُدّس سرّه) ٢٤٤
الأدلة الفقهية حول مسألة جواز تقليد الميت ابتداءً، يُعدِّدُها سماحة الشيخ ياسر عودي ٢٤٤
أربعة وثلاثون من العلماء الإخباريين والأصوليين يجوِّزون تقليد الميت ابتداءً ٢٤٥
أولاً ـ العلماء الإخباريون ٢٤٦
ثانياً ـ الفقهاء المجتهدون الأصوليون وهم ثلة من أكابرهم ٢٤٧
الأسباب التي دعت المجتهدين لتحريم التقليد الابتدائي للمجتهد الميت ٢٥٤
الخلاصة ٢٥٦

الفصل السابع

ظلامات الزهراء عليها السلام

١ ـ ماذا قال سماحته (قُدِّس سرّه) في السيدة الزهراء عليها السلام ٢٦١
٢ ـ هل السيدة الزهراء عليها السلام مظلومة؟ ٢٦٤
أولاً: غصب خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام: ٢٦٤
ثانياً ـ منعها فدك ٢٦٥
ثالثاً ـ الهجوم على الدار ٢٦٦
٣ ـ هل ما قاله سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه) وتساءل عنه كان متفرداً به؟ ٢٧٠
١ ـ الإمام الأكبر (كما يلقّب) الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (قُدّس سرّه) ٢٧١
٢ ـ الشيخ المفيد (أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي): ٢٧٤
٣ ـ الخلاصة ٢٧٥
٤ ـ صنفان من العلماء ٢٧٦
٥ ـ المرجع السيد فضل الله (قُدّس سرّه) يخاطب جدّته الزهراء عليها السلام ٢٧٧

الفصل الثامن

الإمامة والولاية العصمة

أولاً: ماذا يقول سماحته (قُدّس سرّه) في الإمامة ٢٨١
ثانياً: ماذا يقول المراجع الكرام في الإمامة ٢٨٢
١ ـ السيد الإمام الخميني (قُدّس سرّه) ٢٨٢
٢ ـ السيد الخوئي (قُدّس سرّه) ٢٨٢
٣ ـ الشيخ محمد حسن النجفي (قُدّس سرّه) يقول ٢٨٣
تصحيح مفهوم الولاية ٢٨٥
١ ـ نسيان الهدف والرسالة ٢٨٨
٢ ـ الفصل بين الشخصية وبين دورها التغييري والإصلاحي ٢٨٨
٣ ـ عدم وضوح الرؤية واتخاذ الموقف الخاطىء بسبب اختلال المعايير ٢٨٩
٤ ـ عدم تحوُّلهم إلى أُسوة عملية ٢٩٠
٥ ـ السقوط في مهاوي الغلوّ ٢٩٠
كيف يمكن أن نتمثّل الولاية في حياتنا العملية المعاصرة ٢٩٢

الدور الموكّل إلى أهل البيت عليهم السلام ٢٩٥
العصمة برأي سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه) ٢٩٦

الفصل التاسع

الشعائر الحسينية

إصلاح الشعائر الحسينية عند سماحته (قُدّس سرّه) ٣٠١
نبذة عن السيد محسن الأمين (قُدّس سرّه) ٣٠٤
حركة الإصلاح الديني عند السيد الأمين (قُدّس سرّه) ٣٠٦
١ ـ الإصلاح عن طريق الممارسة ٣٠٦
٢ ـ الإصلاح في المعتقد الديني ٣٠٧
رد البدع والخرافة: ٣١٠
وجهة نظر السيد الأمين (قُدّس سرّه) ٣١٠
١ ـ دَورُ إبليس ٣١١
٢ ـ ملاحظات السيد الأمين (قُدّس سرّه) حول الممارسات ٣١٢
٣ ـ خلاصة خطوات هذا الخلاف ٣١٣
بين العقل والخرافة ٣١٧
كيف نُحيي أمرَ أهل البيت عليهم السلام ٣١٩
رأي الدكتور الشيخ الوائلي (حفظه الله) فيما يسمى شعائر الحسين عليه السلام ٣١٩
رأي الشهيد مرتضى مطهري (رضوان الله عليه) ٣٢٣
الأسلوب العاشورائي المشرق ٣٢٥
كيف تكون عاشوراء بنظر سماحة السيد فضل الله (قُدّس سرّه) ٣٢٧

الفصل العاشر

العلّامة المرجع السيد فضل الله (قُدّس سرّه) يؤبّن نفسه

كنت سأقول للناس ٣٣٢
لحظات السيد الأخيرة في المستشفى (يوم الرحيل) ٣٣٣
فماذا حصل ليلة الجمعة؟ ٣٣٣
بيان مكتب آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه) في نعيه ٣٣٥
يوم التشييع ٣٣٩

صدى رحيله (قُدّس سرّه) داخلياً وعالمياً ٣٤٢
تعليقات كتّاب ومفكرين ٣٤٧
رسالة من مجاهد في المقاومة الإسلامية إلى سماحة العلاّمة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (قُدّس سرّه) ٣٥٩
علّمتنا يا سيدي ٣٦١
قالوا فيه ٣٦٣
١ ـ سياسيون ٣٦٣
٢ ـ شعراً ٣٦٧
يا عالِماً مِعْلَماً علاَّمةً عَلَماً ٣٦٧
بحرٌ من الحب والإبداع ٣٦٩
إمامُ الرؤى ٣٧١
خطبْكَ ٣٧٣
إنَّ لفضلِ الله فضلُ ٣٧٤
إليك حيث الخلود ٣٧٥
مُدَّ عينيك ٣٧٦
يا مرجعاً للحبِّ ٣٧٨
عِمَامَةٌ وَوَرْدَهْ ٣٨٠
في وداع إمام التنوير ٣٨٢
وَهَبْتَ مِن روحِكَ ٣٨٣
السيد المرجع ٣٨٤
يا مرجع الحكمة ٣٨٥
٣ ـ كتابةً ونثراً ٣٨٦
سنبقى نطوف حول هذا السرّ ٣٨٦
فضلَ الله ٣٨٩
يا صانع عصر النور ٣٩١
سيدي المنير ٣٩٣
كسفت شمس الفكر يا سيّدي الإنسان.. ..... ٣٩٥
بك اهتدى جيلٌ كامل ٣٩٧

- نشأته
- سيرته (العراق ـ لبنان)
- ثوابته الفكرية والعقائدية
- خصائصه ومميزاته
- مشروعه النهضوي للأمة
- المرجعية
- تقليد الميت ابتداءاً
- السيدة الزهراء (ع)
- الإمامة
- تصحيح مفهوم الولاية
- الشعائر الحسينية

ISBN 978-9953-567-62-4

9 789953 567624

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ لبنان

الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com